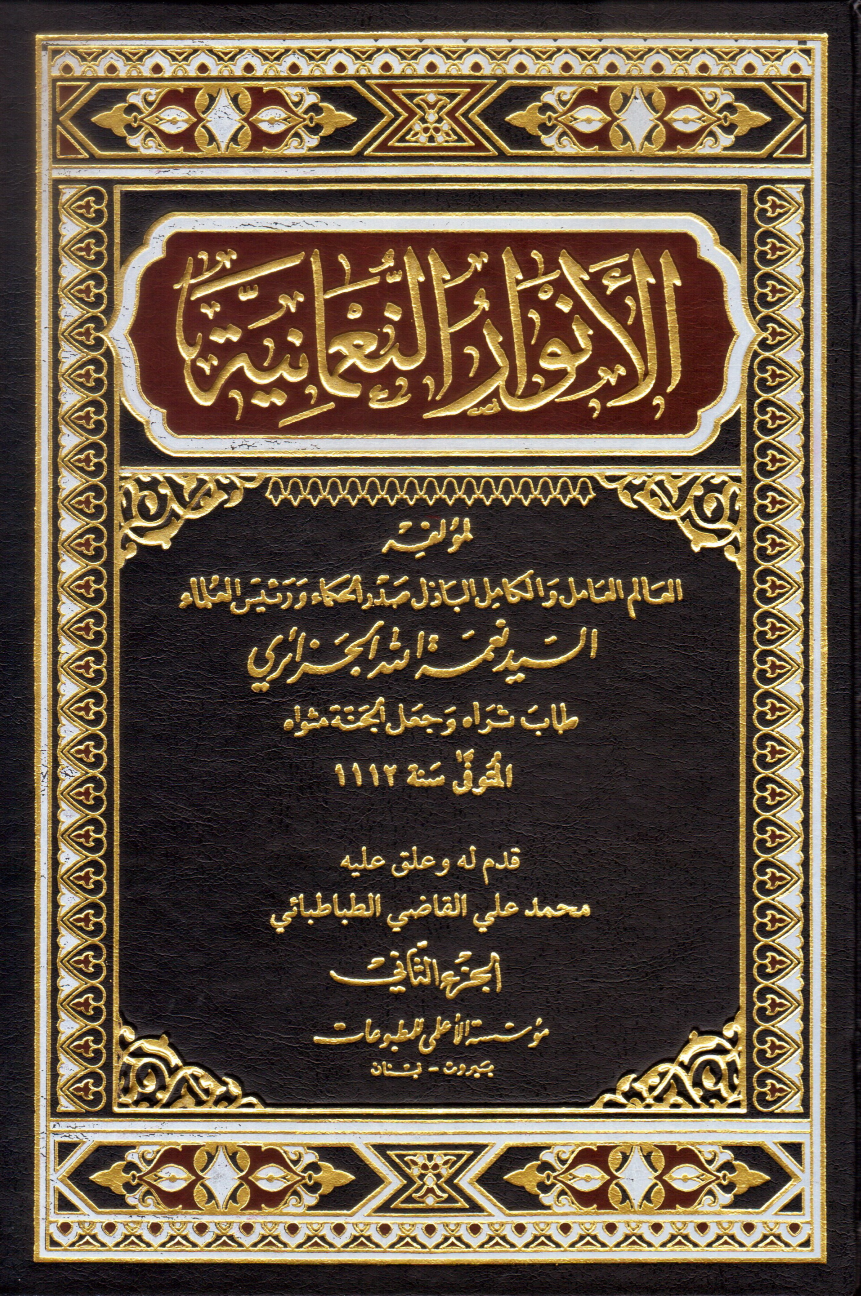

الأنوار النعمانية
لمؤلفه
العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء
السيد نعمة الله الجزائري
طاب ثراه وجعل الجنة مثواه
المتوفى سنة ١١١٢
قدم له وعلق عليه
محمد علي القاضي الطباطبائي
الجزء الثاني
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان


الأنوار النعمانية
٢

الأنوار النعمانية

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

المتوفى سنة ١١١٢

قدم له وعلق عليه

محمد علي القاضي الطباطبائي

يا علي يا فاطمة

الجزء الثاني

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى المصححة

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - مفرق حارة حريك
قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧



Beirut Airport Road
Tel: 01/450426 Fax: 01/450427
E-mail: alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نور في بيان بعض أحوال مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه

والكلام هنا يقع في أمور:

الأوّل: تحقيق الخلاف بين الشيعة ومخالفيهم في وجوده الآن ونقل بعض الدلائل من طريق المخالفين.

إعلم وفّقك الله تعالى أنّ أخبار الشيعة التي نقلوها من النبيّ والأئمّة عليهم السلام في المهديّ الذي بشّرت به المسلمون في جميع الأعصار تواترت على أنّه هو صاحب الزمان ابن مولانا الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وأمّا مخالفونا من جميع فرق الإسلام فقد أجمعوا على وقوع البشارة بالمهديّ عليه السلام وإنّما خالفوا في وقت ولادته وتعيين أمّه وأبيه، وأمّا إنكاره مطلقاً فلا يمكنهم لتواتر الأخبار من طرقهم في هذا المعنى، من ذلك ما رووه في الجمع بين الصحاح الستّة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله المهديّ منّي أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين وفي رواية كتاب المصابيح تسع سنين.

ومن ذلك ما رووه في الجمع بين الصحاح الستّة أيضاً عن أبي إسحاق قال: قال علي عليه السلام ونظر إلى ابنه الحسين عليه السلام وقال إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسيخرج من صلبه رجل باسم نبيّكم يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً، وفي كتاب كشف المخفي في مناقب المهدي مائة وعشرة أحاديث من طرق رجال الأربعة المذاهب تركنا نقلها طلباً للاختصار، وأمّا الإشارة إلى أماكنها فمنها من صحيح البخاري ثلاثة أحاديث ومن الجمع بين الصحيحين للحميدي حديثان ومن الجمع بين الصحاح الستّة لرزين بن معاوية العبدي أحد عشر حديثاً، ومن كتاب الحافظ من مسند أحمد بن حنبل سبعة أحاديث ومن تفسير الثعلبي خمسة أحاديث، ومن غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري ستّة أحاديث ومن كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي أربعة أحاديث، ومن كتاب الدارقطني في مسند سيّدة النساء

فاطمة عليها السلام ستّة أحاديث ومن كتاب الحافظ أيضاً في مسند عليّ بن أبي طالب ثلاثة أحاديث ومن كتاب المبتدأ للكسائي حديثان، ومن كتاب المصابيح لأبي محمّد الحسين بن مسعود الفرا خمسة أحاديث ومن كتاب الملاحم لأحمد بن جعفر المناري أربعة وثلاثون حديثاً ومن كتاب الخضرميّ المعروف بالمطين ثلاثة أحاديث ومن كتاب الرعاية لأهل الرواية ثلاثة أحاديث ومنها خبر سطيح برواية الحميدي أيضاً ومن كتاب الاستيعاب لأبي عمر يوسف بن عبد البرّ النميري حديثان وهذه الأخبار على كثرتها قد تضمنت خَلقه وخُلقه وولادته وأحواله على التفصيل.

والمخالفون قالوا إنّا لا ننكر المهديّ وأنّه من أولاد فاطمة عليها السلام وأنّه يملأ الأرض عدلاً ولكن وجوده وولادته في الزمان المستقبل عند خروج الدجال وأقوى دلائلهم على هذا استبعاد طول عمره الشريف فإنّ بنية الإنسان على ما هو المشاهد يأخذها السنّ ويهدمها طول العمر والعناصر لا يبقى تركيبها أزيد من العمر المتعارف، ولا يخفى أنّ هذا سؤال ركيك لا يحتاج إلى الجواب لأنّه قد تواتر كثير من الأخبار بطول عمر جماعة من الأنبياء وغيرهم من المعمرين وهذا الخضر عليه السلام على طول السنين وأصحاب الكهف لبثوا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً وهم أحياء كالنيام فهؤلاء المجوّفون المحتاجون إلى طعام وشراب قد بقوا هذه المدّة بغير طعام ولا شراب وبقوا إلى زمن النبيّ صلى الله عليه وآله حيث بعث الصحابة على البساط للتسليم عليهم فلم يكلّموا أحداً من الصحابة إلّا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام واعتذروا عن عدم تكلّمهم مع الصحابة بأنّه لم يؤذن لنا أن نكلّم إلّا نبيّاً أو وصيّه كما رواه الثعلبي وغيره من الجمهور.

ومن المعمّرين عليّ بن عثمان بن خطّاب بن مرّة بن مؤيّد معمّر المغربي أبو الدنيا قال الصدوق طاب ثراه حدّثنا أبو سعيد عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب بن نصر الشجري قال حدّثنا أبو بكر محمّد بن الفتح المزكي وأبو الحسن عليّ بن الحسن بن حمكا الملا شكي ختن أبي بكر قالا لقينا بمكة رجلاً من أهل المغرب فدخلنا عليه مع جماعة من أصحاب الحديث ممّن كان حضر الموسم في تلك السنة وهي سنة تسع وثلاثمائة؛ فرأينا رجلاً أسود الرأس واللحية كأنّه شنّ بالٍ وحوله جماعة من أولاد أولاده ومشايخ من أهل بلده ذكروا أنّهم من أقصى بلاد المغرب بقرب باهرق العليا وشهدوا هؤلاء المشايخ أنّا سمعنا آباءنا حكوا عن آبائهم وأجدادهم أنّا عهدنا هذا الشيخ المعروف بأبي الدنيا معمّر واسمه عليّ بن عثمان وذكر أنّه همدانيّ

وأنّ أصله من صنعاء اليمن فقلنا له أنت رأيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام فمال بيده ففتح عينيه وقد كان وقع حاجباه على عينيه ففتحهما كأنّهما سراجان وقال رأيته بعينيّ هاتين وكنت خادماً له وكنت معه في وقعة صفّين وهذه الشجّة من دابّة عليّ عليه السلام وأرانا أثره على حاجبه الأيمن وشهد الجماعة الذين كانوا حوله من المشايخ ومن حفدته وأسباطه بطول العمر أنّهم منذ ولدوا عهدوه على هذه الحالة، قالوا وكذا سمعنا من آبائنا وأجدادنا ثمّ إنّا فاتحناه وساءلناه عن قصّته وحاله وسبب طول عمره فوجدناه ثابت العقل يفهم ما يقال ويجيب عنه بلبّ وعقل، فذكر أنّه كان له والد قد نظر في كتب الأوائل وقرأها وقد كان وجد فيها ذكر نهر الحيوان وأنّها تجري في الظلمات وأنّه من شرب منها طال عمره فحمله الحرص على دخول الظلمات فتحمّل وتزوّد حسب ما قدّر أنه يكتفي به في مسيره وأخرجني معه وأخرج معنا خادمين وبازلين وعدّة أجمال لبون وروايا وزاداً وأنا يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة فسار بنا إلى أن وافينا طرف الظلمات ثمّ دخلنا فسرنا فيها نحو ستّة أيام بلياليها وكنّا نميز بين الليل والنهار بأنّ النهار كان يكون أضوأ قليلاً وأقلّ ظلمة من الليل فنزلنا بين جبال وأودية وذكوات وقد كان والدي رحمه الله وجد في الكتب التي قرأها أنّ مجرى نهر الحيوان في ذلك الموضع فأقمنا في تلك البقعة أيّاماً حتّى فني الماء الذي كان معنا وأسقينا جمالنا ولولا أنّ جمالنا كانت لبوناً لهلكنا وتلفنا عطشاً؛ وكان والدي يطوف في تلك البقعة في طلب النهر ويأمرنا أن نوقد ناراً ليهتدي إذا أراد الرجوع إلينا.

فمكثنا في تلك البقعة نحواً من خمسة أيّام ووالدي يطلب النهر فلا يجده، وبعد الإياس عزم على الانصراف حذراً من التلف لفناء الزاد والماء والخدم الذين كانوا معنا ضجروا وخشوا التلف على أنفسهم، فألحّوا على والدي بالخروج من الظلمات؛ فقمت يوماً من الرحل لحاجتي فتباعدت من الرحل قدر رمية سهم، فعثرت بنهر ماء أبيض اللون عذباً لذيذاً؛ لا بالصغير من الأنهار ولا بالكبير يجري جرياً ليّناً فدنوت منه وغرفت منه بيدي غرفتين أو ثلاثاً فوجدته عذباً بارداً لذيذاً، فبادرت مسرعاً إلى الرحل وبشّرت الخدم بأنّي قد وجدت الماء، فحملوا معنا من القرب والأدوات لنملأها، ولم أعلم أنّ والدي في طلب ذلك النهر وكان سروري بوجود الماء لما كنّا عدمنا الماء وفني ما كان معنا؛ وكان والدي في ذلك الوقت مشغولاً بالطلب فجهدنا فطفنا ساعة هويّة على أن نجد النهر فلم نهتد إليه، حتّى أنّ الخدم كذّبوني وقالوا لي لم تصدق، فلمّا انصرفنا إلى الرحل وانصرف والدي أخبرته بالقصّة، فقال لي يا بنيّ الذي أخرجني إلى ذلك المكان وتحمّل الخطر كان لذلك

النهر ولم أُرزق أنا ورزقته أنت؛ وسوف يطول عمرك حتّى تملّ الحياة، ورحلنا منصرفين وعدنا إلى أوطاننا وبلدنا، وعاش والدي بعد ذلك سنينات ثمّ توفّي رحمة الله عليه.

فلمّا بلغ سنّي قريباً من ثلاثين سنة وكان قد اتّصل بنا وفاة النبيّ ﷺ ووفاة الخليفتين من بعده خرجت حاجّاً فلحقت آخر أيّام عثمان، قال فمال قلبي من جماعة أصحاب النبيّ ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأقمت معه أخدمه، وشهدت معه وقائع وفي وقعة صفّين أصابتني هذه الشجّة من دابّته، فما زلت مقيماً معه إلى أن مضى لسبيله عليه السلام فألحّ عليّ أولاده وحرمه أن أقيم عندهم فلم أُقم؛ وانصرفت إلى بلدي وخرجت أيّام بني مروان حاجّاً وانصرفت مع أهل بلدي، وإلى هذه الغاية ما خرجت في سفر إلّا أنّ الملوك في بلاد المغرب يبلغهم خبري وطول عمري فيشخصوني إلى حضرتهم ليروني؛ ويسألوني عن سبب طول عمري وعمّا شاهدت، وكنت أتمنّى وأشتهي أن أحجّ حجّة أُخرى فحملني هؤلاء حفدتي وأسباطي الّذين ترونهم حولي، وذكر أنّه قد سقطت أسنانه مرّتين أو ثلاثة، فسألناه أن يحدّثنا بما سمعه من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فذكر أنّه لم يكن له حرص ولا همّة في العلم في وقت صحبته لعليّ بن أبي طالب عليه السلام والصحابة أيضاً كانوا متوافرين فمن فرط ميلي إلى عليّ عليه السلام ومحبّتي له لم أشتغل بشيء سوى خدمته وصحبته، والّذي كنت أتذكّره ممّا كنت سمعته منه قد سمعه منّي عالم من الناس ببلاد المغرب ومصر والحجاز؛ وقد انقرضوا وتفاونوا وهؤلاء أهل بلدي وحفدتي قد دوّنوه، فأخرجوا إلينا النسخة وأخذ يملي علينا من حفظه:

حدّثنا أبو الحسن عليّ بن عثمان أبو الدنيا قال حدّثني عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ قل هو الله أحد مرّة فكأنّما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرّتين فكأنّما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فكأنّما قرأ القرآن كلّه، وهذا الرجل ساكن في المغرب واسم بلده طنجة، وحدّث أبو الدنيا قال حضرت مع عليّ عليه السلام الجمل والصفّين فكنت بين الصفّين واقفاً عن يمينه إذ سقط سوطه من يده فأكببت آخذه وأدفعه إليه وكان لجم دابّته حديداً مدمجاً، فرفع الفرس رأسه فشجّني هذه الشجّة التي في صدري فدعاني أمير المؤمنين عليه السلام فتفل فيها وأخذ حفنة[1] من تراب فتركه عليها؛ فوالله ما وجدت لها ألماً ولا وجعاً ثمّ أقمت معه حتّى قتل

(١) الحفنة ملء الكف.

صلوات الله عليه وصحبت الحسن بن عليّ عليه السلام حين ضرب بساباط المدائن، ثمَّ بقيت معه بالمدينة أخدمه وأخدم الحسين عليه السلام حتّى مات الحسن عليه السلام مسموماً، ثمَّ خرجت مع الحسين بن عليّ عليه السلام حتّى حضرت كربلاء وقتل عليه السلام وخرجت هارباً بدابّتي (بديني خ) وأنا مقيم بالمغرب أنتظر خروج المهدي وعيسى ابن مريم عليه السلام.

قال أبو محمّد العلوي رحمه الله : ومن عجيب ما رأيت من هذا الشيخ عليّ بن عثمان وهو يحدّث فنظرت إلى عنفقته[1] قد احمرّت ثمَّ ابيضّت، فجعلت أنظر إلى ذلك لأنّه لم يكن في رأسه ولا لحيته ولا في عنفقته بياض؛ قال فنظر إلى نظري إلى لحيته وعنفقته فقال ما ترون إنّ هذا يصيبني إذا جعت؛ وإذا شبعت رجعت إلى سوادها، فدعا بالطعام فأكل أكل شابّ فاسودّت عنفقته شيئاً فشيئاً حتّى رجعت إلى سوادها.

قال مؤلّف الكتاب رحمه الله حدّثني أوثق مشايخي السيّد هاشم الإحسائي في شيراز في مدرسة الأمير محمّد عن شيخه العادل الثقة الورع الشيخ محمّد الحرفوشي أعلى الله مقامه في دار المقامة أنّه دخل يوماً مسجداً من مساجد الشام، وكان مسجداً عتيقاً مهجوراً فرأى رجلاً حسن الهيئة في ذلك المسجد فأخذ الشيخ في المطالعة في كتب الحديث، ثمَّ إنّ ذلك الرجل سئل الشيخ عن أحواله وعمّن نقل الحديث فأخبره الشيخ، ثمَّ إنّ الشيخ سأله عن أحواله وعن مشايخه فقال ذلك الرجل أنا معمّر أبو الدنيا وأخذت العلم عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وأخذت فنون العلم عن أربابها وسمعت الكتب من مصنّفيها، فاستجازه الشيخ في كتب الأحاديث الأصول وغيرها وفي كتب العربيّة والأصول فأجازه، وقرأ عليه الشيخ بعض الأخبار في ذلك المسجد توثيقاً للإجازة، فمن ثم كان شيخنا الثقة قدّس الله روحه يقول لي يا بنيّ إنّ سندي إلى المحمّدين الثلاثة وغيرهم من أهل الكتب قصير، فإنّي أروي عن الفاضل الحرفوشي عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكذا إلى الصادق والكاظم عليه السلام إلى آخر الأئمّة، وكذلك روايتي لكتب الأصول مثل الكافي والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه وأجزتك أن تروي عنّي بهذه الإجازة؛ فنحن نروي الكتب الأربعة عن مصنّفيها بهذا الطريق.

ومن المعمّرين ذات العماد قال الصدوق طاب ثراه أخبرنا محمّد بن هارون

---

(١) العنفقة شعيرات بين الشفة السفلى والذقن والجمع عنافق.

الزنجاني فيما كتب إليّ، قال حدّثنا معاذ بن المثنّى العنبري؛ قال حدّثنا عبد الله بن أسماء قال حدّثنا جويريّة عن سفيان عن منصور عن أبي وائل؛ قال إنّ رجلاً يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب إبل له قد شردت فبينما هو في صحارى عدن في تلك الفلوات إذا هو قد وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال، فلمّا دنا منها ظنّ أنّ فيها من يسأله عن إبله فلم ير داخلاً ولا خارجاً؛ فنزل عن ناقته وعقلها وسلّ سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا شيئاً أعظم منهما ولا أطول، وإذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان فلمّا رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فدخل فإذا هو بمدينة لم ير الراؤون مثلها قطّ، وإذا هو بقصور كلّ قصر معلّق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت؛ وفوق كلّ قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وعلى كلّ باب من أبواب تلك القصور مصاريع مثل مصاريع باب المدينة من عود طيّب قد نضدت عليه اليواقيت، وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فلمّا رأى ذلك ولم ير هناك أحداً أفزعه ذلك، ثمّ نظر إلى الأزقّة فإذا في كلّ زقاق منها أشجار قد أثمرت تحتها أنهار تجري فقال هذه الجنّة التي وصف الله عزّ وجلّ لعباده في الدنيا، فالحمد لله الّذي أدخلني الجنّة فحمل من لؤلئها ومن بنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها، لأنّه كان مبنيّاً في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق الزعفران منثوراً بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف كلّها، فأخذ منها ما أراد وخرج حتّى أتى ناقته فركبها، ثمّ سار يقفو إثر ناقته حتّى رجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وأعلم الناس أمره، وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان اصفارّ وتغيّر من طول ما مرّ عليه من الليالي والأيام.

فشاع خبره وبلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولاً إلى صاحب صنعاء، ثمّ كتب بإشخاصه فشخص حتّى قدم على معاوية فخلا به وسأله عمّا عاين فقصّ عليه أمر المدينة وما رأى فيها، وعرض عليه ما حمله منها من اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فقال والله ما أُعطي سليمان بن داود مثل هذه المدينة؛ فبعث معاوية إلى كعب الأحبار فدعاه وقال له يا أبا إسحاق هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنيّة بالذهب والفضّة وعمدها زبرجد وياقوت، وحصباء قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الأزقّة تجري تحت الأشجار، قال كعب أمّا هذه المدينة فصاحبها شدّاد بن عاد الّذي بناها؛ وأمّا المدينة فهي إرم ذات العماد وهي التي وصفها الله عزّ وجلّ في كتابه

المنزل على نبيّه المرسل محمّد صلى الله عليه وآله وذكر أنّه لم يخلق مثلها في البلاد، قال معاوية حدّثنا بحديثها.

فقال إنّ عاداً الأولى وليس بعاد قوم هود كان له ابنان سمّى أحدهما شديداً والآخر شدّاداً فهلك عاد وبقيا وملكا وتجبّرا وأطاعهما الناس في الشرق والغرب، فمات شديد وبقي شدّاد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكان مولعاً بقراءة الكتب وكان كلّما سمع بذكر الجنّة وما فيها من البنيان والياقوت والزبرجد واللؤلؤ رغب أن يفعل مثل ذلك في الدنيا عتواً على الله عزَّ وجلّ؛ فجعل على صنعتها مائة تحت كلّ واحد منهم ألف من الأعوان؛ فقال انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها فاعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضّة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، واصنعوا تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وعلى المدينة قصور وعلى القصور غرف وفوق الغرف غرف؛ واغرسوا تحت القصور في أزقّتها أصناف الثمار كلّها وأجروا فيها الأنهار حتّى تكون تحت أشجارها، فإنّي أقرأ في الكتاب صفة الجنّة وأنا أحبّ أن أجعل مثلها في الدنيا؛ قالوا كيف نقدر على ما وصفت لنا من الجواهر والذهب والفضّة حتّى يمكننا أن نبني مدينة كما وصفته، قال شدّاد لا تعلمون أنّ ملك الدنيا بيدي؟ قالوا بلى قال فانطلقوا إلى كلّ معدن من معادن الجواهر والذهب والفضّة فوكّلوا بها حتّى تجمعوا ما تحتاجون إليه وخذوا جميع ما تجدونه في أيدي الناس من الذهب والفضّة.

فكتبوا إلى كلّ ملك في الشرق والغرب فجعلوا يجمعون أنواع الجواهر عشر سنين فبنوا هذه المدينة في مدّة ثلاثمائة سنة، وعمر شدّاد تسع مائة سنة، فلمّا أتوه فأخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصناً؛ واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كلّ قصر ألف علم يكون في كلّ قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، فرجعوا وعملوا ذلك كلّه له ثمَّ أتوه فأخبروه بالفراغ منها كما أمرهم به، فأمر الناس بالتجهيز إلى إرم ذات العماد فأقاموا في جهازهم إليها عشر سنين. ثمَّ سار الملك يريد إرم ذات العماد فلمّا كان من المدينة على مسير يوم وليلة بعث الله عزَّ وجلّ عليه وعلى جميع من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً، وما دخل إرم ولا أحد ممّن كان معه فهذه صفة إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد؛ وإنّي لأجد في الكتب أنّ رجلاً يدخلها ويرى ما فيها ثمَّ يخرج فيحدّث بما رأى فلا يصدّق وسيدخلها أهل الدين في آخر الزمان.

أقول: إذا جاز أن يكون في الأرض جنّة مغيبة عن الناس لا يهتدي إلى مكانها

أحد من الناس ولا يعلمونها ويعتقدون صحّة كونها من طريق الأخبار فكيف لا يقبلون من طريق الأخبار كون القائم عليه السلام الآن في غيبته؛ وإذا جاز أن يعمّر شدّاد بن عاد تسعمائة سنة فكيف لا يجوز أن يعمّر القائم مثلها وأكثر منها.

ومن المعمّرين عبيد بن شريد الجرهمي قال الصدوق طاب ثراه حدّثنا أبو سعيد عبيد الله بن محمّد بن عبد الوهاب الشجري، قال وجدت في كتاب لأخي أبي الحسن بخطّه يقول سمعت بعض أهل العلم ممّن قرأ الكتب وسمع الأخبار أنّ عبيد بن شريد الجرهمي عاش ثلاثمائة وخمسين سنة فأدرك النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم وحسن إسلامه وعمّر بعدما قبض النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى قدم إلى معاوية في أيّام تغلّبه وملكه، فقال له معاوية أخبرني يا عبيد عمّا رأيت وسمعت ومن أدركت وكيف رأيت الدهر؟ فقال له أمّا الدهر فرأيت ليلاً يشبه ليلاً ونهاراً يشبه نهاراً ومولوداً يولد وميّتاً يموت ولم أُدرك أهل زمان إلّا وهم يذمّون زمانهم؛ وأدركت من قد عاش ألف (ثلاثمائة خ) سنة فحدّثني عمن كان قبله قد عاش ألف (ألفي خ) سنة فأمّا ما سمعت فإنّه حدّثني ملك من ملوك حمير أنّ بعض ملوك التبابعة ممّن دانت له البلاد كان يقال له ذو سرح كان أُعطي الملك في عنفوان شبابه وكان حسن السّيرة في أهل مملكته سخيّاً فيهم مطاعاً، فملكهم سبعمائة سنة وكان كثيراً ما يخرج في خاصّته إلى الصيد والنزهة، فخرج يوماً في بعض تنزّهه فأتى على حيّتين إحداهما بيضاء كأنّها سبيكة فضّة والأُخرى سوداء كأنّها حممة وهما تقتتلان وقد غلبت السوداء البيضاء وكادت تأتي على نفسها، فأمر الملك بالسوداء فقتلت وأمر بالبيضاء فاحتملت حتّى انتهي بها إلى عين ماء نقيّ عليها شجرة، فأمر فصبّ عليها من الماء فسقيت حتّى رجع إليها نفسها فأفاقت فخلّى سبيلها فانسابت الحيّة ومضت لسبيلها ومكث الملك يومه في تصيده ونزهته، فلمّا أمسى ورجع إلى منزله وجلس على سريره في موضع لا يصل إليه حاجب ولا أحد فبينما هو كذلك إذ رأى شابّاً آخذاً بعضادتي الباب وبه من الشباب والجمال شيء لا يوصف فسلم عليه فذعر منه الملك، فقال له من أنت ومن أذن لك في الدخول عليّ في هذا الموضع الّذي لا يصل إليّ فيه حاجب ولا غيره؟ فقال له الفتى لا ترع أيّها الملك إنّي لست بإنسيّ ولكنّي فتى من الجنّ أتيتك لأُجازيك ببلائك الحسن الجميل عندي؛ قال الملك وما بلائي عندك قال أنا الحية التي أحييتني في يومك هذا بالأسود الذي قتلته وخلّصتني منه، كان غلاماً لنا تمرّد علينا وقد قتل من أهل بيتي عدّة كان إذا خلا بواحد منّا قتله، فقتلت عدوّي وأحييتني فجئتك لأُكافيك ببلائك عندي، ونحن أيّها الملك الجنّ لا الجنّ فقال له الملك وما

الفرق بين الجنّ والجنّ؟ ثمَّ انقطع الحديث من الأصل الذي كتب فلم يكن هناك بتمامه.

الأمر الثاني: في كيفيّة تولّده عليه السلام وما يتبعها من المقدّمات.

روينا بأسانيدنا إلى الصدوق طاب ثراه قال حدّثنا محمّد بن عليّ بن حاتم النوفلي قال حدّثنا أبو العبّاس البغداديّ قال حدّثنا أحمد القميّ قال حدّثنا محمّد الشيباني قال وردت كربلاء سنة ستّة وثمانين ومائتين قال وزرت قبر غريب رسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ أتيت إلى مشهد الكاظم عليه السلام فرأيت شيخاً قد انحنى صلبه وتقوّس منكباه وهو يقول لآخر معه عند القبر يابن أخي لقد نال عمّك شرفاً بما حمّله السيدان من غوامض الغيوب وشرائف العلوم التي لم يحملها إلّا سلمان وقد أشرف عمّك على استكمال المدّة وليس يجد في أهل الولاية رجلاً يفضي إليه بسرّه، قلت يا نفس لا يزال العناء والمشقّة ينالان منك وقد قرع سمعي من الشيخ لفظة تدلّ على علم جسيم وأثر عظيم فقلت أيّها الشيخ من السيدان؟ قال النجمان المغيبان تحت الثرى بسرّ من رأى، قلت فأنا أُقسم بالموالاة وشرف محلّ هذين السيّدين من الإمامة والوراثة أنّي خاطب علمهما وطالب آثارهما وباذل من نفسي الأيمان المؤكّدة على حفظ أسرارهما قال إن كنت صادقاً فيما تقول فأحضر ما صحبك من الآثار عن نقلة أخبارهم فلمّا فتّش الكتب وتصفح الروايات منها قال صدقت، أنا بشر بن سليمان النخّاس من ولد أبي أيّوب الأنصاري أحد موالي أبي الحسن وأبي محمّد عليهما السلام وجارهما بسّر من رأى قلت فأكرم أخاك ببعض ما شاهدت من آثارهما.

قال كان مولانا عليّ العسكري عليه السلام فقّهني في أمر الرقيق فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلّا بإذنه فاجتنبت بذلك موارد الشبهات حتّى كملت معرفتي فيه فأحسنت الفرق بين الحلال والحرام فبينما أنا ذات ليلة في منزلي بسرّ من رأى وقد مضى هويّ من الليل إذ قرع الباب قارع فعدوت مسرعاً فإذا أنا بكافور الخادم رسول مولانا عليّ بن محمّد عليه السلام يدعوني إليه فلبست ثيابي ودخلت عليه فرأيته يحدّث ابنه أبا محمّد عليه السلام وأخته حكيمة من وراء الستر فلمّا جلست قال يا بشر إنّك من ولد الأنصار وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف فأنتم ثقاتنا أهل البيت وإنّي مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها سائر الشيعة في الموالاة بها بسّر أطلعك عليه وأُنفذك في ابتياع أمة وكتب كتاباً ملصقاً بخطّ روميّ ولغة روميّة وطبع خاتمه بها وأخرج شقّة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً فقال خذها وتوجه بها إلى بغداد

واحضر معبر الفرات ضحوة كذا فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبايا وبرز الجواري منها فستحدق بهنّ طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العبّاس وشراذم من فتيان العراق فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك إلى أن يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا لابسة خزّين صفيفين (صففين ظ) تمنع من السفور ولمس المعترض والإنقياد لمن يحاول لمسها أو يشغل نظره بتأمّل مكاشفها من وراء الستر الرقيق فيضربها النخّاس فتصرخ صرخة روميّة فاعلم أنها تقول وا هتك ستراه فيقول بعض المبتاعين على ثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة فتقول بالعربيّة لو برزت في زيّ سليمان على مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة فأشفق على مالك فيقول النخّاس فما الحيلة ولا بّد من بيعك فتقول الجارية وما العجلة ولا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إلى أمانته ووفائه، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخّاس وقل له إنّ معي كتاباً ملصقاً لبعض الأشراف كتبه بلغة روميّة وخطّ روميّ ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه فناولها لتتأمّل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك.

قال بشر بن سليمان فامتثلت بجميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية فلمّا نظرت في الكتاب بكت بكاء شديداً، وقالت لعمر بن يزيد النخّاس بعني من صاحب هذا الكتاب وحلفت أنّه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها فما زلت أُشاحّه في ثمنها حتّى استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي من الدنانير في الشقّة (الشنتقة ظ) الصفراء فاستوفاه منّي وتسلّمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة وانصرفت بها إلى حجرتي التي كنت آوي إليها ببغداد فما أخذها القرار حتّى أخرجت كتاب مولانا من جيبها وهي تلثمه وتضعه على خدها وتطبقه على جفنها وتمسحه على بدنها فقلت تعجّباً منها أتلثمين كتاباً ولا تعرفين صاحبه قالت أيّها العاجز الضعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء أعرني سمعك وفرّغ لي قلبك أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم وأُمّي من ولد الحواريّين تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون أُنبئك العجب، إنّ جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة فجمع في قصره من نسل الحواريّين من القسّيسين والأحبار والرهبان ثلاثمائة رجل ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل وجمع من أمراء الأجناد وقوّاد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف وأبرز من ملكه عرشاً مصوغاً من أصناف الجواهر إلى صحن القصر فرفعه فوق أربعين مرقاة فلمّا صعده ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عكّفاً ونشرت أسفار الإنجيل تساقطت الصلبان

من الأعالي فلصقت بالأرض وتقوضت الأعمدة فانهارت إلى القرار وخرّ الصاعد من العرش مغشياً عليه فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم فقال كبيرهم لجدّي أيّها الملك اعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالّة على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني فتطيّر جدّي من ذلك تطيّراً شديداً وقال للأساقفة أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصلبان وأحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جدّه لأُزوّج هذه الصبيّة منه فيدفع نحوسكم عنه بسعوده فلمّا فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الأوّل وتفرّق الناس وقام جدي قيصر مغتماً فدخل قصره واغتمّ وأُرخيت الستور فأُريت في تلك الليلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدي ورفعوا به منبراً يباري السماء علوّاً وارتفاعاً في الموضع الذي كان جديّ نصب فيه عرشه فدخل محمّد صلى الله عليه وآله مع فتية وعدّة من بنيه فتقدّم إليه المسيح فاعتنقه فقال يا روح الله إنّي جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لابني هذا وأومى بيده إلى أبي محمّد صاحب هذا الكتاب فنظر المسيح إلى شمعون فقال له قد أتاك الشرف فصل رحمك برحم رسول الله صلى الله عليه وآله قال قد فعلت.

فصعد ذلك المنبر وخطب محمّد صلى الله عليه وآله وزوّجني من ابنه المسيح وشهد بنو محمّد والحواريّون فلمّا استيقظت من نومي أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل فكنت أُسرّها في نفسي ولا أُبديها لهم وضرب صدري بمحبّة أبي محمّد حتّى امتنعت من الطعام والشراب وضعفت نفسي ودقّ شخصي ومرضت مرضاً شديداً فما بقي في مدائن الروم طبيب إلّا أحضره جدي وسأله عن دوائي فلمّا برح به اليأس قال يا قرّة عيني فهل تخطر ببالك شهوة فأُزوّدكها في هذه الدنيا فقلت يا جدّي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة فلو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أسارى المسلمين وفككت عنهم الأغلال وتصدّقت عليهم ومنّيتهم الخلاص رجوت أن يهب المسيح وأمّه لي عافية وشفاء فلمّا فعل ذلك تجلّدت في إظهار الصحّة في بدني وتناولت يسيراً من الطعام فسرّ بذلك جدي وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم فأُريت أيضاً بعد أربع ليالٍ كأنّ سيّدة النساء قد زارتني ومعها مريم بنت عمران وألف من وصائف الجنان فتقول لي مريم هذه سيّدة النساء أمّ زوجك أبي محمّد فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمّد من زيارتي، فقالت سيّدة النساء إنّ ابني أبا محمّد لا يزورك وأنت مشركة بالله على دين مذهب النصارى وهذه أختي مريم تبرأ إلى الله عزّ وجلّ من دينك فإن ملت إلى رضاء الله ورضاء المسيح ومريم منك وزيارة أبي محمّد إيّاك فقولي أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ أبي محمّداً رسول الله، فلمّا

تكلّمت بهذه الكلمة ضمّتني سيّدة النساء إلى صدرها وطيّبت نفسي وقالت الآن توقّعي زيارة أبي محمّد فإنّي منفذته إليك فانتبهت وأنا أقول وا شوقاه إلى لقاء أبي محمّد فرأيت كأنّي أقول له لم جفوتني يا حبيبي بعد أن شغلت قلبي بجوامع حبّك قال ما كان تأخيري عنك إلّا لشركك وقد أسلمت فإنّي زائرك كلّ ليلة إلى أن يجمع الله شملنا في العيان فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قال بشر فقلت وكيف وقعت في الأسارى فقالت أخبرني أبو محمّد ليلة من الليالي: إنّ جدّك سيسري جيوشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا ثمَّ يتبعهم فعليك باللحاق بهم متنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف من طريق كذا ففعلت فوقع علينا طلائع المسلمين حتّى كان من أمري ما رأيت وشاهدت وما شعر بأنّي ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك وذلك بإطلاعي إيّاك عليه وقد سألني الشيخ الذي دفعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت نرجس فقال اسم الجواري قلت العجب أنّك روميّة ولسانك عربيّ قالت بلغ من ولوع جدي بي وحمله إيّاي على تعليم الآداب أن أمر امرأة ترجمان له في الاختلاف إليّ وكانت تقصدني صباحاً ومساء وتفيدني العربيّة حتّى استمرّ عليها لساني واستقام قال بشر فلمّا انكفأت بها إلى سرّ من رأى دخلت على مولانا أبي الحسن العسكري عليه السلام قال لها كيف أراك الله عزّ الإسلام وذلّ النصرانية وشرف أهل بيت محمّد صلوات الله عليه وآله؟ قالت أصف لك يابن رسول الله ما أنت أعلم به منّي، قال فإنّي أُحبّ أن أُكرمك فأيّما أحبّ إليك عشرة آلاف درهم أم بشرى لك فيها شرف الأبد، قالت بل البشرى قال فأبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً قالت ممّن؟ قال ممّن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا؟ بالروميّة قالت من المسيح ووصيّه قال ممّن زوّجك المسيح ووصيّه قالت من ابنك أبي محمّد قال فهل تعرفينه؟ قالت وهل خلوت ليلة من زيارته إيّاي منذ الليلة التي أسلمت فيها على يد سيّدة النساء أمّه فقال أبو الحسن عليه السلام يا كافور ادعُ لي أختي حكيمة فلمّا دخلت عليه قال عليه السلام هاهي فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً فقال مولانا يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن فإنّها زوجة أبي محمّد وأمّ القائم عليه السلام.

وبالأسانيد المتكثرة عن حكيمة قالت بعث إليّ أبو محمد الحسن بن عليّ عليهما السلام فقال يا عمّة اجعلي إفطارك الليلة عندنا فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك

وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجّة وهو حجّته في أرضه، قالت فقلت له ومن أمّه قال لي نرجس قلت له والله جعلني الله فداك ما بها أثر فقال هو ما أقول لك قالت فجئت فلمّا سلّمت وجلست جاءت تنزع خفّي وقالت لي يا سيّدتي كيف أمسيت فقلت بل أنت سيّدتي وسيدة أهلي قالت فأنكرت قولي وقالت ما هذا يا عمة؟ قالت فقلت لها يا بنيّة إنّ الله تبارك وتعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة، قالت فخجلت واستحيت فلمّا أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت فلمّا أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث ثمَّ جلست معقّبة ثمَّ اضطجعت ثمَّ انتبهت فزعة وهي راقدة، ثمَّ قامت فصلّت ونامت قالت حكيمة فخرجت أتفقّد الفجر فإذا أنا بالفجر الأوّل كذنب السرحان وهي نائمة قالت حكيمة فدخلتني الشكوك فصاح بي أبو محمّد عليه السلام من المجلس لا تعجلي يا عمّة فهاك الأمر قد قرب؛ قالت فقرأت الم السجدة ويس فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت اسم الله عليك، ثمَّ قلت لها تحسّين شيئاً؟ قالت نعم يا عمّة فقلت لها اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك.

قالت حكيمة ثمَّ أخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحسّ سيّدي فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضممته عليه السلام إليّ فإذا أنا به نظيف منظّف فصاح بي أبو محمّد عليه السلام إليّ يا عمّة فجئت به إليه فوضع يده تحت أليتيه وظهره ووضع قدمه في صدره ثمَّ أدلى لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثمَّ قال تكلّم يا بنيّ فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ صلّى على أمير المؤمنين وعلى الأئمّة إلى أن وقف على أبيه ثمَّ أحجم قال أبو محمّد عليه السلام يا عمّة اذهبي به إلى أمّه ليسلّم عليها وائتني به فذهبت به فسلّم ورددته ووضعته عليه السلام في المجلس ثمَّ قال يا عمّة إذا كان يوم السابع فائتينا قالت حكيمة فلمّا أصبحت جئت لأسلّم على أبي محمّد عليه السلام وكشفت الستر لأفتقد سيّدي فلم أره فقلت له جعلت فداك ما فعل سيّدي؟ قال يا عمّة استودعناه الذي استودعته أمّ موسى موسى، قالت حكيمة فلمّا كان يوم السابع جئت وسلّمت وجلست فقال هلمّي إليّ ابني؛ فجئت بسيّدي عليه السلام وهو في الخرقة ففعل به كفعلته الأولى ثمَّ أدلى لسانه في فيه كأنّه يغذيه لبناً أو عسلاً ثمَّ قال تكلّم يا بنيَّ فقال عليه السلام أشهد أن لا إله إلّا الله وثنّى بالصلاة على محمّد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين حتّى وقف على أبيه عليه السلام؛ ثمَّ تلا هذه الآية بسم الله

الرحمن الرحيم ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٥-٦] قال موسى فسألت عقبة الخادم عن هذا فقال صدقت حكيمة.

وفي حديث آخر رواه محمّد بن عبد الله الطهوري عن حكيمة وساق الحديث إلى أن قالت قال أبو محمّد عليه السلام إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لأنّ مثلها مثل أمّ موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام، قالت حكيمة فعدت إلى نرجس وأخبرتها بما قال وسألتها عن حالها فقالت يا مولاتي ما أرى بي شيئاً من هذا قالت حكيمة فلم أزل أرقبها إلى طلوع الفجر حتّى إذا طلع الفجر وثبت فزعة فضممتها إلى صدري وسمّيت عليها، فصاح بي أبو محمَّد عليه السلام وقال اقرأي عليها ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها ما حالك قالت: ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني فأجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما أقرأ وسلّم عليّ قالت حكيمة ففزعت لما سمعت فصاح بي أبو محمّد عليه السلام لا تعجبي من أمر الله إنّ الله عزَّ وجلّ ينطقنا صغاراً بالحكمة ويجعلنا حجّة في أرضه كباراً، فلم يستتمّ الكلام حتّى غيّبت عنّي نرجس فلم أرها كأنّه ضرب بيني وبينها حجاب فعدوت نحو أبي محمّد عليه السلام وأنا صارخة، فقال ارجعي يا عمّة فإنّك ستجديها في مكانها قالت فرجعت فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي كان بيني وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشيني وإذا أنا بالصبيّ عليه السلام ساجد لوجهه جاثٍ على ركبتيه رافع سبّابته نحو السماء وهو يقول أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ جدّي رسول الله وأنّ أبي أمير المؤمنين ثمَّ عدّ إماماً إماماً إلى أن بلغ نفسه؛ فقال اللهمَّ أنجز لي وعدي وأتمم لي أمري وثبّت وطأتي واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً، فصاح بي أبو محمّد عليه السلام فقال يا عمّة تناوليه فتناولته وأتيت به نحوه، فلمّا مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلّم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام منّي والطير ترفرف على رأسه، وناوله لسانه ليشرب منه ثمَّ قال: امضي به إلى أمّه لترضعه وردّيه إليّ؛ قالت فناولته أمّه فأرضعته فرددته إلى أبي محمّد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له احمله واحفظه وردّه إلينا في كلّ أربعين يوماً فتناوله الطير وطار به في جوّ السماء واتبعه سائر الطيور فسمعت أبا محمّد عليه السلام يقول: أستودعك الذي أودعته أمّ موسى موسى فبكت نرجس فقال اسكتي فإنّ الرضاع محرّم عليه إلّا من

ثديبك وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمّ موسى، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: ٤٠] قالت حكيمة قلت فما هذا الطير؟ قال هذا روح القدس الموكّل بالأئمّة عليهم السلام يوفّقهم ويسدّدهم ويزيّنهم بالعلم.

قالت حكيمة فلمّا أن كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام ووجّه إليّ ابن أخي عليه السلام فدعاني ودخلت عليه فإذا أنا بصبيّ متحرّك يمشي بين يديه، فقلت سيّدي هذا ابن سنتين فتبسّم عليه السلام ثمّ قال إنّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمّة ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وإنّ الصبيّ منّا إذا أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة وإنّ الصبيّ منّا ليتكلّم في بطن أمّه ويقرأ القرآن ويعبد ربّه عزّ وجلّ عند الرضاع وتطيعه الملائكة وتنزل عليه بالسلام صباحاً ومساءً، قالت حكيمة فلم أزل أرى ذلك الصبيّ في كلّ أربعين إلى أن رأيته رجلاً قبل مضيّ أبي محمّد عليه السلام بأيّام قلائل فلم أعرفه؛ فقلت لابن أخي من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه؟ فقال لي ابن نرجس وهذا خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فاسمعي له وأطيعي، قالت حكيمة فمضى أبو محمّد عليه السلام بعد ذلك بأيّام قلائل فافترق الناس كما ترى ووالله إنّي لأراه صباحاً ومساءً، وإنّه لينبئني عمّا يسألوني عنه فأخبرهم ووالله إنّي لأُريد ان أسأله عن الشيء فيبدأني به وإنّه ليرد عليّ الأمر فيخرج إليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألة، وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليّ وأمرني أن أخبرك بالحقّ قال محمّد بن عبد الله فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطلع عليها أحد إلّا الله عزّ وجلّ فعلمت أنّ ذلك صدق وعدل من الله عزّ وجلّ قد أطلعهم على ما لم يطلع عليه أحداً من خلقه.

وعن أبي جعفر العمري قال لمّا ولد السيّد عليه السلام قال أبو محمّد عليه السلام ابعثوا إلى أبي عمرو فبعث إليه فصار إليه فقال له اشتر عشرة آلاف رطل خبزاً وعشرة آلاف رطل لحماً وفرّقه - وأحسبه قال على بني هاشم - وعقّ عنه بكذا وكذا شاة.

وكان مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة ستّة وخمسين ومائتين وتاريخ ولادته بحساب الجمل نور، وكان وكيله عثمان بن سعيد فلمّا مات عثمان أوصى إلى ابنه محمّد بن عثمان وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد السيمري رضي الله عنه، فلمّا حضرت السيمري الوفاة سئل أن يوصي فقال لله أمر هو بالغه؛ فالغيبة التامّة هي التي وقعت بعد مضيّ السيمري رحمه الله، وقال وكيله لعمري إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه، ولو أردنا ذكر أسماء الرجال الذي رأوه

والذين خرجت منه عليه السلام التوقيعات إليهم وما بيّنه عليه السلام للشيعة من غوامض العلوم ومغيّبات الأسرار لاحتجنا إلى تأليف كتاب آخر لكن شيخنا الصدوق طاب ثراه قد ذكر بعض هذا في كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة، ويا لله للعجب العجيب كيف كذّبنا المخالفون في هذه الدعوى مع أنّنا ألوف وعضدونا بالأخبار المرويّة عن طرقهم؛ ومثل الأخبار السالفة وصدّقوا أبا هريرة في رواية اثني عشر ألف حديث تفرّد برواياتها عن النبيّ صلى الله عليه وآله فجعلوها مستنداً لأُمور دينهم ولأصولهم وفروعهم هب أنّنا كفّار بزعمهم لكنّ الكفّار إذا اجتمع منهم آلاف أو أقلّ فأخبروا بقدوم رجل كنّا سمعنا أخباره عن الصادقين لكنّا ما علمنا سابقاً يوم قدومه فإذا أخبرنا طوائف من الناس بقدومه علمنا علماً مستنداً إلى التواتر أنّ هذا الخلق الكثير لا يجتمعون على مثل هذا الخبر إلّا أن يكونوا صادقين فيه، وذلك أنّك قد عرفت أنّ فرق الإسلام كلّها قد بشرت بالمهديّ لكنّ الشيعة تقول إنّ المهديّ هو ابن الحسن العسكري عليه السلام لأنّ العلامات المنقولة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته من كيفيّة الخلق والخلق وغيرها قد وجدت فيه فيكون هو الإمام والمخالفون قالوا نحن لا ننكر المهديّ من ولد فاطمة وأنّه إمام سيظهر بالسيف لكن نقول إنّه إلى الآن لم يتولّد وسيولد عند خروج الدجّال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أوّلها أنّه إذا وجدت العلامات المشار إليها في ابن الحسن ولم نقطع عليه بأنّه المهدي لزم وجود الدليل بدون المدلول فلم تكن تلك العلامة علامة، هذا خلف.

وثانيها أنّ قولكم يحتمل أن يتولّد بعد هذا من يجمع تلك الصفات احتمال مرجوح وما نقوله نحن راجح لحصوله بالفعل، والاحتمال المرجوح لا يجوّز لنا إهمال العمل بالدليل الراجح لأجله لأنّا لو جوّزنا ذلك لامتنع العمل بأكثر الأدلّة المثبتة للأحكام، إذ ما من دليل إلّا واحتمال تجدّد ما يعارضه متطرّق إليه مع أنّه لم يمنع من العمل به وفاقاً.

وثالثها أنّ الله سبحانه لمّا أنزل في التوراة على موسى عليه السلام أنّه يبعث النبيّ العربيّ في آخر الزمان خاتم الأنبياء ونعته بأوصافه وجعلها علامة ودلالة على إثبات حكم النبوّة له، وصار قوم موسى يذكرونه بصفاته ويعلمون أنّه يبعث وكانوا يتهدّدون المشركين به ويقولون يظهر نبيّ نعته كذا وكذا نستعين به على قتالكم، فلمّا بعث وجدوا العلامات كلّها كما أُخبروا بها فأنكروه وقالوا ليس هو هذا بل هو غيره ولكنّه

سيأتي في آخر الزمان، فلمّا جنحوا إلى الاحتمال وأعرضوا عن العمل بالعلامات والدلائل أُنزلت الآيات القرآنية ناعية عليهم هذا الجنوح مثبتة لهم أوصاف الكفّار المعاندين، ولكن يلزم على قول المخالفين أن يكون اليهود معذورين بالأخذ بذلك الاحتمال؛ وبالجملة فهذه الشبهة ضعيفة جدّاً والأجوبة عنها كثيرة.

الأمر الثالث: في بعض التوقيعات التي وردت من مولانا صاحب الزمان عليه السلام إلى بعض علمائنا، قال شيخنا الطبرسيّ رحمه الله ورد من الناحية المقدّسة حرسها الله تعالى ورعاها في أيّام بقيت من صفر المظفّر سنة عشرين وأربعمائة على الشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه الله ذكر موصله أنّه تحمله من ناحية متّصلة بالحجاز نسخته: الأخ السديد والوليّ الرشيد الشيخ المفيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله إعزازه من مستودع العهد المأخوذ على العباد، بسم الله الرحمٰن الرحيم أمّا بعد سلام الله عليك أيّها الوليّ المخلص في الدين المخصوص فينا باليقين فإنّا نحمد الله إليك الذي لا إلٰه إلّا هو ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا ونبيّنا محمّد وآله الطاهرين ونعلمك أدام الله توفيقك لنصرة دين الحقّ وأجزل مثوبتك على نطقك عنّا بالصدق، أنّه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة وتكليفك فيها ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قبلك أعزّهم الله بطاعته وكفاهم المهمّ برعايته لهم وحراسته، فقف أيّدك الله بعونه على أعدائه المارقين عن دينه على ما نذكره؛ واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله تعالى، نحن وإن كنّا ثاوين[1] بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالإذلال الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون؛ إنّا غير مهملين لإعانتكم ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم[2] الأعداء؛ فاتّقوا الله جلّ جلاله وظاهروا على انتياشكم[3] من فتنة قد أطافت عليكم

---

(١) ثوى بالمكان يثوي ثواء بالمد إذا أقام فيه ومنه قوله تعالى: ﴿ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٤٥] أي مقيماً عندهم.

(٢) الاصطلام الاستئصال.

(٣) النوش التناول والطلب والمشي والإسراع في النهوض والنووش القويّ والتناوش التناول كالانتياش.

يهلك فيها من حُمَّ[١] أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهي أمارة لأُزوف حركتنا ومباثّتكم بأمرنا ونهينا والله متمّ نوره ولو كره المشركون، إعتصموا بالتقية من شبّ نار الجاهليّة بحششها (يحشّها خ) عصب أمويّة يهول بها فرقة مهديّة؛ أنا زعيم بنجاة من لم يرم منكم فيها المواطن الخفيّة وسلك في الظعن منها السبل المرضيّة إذا حلّ جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه، وسيظهر لكم في السماء آية جليّة ومن الأرض مثلها بالسويّة، ويحدث بأرض المشرق ما يحزن ويقلق، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الإسلام مُرّاق تضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق، ثمّ تنفرج الغمّة من بعد بوار طاغوت من الأشرار؛ ثمَّ يسرّ بهلاكه المتّقون الأخيار؛ وينفق لمن يريد الحجّ من الآفاق ممّا يأملونه على توفير عليه منهم واتفاق؛ ولنا في تيسير حجّهم (حجّتهم ظ) على الاختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتّساق فليعمل كلّ امرئ منكم بما يقرب به من محبّتنا وليجتنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا؛ فإنّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجّيه من عقابنا ندم على حوبة، والله يلهمكم الرشد ويلطف لكم في التوفيق برحمته.

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام: هذا كتابنا أيّها الأخ الوليّ والمخلص في ودّنا الصفيّ، والناصر لنا الوفيّ؛ حرسك الله بعينه التي لا تنام فاحتفظ به ولا تظهر على خطّنا الذي سطرناه بما له ضمّنّاه أحداً، وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

وورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات الله عليه يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

نسخته من عبد الله المرابط في سبيله إلى ملهم الحقّ ودليله بسم الله الرحمٰن الرحيم سلام عليك أيّها الناصر للحقّ الداعي إليه بكلمة الصدق، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو إلّهنا وإله آبائنا الأوّلين؛ ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين وعلى أهل بيته الطاهرين؛ وبعد فإنّا كنّا نظرنا مناجاتك عصمك الله بالسبب الذي وهبه لك من أوليائه؛ وحرسك به من كيد أعدائه وشفعنا ذلك الآن من مستقرّ لنا ينصب في شمراخ من بهماء صرنا إليه آنفاً من غماليل ألجأنا إليه السباريت

(١) أي دنا وحضر.

من الإيمان، ويوشك أن يكون هبوطنا منه إلى صحصح من غير بعد من الدهر ولا تطاول من الزمان، ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد لنا من حال فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة إلينا بالأعمال، والله موفّقك لذلك برحمته. فلتكن حرسك الله بعينه التي لا تنام أن تقابل لذلك فتنه تسبّل نفوس قوم حرثت باطلاً لاسترهاب المبطلين ويبتهج لدمارها المؤمنون ويحزن لذلك المجرمون وآية حركتنا من هذه اللوثة حادثة بالحرم المعظّم من رجس منافق مذمّم مستحلّ للدّم المحرّم يعمد بكيده أهل الإيمان ولم يبلغ بذلك غرضه من الظلم لهم والعدوان لأنّنا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن تلك الأرض والسماء، فلتطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب وليتّقوا منه بالكفاية منه وإن راعتهم به الخطوب والعاقبة فيه بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهيّ عنه من الذنوب، ونحن نعهد إليك أيّها الوليّ المخلص المجاهد فينا الظالمين أيّدك الله بنصره الذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين؛ أنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين وأخرج ممّا عليه إلى مستحقّيه كان آمناً من الفتنة المضلّة ومحنتها المظلمة المظّلة؛ ومن يبخل منهم بما أرعاه الله من نعمته على من أمره بصلته فإنّه يكون خاسراً بذلك لأُولاه وأُخراه (آخرته خ) ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدقها بنا منهم، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ما نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلاته على سيّدنا البشير النذير محمّد وآله الطاهرين وسلّم وكتب في غرّة شوّال سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله تعالى على صاحبها: هذا كتابنا إليك أيّها الوليّ الملهم للحقّ العليّ بإملائنا وخطّ ثقتنا فاخفه عن كلّ أحد، واطوِه واجعل له نسخة تطلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا شملهم الله ببركتنا ودعائنا إن شاء الله والحمد لله والصلاة على محمّد وآله الطاهرين. والتوقيعات التي خرجت منه عليه السلام كثيرة جدّاً حتّى لو أريد حصرها لجاءت كتاباً كبير الحجم.

وفي توقيعه عليه السلام إلى عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ لمّا كتب إليه يطلب منه الدعاء بحصول ولد فجاء التوقيع: قد قبل الله الدعاء وسيولد لك ولدان فسمّ أحدهما محمّداً والآخر حسيناً؛ فرزقه الله سبحانه الولدين كما قال عليه السلام، وكان الصدوق طاب ثراه يذكر أنّ جميع ذلك التوقيع عنده بخطّ الإمام عليه السلام وكان يفتخر به ويقول إنّي ولدت بدعاء مولانا صاحب الزمان عليه السلام وله الفخر بذلك.

نور في غيبته عليه السلام

وفي بيان السبب فيها وذكر الجواب عمّا أُورد عليها من شبه المخالفين. اعلم أيّدك الله تعالى بتوفيقه أنّ الغيبة المشار إليها إنّما تكون غريبة في الأنظار إذا لم يسبق مثلها من حجج الله على الخلق، ومثل هذه الغيبة التي قد وقع النزاع فيها بيننا وبين المخالفين لنا من الزيديّة وأهل السنة قد وقعت من الأنبياء السابقين عليهم السلام.

فأوّلهم إدريس وآخرهم محمّد صلى الله عليه وآله؛ أمّا إدريس عليه السلام فقد غاب عن شيعته حتّى آل الأمر إلى أن تعذّر عليهم القوت، وقتل الجبّار من قتل منهم وأفقر وأخاف باقيهم، ثمَّ ظهر عليه السلام فوعد شيعته بالفرج وبقيام القائم من ولده وهو نوح عليه السلام، ثمَّ رفع الله عزَّ وجلّ إدريس عليه السلام فلم تزل الشيعة يتوقّعون قيام نوح عليه السلام قرناً بعد قرن وخلفاً عن سلف صابرين من الطواغيت على العذاب المهين حتّى ظهرت نبوّة نوح عليه السلام. وأمّا صالح عليه السلام فقد غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب عنهم كهلاً فلمّا رجع إليهم لم يعرفوه من طول المدّة. وأمّا إبراهيم عليه السلام فإنّ غيبته تشبه غيبة مولانا القائم عليه السلام، لأنّ الله سبحانه غيّب أثر إبراهيم عليه السلام وهو في بطن أمّه حتّى حوّله عزَّ وجلّ بقدرته من بطنها إلى ظهرها، ثمَّ أخفى أمر ولادته إلى وقت بلوغ الكتاب أجله، وذلك أنّ منجّم نمرود أخبره بأنّ مولوداً يولد في أرضنا فيكون هلاكنا على يديه؛ وكان فيما أُوتي المنجّم من العلم أنّه سيحرق بالنار ولم يكن أُوتي أنّ الله تعالى سينجيه، فحجب النساء عن الرجال فلمّا حملت أمّ إبراهيم عليه السلام بعث القوابل إليها فلم يعرفن شيئاً من الحمل، فلمّا ولد ذهبت به أمّه إلى غار ثم أرضعته وجعلت على الباب صخرة ثمَّ انصرفت عنه فجعل الله عزَّ وجلّ رزقه في إبهامه، فجعل يمصّها ويشرب لبناً وجعل يشبّ في اليوم كما يشبّ غيره في الجمعة، فجعل يكبر في الغار ويشبّ حتّى قام بأمر الله تعالى، وقد غاب غيبة أُخرى سار فيها بالبلاد.

وأمّا غيبة يوسف عليه السلام فإنّها كانت عشرين سنة وكان هو بمصر ويعقوب عليه السلام بفلسطين وبينهما مسيرة تسعة أيّام؛ فاختلفت الأحوال عليه في غيبته حتّى إنّه روي عن الصادق عليه السلام أنّه قدم أعرابي على يوسف عليه السلام ليشتري منه طعاماً فباعه، فلمّا فرغ قال له يوسف عليه السلام أين منزلك؟ قال بموضع كذا وكذا، فقال له إذا مررت بوادي كذا وكذا فقف فناد يا يعقوب يا يعقوب فإنّه سيخرج إليك رجل عظيم جميل جسيم وسيم؛ فقل له رأيت رجلاً بمصر وهو يقرأك السلام ويقول إنّ وديعتك عند الله عزَّ وجلّ لن تضيع، قال فمضى الأعرابي حتّى انتهى إلى الموضع، فقال لغلمانه

احفظوا عليّ الإبل، ثمَّ نادى يا يعقوب فخرج إليه رجل أعمى طويل جميل يتّقي الحائط بيده حتّى أقبل، فقال له الرجل أنت يعقوب؟ فقال نعم فأبلغه ما قال له يوسف قال فسقط مغشيّاً عليه ثمَّ أفاق، فقال له يا أعرابي ألك حاجة إلى الله عزَّ وجلّ؟ فقال نعم إنّي رجل كثير المال ولي بنت عمّ ليس يولد لي منها فأحب أن تدعو الله عزّ وجلّ أن يرزقني ولداً، قال فتوضّأ يعقوب عليه السلام وصلّى ركعتين، ثمَّ دعا الله سبحانه عزّ وجلّ فرزق أربعة أبطن أو قال ستّة أبطن في كلّ بطن ابنان؛ وكان يعقوب عليه السلام يعلم أنّ يوسف حيّ لن يموت وأنّ الله تعالى ذكره سيظهره له بعد غيبته.

والدليل عليه أنّه لمّا رجع إليه بنوه يبكون قال لهم يا بنيّ مالكم تبكون وتدعون بالويل والثبور وما لي لا أرى فيكم حبيبي يوسف؟ قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين، وهذا قميصه قد أتيناك به؛ قال ألقوه إليّ فألقوه على وجهه فخرّ مغشيّاً عليه؛ فلمّا أفاق قال لهم يا بنيَّ ألستم تزعمون أنّ الذئب أكل حبيبي يوسف؟ قالوا نعم، قال ما لي لا أشمّ ريح لحمه وما لي أرى قميصه صحيحاً؟ هبوا أنّ القميص انكشف من أسفله أرأيتم ما كان في منكبيه وعنقه كيف خلص إليه الذئب من غير أن يخرقه؟ إنّ هذا الذئب لمكذوب عليه وإنّ ابني لمظلوم، بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. وتولّى عنهم ليلتهم تلك لا يكلّمهم؛ وأقبل يرثي يوسف عليه السلام ويقول: حبيبي يوسف الذي كنت أُؤثره على جميع أولادي فاختلس منّي حبيبي يوسف الذي كنت أرجوه من بين أولادي فاختلس منّي حبيبي يوسف الذي كنت أُوسّده يميني وأُدثّره بشمالي فاختلس منّي حبيبي يوسف الذي كنت أُؤنس به وحشتي، وأصل به وحدتي فاختلس منّي حبيبي يوسف ليت شعري في أيّ الجبال طرحوك أو في أيّ البحار غرقوك؛ حبيبي يوسف ليتني كنت معك فيصيبني ما أصابك. وقال الصادق عليه السلام إنّ يعقوب عليه السلام قال لملك الموت أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرقة فقال بل متفرّقة قال فهل قبضت روح يوسف في جملة ما قبضت من الأرواح قال لا فعند ذلك قال لبنيه يا بنيّ اذهبوا فتحسّسوا[1] من يوسف وأخيه. فحال العارفين في وقتنا هذا بصاحب الزمان عليه السلام حال

(١) تحسس الخبر: سعى في إدراكه. تحسس الشيء. تعرفه وتطلبه بالحاسة تحسس منه: تخبر خبره.

يعقوب عليه السلام في معرفته بيوسف وغيبته، وحال الجاهلين به عليه السلام وبغيبته والمعاندين في أمره حال إخوة يوسف الذين بلغ من جهلهم بأمر يوسف وغيبته أن قالوا لأبيهم يعقوب عليه السلام، ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥].

وأمّا غيبة موسى عليه السلام فقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه لما حضرت يوسف الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ حدّثهم شدّة تنالهم؛ يقتل فيها الرجال وتشقّ فيها بطون الحبالى وتذبح الأطفال حتّى يظهر الحقّ في القائم من ولد لاوي بن يعقوب، وهو رجل أسمر طويل؛ ونعته لهم بنعته فتمسّكوا بذلك ووقعت الغيبة والشدّة على بني إسرائيل وهم منتظرون قيام القائم أربعمائة سنة، حتّى إذا بشّروا بولادته، ورأوا علامات ظهوره اشتدّت البلوى عليهم وحمل عليهم بالحجارة والخشب، وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر فراسلوه، وقالوا كنّا مع الشدّة نستريح إلى حديثك، فخرج بهم إلى بعض الصحارى وجلس يحدّثهم حديث القائم ونعته. وقرب الأمر وكانت له فترة فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حدث السنّ وخرج من دار فرعون يظهر النزهة فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحته بغلة وعليه طيلسان خزّ فلمّا رآه الفقيه عرفه بالنعت فقام إليه وأكبّ على قدمه فقبّلها ثمَّ قال الحمد لله الذي لم يمتني حتّى رأيتك. فلمّا رأى الشيعة ذلك علموا أنّه صاحبهم فأكبّوا على الأرض شكراً لله عزّ وجلّ فلم يزدهم على أن قال: أرجو أن يعجّل الله فرجكم ثمَّ غاب بعد ذلك وخرج إلى مدينة مدين، فأقام عند شعيب ما أقام فكانت الغيبة الثانية أشدّ عليهم من الأولى وكانت نيّفاً وخمسين سنة، واشتدّت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه بأنّه لا صبر لنا على استتارك عنّا، فخرج إلى بعض الصحارى واستدعاهم، وطيّب نفوسهم وأعلمهم أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه أنّه مفرّج عنهم بعد أربعين سنة؛ فقالوا بأجمعهم الحمد لله عزَّ وجلّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه قل لهم قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم الحمد لله، فقالوا كلّ نعمة من الله فأوحى الله إليه قل لهم قد جعلتها عشرين سنة فقالوا لا يأتي بالخير إلّا الله فأوحى الله إليه، قد جعلتها عشراً. فقالوا لا يصرف السوء إلّا الله، فأوحى الله إليه قل لهم لا يبرحوا فقد أذنت في فرجهم. فبينما هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً؛ فأراد الفقيه أن يعرّف الشيعة ما يستبصرون به فيه وجاء موسى حتّى وقف عليهم فسلّم فقال الفقيه ما اسمك؟ فقال: موسى قال ابن من؟ قال: ابن عمران؛ قال ابن من؟ قال: ابن قاهب بن لاوي بن يعقوب قال بماذا جئت؟ قال: بالرسالة من عند الله عزَّ وجلّ فقام إليه فقبّل يده، ثمَّ جلس بينهم

وطيّب نفوسهم وأمرهم أمره ثمّ فرّقهم. وكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعون سنة، وقال الصادق عليه السلام: في القائم عليه السلام شبه من موسى بن عمران وهو خفاء مولده وغيبته عن قومه، فقال له رجل وكم غاب موسى عن أهله وقومه فقال ثمان وعشرون سنة.

وقال الباقر عليه السلام: في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء؛ سنّة من موسى وسنّة من عيسى، وسنّة من يوسف وسنّة من محمّد صلى الله عليه وآله. فأمّا من موسى عليه السلام فخائف يترقّب وأمّا من يوسف عليه السلام فالسجن، وأمّا من عيسى عليه السلام فيقال إنّه مات ولم يمت وأمّا من محمّد صلى الله عليه وآله فالسيف. وفي رواية أُخرى أنّ سنّة من يوسف عليه السلام أنّه يعرف الناس والناس لا يعرفونه مثل يوسف عليه السلام بالنسبة إلى إخوته لمّا وردوا عليه في مصر، وأمّا غيبة أوصياء موسى عليه السلام إلى زمان المسيح عليه السلام، وذلك أنّه ورد في الروايات عن الطاهرين عليهم السلام أنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام قام بالأمر بعد موته صابراً من طواغيت زمانه على الجهد والبلاء حتّى مضى منهم ثلاث طواغيت فقوي بعدهم أمره فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى عليه السلام بصفراء بنت شعيب امرأة موسى عليه السلام في مائة ألف رجل فقاتلوا يوشع بن نون عليه السلام فغلبهم؛ وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقين بإذن الله وأسر صفراء بنت شعيب، وقال لها قد عفوت عنك في الدنيا إلى أن نلقى نبيّ الله موسى عليه السلام فأشكو ما لقيت منك ومن قومك فقالت صفراء وا ويلاه والله لو أُبيحت لي الجنّة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه عنّي وخرجت على وصيّه بعده.

أقول: وقد وقع مثل هذا في هذه الأمّة حذو النعل بالنعل، فإنّ وصيّ نبيّ هذه الأمّة إنّما استقل بالأمر بعد مضيّ الطواغيت الثلاثة ولمّا استقلّ خرجت عليه أخت صفراء وهي حميراء أخرجها المنافقان إلى أن أسرها عليّ عليه السلام في حرب البصرة ولكنّ الفرق بين الامرأتين أنّ الأولى ندمت على ما فعلته والثانية لم تندم.

ثمّ إنّ الأئمّة عليهم السلام قد استتروا بعد يوشع إلى زمان داود عليه السلام أربعمائة سنة وكانوا أحد عشر فكان قوم كلّ واحد منهم يختلفون إليه ويأخذون منه معالم دينهم حتّى انتهى الأمر إلى آخرهم فغاب عنهم ثمّ ظهر وبشرهم بداود عليه السلام وأخبرهم أنّ داود عليه السلام هو الذي يأخذ الملك من جالوت وجنوده ويكون فرجهم في ظهوره وكانوا ينتظرونه فلمّا كان زمان داود عليه السلام كان له أربع أخوة ولهم أب شيخ كبير وكان داود عليه السلام من بينهم خامل الذكر وهو أصغرهم فخرجوا إلى قتال جالوت مع

طالوت، وخلّفوا داود يرعى الغنم تحقيراً لشأنه فلمّا اشتدّت الحرب وأصاب الناس جهد، رجع أبوه وقال لداود احمل إلى أخوتك طعاماً فخرج داود والقوم متقاربون، فمرّ داود على حجر فناداه يا داود خذني فاقتل بي جالوت فإنّي خلقت لقتله فأخذه ووضعه في مخلاته التي كانت تكون فيها حجارته التي كان يرمي بها غنمه.

فلمّا دخل العسكر رآهم يعظمون أمر جالوت، فقال لهم ما تعظمون من أمره فوالله لئن عاينته لأقتلنّه فأدخلوه على طالوت فقال له يا فتى ما عندك من القوّة، قال قد كان الأسد يعدو على الشاة من غنمي فأُدركه وأفكّ لحييه عن الشاة وأُخلّصها من فيه وقد كان الله أوحى إلى طالوت أنّه لا يقتل جالوت إلّا من لبس درعك فملأها، فدعا بدرعه فلبسها داود فاستوت عليه فراع ذلك طالوت ومن حضره من بني إسرائيل فلمّا أصبحوا والتقى الناس قال داود أروني جالوت فلمّا رآه أخذ الحجر فرماه فصكّ بين عينيه وقتله فقال الناس قتل داود جالوت فاجتمعت عليه بنو إسرائيل وأنزل الله سبحانه عليه الزبور وليّن له الحديد وأمر الجبال والطير أن تسبّح معه وأعطاه صوتاً لم يسمع بمثله حسناً وأقام في بني إسرائيل نبيّاً. وهكذا يكون سبيل القائم عليه السلام فإنّ له سيفاً مغمداً إذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده وأنطقه الله عزَّ وجلّ فناداه السيف اخرج يا وليّ الله فلا يحلّ لك أن تقعد عن أعداء الله فيخرج فيقتلهم.

ثمَّ إنّ داود عليه السلام أراد أن يستخلف سليمان لأنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه يأمره بذلك فلمّا أخبر بني إسرائيل ضجّوا من ذلك وقالوا تستخلف علينا حدثاً وفينا من هو أكبر منه فدعا أسباط بني إسرائيل وقال لهم قد بلغني مقالتكم فأروني عصيّكم فأيّ عصاً أثمرت فصاحبها وليّ الأمر من بعدي، فقالوا رضينا فقال ليكتب كلّ واحد منكم اسمه على عصاه فكتبوا، ثمَّ جاء سليمان عليه السلام بعصاه فكتب عليها اسمه، ثمَّ أُدخلت بيتاً وأُغلق الباب وحرسته رؤوس أسباط بني إسرائيل، فلمّا أصبح فتح الباب فأخرج عصيّهم وقد أورقت وعصى سليمان قد أثمرت فسلّموا ذلك لداود فقال إنّ هذا خليفتي من بعدي ثمَّ أخفى سليمان بعد ذلك أمره وتزوّج بامرأة واستتر عن شيعته ما شاء الله، ثمَّ إنّ امرأته قالت له ذات يوم بأبي أنت وأمّي ما أكمل خصالك وأطيب ريحك ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلّا أنّك في مؤنة أبي فلو دخلت السوق فتعرّضت لرزق الله رجوت أن لا يخيبك فقال لها سليمان إنّي والله ما عملت عملاً قط ولا أُحسنه فدخل السوق يومه ذلك فرجع ولم يصب شيئاً فقال لها ما أصبت شيئاً قالت لا عليك إن لم يكن اليوم كان غداً، فلمّا كان من الغد خرج إلى السوق فجال يومه

فلم يقدر على شيء فرجع فأخبرها فقالت يكون غداً إن شاء الله تعالى فلمّا كان اليوم الثالث مضى حتّى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصيّاد، فقال له هل لك أن أُعينك وتعطينا شيئاً قال نعم فأعانه فلمّا فرغ أعطاه الصيّاد سمكتين فأخذهما وحمد الله عزّوجلّ ثمَّ إنّه شقّ بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها فأخذه فصيّره في ثوبه وحمد الله عزّوجلّ وأصلح السمكتين وجاء بهما إلى منزله ففرحت امرأته بذلك فرحاً شديداً وقالت له إنّي أريد أن تدعو والديّ حتّى يعلما أنّك قد كسبت فدعاهما فأكلا معه فلمّا فرغوا قال لهم هل تعرفوني قالوا لا والله إلّا أنّا لم نر خيراً منك قال فأخرج خاتمه فلبسه فخرّ عليه الطير والريح وغشيه الملك؛ وحمل الجارية وأبويها إلى بلاد اصطخر واجتمعت عليه الشيعة، واستبشروا به ففرَّج الله عنهم ممّا كانوا فيه من حيرة غيبته؛ فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى آصف بن برخيا بأمر الله تعالى فلم يزل بينهم يختلف إليه الشيعة ويأخذون منه معالم دينهم ثمَّ غيّب الله تعالى آصف غيبة طال أمدها؛ ثمَّ ظهر لهم فبقي بين قومه ما شاء الله ثمَّ إنّه ودّعهم فقالوا له أين الملتقى؟ قال على الصراط وغاب عنهم ما شاء الله. فاشتدّت البلوى على بني إسرائيل بغيبته وتسلّط عليهم بخت نصّر فجعل يقتل من يظفر به منهم، ويطلب من يهرب ويسبي ذراريهم فاصطفى من السبي من أهل بيت يهود أربعة نفر فيهم دانيال، واصطفى من ولد هارون عزيراً وهم حينئذ صبية صغار فمكثوا في يده، وبنو إسرائيل في العذاب المهين والحجّة دانيال عليه السلام أسير في يد بخت نصّر تسعين سنة فلمّا عرف فضله وسمع أنّ بني إسرائيل ينتظرون خروجه ويرجون الفرج في ظهوره وعلى يده. أمر أن يجعل في جبّ عظيم واسع، ويجعل معه الأسد ليأكله فلم يقربه وأمر أن لا يطعم وكان الله تبارك وتعالى يأتيه بطعامه وشرابه على يدي نبيّ من أنبيائه؛ فكان دانيال يصوم النهار ويفطر بالليل على ما يدلي إليه من الطعام، واشتدّت البلوى على شيعته وقومه المنتظرين لظهوره وشكّ أكثرهم في الدين لطول الأمد، فلمّا تناهى البلاء بدانيال عليه السلام وقومه رأى بخت النصّر في المنام كأن ملائكة السماء هبطت إلى الأرض أفواجاً إلى الجبّ الذي فيه دانيال مسلّمين عليه يبشّرونه بالفرج؛ فلمّا أصبح ندم على ما أتى إلى دانيال فأمر بأن يخرج من الجبّ فلمّا خرج اعتذر إليه مما ارتكب منه ثمَّ فوّض إليه النظر في أمور ممالكه والقضاء بين الناس، فظهر من كان مستتراً من بني إسرائيل ورفعوا رؤوسهم، واجتمعوا إلى دانيال عليه السلام موقنين بالفرج، فلم يلبث إلاّ القليل على تلك الحال؛ وأفضى الأمر بعده إلى عزير، فكانوا يجتمعون إليه ويأنسون به؛ ويأخذون منه معالم دينهم، فغيّب الله عنهم شخصه مائة عام ثمَّ بعثه

وغابت الحجج بعده، واشتدّت البلوى على بني إسرائيل حتّى ولد يحيى بن زكريّا عليه السلام وترعرع؛ فظهر وله تسع سنين، فقام في الناس خطيباً؛ فحمد الله وأثنى عليه وذكرهم بأيّام الله عزَّ وجلّ وأخبرهم أنّ محن الصالحين إنّما كانت لذنوب بني إسرائيل، وأنّ العاقبة للمتّقين، ووعدهم الفرج بقيام المسيح عليه السلام بعد نيّف وعشرين سنة من هذا القول.

فلمّا ولد المسيح عليه السلام أخفى الله ولادته، وغيّب شخصه لأنّ مريم عليها السلام لمّا حملته انتبذت به مكاناً قصيّاً[1] ثمّ إنّ زكريّا عليه السلام وخالتها أقبلا يقفيان أثرها حتّى هجما عليها، وقد وضعت ما في بطنها وهي تقول: يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّاً فأطلق الله تعالى ذكره لسانه بعذرها وإظهار حجّتها، فلمّا ظهر اشتدّت البلوى والطلب على بني إسرائيل وأكبّ الجبابرة والطواغيت عليهم، حتّى كان من أمر المسيح عليه السلام ما قد أخبر الله به واستتر شمعون بن حمون والشيعة، ثمّ أفضى بهم الاستتار إلى جزيرة من جزائر البحر، فأقاموا بها ففجّر الله لهم فيها العيون العذبة، وأخرج لهم من كلّ الثمرات، وجعل لهم فيها الماشية؛ وبعث إليهم سمكة تدعى القمل، لا لحم لها ولا عظم وإنّما هي جلد ودم، وخرجت من البحر وأوحى الله عزّ وجلّ إلى النحل أن يركبها؛ فركبتها فأتت بالنحل إلى تلك الجزيرة، ونهض النحل وتعلّق بالشجر؛ فغرس وبني وكثر العسل، ولم يكونوا يفقدون شيئاً من أخبار المسيح عليه السلام.

وأمّا المسيح عليه السلام فقد روي أنّه كان له غيبات يسيح فيها في الأرض، فلا يعرف قومه وشيعته خبره، ثمّ ظهر فأوصى إلى شمعون بن حمون عليه السلام، فلمّا مضى شمعون عليه السلام غابت الحجج بعده واشتدّ الطلب وعظمت البلوى ودرس الدين وأُميتت الفروض والسنن، فذهب الناس يميناً وشمالاً لا يعرفون أيّاً من أيّ فكانت الغيبة مائتين وخمسين سنة، وقال الصادق عليه السلام: كان بين عيسى وبين محمّد صلوات الله عليهما خمسمائة عام، منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبيّ ولا عالم ظاهر قلت فما كانوا قال كانوا متمسّكين بدين عيسى عليه السلام وأمّا النبيّ صلى الله عليه وآله فغيبته المشهورة قد كانت في الغار، وكلّ المسلمين أطبقوا على أنّ غيبته في الغار إنّما كانت تقيّة من المشركين وخوفاً على نفسه حتّى أنّه لو لم يذهب إلى الغار لقتلوه، لأنّهم قد كانوا مهّدوا له القتل، وسوّل لهم الشيطان وعلّمهم لطائف الحيل في قتله، وأخذ معه أبا بكر خوفاً منه، لئلا يدلّ الناس عليه كما قالوه في كتبهم.

---

(١) أي مكاناً بعيداً.

وروى سعد بن عبد الله القميّ قال بليت بأشدّ النواصب منازعة فقال لي يوماً إنّ الصدّيق فوق الصحابة بسبب سبق الإسلام ألا تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما ذهب به ليلة الغار لأنّه خاف عليه كما خاف على نفسه، ولما علم أنّه يكون الخليفة في أُمّته وأراد أن يصونه كما يصون صلى الله عليه وآله خاصّة نفسه كيلا يختلّ حال الدين من بعده، ويكون الإسلام منتظماً وقد أنام عليّاً على فراشه لما كان في علمه أنّه لو قتل لا يختلّ الإسلام لقتله لأنّه يكون من الصحابة من يقوم مقامه لا جرم لم يبال من قتله، فأتى سعد بهذه المسألة مع عدّة مسائل، ودخل على مولانا الحسن العسكري عليه السلام وكان صاحب الزمان عليه السلام طفلاً يلعب بين يديه، فأمر الحسن العسكري عليه السلام ذلك الطفل أن يجيب عن تلك المسائل، فأجاب حتّى انتهى إلى هذه المسألة، فقال يا سعد من ادّعى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وهو خصمك ذهب بمختار هذه الأمّة مع نفسه إلى الغار، فإنّه خاف عليه كما خاف على نفسه لما علم أنّه الخليفة من بعده على أمّته لأنّه لم يكن من حكم الاختفاء أن يذهب بغيره معه، وإنّما أقام عليّاً عليه السلام على مبيته لأنّه علم أنّه إن قتل لا يكون من الخلل بقتله ما يكون بقتل أبي بكر؛ لأنّه يكون لعلي من يقوم مقامه في الأمور لمَ لم تنتقض عليه بقولك أولستم تقولون إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال إنّ الخلافة من بعدي ثلاثون سنة، وصيّرها موقوفة على أعمار هذه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فإنّهم كانوا على مذهبكم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ خصمك لم يجد بدّاً من قوله بلى، ثمّ قل له فإذا كان الأمر كذلك فكما كان أبو بكر الخليفة من بعده كان هذه الثلاثة خلفاء أُمّته من بعده، فلمَ ذهب بخليفة واحد وهو أبو بكر إلى الغار ولم يذهب بهؤلاء الثلاثة، فعلى هذا الأساس يكون النبيّ صلى الله عليه وآله مستخفّاً بهم دون أبي بكر، فإنّه يجب عليه أن يفعل بهم ما فعل بأبي بكر فلمّا لم يفعل ذلك بهم يكون متهاوناً بحقوقهم وتاركاً للشفقة عليهم بعد أن كان يجب عليه أن يفعل بهم جميعاً على ترتيب خلافتهم كما فعل بأبي بكر، الحديث.

وبالجملة فغيبة هؤلاء الأنبياء والأوصياء كما لا تقدح في نبوّتهم ووصايتهم، كذلك غيبة مولانا صاحب الزمان عليه السلام مع قوله صلى الله عليه وآله: يجري في هذه الأمّة ما جرى في الأمم السابقة، حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، ولم تقع غيبة لوصيّ في الأمّة إلّا به عليه السلام وقد نقل مخالفونا هذا الحديث وصحّحوه، وكذلك هو عندنا صحيح أيضاً؛ وهو قوله صلى الله عليه وآله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة؛ فاضطرّوا إلى بيان المراد من الإمام فيه فأكثرهم قالوا إنّ المراد به سلاطين العصر والحكّام لأنّهم المراد بزعمهم من قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]؛ سواء كانوا فجّاراً أو كفّاراً، فمن مات ولم يعرف حاكم عصره الفاسق المتجاهر باللواطة وشرب الخمور وسفك الدماء، وأنواع الظلم والجور مات على دين الكفر والضلال، ونحن نقول لهم إنّ فائدة معرفة مثل هذا السلطان المأمور بها المؤكّدة بأنواع التأكيد ما المراد منها، فإن كان المراد منها الرجوع إليه في الأحكام الشرعيّة والعمل بأقواله وأفعاله فقد عرفت أنّه جاهل فاسق، لا يعرف الأحكام ولا يعمل بها، ولا يأمر بها بل هو تائه في غيّه يأمر الناس بمثل أفعاله كما هو المشاهد من سلاطين عصرنا من الشيعة وأهل السنّة، فإنّ من وافقهم على شرب الخمور ونحوها رفعوا درجته وأقبلوا عليه بأنواع اللطف ومن لم يوافقهم أبعدوه عنهم؛ وإن كان المراد مجرّد معرفته وكونه فلان ابن فلان من غير فائدة تترتب عليها فهذا محال في العقول. وبعض المخالفين لما تفطّن لما قلناه قال المراد من الإمام في الحديث هو كتاب الله فاضطرّه الأمر إلى أنّ الظاهر من الحديث ومن قوله إمام زمانه هو التغيّر والتبدّل على ذلك الإمام لأنّه لم يقل من مات ولم يعرف الإمام فتحيّر في المراد من الخبر ولقي الله سبحانه على تلك الحيرة، وهذا شأن علمائهم وأهل مذهبهم.

وقد نقل لي أنّ الفاضل الدّواني صاحب حاشية القديم كان يدرّس في الأحاديث فلمّا وصل إلى هذا الحديث قال لتلامذته(١) ما المراد من الإمام هنا فقد قالت الشيعة هو المهديّ الآن وأنتم أيّ شيء تقولون؟ فقالوا المراد سلطان العصر؛ وهو الحاكم كما هو مذهبهم، وسلطان ذلك العصر كان من سلسلة الصفويّة وهو الشاه إسماعيل عليه الرحمة والرضوان وهو شيعيّ، والدّواني وتلامذته كانوا من المخالفين؛ فقال لهم إذن قد أوجب الله علينا معرفة هذا السلطان الرافضي والعمل بأقواله، وهو بالفعل يأمرنا بترك هذا الدين، والدخول في دين الشيعة فيجب علينا متابعته وقبول قوله، ثمَّ إنّه غضب من كلامهم وهو أيضاً حيران لم يهتد إلى المراد من الإمام، فقام من مجلس الدرس، وحلف أنّه لا يعود إلى تدريس الحديث، فلزم علم الحكمة

---

(١) غير خفي للقارئ المتأمل العزيز أن إلقاء هذا الكلام من المحقق الدواني رحمه الله إلى تلامذته وهو ذلك الرجل الفطن الحاذق في الأمور في ذلك الجمع المحتشد وأضف إلى ذلك ملاحظة أن ذلك العصر الذهبي كان عصر ظهور الدولة الصفوية وارتفاع التقية عن الشيعة ليس إلا للتنبيه عليهم بحقيقة الأمر في مسألة الإمامة والإشادة عليهم بما هو مكنون في خاطره من الحقائق الراهنة في تلك المسألة المهمة فالجيل المنقب يفهم من هذه القضية المنقولة غير ما فهمه المصنف رحمه الله.

ومباحثته ومدارسته، واعتقاد ما يعتقدونه فتاب من الكفر ودخل في الزندقة[1].

(١) هذا الكلام يدل على أن المصنف رحمه الله لم يطلع على أحوال مولانا المحقق الدواني رحمه الله ولذا تفوه في حقه بهذا القول الشائن وقد أشرنا سابقاً في هذا الكتاب أنظر ج ١ ص ١٣٣ إنه من أكابر فلاسفة الشيعة وأعاظم علماء الإمامية وله مقام معلوم عند علماء الإسلام وصنف بالفارسية رسالة (نور الهداية) وفي هذه الآونة الأخيرة وقفنا على كتاب لطيف صنفه الفاضل المعاصر المتتبع الخبير الشيخ علي الدواني دام مجده في ترجمة المحقق المذكور طبع بقم سنة (١٣٧٥)هـ وقد ضم تلك الرسالة الشريفة إلى ذلك الأثر النفيس وطبعها معه وهذا عمل يذكر ويشكر.
ولهذا الفاضل الخطيب المصقع المعاصر كتاب لطيف وتصنيف منيف أحسن وأنفس من ذلك الكتاب وهو كتابه القيم الممتع (الوحيد البهبهاني) وقد كتبه على نزعة التحقيق والتدقيق ورفض الجمود ودحض الخمود وقد طالعته ووجدته من أنفس المؤلفات ونحن نقدر له هذه المساعي ونشكر له هذه الجهود ونسأل الله تعالى ان يوفقه على طبعه ثانياً مع تهذيب وتحقيق أزيد مما بذل جهده فيه حتى يصلح بعض الإشتباهات الطفيفة المعدودة التي وقعت في ذلك السفر الجليل (والفاضل من عدت غلطاته ولم تكثر زلاته وفرطاته) وقد وقع له في ترجمة جدنا العلامة الفقيه الأكبر ميرزا محمد تقي القاضي الطباطبائي المتوفى ١٢٢٢هـ إشتباهات بعضها تاريخي وبعضها مطبعي ومنها إنه ذكر إجمالا أولاده في ذيل ترجمته أنظر ص ٢٩٩ وقال منهم (ميرزا محمد) ولعله سقط لفظ (مهدي) في الطبع ويشهد له ما ذكره في صفحة (٣٠١) من إسم ولده الأكبر وهو العالم الرباني آية الله الحاج ميرزا مهدي القاضي المتوفى ١٢٤١هـ المدفون بتبريز في مقبرته المعروفة، قال العلامة الزنوزي رحمه الله في رياض الجنة ما هذا لفظه:
(وله ابن فاضل كامل وهو الميرزا محمد مهدي عالم فاضل كامل باذل ماهر في أكثر الفنون فقيه نبيه وجيه مهندس متكلم أصولي طبيب وله إطلاع في العلوم الغريبة أيضاً والآن ساكن مع أخيه الفاضل الكامل المقدس الورع الميرزا محمد رحيما في مسقط رأسهما تبريز أطال الله بقائهما).
وقال شيخنا الاستاذ العلامة الطهراني دام ظله في طبقات أعلام الشيعة (الكرام البررة) - مخطوط - ما نصه: (كان من العلماء الأخيار والفقهاء الأبرار مربياً للعلماء في عصره تنسب إليه الكرامات وله صدقات جارية إلى اليوم وأحفاد علماء أجلاء ومن تصانيفه الموجودة رسالة في التوحيد مبسوطة - إلى أن يقول - وكان أساطين الدين ورؤساء المسلمين حتى أن دولة الروس كانت تقول ما نتمكن من دخول آذربيجان وفيها الميرزا مهدي وصار الأمر كذلك حيث تمكن الروس من دخول تبريز بعد وفاته وله إجازة عن الميرزا الشهرستاني بخطه في (١١٩٨)هـ وتاريخ وفاته في مجمع الفصحاء ج ٢ ص ١٨٤ إلخ).
وأنظر أيضاً إلى مقدمة تنقيح الأصول ص ١١، ١٢ ط النجف وإلى كتابنا (خاندان عبد الوهاب) المخطوط.
وبعض اشتباهات الفاضل المعاصر ناشٍ من اشتباه الناسخ في ترجمة ميرزا محمد تقي القاضي في طبقات أعلام الشيعة لشيخنا الإمام العلامة أدام الله أيامه كما كتبنا ذلك إلى محضره =

ولمّا أتى الشاه إسماعيل أعلى الله مقامه إلى شيراز، وكان أكثر علمائها من المخالفين أحضرهم وأمرهم بلعن المتخلّفين الثلاثة، فامتنعوا عن اللعن لأنّ التقيّة لا تجوز عندهم في اللعن وأضرابه، فأمر بقتلهم ثمّ قيل له إنّ واحداً من أفاضلهم - وهو شمس الدين الخفري صاحب الحاشية على إلّهيّات التجريد - قد بقي فأرسل إليه وأمره بلعن الثلاثة فلعنهم لعناً شنيعاً فسلم من القتل ولمّا خرج من عنده استقبله أهل نحلته، وقالوا كيف ارتددت عن دينك ولعنت أئمّتك الثلاثة، فأجابهم بالفارسية (يعنى از براى دو سه عرب كون برهنه مرد فاضلى همچو من كشته شود) يعني لأجل خاطر هؤلاء الأعراب الثلاثة مكشوف الدبر أُقتل أنا مع ما أنا عليه من الفضل والكمال، وهذا حالهم لأنّهم يلعنون أئمّتهم إذا أُعطوا درهماً أو أقلّ منه كما شاهدناهم في النجف الأشرف والحلّة وغيرها.

وممّا يناسب هذا المقام كلام ذكره عليّ بن طاووس رحمه الله في بعض كتبه وحاصله أنّه اجتمع يوماً في بغداد مع بعض فضلائها، فانجرّ الكلام بينهما إلى ذكر المهديّ عليه السلام وما يدّعيه الإماميّة من حياته في هذه المدّة الطويلة فشنّع ذلك الفاضل على من يصدّق بوجوده، ويعتقد طول عمره إلى ذلك الزمان وأنكره إنكاراً شديداً بليغاً.

قال السيّد رحمه الله فقلت له إنّك تعلم أنّه لو حضر اليوم رجل وادّعى أنّه يمشي على الماء لاجتمع لمشاهدته كلّ أهل البلد؛ فإذا مشى على الماء وعاينوه وقضوا تعجبهم منه، ثمّ جاء في اليوم الثاني آخر وقال أنا أمشي على الماء أيضاً؛ فشاهدوا مشيه عليه لكان تعجّبهم أقلّ من الأوّل، فإذا جاء في اليوم الثالث آخر وادّعى أنّه يمشي على الماء أيضاً فربّما لا يجتمع للنظر إليه إلّا قليل ممّن شاهد الأوّلين فإذا مشى سقط التعجّب بالكليّة، فإذا جاء رابع وقال أنا أيضاً أمشي على الماء كما مشوا فاجتمع عليه جماعة ممّن شاهدوا الثلاثة الأُول ثمّ أخذوا يتعجبون منه تعجّباً زائداً على تعجبهم من الأوّل والثاني والثالث لتعجّب العقلاء من نقص عقولهم وخاطبوهم بما يكرهون، وهذا بعينه حال المهدي عليه السلام فإنّكم رويتم أنّ إدريس حيّ موجود في السماء من زمانه إلى الآن ورويتم أنّ الخضر كذلك في الأرض حيّ موجود. من

= الشريف وذاكرنا في حضرته أيضاً في العام الماضي في النجف الأشرف وسوف ينبه مصحح كتابه القيم وهو صديقي العلامة الأديب المتضلع السيد محمد حسن آل الطالقاني على ذلك في الأجزاء الآتية من الطبقات إن شاء الله تعالى والله الموفق.

زمنه إلى الآن، ورويتم أنّ عيسى عليه السلام حيّ موجوده في السماء، وأنّه سيعود إلى الأرض إذا ظهر المهديّ ويقتدي به، فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت أعمارهم زيادة على المهديّ عليه السلام فكيف لا تتعجّبون منهم وتتعجّبون من أن يكون لرجل من ذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله أسوة بواحد منهم، وتنكرون أن يكون من جملة آياته صلى الله عليه وآله أن يعمّر واحد من عترته وذرّيته زيادة على ما هو المتعارف من الأعمار في هذا الزمان والله الهادي، والحقّ أنّ بعض أهل الإنصاف منهم قد اعترف بوجوده في ظاهر كلامه.

قال محيي الدين الأعرابي[1] في كتاب الفتوحات المكيّة إنّ لله خليفة يخرج من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة عليها السلام، يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله جدّه الحسين بن عليّ صلوات الله عليهم يبايع بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله في الخلق بفتح الخاء، وينزل عنه في الخلق بضمّ الخاء أسعد الناس به أهل الكوفة يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، يضع الجزية ويدعو إلى الله بالسيف، ويرفع المذاهب عن الأرض فلا يبقى إلّا الدين الخالص أعداؤه مقلّدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه يحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم، فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه يفرح به عامّة المسلمين أكثر من خواصّهم يبايعه العارفون من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلٓهيّ؛ له رجال إلٓهيّون يقيمون دعوته وينصرونه. ولولا أنّ السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله، ولكنّ الله يظهره بالسيف والكرم، فيطمعون ويخافون ويقبلون حكمه من غير الإيمان ويضمرون خلافه؛ ويعتقدون فيه إذا حكم فيهم بغير مذهب أئمّتهم أنّه على ضلال في ذلك لأنّهم يعتقدون أنّ أهل الاجتهاد وزمانه قد انقطع وما بقي مجتهد في العالم، وأنّ الله لا يوجد بعد أئمّتهم أحداً له درجة الاجتهاد، وأمّا من يدّعي التعريف الإلٰهي بالأحكام الشرعيّة فهو عندهم مجنون فاسد الخيال انتهى؛ وهو كلام أنيق بل ربّما لاح منه حسن الاعتقاد، والردّ على أهل الرأي والقياس كأبي حنيفة وأضرابه؛ ولكنّ الظاهر أنّه كلام خال من التعصّب؛ وإن كان صاحبه منهم.

وأمّا شبه المخالفين التي أوردوها في هذا المقام فهي أنواع.

الأولى: قولهم ما الوجه في غيبته على الاستمرار والدوام، حتّى صار ذلك سبباً لإنكار وجوده ونفي ولادته وآباؤه عليهم السلام وإن لم يظهروا الدعاء إلى نفوسهم فيما

---

(١) كذا في النسخ والظاهر أن الصحيح: ابن عربي.

يتعلّق بالإمامة فقد كانوا ظاهرين يفتون في الأحكام لا يمكن أحداً نفي وجودهم وهذه المسألة ربّما سئل عنها الشيعة أيضاً لكن سؤالهم على وجه الاستفهام والاستعلام، وسؤال المخالفين عنها على وجه النفي والإنكار، والجواب عن هذه المسألة بوجوه.

الأوّل: ما ذكره سيّدنا الأجلّ المرتضى قدّس الله روحه؛ حيث قال إنّ النقل إذا دلّ على وجوب الإمامة وأنّ كل زمان كلّف فيه المكلّفون، الذين يقع منهم القبيح والحسن ويجوز عليهم الطاعة والمعصية لا يخلو من إمام لأنّ خلوّه من الإمام إخلال بتمكينهم، وقادح في حسن تكليفهم.

ثمَّ دلّ العقل على أنّ ذلك الإمام لا بدّ أن يكون معصوماً من الخطأ مأموناً منه كلّ قبيح وثبت أنّ هذه الصفة التي دلّ العقل على وجوبها، لا توجد إلّا فيمن تدّعي الإماميّة إمامته ويعرى منها كلّ مَن يدّعى له الإمامة سواه فالكلام في علّة غيبته وسببها واضح بعد أن تقررت إمامته لأنّا إذا علمنا أنّه الإمام دون غيره ورأيناه غائباً عن الأبصار علمنا أنّه لم يغب مع عصمته وتعيّن فرض الإمامة فيه وعليه إلّا لسبب اقتضى ذلك، ومصلحة استدعته، وضرورة حملته عليه، وإن لم نعلم وجهه على التفصيل، لأنّ ذلك ممّا لا يلزم علمه وجرى الكلام في الغيبة ووجهها مجرى العلم بمراد الله تعالى، من الآيات المتشابهات في القرآن التي ظاهرها الجبر أو التشبيه، فإنّا نقول إذا علمنا حكم (حكمة خ) الله سبحانه وأنّه لا يجوز أن يخبر بخلاف ما هو عليه من الصفات، علمنا على الجملة أنّ لهذه الآيات وجوهاً صحيحة بخلاف ظاهرها؛ يطابق مدلول أدلة العقل وإن غاب عنّا العلم بذلك مفصّلاً، فإن تكلّفنا الجواب عن ذلك وتبرّعنا بذكره فهو فضل منّا غير واجب، وكذلك الجواب لمن سئل عن الوجه في إيلام الطفل، وجهة المصلحة في رمي الجمار، والطواف بالبيت، وما أشبه ذلك من العبادات على التفصيل والتعيين، فإذا عوّلنا على حكمة القديم سبحانه وأنّه لا يجوز أن يفعل قبيحاً فلا بدّ من وجه حسن في جميع ذلك وإن جهلناه بعينه وليس يجب علينا بيان ذلك الوجه وأنّه ما هو وفي هذا سدّ الباب على مخالفينا في سؤالاتهم وقطع التطويلات عنهم، إلّا أنّنا تبرّعنا بإيراد الوجه في غيبته عليه السلام على سبيل الاستظهار وبيان الاقتدار وإن كان ذلك غير واجب علينا في حكم النظر والاعتبار.

والّذي يدل على هذا الوجه ما رواه عبد الله بن الفضل الهاشمي قال سمعت

الصادق عليه السلام يقول: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل، فقلت له فلمَ جعلت فداك قال: الأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت فما وجه الحكمة في غيبته، قال وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما، يابن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزَّ وجلّ حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف.

الوجه الثاني: ما ذكره سيّدنا المرتضى أيضاً، وهو أنّه إنّما غاب لخوفه على نفسه ومن خاف على نفسه احتاج إلى الاستتار فأمّا لو كان خوفه على ماله أو على الأذى على نفسه، لوجب عليه أن يتحمّل ذلك لإزاحة علّة المكلّفين، لأنّه عليه السلام لو قتل لم يكن له من يخلفه ويقوم مقامه، لأنّ عليه تدور رحى القيامة ودولة آخر الدول، بخلاف آبائه الطاهرين عليهم السلام فإنّهم لمّا ظهروا كانوا يعلمون أنّهم لو قتلوا كان عندهم من يقوم مقامهم مع أنّ خوفه عليه السلام أكثر وذلك لأنّ الأئمّة الماضين من آبائه عليهم السلام قد أسرّوا إلى شيعتهم أنّ صاحب السيف هو الثاني عشر منهم، وأنّه الذي يملأ الأرض عدلاً وأنّ دولته تغلب على كلّ الدول؛ وفي ظهوره هلاك دولة الطغاة، فكانت السلاطين الظلمة يتوقّفون عن إتلاف آبائه عليهم السلام لعلمهم أنّهم لا يخرجون بالسيف، ويتشوّقون إلى حصول الثاني عشر ليقتلوه ويبيدوه.

ولهذا لمّا دفن مولانا الحسن العسكري عليه السلام اضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولده وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقّفوا عن قسمة ميراثه؛ ولم يزل الذين وكّلوا بحفظ الجارية التي توهّموا عليها الحبل ملازمين لها سنتين وأكثر حتّى يتبيّن لهم بطلان الحبل، فقسّم ميراثه بين أمّه وأخيه جعفر، وادّعت أمّه وصيّته وثبتت عند القضاة، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده فجاء جعفر بعد قسمة الميراث إلى السلطان، فقال له اجعل لي مرتبة أبي وأخي وأُوصل إليك في كلّ سنة عشرين ألف دينار، فزبره وأسمعه وقال له يا أحمق إنّ السلطان جرّد سيفه وسوطه في الذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمّة ليردّهم عن ذلك فلم يقدر عليه، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى السلطان وإن لم تكن عندهم بتلك المنزلة لم تنلها بالسلطان، وقد كان عليه السلام مع غيبته عن الناس يظهر لخاصّة مواليه وشيعته، ويخرج

منه التوقيعات في فنون المسائل والأحكام، وبقي على هذا الحال ستّين سنة، حتّى اشتدّ الأمر وكثر الطلب عليه؛ والتفحص عن خواصّه ومواليه فخاف على نفسه وعلى خواصّ شيعته، وذلك في دولة الخليفة المعتضد، فغاب هذه الغيبة الكبرى إلى الآن نرجو من الله أن يوفّقنا لتقبيل أعتابه.

روي عن شقيق الحاجب قال بعث إلينا المعتضد؛ وأمرنا أن نركب ونحن ثلاثة نفر، وقال الحقوا بسامرّة واكبسوا دار الحسن بن عليّ عليهما السلام، فإنّه توفّي ومن رأيتم في داره فالزموه، فكبسنا الدار فإذا سرداب؛ فدخلناها وكان بحر فيها وفي أقصاه حصير؛ وقد علمنا أنّه على الماء؛ وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة؛ قائم يصلي فلم يلتفت إلينا ولا إلى شيء من أسبابنا، فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطّى، فغرق في الماء وما زال يضطرب حتّى مددت يدي إليه؛ فخلّصته وأخرجته فغشي عليه، وبقي ساعة، وعاد صاحبي الثاني إلى فعل ذلك، فناله مثل ذلك فبقيت مبهوتاً فقلت لصاحب البيت المعذرة إلى الله وإليك فوالله ما علمت كيف وإلى من نجيء وأنا تائب إلى الله؛ فما التفت إليّ بشيء ممّا قلت وانصرفنا إلى المعتضد، فقال اكتموه وإلاّ ضربت رقابكم[١] وحاصل هذا الجواب أنّ العلّة في غيبته عليه السلام إنّما هي الخوف من القتل؛ ويؤيّده ما رواه زرارة بالأحاديث المتكثّرة عن الصادقين عليهما السلام أنّهما قالا للغلام غيبة قبل قيامه قيل ولِمَ؟ قال يخاف على نفسه الذبح.

الوجه الثالث: أنّه لو كان ظاهراً لم يسعه إلّا موافقة الطواغيت بسبب التقيّة التي

(١) هذه القضية أو ما يشبهها هي الواقعة المنقولة في وجه تسمية السرداب بسامراء بسرداب الغيبة وما ذكره جمع من علماء أهل السنة في كتبهم أن الإمامية قائلون أن الإمام القائم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه يخرج من تلك السرداب في آخر الزمان فهو كذب محض وافتراء بيّن عليهم وكذا نسبة الاعتقاد بخروجه عليه السلام من الحلة عليهم كما نسبه ابن بطوطة الرحالة في كتاب تحفة النظار ص ١٣٨ ط مصر سنة (١٣٢٢هـ) على الكيفية التي سطرها من عمال الشيعة فيها نسبة كاذبة وافتراء صريح وأمثال تلك الأكاذيب في القضايا والقصص التي لفقها في كتابه كثيرة والعجب أن بعض علماء أهل السنة في هذا العصر أيضاً ذكر تلك الأفائك والمفتريات في حق الشيعة مع أن مؤلفات علماء الإمامية اليوم منتشرة في جميع البلاد الفسيحة الأرجاء وليس في كتبهم من هذه المفتريات عين ولا أثر ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] فذرهم وما يكتبون وسيجزيهم الله بما كانو يفترون.
تعتقد الإمامية أن مولانا الإمام القائم المنتظر أرواحنا فداه يظهر من مكة المعظمة كما دلت عليه الروايات المتواترة بطرق الشيعة والسنة فراجع إلى كتب الفريقين.

سلكها آباؤه عليهم السلام انتظاراً للوقت الذي يأمره الله تعالى بالقيام فيه؛ ولمّا كان هو الحجّة البالغة، والقائم بالسيف لتطهير الأرض من الأرجاس اقتضت الحكمة البالغة أن لا يكون لأحد عليه سبيل، ويؤيّده ما روي عن الباقر والصادق والرضا عليهم السلام لمّا سئلوا عن العلّة في الغيبة، فقالوا العلّة فيها لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج بالسيف وذلك أنّ كلّ واحد من آبائه الطاهرين عليهم السلام قد وقع في عنقه بيعة لواحد من طواغيت زمانه حتّى أنّه من جملة اعتذار عليّ عليه السلام على القعود عن الخلافة، أنّه قد اضطرّ أولاً للبيعة مع الثلاثة أوائل تخلّف كلّ واحد منهم ولمّا وقعت البيعة في عنقه لم يمكنه نقضها اتّقاءً على نفسه، لأنّ نقض البيعة عندهم ارتداد.

الرابع: أنّه قد استفاض في أخبار العامّة والخاصّة، أنّه يجري في هذه الأمّة ما جرى في الأمم السابقة، حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، فتكون هذه الغيبة لذلك المعنى، ويدل عليه ما رواه حنان بن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنّ للقائم منّا غيبة يطول أمدها، فقلت له ولم ذاك يابن رسول الله؟ قال لأنّ الله عزّ وجلّ أبى إلّا أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وإنّه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] أي سنن من كان قبلكم، يعني يجري عليكم حالات الأمم السابقة، حالة بعد حالة وفي وقت بعد وقت.

الخامس: ما روي عن الصادق عليه السلام من أنّ العلّة في الغيبة، وتأخّر هذا الأمر انقضاء الدول الباطلة؛ حتّى لا يقول أحد منهم لو ملكت وتمكّنت لعدلت ولفعلت الإحسان فمكّنهم الله سبحانه أوّلاً لأنّ دولة المهديّ وآل محمّد عليهم السلام هي آخر الدول؛ وتتصل بالقيامة كما في الأخبار المتواترة، فلا يبقى لأحد حجّة كلام على الله سبحانه.

السادس: ما رواه محمّد بن أبي عمير عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه في الأوّل؟ قال لآية في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]، قال قلت ما يعني بتزايلهم؛ قال ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين؛ وكذلك القائم عليه السلام لن يظهر أبداً حتّى يخرج ودائع الله عزّ وجلّ فإذا خرج ظهر على من ظهر من أعداء الله عزّ وجلّ فقتلهم والأخبار الواردة بهذا المعنى متكثّرة جدّاً؛ والعلل المرويّة في الأخبار كثيرة؛ ولا تنافي بينها لأنّك قد عرفت أنّ علل الشرع معرّفة لا مؤثّرة.

الشبهة الثانية قولهم: إذا كانت العلّة في غيبة الإمام خوفه من الظالمين واتّقاؤه من المخالفين وهذه العلّة منفية عن أوليائه فيجب أن يكون ظاهراً لهم؛ أو يسقط عنهم التكليف الذي إمامته لطف فيه، وقد أجاب الأصحاب رضوان الله عليهم عن هذه الشبهة بأمور:

الأوّل: أنّ غيبته عن أوليائه ليس لعلّة الخوف مثل أعدائه، بل لخوف من إشاعتهم خبره، والتحدّث منهم بذلك على وجه التشرّف بذكره، والاحتجاج بوجوده، فيؤدّي ذلك إلى علم أعدائه بمكانه فيعقّب علمهم بذلك ما ذكرناه من وقوع الضرر به.

الثاني: أنّ غيبته عن أعدائه للتقية منهم؛ وغيبته عن أوليائه للتقيّة عليهم، والإشفاق من وقوع الضرر بهم، إذِ لو ظهر للقائلين بإمامته؛ وشاهده بعض أعدائه وأذاع خبره، طولب أولياؤه به إذا فات الطالب بالاستتار أعقب ذلك عظيم المكروه والضرر بأوليائه، وهذا معروف بالعادات.

الثالث: أنّ في القائلين بإمامته من لا يرجع عن الحقّ وعن اعتقاد إمامته والقول بصحّتها على حالة من الأحوال، فأمره الله تعالى بالاستتار ليكون المقام على الإقرار بإمامته مع الشبهة في ذلك وشدّة المشقّة أعظم ثواباً منه على الإقرار بإمامته مع المشاهدة له، فكانت غيبته عن أوليائه لهذا الوجه، ولم يكن للتقية منهم؛ ويؤيّده قوله تعالى في أوّل سورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ١-٣] فإنّ المراد بالغيب على ما وقع في الأخبار المستفيضة هو الإمام الغائب عن أنظارهم؛ فقد مدحهم الله سبحانه على هذه الخصلة، وفي الحديث أنّ واحداً من الصحابة قال للنبيّ ﷺ أفضل الناس أصحابك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: لا بل أفضل الناس قوم يؤمنون بسواد على بياض لأنّ الحجّة تغيب عنهم وقال عليه السلام إذا غاب الحجّة فالقابض على دينه كالقابض[1] على جمر الغضا لأنّ الإيمان في حالة الامتحان والشدّة أكثر ثواباً من غيره كما قال الصادق عليه السلام: والله لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة ولتساطنّ سوط القدر فيجعل أعلاكم أسفلكم وأسفلكم أعلاكم.

(١) الغضا شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفئ الواحدة منه غضاة.

الرابع: وهو الذي عوّل عليه المرتضى قدّس الله روحه حيث قال أوّلاً إنّا لا نقطع على أنّه لا يظهر لجميع أوليائه فإنّ هذا أمر مغيب عنّا ولا يعرف كلّ منّا إلّا حال نفسه فإذا جوّزنا ظهوره لهم كما جوَّزنا غيبته عنهم فنقول في علّة غيبته عنهم أنّ الإمام عليه السلام عند ظهوره من الغيبة إنّما يميّز شخصه ويعرف عينه بالمعجز الذي يظهر على يديه لأنّ النصوص الدالّة على إمامته لا تميّز شخصه عن غيره كما ميّزت أشخاص آبائه عليهم السلام والمعجز إنّما يعلم دلالته بضرب من الاستدلال والشبهة تدخل في ذلك فلا يمتنع أن يكون كلّ من لم يظهر له من أوليائه فإنّ (أنّ ظ) المعلوم من حاله أنّه متى ظهر له قصّر في النظر في معجزه ولحق بهذا التقصير بمن يخاف منه من الأعداء.

الشبهة الثالثة: قال المخالفون إذا كان الإمام غائباً بحيث لا يصل إليه أحد من الخلق ولا ينتفع به فما الفرق بين وجوده وعدمه وهلاّ جاز أن يميته الله أو يعدمه حتّى إذا علم أنّ الرعيّة تمكّنه وتسلّم له أوجده أو أحياه كما جاز أن يبيحه الاستتار حتّى يعلم منها التمكين له فيظهره والجواب عن هذه الشبهة بوجوه: أحدها أنّا لا نقول ولا نقطع على أنّ الإمام عليه السلام. لا يصل إليه أحد فهذا أمر غير معلوم على أنّ كثيراً من الناس من العامّة والخاصّة قد رآه وانتفع منه نوعاً من الانتفاع سواء عرفه وقت الرؤية أو لم يعرفه لكن ظهر له بالقرائن المفيدة للقطع بعد الرؤية أنّ ذلك هو الإمام عليه السلام نقل صاحب كشف الغمّة حكاية وقعت في زمانه قال كان في بلاد الحلّة شخص يقال له إسماعيل بن الحسن الهرقلي من قرية يقال لها هرقل قال أنّه مات في زماني وما رأيته لكن حكى لي ولده شمس الدين قال حكى لي والدي أنّه خرج فيه وهو شابّ على فخذه الأيسر توثة مقدار قبضة الإنسان وكانت في كلّ ربيع تنشقّ ويخرج منها دم وقيح يقطعه ألمها عن كثير من أشغاله وكان مقيماً بهرقل فحضر إلى الحلّة يوماً ودخل إلى مجلس السعيد رضي الدين عليّ بن طاووس رحمة الله عليه وشكى إليه ما يجد وقال أريد أن أُداويها فأحضر له أطباء الحلّة وأراهم الموضع فقالوا هذه الجراحة فوق العرق الأكحل وعلاجها خطر متى قطعت خيف أن ينقطع العرق فيموت فقال له السيّد رضي الدين أنا متوجه إلى بغداد وربّما كان أطباؤها أعرف وأحذق من هؤلاء فاصحبني. فأصعد معه فأحضر الأطباء فقالوا كما قال أولئك فضاق صدره فقال له السعيد إنّ الشرع قد فسح لك في الصلاة في هذه الثياب وعليك الاجتهاد في الاحتراس ولا تغرر بنفسك فالله تعالى قد نهى عن ذلك ورسوله.

فقال والدي إذا كان الأمر هكذا وقد حصلت في بغداد فأتوجه إلى زيارة المشهد الشريف بسرّ من رأى على مشرّفه السلام ثمَّ أنحدر إلى أهلي فحسن له ذلك فترك ثيابه ونفقته عند السعيد رضي الدين قال زرت المشهد ونزلت السرداب واستغثت بالله تعالى وبالإمام عليه السلام وقضيت بعض الليل في السرداب وبقيت في المشهد إلى الخميس ثمّ مضيت إلى دجلة واغتسلت ولبست ثوباً نظيفاً وملأت إبريقاً كان معي وصعدت أريد المشهد فرأيت أربعة فرسان خارجين من باب السور وكان حول المشهد قوم من الشرفاء قوم يرعون أغنامهم حسبتهم منهم وفيهم شيخ منقب بيده رمح ومنهم فارس عليه فرجيّة ملوّنة فوق السيف وهو متحنّك فوقف الشيخ صاحب الرمح يمين الطريق ووضع كعب رمحه في الأرض ووقف شابّان عن يسار الطريق وبقي صاحب الفرجيّة على الطريق مقابل والدي ثمَّ سلّموا عليه فردّ عليهم السلام، فقال له صاحب الفرجيّة أنت غداً تروح إلى أهلك؟ فقال له نعم فقال تقدّم حتّى أُبصر ما يوجعك قال فكرهت ملامستهم وقلت أهل البادية ما يكادون يتحرّزون من النجاسة وأنا قد خرجت من الماء وقميصي مبلول ثمّ إنّي مع ذلك تقدّمت إليه فلزمني بيدي ومدّني إليه وجعل يلمس جانبي من كتفي إلى أن أصابت يده توثة فعصرها بيده فأوجعني ثمَّ استوى في سرج فرسه كما كان، فقال لي الشيخ أفلحت يا إسماعيل فتعجبت من معرفته باسمي فقلت أفلحنا وأفلحتم إن شاء الله.

قال فقال هذا هو الإمام قال فتقدّمت واحتضنته وقبّلت فخذه ثمَّ إنّه ساق وأنا أمشي معه محتضنه فقال ارجع فقلت لا أفارقك أبداً فقال المصلحة رجوعك فأعدت عليه مثل القول الأوّل فقال الشيخ يا إسماعيل أما تستحي يقول لك الإمام مرّتين إرجع وتخالفه فجبهني بهذا القول فوقفت وتقدّم خطوات والتفت إليّ وقال إذا وصلت بغداد فلا بدّ أن يطلبك أبو جعفر يعني الخليفة المستنصر فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه وقل لولدنا الرضي ليكتب لك إلى عليّ بن عوض فإنّني أُوصيه يعطيك الذي تريد ثمَّ سار وأصحابه معه فلم أزل قائماً أبصرهم حتّى بعدوا وحصل عندي أسف لمفارقته فقعدت على الأرض ساعة ثمَّ مشيت إلى المشهد فاجتمع القوم حولي وقالوا نرى وجهك متغيّراً أوجعك شيء قلت لا قالوا خاصمك أحد قلت لا ليس عندي ممّا تقولون خبر لكن أسألكم هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم فقالوا هم من الشرفاء أرباب الغنم فقلت لا بل هو الإمام عليه السلام فقالوا الإمام هو الشيخ أو صاحب الفرجيّة الملونة قلت بل صاحب الفرجيّة فقالوا أريته المرض الذي فيك؟ فقلت هو قبضه بيده وأوجعني ثمَّ كشفت رجلي فلم أر ذلك المرض

فتداخلني الشكّ من الدهش فأخرجت رجلي الأُخرى فلم أر شيئاً فانطبق الناس عليّ ومزّقوا ثوبي فأدخلني القوّام الخزانة ومنعوا الناس عنّي. ولمّا رجع إلى بغداد حضر رضي الدين والخليفة وأحضر الأطباء فلمّا رأوها قد زالت بالكليّة وقد كانوا رأوها سابقاً صاح واحد منهم وقال هذا والله عمل المسيح.

وأمثال هذه الكرامات قد وقعت منه عليه السلام كثيراً، على أنّ من جملة منافعه عليه السلام بالنسبة إلى العلماء والمجتهدين ما كان يذهب إليه شيخنا صاحب التفسير الموسوم بنور الثقلين قدّس الله زكيّ تربته وأعلى في علّيين رتبته وهو أنّ المسائل الخلافيّة بين الأصحاب التي لم يعلم القائل بالطرف الآخر منها احتمالاً راجحاً عنده أن يكون ذلك القول قولاً له عليه السلام أوقع الخلاف في المسألة حتّى لا تجتمع علماء الشيعة على الخطأ وحتّى يتجرأ على موافقة ذلك القول لأنّ المسألة إذا كانت إجماعية يتقاعد المجتهدون اللاحقون عن القول بخلافها وإن أدّاهم الدليل إليه كما سمعته من بعض المجتهدين من أنّ الحديث الصحيح إذا وجد ولم يعلم به قائل من الأصحاب يجب ردّه أو تأويله وهذا مذهب جماعة منهم وكأنّهم أخذوه من مقبولة عمر بن حنظلة وغيرها ممّا اشتمل على قوله عليه السلام خذ بما اشتهر بين أصحابك ففهموا منه كون المراد الاشتهار في الفتوى لكنّ الظاهر من سياق تلك الأخبار أنّ المراد به الاشتهار في النقل لأنّ تلك الأحاديث إنّما وردت في تعارض الخبرين المنقولين عن المعصوم عليه السلام وحينئذ فالمراد الأخذ بالحديث الذي اشتهر نقله بين الأصحاب وترجيحه على ما لم يشتهر ولأجل ما نقلناه عنه رحمه الله كان يذهب إلى قوّة القول الذي لم يعلم قائله ولا نسبه.

وثانيها أنّ في انتظار خروجه عليه السلام كل يوم وساعة أجر جزيل وثواب جليل ويؤيّده ما رواه العلاء بن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم عليه السلام وروى عبد الحميد الواسطي عن الباقر عليه السلام قال قلت له أصلحك الله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر فقال يا عبد الحميد أترى من حبس نفسه على الله عزّ وجلّ لا يجعل الله عزّ وجلّ له مخرجاً! رحم الله عبداً حبس نفسه علينا رحم الله عبداً أحيا أمرنا قال قلت فإن مت قبل أن أُدرك القائم قال القائل منكم إن أدركت قائم آل محمّد صلوات الله عليهم نصرته كالمقارع معه بسيفه لا بل كالشهيد معه. وقال الصادق عليه السلام لعمّار: أما والله يا عمّار لا يموت منكم ميّت على الحال التي أنتم عليها إلّا كان أفضل عند الله عزّ

وجلّ من كثير ممّن شهد بدراً وأُحداً فأبشروا. وكان عليه السلام إذا ذكر أصحابه القائم عليه السلام وتمنّوا لقاءه يقول: الذي عليكم هو العزم والانتظار وتنالون به ثواب الشهادة وإن متّم على فرشكم. مع أنّهم لو بقوا إلى وقت خروجه لم يعاونه منهم إلّا الأقلّ كما وقع للحسين عليه السلام وشيعة أبيه فإنّهم كاتبوه ولمّا قدم عليهم أسلموه إلى القتل ويا ليتهم كفّوا عن قتاله ومعاونة الظالمين عليه. والحال في صاحب الزمان عليه السلام ذلك الحال بعينه فيكون ثواب الانتظار لهم أفضل من ثواب حضورهم معه وهذا أحد معاني قوله صلى الله عليه وآله: نيّة المؤمن خير من عمله وذلك أنّهم بهذه النيّة بلغوا درجات الشهداء ولو أدركوه لربّما لم يدركوها بل يمكن أن يدركوا نقيضها مع أنّه قد روي في الأخبار عن الصادقين عليهما السلام أنّ الشيعة لم تزل تربّى بالأمانيّ فبهذه التمنّيات من احتمال خروجه هذا اليوم وهذا اليوم وهذا العام يسهل الخطب على الشيعة من ظلم الظالمين لهم ودخولهم في باب التقيّة من كلّ وجه.

فلقد رأينا جماعة من أهل الخلاف يفضلون اليهود والنصارى علينا وإذا سافرنا معهم يأخذون العشور منّا ويتركون الكفّار من غير أن يفتّشوا لهم متاعاً[1] وهذا أمر

---

(١) في هذه العبارة إشارة إلى الحالة المؤسفة التي كانت عليها جامعة المسلمين في القرن الذي عاش فيه المصنف رحمه الله وتلك الأعمال والأقوال الشائنة والأحوال المؤسفة الصادرة عن أهل السنة والجماعة في حق إخوانهم من الشيعة مع أنهم يقرون بالشهادتين ويصلون إلى الكعبة المعظمة ويؤمنون بالمعاد والدار الآخرة ويؤدون الفرائض والسنن الدينية وملتزمون بجميع الأحكام الشرعية وعاملون بها ومتمسكون بأصول الدين وفروعه جميعاً هي التي ورثت النتائج السيئة والأحقاد السارية والأضغان الهالكة والآثار المورثة للندامة التي عادت كلها على جامعة المسلمين وبالاً وفشلاً وتلك الأفعال الشنيعة أعني تفضيل النصارى والصهيونية الشريرة على الشيعة في تلك القرون الغابرة بتحريك من أعداء الإسلام وسياستهم الغاشمة أوجبت رفع الإخاء بين الأمة جمعاء مع أن القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ولأجل هذه المضاربات والمشاغبات وإلهاب نار العداوة والبغضاء صارت الممالك الإسلامية اليوم طعمة للأجانب ومحطاً لأطماعهم وأسواقاً لبيع امتعتهم وأقمشتهم وسائر مصنوعاتهم ومن جرائها وقعنا في أعمق مهاوي الذل والصغار ورزايا الفتن والاستعمار والمسببون لهذه النكبات الفجيعة والحملات المنكرة على جامعة المسلمين في هذا العصر التعيس وفي الزمن الغابر هم الخونة والمارقون وأوكار المستعمرين وهم الذين تربعوا في عرش الرياسة وأخذوا أمور المسلمين بأيديهم الجائرة وصاروا أذناباً للاستعمار وعمالاً للاستثمار يسوقون الناشئة النائمة إلى الضلالة والغواية والخروج عن الدين والتوغل في المعاصي والملاهي والنبذ=

عظيم لا يسهّله إلّا احتمال قرب الفرج بخروجه عليه السلام ولا يخفى أنّ هذا إنّما يتمّ على تقدير وجوده واستتاره أمّا لو كان ميّتاً أو لم يوجد أصلاً فلا انتظار أصلاً والذي يؤيّد هذه المقالة من أنّ ثواب انتظار الفرج خير لهم من ثواب الحضور ما ورد في الروايات عن الصادق عليه السلام من أنّ أُناساً من الشيعة كانوا يحرّضونه على القيام بالسيف وكانوا يقولون إنّ لك شيعة في العراق لو حملتهم على أطراف الأسنّة لمشوا عليها فقال قائل منهم هذا الكلام وهم يمشون فنظر عليه السلام إلى غنيمات ترعى فقال لو كان لنا من الشيعة من يوافقنا في القلب واللسان على أمر الخروج بعدد هذه الأغنام لخرج القائم منّا قال الراوي فعددتها فإذا مجموعها سبعة عشر شاة. ومرّة أُخرى أيضاً ألحّوا عليه في أمر الخروج وفي أنّ الشيعة كثيرون فلا يسعك الجلوس فأمر عليه السلام بنار فأوقدت فقال أيّكم يدخل هذه النار فتقاعدوا عنها ولم يدخلها أحد فقال إنّ شأن القائم عليه السلام إذا خرج والدخول معه مثل الدخول في هذه النار فمن دخل منكم هذه النار قدر على معاونة القائم والجهاد معه.

وثالثها ما قاله شيخنا الطبرسي في بعض كتبه من أنّ الفرق بين وجوده غائباً عن أعدائه للتقيّة وهو في أثناء تلك الغيبة منتظر أن يمكّنوه فيظهر ويتصرّف وبين عدمه واضح وهو أنّ الحجّة هناك فيما فات من مصالح العباد لازمة لله تعالى وههنا الحجّة لازمة للبشر لأنّه إذا خيف فغيب شخصه عنهم كان ما يفوتهم من المصلحة عقيب فعل كانوا هم السبب فيه منسوباً إليهم يلزمهم في ذلك الذمّ وهم المؤاخذون به

= لنواميس الشرع إلى ورائهم ظهرياً لا رادع لهم من دين ولا مانع لهم من حمية ووجدان صارت الغيرة مسلوبة والحمية زائلة فسدوا وأفسدوا ضلوا وأضلوا جمهرة من الشباب وقذفوهم في أوبئة الأمراض الروحية والجسمية الفتاكة ليس لهم اليوم عمل إلا الخداع والمكر والكذب والغدر وخيانة الأمة والمساومة على الوطن وخدمة المستعمرين وأكل أموال المسلمين وإفساد أخلاقهم وروحياتهم بطرق شتّى وأسباب متنوعة.

نرجو من القارىء الكريم العفو عن هذه الكلمات التي سطرتها والألفاظ التي حبرتها فإنها نفثة مصدور وزفرة قلب ملتهب رحم الله شيخنا الإمام المغفور له كاشف الغطاء ـ ذلك الرجل العظيم الشهير في شرق الأرض وغربها حيث كان يقول ويكتب طيلة حياته أمثال هذه الكلمات والنصائح العالية وكان يخاطب بها الأمة الإسلامية قاطبة انظر إلى مصنفاته الثمينة وتآليفه القيمة النفيسة تلك الثروة العلمية التي تركها للأمة بعد وفاته وينبغي مطالعة تلك الآثار الخالدة التي هي من جلائل الكتب ونفائس الآثار ولا سيما مطالعة كتابه القيم (المثل العليا في الإسلام) فراجع.

الملامون عليه وإذا أعدمه الله تعالى كان ما يفوت العباد من مصالحهم ويحرمونه من لطفهم وانتفاعهم به منسوباً إلى الله تعالى لا حجّة فيه على العباد ولا لوم يلزمهم.

ورابعها ما قاله المرتضى طاب ثراه من أنّ شيعته وأولياءه إذا جوّزوا أن يكون الإمام بحيث يراهم ويعرفهم ولا يعرفونه كان أردع لهم عن فعل المعاصي بخلاف ما إذا كان ظاهراً وهو في ناحية وهم في ناحية أُخرى وإن اطّلع عليهم اطّلاعاً علمياً لأنّ العادة جرت بقوّة الاطّلاع الحسّي وشدّة تأثيره وإلاّ فاطّلاع الله على العباد موجود في سائر أحوالهم، وكذلك المعصومين عليهم السلام كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] وإن المراد بالمؤمنين الأئمّة عليهم السلام، وإلاّ فغيرهم من المؤمنين لا يعلم بعمل من غاب عن عينه، وذلك الإطّلاع بما روي أنّ الملائكة الذين يكتبون أعمال الناس وهم رقيب وعتيد إذا كتبوا أعمال اليوم وأرادوا آخر النهار العروج إلى عالم الملكوت يأتون أوّلاً بصحائف الأعمال إلى إمام العصر فيعرضونها عليه، ويطّلع على تلك الأعمال ثمَّ يعرجون بها، ثمَّ إنّه عليه السلام يصلح من أعمال شيعته ما يكون قابلاً للإصلاح إمّا بالاستغفار له أو بالشفاعة له عند ربّه أو بالتفويض إليه، ومن ثمَّ كانوا عليهم السلام يطلبون من شيعتهم أن يعملوا أعمالاً قابلة للإصلاح؛ وذلك كالكتاب الذي فيه غلط فإنّ منه ما يكون قابلاً للمقابلة والتصحيح ومنه ما يكثر غلطه حتّى يعطل عن الانتفاع به.

وخامسها ما ورد في مكاتبة رواها شيخنا محمّد بن يعقوب عن إسحاق بن يعقوب قال سألت محمّد بن عثمان العمري وهو وكيل الناحية أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام: أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبّتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم أنّه ليس بين الله عزَّ وجلّ وبين أحد قرابة؛ ومن أنكرني فليس منّي وسبيله سبيل ابن نوح، وأمّا سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام، إلى أن قال عليه السلام وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وإنّي أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإنّ في ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى.

الشبهة الرابعة: قالوا إنّه قد وقع الإجماع على أنّه لا نبيّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم أيّها الشيعة قد زعمتم أنّ القائم عليه السلام إذا قام لم يقبل الجزية من أهل الكتاب

وأنّه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقّه في الدين، ويأمر بهدم المساجد والمشاهد، وأنّه يحكم بحكم داود عليه السلام لا يسأل عن بيّنة وأشباه ذلك ممّا ورد في أخباركم، وهذا يكون نسخاً للشريعة وإبطالاً لأحكامها فقد أتيتم بمعنى النبوّة وإن لم تتلفّظوا باسمها فما جوابكم؟

والجواب عنها ما قاله صاحب كتاب إعلام الورى من أنّا لم نعرف ما تضمّنه السؤال من أنّه عليه السلام لم يقبل الجزية من أهل الكتاب وأنّه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقّه في الدين، فأمّا هدم المساجد والمشاهد فقد يجوز أن يختصّ بهدم ما بني من ذلك على غير تقوى الله تعالى وعلى خلاف ما أمر الله سبحانه به؛ وهذا مشروع فقد فعله النبيّ صلى الله عليه وآله وأمّا ما روي من أنّه يحكم بحكم آل داود لا يسأل عن بيّنة فهذا أيضاً غير مقطوع به؛ وإنّ صحّ فتأويله أنّه يحكم بعلمه في ما يعلم، وإذا علم الإمام عليه السلام والحاكم أمراً من الأمور فعليه أن يحكم بعلمه ولا يسأل البيّنة وليس في هذا نسخ الشريعة؛ على أنّ هذا الذي ذكروه من ترك قبول الجزية واستماع البيّنة لو صّح لم يكن ذلك نسخاً للشريعة، لأنّ النسخ هو ما تأخّر دليله عن الحكم المنسوخ ولم يكن مصاحباً له، فأمّا إذا اصطحب الدليلان فلا يكون أحدهما ناسخاً لصاحبه وإن كان يخالفه في الحكم؛ ولهذا اتفقنا على أنّ الله سبحانه لو قال الزموا السبت إلى وقت كذا ثمّ لا تلزموه أنّ ذلك لا يكون نسخاً، لأنّ الدليل الرافع مصاحب للدليل الموجب، وإذا صحّت هذه الجملة وكان النبيّ صلى الله عليه وآله قد أعلمنا بأنّ القائم عليه السلام من ولده يجب اتباعه وقبول أحكامه فنحن إذا صرنا إلى ما يحكم فينا وإن خالف بعض الأحكام المتقدّمة كنّا غير عاملين بالنسخ لأنّ النسخ لا يدخل في ما يصطحب الدليلان. ولهم شبه أُخرى واهية رأينا الإعراض عن نقلها هو الأولى لظهور وهنها(١).

---

(١) والحق أن عند العقل والوجدان لا استبعاد في طول عمر مولانا الإمام صاحب الزمان أرواحنا فداه فإن من هو قادر على حفظ حياة الإنسان آناً واحداً ويوماً فارداً يقدر على حفظ تلك الحياة آلافاً من السنين ولم يكن ذلك محالاً ذاتاً حتى لا يتعلق به القدرة نعم هو خارق للعادة وخرق نواميس الطبيعة في شؤون الأنبياء وأوصيائهم ليس بشيء عجيب وأمر غريب. على أن القرآن الكريم ينص لنا في قصة يونس عليه السلام ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤] وهو في بطن الحيوان في قعر البحر يمكن أن يعيش إلى يوم البعث فكيف لا يعيش إنسان يهتم في رعاية قوانين حفظ الصحة وهو عالم بجميع موجبات سلامة المزاج واستقامته وحفاظة أسباب طول عمره وهو يعيش ويتنعم ويتنفس في الهواء =

. . . .

= الصافي اللطيف ويتجنب عن الهواء الراكد الكثيف.

قال في مجلة المقتطف ج ٣ سنة (٥٩) إن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون أن كل الأنسجة الرئيسية في جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له وأنه في الإمكان أن يبقى الإنسان حياً أُلوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة عملية مؤيدة بالامتحان.

راجع إلى أجزاء تلك المجلة الغراء تجد فيها البراهين الجلية والأدلة العلمية في إثبات إمكان الخلود في الدنيا للإنسان.

على أن من كان من البشر مزاجه في منتهى حد الاعتدال الحقيقي يمكن أن يعيش ويبقى حياً إلى الأبد ما دامت أسباب العيش موفورة له و ما دام لم يعرض له عارض خارجي يميته والاعتدال الحقيقي في المزاج يوجد في بعض الناس من الأنبياء والأولياء وما ذكره السابقون من الفلاسفة من الشبهات في وجوده فقد ظهر وهنها اليوم ولا يعبأ بها في هذا العصر عصر انكشاف أسرار الطبيعة.

وقال صدر المتألهين قدس سره في شرحه على أصول الكافي عند شرح الخبر المروي عن أبي جعفر عليه السلام قال إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت أحلامهم ما هذا لفظه: قوله عليه السلام إذا قام قائمنا هو المهدي صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليه وهو اليوم موجود حي إلا أنه غائب عن أبصار الناس مستور عن الحواس وإنما سمي بالقائم لأنه موجود بنحو من الوجود لا يذبل ولا يمرض ولا يهرم ولا يدثر بتغيرات الأمور ولا يحلله صروف الدهور ولا يعتريه الموت والهلاك بتأثير حركات الكواكب والأفلاك بل إنما يحيى ويموت حسب إرادة الله تعالى ومشيئته من غير تسبب أسباب وتوسط علل واستعدادات مواد ومع ذلك ليس أن جوهر روحه عليه السلام مفارق عن الجسد بل يأكل ويشرب ويتكلم ويتحرك ويسكن ويمشي ويجلس ويكتب كما دل عليه ما في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المشهور الذي نقلته الثقات من رواية كميل بن زياد النخعي من قوله صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه وذلك بعد قال بأسطر قبل هذا بلى لا يخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مشهور أو مستتر مغمور لئلا يبطل حجج الله وبالجملة كيفية حياته وبقائه عليه السلام في الأرض ككيفية حياة عيسى عليه السلام وبقائه في السماء ومن أنكر وجود المهدي عليه السلام الآن أو استبعد طول حياته هذا القدر فذلك لقصور علمه وضعف إيمانه وقلة معرفته كيفية ذلك ومعنى قوله إذا قام أي خرج وظهر وهذا الخروج لا محالة كائن ولو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد للأخبار والروايات الصحيحة الواردة في هذا الباب الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى رواها المؤلف والمخالف جميعاً وعليه اتفق إطباق الأُمة المسلمة سيما أرباب القلوب وأصحاب المكاشفات ثم نقل قدس سره كلام محيي الدين العربي في الفتوحات المكية وقال بعد نقله: إن الثابت بالشرع والعرفان والشهود والإيمان =

نور اسمي يكشف عن أنه هل يجوز تسميته عليه السلام باسمه أم لا

اعلم أنّه قد وقع الخلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم في هذه المسألة، فذهب شيخنا المفيد والشيخ الطبرسيّ قدّس الله روحيهما وجماعة من المتأخّرين إلى

= وجود مولانا المهدي صاحب الزمان عليه صلوات الرحمٰن وبقاؤه من حين ولادته إلى الآن ولنا في تحقيق هذا المرام وأمثاله مسلك أنيق ومنهج دقيق ليس ههنا موضع تفصيله وإجماله ما أشرنا إليه آنفاً من كون وجوده عليه السلام وحياته في عالم الأرض كوجود عيسى عليه السلام وحياته في عالم السماء إلخ.

قال خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري رحمه الله في خاتمة المستدرك في ترجمة صدر المتألهين رحمه الله ما هذا لفظه: (وله شرح في حال مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه عند قوله عليه السلام إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم كلام ينبىء عن اعتقاد له فيه عليه السلام غير ما عليه معاشر الإمامية فراجع وتأمل).

أقول: غير خفي على من تأمل في كلام صدر المتألهين رحمه الله وقد نقلناه كما سمعت أنه لا يدل على ما ادعاه هذا المحدث من نسبة خلاف ما تعتقده الإمامية في المهدي المنتظر أرواحنا فداه إليه والقارىء العزيز جد خبير أن كلامه موافق مع ما تعتقده الإمامية ولا يظهر منه مخالفة معهم ولا أدري ما الباعث لهذا المحدث الجليل أن يتفوه في حق ذلك العالم الفيلسوف الأكبر وهو من مفاخرنا بهذا القول الشائن الذي هو على خلاف الواقع وأضف إلى ذلك أنه ينبغي حمل كلام العلماء على الصحة والسداد لا على الفساد ولا سيما في الاعتقاديات وكأن المحدث النوري رحمه الله كان حريصاً على تتبع وتفحص الأوهام الصادرة على زعمه عن هذا الحكيم والتنبيه عليها في ترجمته مع أنه ليس المعصوم إلا من عصمه الله تعالى وتحامله على هذا الحكيم ودفاعه عن بعض الأخباريين ورده كلام صاحب روضات الجنات ونسبة كلماته إلى الخرافة عجيب انظر صفحة (٤١١) من خاتمة المستدرك قال رحمه الله لو جمع الله تعالى بين المولى محمد أمين الأسترآبادي الأخباري وبين صاحب الروضات يوم الجمع فقال له الأمين إنك ذكرت جمعاً من المخالفين بألقاب جميلة فما كان ضرك أن تغمض عن خطائي بصدق الولاء فما عذره في الجواب.

أقول: لو جمع الله تعالى بين صدر المتألهين وبين هذا المحدث الخبير يوم الجمع فقال له ذلك الحكيم إنك نسبت لي خلاف معتقد الإمامية في حق مولاي صاحب الزمان عليه السلام فما عذره في الجواب أليس ذلك جرأة عظيمة في حقه كجرأة هذا المحدث في إصراره على تحريف كتاب الله المجيد وهو ناشئ من جمع من الأخباريين وتخريب لأساس الدين ويقول الشيخ الصدوق قدس سره من نسب إلينا أنّا نقول إن القرآن أكثر ممّا بين الدفتين فهو كاذب.

وأضف إلى ذلك كثيراً من الأوهام والاشتباهات الصادرة عن هذا المحدث في كتبه ومؤلفاته الممتعة فإن أردنا إيرادها في هذا المقام لطال الكلام والله الهادي.

تحريم تسميته عليه السلام باسمه في ذلك الزمان، وذهب جماعة منهم صاحب كشف الغمّة والمحقّق خاجا نصير الدين الطوسي ومن المتأخّرين شيخنا البهائي رحمه الله إلى الجواز، وإنّما جاء هذا الاختلاف من اختلاف الأخبار؛ أمّا الذي يدلّ على القول الأول فأخبار.

منها ما روي عن محمّد بن همّام قال سمعت محمّد بن عثمان العمري يقول خرج توقيع بخطّ أعرفه: من سمّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله: ومنها ما رواه الصدوق طاب ثراه في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صاحب هذا الأمر رجل لا يسمّيه باسمه إلّا كافر، يعني - والله أعلم - من كان شبيهاً بالكافر في مخالفة أوامر الله ونواهيه اجتراءً ومعاندة؛ وهذا كما تقول لا يجترئ على هذا إلّا أسد. ومنها ما رواه الريّان بن الصلت قال سئل الرضا عليه السلام عن القائم عليه السلام؛ فقال: لا يرى جسمه ولا يسمّى اسمه ومنها ما روي عن الباقر عليه السلام قال: سئل عمر أمير المؤمنين عليه السلام عن القائم (المهدي خ) عليه السلام فقال يابن أبي طالب أخبرني عن المهدي، قال: أمّا اسمه فلا، إنّ حبيبي وخليلي عهد إليّ أن لا أُحدّث باسمه حتّى يبعثه الله عزَّ وجلّ؛ وهو في ما استودع الله عزَّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وآله من علمه. ومنها ما روي عن أبي هاشم الجعفري قال سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول الخلف من بعدي الحسن ابني فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؛ قلت ولم جعلني الله فداك؟ قال لأنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، قلت فكيف نذكره؟ قال قولوا الحجّة من آل محمّد صلوات الله عليه وسلامه. ومنها ما رواه ابن أبي يعفور قال قال أبو عبد الله عليه السلام: الخامس من ولد السابع يغيب عنهم شخصه ولا يحلّ لهم تسميته، وقد روي صفوان بن مهران عنه عليه السلام مثله. ومنها ما روي عن عبد الله الصالحي قال سألني أصحابنا بعد مضيّ أبي محمّد عليه السلام أن أسأل عن الإسم والمكان، فخرج الجواب: إن دللتهم على الاسم أذاعوه، وإن عرفوا المكان دلّوا عليه؛ ومنها أنّ الأئمّة عليهم السلام لمّا عبّروا عن اسمه الشريف عبّروا عنه بالحروف المقطّعة؛ وهو (م ح م د) ومثل قولهم في التعبير: اسمه اسم رسول الله، ونحو ذلك من الكنايات.

وأمّا أهل القول الثاني فقد حملوا هذه الأخبار على حالة الخوف كما كان في زمن غيبة الصغرى وقبل ولادته وبعدها، وكون عليّ عليه السلام لم يسمّه لعمر بن الخطّاب يرجع إلى حال الخوف عليه أيضاً لأنّ الحسين عليه السلام على ما قاله بعض الأعلام ما

قتله إلّا يوم السقيفة كما تقدّم، واستدلّوا على الجواز عند ارتفاع الخوف كما في هذه الأعصار بأمور:

الأوّل ما روي عن علان الرازي قال أخبرني بعض أصحابنا أنّه لمّا حملت جارية أبي محمّد عليه السلام قال: ستحملين ذكراً واسمه محمّد، وهو القائم من بعدي.

الثاني ما روي عن عليّ بن أحمد الرازي قال خرج بعض إخواني من أهل الري مرتاداً بعد مضيّ أبي محمّد عليه السلام، فبينما هو في مسجد الكوفة مغموم مفكّر فيما خرج له يبحث حصى المسجد بيده فظهرت له حصاة مكتوب فيها محمّد قال الرجل فنظرت إلى الحصاة فإذا فيها كتابة ثابتة مخلوقة غير منقوشة.

الثالث ما رواه العطّار قال حدّثني الخيزراني عن جارية له كان أهداها لأبي محمّد عليه السلام، فلمّا أغار جعفر الكذّاب على الدار جاءته فارّة من جعفر فتزوّج بها قال فحدّثتني أنّها حضرت ولادة السيّد عليه السلام وأنّ أبا محمّد عليه السلام حدّث أمّ السيّد بما يجري على عياله، فسألته أن يدعو الله لها أن يجعل ميتتها قبله فماتت في حياة أبي محمّد عليه السلام وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أمّ محمّد.

الرابع ما رواه العلوي عن أبي غانم الخادم قال ولد لأبي محمّد عليه السلام ولد فسمّاه فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم الحديث؛ الخامس أنّ الحسن العسكري عليه السلام قد كنّي بأبي محمّد وليس له ولد اسمه محمّد سوى صاحب الدار عليه السلام.

والأرجح في النظر هو القول الأوّل، أمّا أوّلاً فلتكثّر الأخبار الواردة فيه فإنّه قد بقي منها أخبار كثيرة لم نذكرها روماً للاختصار، وأمّا ثانياً فلأنّ ظاهر بعضها وصريح البعض الآخر هو امتداد وقت التحريم إلى أن يقوم بالسيف؛ وأمّا ثالثاً فلأنّ هذه الأخبار غير صريحة بل ولا ظاهرة في جواز تسميته عليه السلام بالنسبة إلينا كما لا يخفى؛ وأمّا كنيته عليه السلام فلعلّها صارت له بمنزلة الاسم العلمي من غير التفات إلى الولد؛ كما في أبي الحسن الأول وأبي الحسن الثاني والثالث، ولعلّ الحكمة في النهي عن الاسم خفيّة علينا كما في وجه الحكمة في علّة الغيبة على ما تقدّم في بعض الأخبار.

إذا عرفت هذا فقد قال صاحب كشف الغمّة من العجب أنّ الشيخ الطبرسي والشيخ المفيد رحمهما الله تعالى قالا لا يجوز ذكر اسمه ولا كنيته، ثمّ يقولان اسمه اسم النبي صلى الله عليه وآله وكنيته كنيته وهما يظنّان أنّهما لم يذكرا اسمه ولا كنيته وهذا

عجيب، والذي أراه أنّ المنع إنّما كان في وقت الخوف والطلب له والسؤال عنه؛ وأمّا الآن فلا، والله العالم، انتهى، والظاهر أنّ تعجبه من الشيخين ليس على ما ينبغي لأنّ ذلك القول منهما ليس ذكراً لاسمه بل هو تفهيم وتعليم بطريق الإشارة والكناية ولا يكون من باب ذكر الاسم في مجاري العرف والعادات.

بقي الكلام في حديث رواه الفريقان عن النبيّ ﷺ أنّه قال: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي[1] يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً،

---

(١) اعلم أن هذه الزيادة أعني قوله: (واسم أبيه اسم أبي) واردة في رواية أبي داود عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي ﷺ ولا يعبأ بخبر زائدة لدلالة الأخبار المتواترة وضرورة مذهب الشيعة الإمامية على أنّ اسم أبيه (الحسن).
وقد ذكر الشيخ الحافظ الكنجي الشافعي المتوفى (٦٥٨هـ) في كتابه البيان ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ ط تبريز سنة (١٣٢٤هـ) أن الترمذي ذكر الحديث ولم يذكر قوله: (واسم أبيه اسم أبي) وأن الإمام أحمد مع ضبطه وإتقانه روي هذا الحديث في مسنده في عدة مواضع (واسمه اسمي) وجمع الحافظ أبو نعيم طرق هذا الحديث من الجم الغفير في مناقب المهدي كلهم عن عاصم ابن أبي النجود عن زر عن عبد الله عن النبي ﷺ وذكر طرقه ثم قال: كل هؤلاء رووا (اسمه اسمي) إلا ما كان من عبيد الله بن موسى عن زائدة عن عاصم فإنه قال فيهم (واسم أبيه اسم أبي) ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها.
وقال العلامة الإربلي رحمه الله في كشف الغمة: أما أصحابنا الشيعة فلا يصححون هذا الحديث لما ثبت عندهم من اسمه واسم أبيه عليه السلام وأما الجمهور فقد نقلوا أن زائدة كان يزيد في الأحاديث فوجب المصير إلى أنه من زيادته ليكون جمعاً بين الأقوال والروايات.
ومما ذكرنا يظهر ما في قول المصنف رحمه الله (هذا الحديث رواه الفريقان) من المسامحة الواضحة فإن الشيعة لم ترو هذه الزيادة (واسم أبيه اسم أبي) ولا يبعد أن تكون هذه الزيادة في الخبر من دس الوضاعين بإيعاز من أرباب الرياسة والسياسة الغاشمة في تلك القرون الغابرة (ألا قاتل الله السياسة والرياسة فما دخلتا شيئاً إلا أفسدتاه) فإنهم كانوا يتوسلون بوضع الأحاديث والآثار إلى النيل بمقاصدهم المشؤومة الخبيثة وجلب قلوب العامة لينالوا بنياتهم الباطلة ولذا لا يبعد أن تكون هذه الزيادة في الخبر من أهل الوضع والدس في الأحاديث ترويجاً وتقوية لحكومة محمد بن عبد الله المنصور العباسي الملقب بالمهدي أو وضعها بعض أتباع محمد الملقب بالنفس الزكية ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى رضوان الله عليهم تقوية لمرامه وقد ذكر بعض المؤرخين أن عبد الله المحض أثبت في نفوس طوائف من الناس أن ابنه محمداً هو المهدي الذي بشر به وأنه يروي هذه الزيادة (اسم أبيه اسم أبي) وأن الصادق عليه السلام قال لأبيه عبد الله المحض إن ابنه لا ينالها ولكن من المحقق في محله أن =

وهذا هو أحد الشبه التي أوردها المخالفون لأنّ اسم أبي المهدي عليه السلام الحسن العسكري واسم أبي النبيّ صلى الله عليه وآله عبد الله فلا يكون المهديّ هو ابن الحسن العسكري بل يكون غيره، وقد أجاب عن هذا الفاضل الإربلي[1] بما حاصله أنّه قد ورد في الكلام الفصيح إطلاق لفظ الأب على الجدّ الأعلى، قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى حكاية عن يوسف: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، وفي حديث المعراج قلت من هذا؟ قال هذا أبوك إبراهيم، وكذلك ورد أيضاً إطلاق الاسم على الكنية والصفة؛ روي الصاعدي (الساعدي خ) عن عليّ عليه السلام: والله إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمّاه بأبي تراب ولم يكن له اسم أحبّ إليه منه. فأطلق الاسم على الكنية؛ وقول الشاعر ومن وصفك فقد سمّاك للعرب.

وإذا تحقّقت هذا وضح لك الجواب، وهو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان له سبطان أبو محمّد الحسن وأبو عبد الله الحسين؛ ولمّا كان الحجّة عليه السلام من ولد أبي عبد الله الحسين وكان كنية الحسين عليه السلام أبا عبد الله أطلق النبيّ صلى الله عليه وآله الاسم على الكنية لأجل المقابلة بالاسم في حقّ أبيه، وأطلق على الجدّ لفظ الأب؛ فكأنّه قال صلى الله عليه وآله يواطئ اسمه اسمي، وهو ظاهر؛ وكنية جدّه اسم أبي إذ هو أبو عبد الله وأبي عبد الله لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعة لجميع صفاته؛ ولإعلام أنه من ولد أبي عبد الله الحسين عليه السلام بطريق جامع موجز لا من ولد الحسن عليه السلام.

نور في بلاده عليه السلام ومساكن أولاده الطاهرين حال هذه الغيبة الكبرى

ذكر المولى الفاضل الملقّب بالرضا عليّ بن فتح الله الكاشاني رحمه الله قال روي الشريف الزاهد أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن الحسين بن عبد الله (عبد الرحمٰن خ) العلويّ الحسيني في كتابه بإسناده عن الأجلّ العالم الحافظ حجّة الإسلام سعيد بن أحمد بن الرضيّ عن الشيخ الأجلّ المقرئ حظير الدين حمزة المسيّب بن الحارث، أنّه حكى في داري بالظفريّة بمدينة السلام في ثامن عشر شعبان سنة أربع وأربعين

= عبد الله المحض وكذا سائر بني الحسن لم يكونوا من القائلين أن محمد النفس الزكية هو المهدي القائم المنتظر عليه السلام الذي يخرج في آخر الزمان ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً وبالي أن أبا الفرج الأصفهاني صرح في بعض كتبه على ما ادعيناه فراجع.

(١) الأردبيلي كذا في المخطوطة.

وخمسمائة، قال حدّثني شيخي العالم أبو القاسم عثمان بن عبد الباقي بن أحمد الدمشقي في سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، قال حدّثني الأجلّ العالم الحجّة كمال الدين أحمد بن محمّد بن يحيى الأنباري بداره بمدينة السلام ليلة الخميس عاشر شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، قال كنّا عند الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة في رمضان بالسنة المقدّم ذكرها ونحن على طبقه وعنده جماعة؛ فلمّا أفطر من كان حاضراً وتقوّض أكثر من حضر أردنا الانصراف فأمرنا بالتمسّي عنده وكان في مجلسه تلك الليلة شخص لا أعرفه ولم أكن رأيته من قبل؛ ورأيت الوزير يكثر إكرامه ويقرّب مجلسه ويصغي إليه ويسمع قوله دون الحاضرين، فتجاوبنا الحديث والمذاكرة حتّى أمسينا وأردنا الانصراف فعرّفنا بعض أصحاب الوزير أنّ الغيث ينزل وأنّه يمنع من يريد الخروج؛ فأشار الوزير بمبيتنا عنده فأجبنا فتحادثنا فأفضى الحديث حتّى تحادثنا في الأديان والمذاهب ورجعنا إلى دين الإسلام وتفرق المذاهب فيه؛ فقال الوزير أقلّ طائفة مذهب الشيعة وما يمكن أن يكون أكثر منهم في خطّتنا هذه وهم الأقلّ من أهلها، وأخذ يذمّ أحوالهم ويحمد الله على قلّتهم في أقاصي الأرض، فالتفت الشخص الذي كان الوزير ملتفتاً إليه مقبلاً عليه ومصغياً إليه، فقال أدام الله أيّامك أُحدّث بما عندي في ما تفاوضتم فيه أو أُعزب عنه؟ فصمت الوزير ثمّ قال قل ما عندك.

فقال خرجت مع والدي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة من مدينتنا وهي المعروفة بالناهية[1] ولها الرستاق الذي تعرفه التجّار وعدّة ضياعها ألف ومائتا ضيعة، في كلّ ضيعة من الخلق ما لا يحصي عددهم إلّا الله تعالى وهم قوم نصارى وجميع الجزائر التي كانت حولهم على دينهم ومسير بلادهم عشرين يوماً؛ وكلّ من في البرّ من الأعراب وغيرهم نصارى وتتّصل بالحبشة والنوبة وكلّهم نصارى؛ وتتّصل بالبربر وهم على دينهم فإنّ حدّ هذا كان يملأ كلّ من في الأرض ولم يضف إليهم الإفرنج والروم وغير خفي عنكم ما بالشام والعراق واتّفق أنّنا سرنا في البحر وأوغلنا وتعدّينا

---

(١) الناهية بالنون كذا فيما وقفنا عليه من نسخ الكتاب المطبوعة والمخطوطة وليس لها بهذا الاسم ذكر في معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى (٦٢٦هـ) وذكرها العلامة المحدث النوري رحمه الله في جنة المأوى ص ٢٥٥ وفي كتابه (النجم الثاقب) ص ١٦٠ (الباهية) بالباء الموحدة وليس لها أيضاً ذكر في معجم البلدان مع كون ياقوت قريب العصر مع الوزير ابن هبيرة المتوفى (٥٦٠هـ) الذي وقع ذكر (الناهية) أو (الباهية) في مجلسه.

الجهات التي كنّا نصل إليها ورغبنا في المكاسب ولم نزل على ذلك حتّى وصلنا على جزائر عظيمة كثيرة الأشجار مليحة الجدر، فيها المدن الممدودة والرساتيق، فأول مدينة وصلنا إليها وأرسى المركب بها وقد سألنا النّاخذا أيّ شيء هذه الجزيرة؟ فقال والله إنّ هذه جزيرة لم أصل إليها ولم أعرفها وأنا وأنتم في معرفتها سواء؛ فلمّا أرسينا بها وصعد التجّار إلى مشرعة تلك الجزيرة وسألنا ما اسمها؟ فقيل هي المباركة. فسألنا عن سلطانهم وما اسمه؟ فقالوا اسمه الطاهر، فقلنا: وأين سرير ملكه؟ فقيل بالزاهرة وإنّ بينكم وبينها مسيرة عشر ليال في البحر وخمسة وعشرين ليلة في البرّ، وهم قوم مسلمون، فقلنا من يقبض زكاة ما في المركب لنشرع في البيع والابتياع قالوا تحضرون عند نائب السلطان فقلنا وأين أعوانه؟ فقالوا الأعوان له في داره، وكلّ من عليه حقّ يحضر عنده فيسلّم إليه فتعجّبنا من ذلك فقلنا ألا تدلّونا عليه؟ قالوا بلى وجاء معنا من أدخلنا داره فرأينا رجلاً صالحاً عليه عباءة وتحته عباءة وهو مفترشها، وبين يديه دواة يكتب فيها من كتاب ينظر إليه فسلّمنا عليه فردّ علينا السلام وحيّانا؛ فقال من أين أقبلتم؟ فقلنا من كذا وكذا فقال كلّكم مسلمون؟ فقلنا لا بل فينا المسلم واليهودي والنصراني؛ فقال يزن اليهودي جزيته والنصراني جزيته ويناظر المسلم عن مذهبه، فوزن والدي عن خمسة نفر نصارى عنه وعنّي وعن ثلاثة نفر كانوا معه، ثمَّ وزن تسعة نفر كانوا يهوداً؛ وقال للمسلمين هاتوا مذاهبكم، فشرعوا معه في مذاهبهم، فقال لستم مسلمين وإنّما أنتم خوارج وأموالكم تحلّ للمسلم المؤمن وليس بمسلم من لم يؤمن بالله ورسوله وبالوصيّ والأوصياء من ذرّيّته حتّى مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، وضاقت بهم الأرض ولم يبق إلّا أخذ أموالهم.

ثمَّ قال لنا يا أهل الكتاب لا معارضة لكم فيما معكم حيث أخذت منكم الجزية فلمّا عرف أولئك أن أموالهم معرضة للنهب سألوا أن يحملهم إلى سلطانه فأجاب سؤالهم وتلا:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]؛ فقلنا للزبان وهو الدليل وقلنا للنواخذة(١) هؤلاء قوم عاشرناهم وصاروا رفقة وما نحبّ أن نتخلّف عنهم إنّما نحبّ أن نكون معهم حتّى نعلم ما يستقرّ حالهم، فقال الزبان والله ما أعلم هذا البحر أين المسير فيه، فاستأجر زباناً ورجالاً وقلعنا القلع وسرنا ثلاثة عشر يوماً بلياليها حتّى

(١) جمع ناخذا معرب ناخدا.

كان قبل طلوع الشمس قال الزبان هذه والله أعلام الزاهرة ومنارها وجدرها قد بانت، فسرنا حتّى تضاحى النهار فقدمنا إلى مدينة لم تر العيون أحسن منها ولا أخفّ على القلب ولا أرقّ من نسيمها ولا أطيب من هوائها ولا أعذب من مائها وهي راكبة البحر على جبل من صخر أبيض كأنّه لون الفضّة، وعليها سور إلى ما يلي البحر والبرّ والأنهار منخرقة في وسطها يشرب منها أهل الدور والأسواق وتأخذ منها الحمّامات، وفواضل الأنهار ترمى على البحر ومدى الأنهار فرسخ ونصف أو دونه وتحت ذلك الجبل بساتين المدينة وأشجارها ومزارعها عند العيون؛ وثمار تلك الأشجار لا يرى أطيب منها ولا أعذب ويرعى الذئب والنعجة عياناً، ولو قصد قاصد إلى تخلية دابّته في زرع غيره لما رعته ولا قطعت منه قطعة، ولقد شاهدت السباع والهوامّ رابضة في جنب تلك المدينة، وبنو آدم يمرّون عليها فلا تؤذيهم، فلمّا قدمنا المدينة صعدنا فرأينا مدينة عظيمة كثيرة الخلق وسيعة الربعة فيها الأسواق الكثيرة والمعاش العظيم ويرد إليها الخلق من البرّ والبحر وأهلها على أحسن الوجوه قاعدون لا يكون على وجه الأرض من الأمم والأديان مثلهم وأمانتهم حتّى أنّ المتعيّش بسوق المدينة يرد إليه من يبتاع منه حاجته إمّا بالوزن أو بالذراع فيبايعه عليها ثمّ يقول يا هذا زن لنفسك واذرع لنفسك فهذه صورة مبايعتهم لا يسمع منهم لغو المقال ولا النميمة ولا يسبّ بعضهم بعضاً، وإذا نادى المؤذّن للأذان لا يتخلّف منهم متخلّف ذكراً كان أو أنثى إلّا سعى إلى الصلاة، حتّى إذا قضيت الصلاة للوقت المفروض رجع كلّ منهم إلى بيته حتّى يكون وقت صلاة أُخرى فيكون الحال كما كانت.

فلمّا دخلنا المدينة وأرسينا بمشرعنا أمر بحضورنا عند السلطان فحضرنا داره ودخلنا إلى بستان في وسطه قبّة من فضّة والسلطان في تلك القبّة وعنده جماعة، وفي باب القبّة ساقية تجري، فوافينا القبّة وقد أقام المؤذّن الصلاة، فلم يكن أسرع من امتلاء البستان بالناس وأُقيمت الصلاة وصلّى بهم جماعة، فلا والله لم تنظر عيني أخضع لله منه ولا ألين جانباً لرعيّته فصلّى من صلّى مأموماً؛ فلمّا قضيت الصلاة التفت وقال هؤلاء القادمون؟ قلنا نعم وكانت تحيّة الناس له ومخاطبتهم: يابن صاحب الأمر؛ فقال على خير مقدم فقال أنتم تجّار أم ضيفان؟ فقلنا تجّار فقال من فيكم المسلم ومن فيكم أهل الكتاب فعرَّفناه ذلك، فقال إنّ للإسلام فرقاً وشعباً فمن أيّ قبيل أنتم؟ وكان معنا شخص يعرف بالمعزى اسمه آذربهان بن أحمد الأهوازي يزعم أنّه على مذهب الشافعي؛ فقال أنا رجل شافعيّ قال فمن على مذهبك من

الجماعة، قال كلّنا إلّا هذا حسان بن عنب فإنّه رجل مالكيّ فقال أنت تقول بالإجماع؟ قال نعم قال إذاً تعمل بالقياس؛ ثمَّ قال بالله يا شافعيّ تلوت ما أنزل يوم المباهلة، قال نعم قال ما هو، قال قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] فقال بالله عليك من أبناء الرسول ومن نساؤه ومن نفسه؟ فأمسك آذربهان، فقال بالله هل بلغك أو أتاك أنّ غير الرسول والوصيّ والبتول والسبطين دخل تحت الكساء؟ قال لا فقال والله لم تنزل هذه الآية إلّا فيهم ولا خصّ بها سواهم، ثمَّ قال بالله عليك هل تلوت قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال نعم قال بالله عليك من عنى بذلك؟ فأمسك فقال والله ما عنى بها إلّا أهلها، ثمَّ بسط لسانه وتحدّث بحديث أمضى من السهام وأقطع من الحسام، فقطع الشافعي ووافقه عند ذلك فقال عفواً عفواً يابن صاحب الأمر انسب لي نسبك.

فقال أنا طاهر بن محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام الذي أنزل الله فيه ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] وهو والله الإمام المبين؛ ونحن الذين أنزل الله في حقّنا ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤]، يا شافعي نحن ذرّية الرسول نحن أُولو الأمر، فخرَّ الشافعي مغشيّاً عليه لما سمع منه ثمّ أفاق وآمن به، وقال الحمد لله الذي منحني الإسلام والإيمان ونقلني من التقليد إلى اليقين، ثمَّ أمر لنا بإقامة الضيافة فبقينا على ذلك ثمانية أيّام ولم يبق في المدينة أحد إلّا جاء إلينا وحادثنا؛ فلمّا انقضت الأيّام الثمانية سأله أهل المدينة أن يقوموا لنا بالضيافة؛ ففتح لهم في ذلك فكثرت الأطعمة والفواكه وعملت لنا الولائم وبقينا في تلك المدينة سنة كاملة، فعلمنا وتحقّقنا أنّ تلك المدينة مسيرة شهرين، وبعدها مدينة اسمها الرائقة سلطانها القاسم ابن صاحب الأمر مسيرة ملكها شهرين وهي على تلك القاعدة ولها دخل عظيم؛ وبعدها مدينة اسمها الصافية سلطانها إبراهيم ابن صاحب الأمر وبعدها مدينة أُخرى اسمها ظلوم سلطانها عبد الرحمٰن بن صاحب الأمر مسيرة رستاقها وضياعها شهران، وبعدها مدينة أُخرى اسمها عناطيس سلطانها هاشم ابن صاحب الأمر وهي أعظم دخلاً ومسير ملكها أربعة أشهر، فيكون مسيرة هذه المدن الخمس والمملكة مقدار سنة لا يوجد في أهل تلك الخطط والضياع غير المؤمن الشيعي الموحّد القائل بالبراءة والولاية الذي يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر سلاطينهم أولاد إمامهم يحكمون بالعدل وبه يأمرون، وليس على وجه الأرض مثلهم؛ ولو جمع أهل الدنيا لكانوا أكثر عدداً منهم على اختلاف الأديان والمذاهب، ولقد أقمنا عندهم سنة كاملة نترقّب ورود صاحب الأمر إليهم لأنّهم زعموا أنّها سنة وروده؛ فلم يوفّقنا الله للنظر إليه.

وأمّا آذربهان وحسان فإنّهما أقاما بالزاهرة يرقبان رؤيته، وقد كنّا لما استكثرنا هذه المدن وأهلها ودخلها سألنا عنها، فقيل إنّها عمارة صاحب الأمر واستخراجه، فلمّا سمع عون الدين نهض ودخل حجرة لطيفة وقد تقضّى الليل فأمر بإحضارنا واحداً واحداً وقال إيّاكم إعادة ما سمعتم وأجراءه على ألفاظكم وتأكّد علينا فخرجنا من عنده ولم يعد أحد منّا ممّا سمعه حرفاً واحداً حتّى هلك، وكنّا إذا حضرنا موضعاً واجتمع أحدنا بصاحبه قال أتذكر شهر رمضان؟ فنقول ستر الحلال شرط فهذا ما سمعته ورويته(١) والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) ناقل هذه الحكاية لم يعرف شخصه ولم يعلم اسمه فهو عندنا مجهول الحال فلا يمكن الاعتماد على خبره والركون إليه والعجب من هؤلاء الأخباريين كيف يعتمدون على تلك القصص والحكايات الغريبة وينقلونها في كتبهم من غير لفت نظر إلى أغلاطها ويشوهون بها وجه الحقيقة في كتب الشيعة كما أن أهل السنة شوهوا كتبهم بأخبار كعب الأحبار وأبي هريرة وأمثالهما ومن أقاصيص الوضاعين والدساسين بحيث لا تعد ولا تحصى ولو رمنا حصرها لأعيى القلم وأعقب السأم.

والظاهر أن هذه الحكاية التي نقلها المصنف رحمه الله هي غير قصة الجزيرة الخضراء التي هي من قصص الكتب الضعيفة ولشيخنا الإمام المحقق الأكبر الطهراني دام ظله تحقيقات رشيقة وبحوث قيمة في قصة جزيرة صاحب الزمان عليه السلام التي نقلها المصنف رحمه الله جدير ذكرها ونقلها برمتها لينكشف الحقائق الراهنة ويتبين المغزى في هذه المسألة ولكن قبل ذلك ينبغي نقل كلمات نيرة لشيخ فقهاء الإمامية ورئيس الإسلام الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره ذكرها في كتابه الحق المبين ص ٨٧ قال ما هذا لفظه الشريف: ومنها (أي ومن الأقوال المنكرة العجيبة الصادرة عن الأخباريين) اعتمادهم على كل رواية حتى أن بعض فضلائهم رأى في بعض الكتب المهجورة الموضوعة لذكر ما يرويه القصاص من أن جزيرة في البحر تدعى الجزيرة الخضراء فيها دور لصاحب الزمان عليه السلام فيها عياله وأولاده فذهب في طلبها حتى وصل إلى مصر فبلغه أنها جزيرة فيها طوائف من النصارى وكأنه لم ير الأخبار الدالة على عدم وقوع الرؤية من أحد بعد الغيبة الكبرى ولا تتبع كلمات العلماء الدالة على ذلك.

والعلامة المجلسي رحمه الله وإن أفرد لقصة الجزيرة الخضراء باباً في المجلد الثالث عشر من البحار ولكنه صرح بعدم وجدانها في الأصول المعتبرة وقال: (وإنما أفردت لها باباً لأني لم أظفر بها في الأصول المعتبرة) ونقل هذه القصة المحدث النوري رحمه الله في كتابه النجم =

أقول: قد وقع في بعض توقيعاته عليه السلام إلى شخينا المفيد رحمه الله إنّنا في اليمن

= الثاقب بالفارسية على حسب سليقته في تأليفاته حيث أن الغالب على تصانيفه كونها مؤلفة على نزعة أهل الحديث والقصة منقولة في كتاب حديقة الشيعة المنسوب لمولانا المحقق الأردبيلي رحمه الله ولكن هذه النسبة إليه غير متحققة وهو من الكتب الضعيفة التي لا يعتمد عليها ولا يكون مصدراً للنقل انظر إلى الذريعة ج ٦ ص ٣٨٦.

وشيخنا المحقق الطهراني دام ظله في الذريعة ج ٥ ص ١٠٦ بعدما أشار في المتن إلى قصة الجزيرة الخضراء قال في الهامش ما هذا لفظه:

الذي يظهر من مجموع هذه الحكاية الطويلة أن الجزيرة الخضراء هي غير جزيرة صاحب الزمان كما يصرح به في آخر الحكاية وقد حكى خصوصيات تلك الجزيرة من ادعى أنه رآها بعينه وهو الرجل الجليل الذي لم يعلم اسمه ولم يعرف شخصه قبل مجلس نقله وكان ضيف الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الذي مات في (٥٦٠) ومكرماً عنده وكانت ضيافة الوزير له مع جمع آخرين في إحدى ليالي شهر الصيام قبل وفاة الوزير بسنين وكان الوزير يكثر إكرامه في تلك الليلة ويقرب مجلسه ويصغي إليه ويسمع قوله دون سائر الحاضرين فحكى الرجل كيفية وصوله إلى الجزيرة مع أبيه وجمع آخرين من تجار النصارى والمسلمين مفصلاً فسمعه منه الجماعة ولما تم كلامه خرج الوزير إلى خلوة وطلب واحداً واحداً من الجماعة وأخذ منهم العهد والميثاق بعدم نقل الحكاية لأحد ما دام حياً فكان إذا اجتمع أحد الجماعة مع صاحبه يشير إليه بليلة شهر رمضان ولم يعد أحد منهم حرفاً من الحكاية حتى هلك الوزير وقد حكى هذه الخصوصيات أحد حضار المجلس السامعين للحكاية والمتعهدين بعدم نقلها في حياة الوزير وهو الشيخ العالم كمال الدين أحمد بن محمد بن يحيى الأنباري حكاها في داره بمدينة السلام بغداد للشيخ العالم أبي القاسم بن أبي عمرو عثمان بن عبد الباقي بن أحمد الدمشقي وهذا الشيخ أبو القاسم رواه للشيخ المقرئ خطير الدين حمزة بن المسيب بن الحارث ورواه خطير الدين في داره في الظفرية بمدينة السلام أيضاً للعالم الحافظ حجة الإسلام سعيد بن أحمد بن الرحني.

وقد وجدت هذه الحكاية بهذا الإسناد يعني برواية سعيد بن أحمد عن خطير الدين عن الشيخ أبي القاسم عن كمال الدين الأنباري أنه قال كنت في مجلس الوزير يحيى بن هبيرة إلى آخر القصة وقد كانت الحكاية بأسنادها المذكورة مكتوبة في آخر نسخة من كتاب (التعازي) تأليف الشريف الزاهد محمد بن علي العلوي الشجري الذي يروي في أول أحاديث كتابه التعازي عن أبي الحسن علي بن العباس بن الوليد البجلي المعاني والمعاني هذا هو من مشايخ أبي الفرج الأصفهاني الذي توفي (٣٥٦) ومن مشايخ أبي المفضل الشيباني الذي توفي (٣٨٥) فظهر أن عصر مؤلف التعازي المعاصر لأبي الفرج وأبي المفضل مقدم على عصر الوزير ابن هبيرة بما يقرب من مائتي سنة فليست هذه الحكاية جزءاً من كتاب التعازي كما يفصح عن جزئيتها له قول شيخنا في خاتمة المستدرك (ص ٣٧٠) فإنه قال أن الخبر الذي يذكر فيه بلاد أولاد =

بواد يقال له شمروخ وشميريخ (شمرخ) ولعلّ هذا هو اسم المكان الذي يختصّ به عليه السلام.

= الحجة عليه السلام من خواص هذا الكتاب إلا أن يكون مراده أنه من مختصات هذه النسخة التي وجدها وهو خلاف الظاهر إلى أن يقول دام ظله وكذلك اشتبه مؤلف الأربعين فنسب في أربعينه هذا الخبر إلى محمد بن علي العلوي الحسيني (يعني به الشريف الزاهد العلوي الشجري مؤلف التعازي) وكان منشأ النسبة أنه رأى هذه النسخة من التعازي المكتوب في آخرها هذه الحكاية فحسب أنها جزءاً من الكتاب ولهذا المنشأ ذكر أيضاً المولى الفاضل الملقب بالرضا علي بن فتح الله الكاشاني ما نقله عنه المحدث الجزائري في الأنوار النعمانية (في النور ـ ٤٤ ص ١٤٨) في بلاده عليه السلام من طبع (تبريز ـ ١٣٠١) فقال الجزائري أنه ذكر الفاضل المذكور أنه روي الشريف الزاهد وساق الحكاية إلى آخرها فإن الظاهر أن الفاضل رآها مكتوبة في آخر النسخة فنسبها إلى الشريف الزاهد غفلة عن عدم ملاءمة الطبقة.
وبالجملة هذه الحكاية المكتوبة في آخر كتاب التعازي المشتملة على السند المذكور قد نقلها شيخنا العلامة النوري في جنة المأوى وهي الحكاية الثالثة منه وقد وقع في سندها أغلاط في تواريخ رواياته لأن المقتفي لأمر الله استوزر الوزير ابن هبيرة في (٥٤٤) فثبت في وزارته إلى موته وبعده استوزره المستنجد إلى أن توفي الوزير في (٥٦٠) وحدث كمال الدين الأنباري بهذه الحكاية بعد وفاة الوزير خوفاً من توعده كما صرح به في آخر الحكاية فيكون تواريخ رواياته بعد وفاة الوزير لا محالة مع أن الموجود من تواريخ الروايات كلها في حياة الوزير قال شيخنا في جنة المأوى بعد ذكر الحكاية أنه ذكرها بهذا الإسناد السيد علي بن عبد الحميد النيلي في كتابه «السلطان المفرج عن أهل الإيمان» ولم أظفر بنسخته فلعل التواريخ فيها صحيحة وكذلك ذكر أن البياضي أورد مختصر الحكاية في كتابه «الصراط المستقيم» فليرجع إليهما وبالجملة لم تصل هذه الحكاية إلينا إلا بالوجادة ولم نعرف من أحوال الحاكي لها إلا أنه كان رجلاً محترماً في ذلك المجلس وقد اشتمل سندها على عدة تواريخ تناقض ما في متنها واشتمل متنها على أمور عجيبة قابلة للإنكار وما هذا شأنه لا يمكن أن يكون داعي العلماء من إدراجه في كتبهم المعتمدة بيان لزوم الاعتماد عليها أو الحكم بصحتها مثلاً أو جعل الاعتقاد بصدقها واجباً حاشاهم عن ذلك بل إنما غرضهم من نقل هذه الحكايات مجرد الاستئناس بذكر الحبيب وذكر دياره والاستماع لآثاره مع ما فيها من رفع الاستبعاد عن حياته في دار الدنيا وبقائه متنعماً فيها في أحسن عيش وأفره حال بل مع السلطنة والملك له ولأولاده واستقرارهم في ممالك واسعة هيأها الله لهم لا يصل إليها من لم يرد الله وصوله وقد احتفظ العلماء بتلك الحكايات في قبال المستهزئين بالدين بقولهم: (لم لا يخرج جليس السرداب بعد ألف سنة وكيف تمتعه بالدنيا وما أكله وشربه ولبسه وغيرها من لوازم حياته) وهم بذلك القول يبرهنون على ضعف عقولهم فمن كان عاقلاً مؤمناً بالله ورسوله وكتابه يكفيه في إثبات قدرة الله تعالى على تهيئة جميع أسباب المعيشة في حياة الدنيا له عليه السلام إلخ وهو تحقيق أنيق وكم من =

نور في علامات ظهوره عليه السلام

اعلم أنّ من جملتها خروج الدجّال؛ فلا بأس بنقل بعض أحواله وعلامات خروجه لأنّها علامات أيضاً لظهور المهديّ عليه السلام؛ روي الصدوق قدّس الله روحه بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال إنّه صلى الله عليه وآله صلّى ذات يوم بأصحابه الفجر، ثمَّ قام بأصحابه حتّى أتى باب دار بالمدينة فطرق الباب، فخرجت إليه امرأة فقالت ما تريد يا أبا القاسم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أمّ عبد الله استأذني لي على عبد الله، فقالت يا أبا القاسم وما تصنع بعبد الله؟ فوالله إنّه لمجهود في عقله يحدث في ثوبه، وإنّه ليراودني على الأمر العظيم فقال استأذني عليه فقالت أفلي ذمّتك؟ قال نعم، قالت

= تحقيقات جليلة لأستاذنا العلامة أدام الله أيامه عم نفعها العالم الإسلامي وقوله وما هذا شأنه لا يمكن أن يكون داعي العلماء إلخ هكذا الأمر في قصة الجزيرة الخضراء على تقدير أن جزيرة صاحب الزمان غيرها ومما هو جدير بالذكر أن ضبط هذه القصص في الكتب لجهة رفع الاستبعاد عن حياته عليه السلام في دار الدنيا وتعيين الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض مع اطلاع البشر اليوم بنقاط الأرض من البر والبحر يوجب الالتزام بأن تلك الجزائر غائبة عن الأبصار ومستورة عن الأنظار ولا يمكن الوصول إليها من الأغيار وهذا الادعاء يحتاج إلى دليل يدل عليه ولا يثبت بمجرد الادعاء فأي داعٍ لنا بهذه الأقاويل ونقل هذه الحكايات والقصص الغريبة وضبطها في الكتب حتى نحتاج للالتزام بهذه المطالب وإثباتها والمحدث النوري رحمه الله وإن التزم بها وادعى بأن تلك البلاد مستورة عن الأبصار وأورد الشواهد وذكر الأدلة العامة والمقربات على ادعائه انظر إلى كتابه (نجم ثاقب) ص ١١٧ ـ وص ٢١٨ ولكن مع ذلك كله غير خفي على القارىء العزيز أن ما ادعاه إنما هو في حيز الإمكان وفي مقام الثبوت وأما في مقام الإثبات وأن هذه البلاد والجزائر مستورة عن الأنظار كسائر ما هو مستور عنها يحتاج إلى دليل.

وأما حياة مولانا الإمام المهدي المنتظر أرواحنا فداه وإثباتها فلا احتياج لنا في إثباتها إلى هذه الحكايات والقصص وسردها في الكتب مع أن الله تعالى على كل شيء قدير ودلالة الآيات القرآنية والأخبار المتواترة بطرق السنة والشيعة وضرورة مذهب الإمامية كافية في إثباتها مع إثبات العلم اليوم إمكان الخلود للإنسان في الدنيا آلافاً من السنين.

وكذا لا احتياج إلى القول بأنه عليه السلام يعيش في الإقليم الثامن أو في جابلقا أو جابلسا أو أنه يعيش ببدنه المثالي البرزخي وأمثال هذه الأقاويل المنكرة المزخرفة المخالفة لضرورة مذهب الإمامية فإنها من الدعاوى التي لا دليل عليها أصلاً اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه وقرب زمانه وكثر أنصاره وأعوانه وأنجز لنا ما وعدتنا وأنت أصدق القائلين ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

ادخل؟ فدخل فإذا هو في قطيفة له يهينم فيها فقالت أمّه اسكت واجلس هذا محمّد قد أتاك، فسكت وجلس فقال النبيّ ﷺ ما لها لعنها الله لو تركتني لأخبرتكم أهو هو، ثمَّ قال النبيّ ﷺ ما ترى؟ قال أرى حقّاً وباطلاً وأرى عرشاً على الماء، فقال اشهد أن لا إلٰه إلا الله وأني (محمّد خ) رسول الله فقال بل تشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأني رسول الله؛ فما جعلك الله بذلك أحقّ منّي فلمّا كان في اليوم الثاني صلّى عليه السلام بأصحابه الفجر ثمَّ نهض ونهض القوم معه حتّى طرق الباب، فقالت أمّه ادخل؛ فدخل فإذا هو في نخلة يغرّد فيها، فقالت له أمّه اسكت وانزل هذا محمّد قد أتاك، فسكت فقال النبيّ ﷺ ما لها لعنها الله لو تركتني لأخبرتكم أهو هو، فلمّا كان في اليوم الثالث صلّى عليه السلام بأصحابه الفجر ثمَّ نهض ونهض القوم معه حتّى أتى ذلك المكان فإذا هو في غنم له ينعق بها، فقالت له أمّه اسكت واجلس هذا محمّد قد أتاك، فسكت وقد كانت نزلت في ذلك اليوم آيات من سورة الدخان فقرأها عليهم النبيّ ﷺ في صلاة الغداة؛ ثمَّ قال أتشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأنيّ رسول الله، فقال بل تشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأني رسول الله؛ وما جعلك بذلك أحقّ منّي! فقال النبيّ ﷺ إنّي قد خبأت لك خبئاً فما هو؟ فقال الدخ الدخ؛ فقال النبيّ ﷺ اخسأ إنّك لن تعدو أجلك ولن تبلغ أملك ولن تنال إلّا ما قدّر لك[1].

ثمَّ قال لأصحابه أيّها الناس ما بعث الله نبيّاً إلّا أنذر قومه الدجّال، وإنّ الله عزَّ وجلّ أخّره إلى يومكم هذا فما تشابه عليكم من أمره فإنّ ربّكم ليس بأعور إنّه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل، يخرج ومعه جنّة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب يدخل آفاق الأرض كلّها إلّا مكّة ولا بتيها والمدينة ولا بتيها.

قال المؤلّف عفى الله عنه قوله ﷺ: لو تركتني لأخبرتكم (اه) يجوز أن يكون إشارة إلى قول أمّ الدجّال أفلي ذمّتك؛ فيكون معناه أفلي عهد منك بأن لا تخبر أحداً

---

(١) يقول اليزدي الحائري مؤلف كتاب إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب عليه السلام تعليقاً على الخبر: الهينمة: صوت خفيّ. أهو هو أي أما تقولون ألوهية إله أم لا. أرى عرشاً على الماء: أي عرش إبليس على البحر. قد خبأت لك خبئاً أي أضمرت لك شيئاً فأخبرني. الدخ: بالضم والفتح: الدخان، أراد بذلك ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]. إلزم الناصب ج ١ ص ٢٤٢ ط الأعلمي.

بحقيقة هذا الولد ومنتهى عاقبة أمره وما يصدر منه بأن تكون عالمة بمجمل أحوال ابنها فلمّا أعطاها صلى الله عليه وآله ذلك العهد والذمام أوّلاً منعه من بيان أحواله لأصحابه عليه السلام كما ينبغي، وقول الدجّال لعنه الله تعالى أرى عرشاً على الماء؛ يجوز أن يراد به السماء فيكون معنى حقّاً، ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله تعالى: وكان عرشه على الماء فأسنده إلى نفسه لما سيأتي في أحواله من ادّعاء الإلهيّة، وأمّا قوله الدخ الدخ بالدال المهملة والخاء المعجمة فقال في النهاية داخ يدوخ إذا ذلّ؛ فالدخ هو الذلّ وحينئذ فيجوز أن يكون معناه أنّه صلى الله عليه وآله قال قد خبأت لك شيئاً فما هو؟ فقال الدجّال هو الذلّ يعني تكون أمّتك تصير ذليلة لي وتتّبع أمري؛ فقال صلى الله عليه وآله له اخسأ لا يطيعك إلّا من هو مثلك في الشقاوة.

وروى الصدوق طاب ثراه عن ابن سبرة قال خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: سلوني أيّها الناس قبل أن تفقدوني ثلاثاً؛ فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجّال؟ فقال عليه السلام له: اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت؛ والله ما المسؤول منه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وهنات يتبع بعضها بعضاً كحذو النعل بالنعل فإن شئت أنبأتك بها؛ قال نعم يا أمير المؤمنين فقال: إحفظ فإنّ علامة ذلك إذا أمات الناس الصلاة وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا وشيّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا واستعملوا السفهاء وشاوروا النساء وقطعوا الأرحام، واتّبعوا الأهواء واستخفّوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً والظلم فخراً؛ وكانت الأمراء فجرة والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة والقرّاء فسقة وظهرت شهادة الزور واستعلن الفجور، وقول البهتان والإثم والطغيان، وحلّيت المصاحف وزخرفت المساجد وطوّلت المنارات وأُكرم الأشرار، وازدحمت الصفوف واختلفت القلوب، ونقضت العهود واقترب الموعود وشارك النساء أزواجهنّ في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفسّاق واستمع منهم؛ وكان زعيم القوم أرذلهم واتُّقي الفاجر مخافة شرّه وصدِّق الكاذب وائتُمن الخائن؛ واتّخذت القينات والمعازف؛ ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها، وركب ذوات الفروج السروج وتشبّه النساء بالرجال والرجال بالنساء؛ وشهد الشاهد من غير أن يستشهد، وشهد الآخر قضاءً لحقّ الذمام بغير حقّ عرفه، وتفقّه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على عمل الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف وأمرّ من الصبر، فعند ذلك الوحا الوحا ثمّ العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدّس ليأتينّ على الناس زمان يتمنّى أحدهم أنّه من سكّانه.

فقام إليه الأصبغ بن نباتة فقال يا أمير المؤمنين من الدجّال؟ فقال ألا إنّ الدجّال صائد بن الصيد فالشقيّ من صدّقه والسعيد من كذّبه، يخرج من بلدة يقال لها إصبهان من قرية تعرف باليهوديّة، عينه اليمنى ممسوحة والعين الأُخرى في جبهته تضيء كأنّها كوكب الصبح، فيها علقة كأنّها ممزوجة بالدم، بين عينيه مكتوب كافر يقرأه كلّ كاتب وأُمّي؛ يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان وخلفه جبل أبيض يري الناس أنّه طعام؛ يخرج حين يخرج في قحط شديد تحته حمار أقمر خطوة حماره ميل، تطوى له الأرض منهلاً منهلاً لا يمرّ بماء إلّا غار إلى يوم القيامة، ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجنّ والإنس والشياطين؛ يقول إليّ أوليائي أنا الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى أنا ربّكم الأعلى، وكذب عدوّ الله إنّه أعور يطعم الطعام ويمشي في الأسواق، وإنّ ربّكم جلّ وعزّ ليس بأعور ولا يطعم، ولا يمشي ولا يزول، ألا وإنّ أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزنا وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله عزّ وجلّ بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة على يدي من يصلّي المسيح عيسى ابن مريم خلفه، ألا إنّ بعد ذلك الطامّة الكبرى، قلنا وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال خروج دابّة الأرض من عند الصفا معها خاتم سليمان وعصى موسى، يضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقّاً، ويضعه على وجه كلّ كافر فيكتب فيه كافر حقّاً، حتّى إنّ المؤمن لينادي الويل لك يا كافر وإنّ الكافر ينادي طوبى لك يا مؤمن وددت أنّي اليوم مثلك فأفوز فوزاً عظيماً، ثمّ ترفع الدابّة رأسها فيراها مَن بين الخافقين بإذن الله عزّ وجلّ ، وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

فإن قلت قد روي الصدوق طاب ثراه هذا المضمون بأسانيد متعدّدة من أنّه في زمن المهدي عليه السلام لا تقبل توبة من لم يتب قبل ظهوره وهذا بظاهره ينافي ما روي في الأخبار المستفيضة من أنّه عليه السلام إذا ظهر ضرب الناس بسيفه وبسوطه حتّى يدخلوا في دينه طائعين أو كارهين؛ فيجيء تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]؛ فإنّ ظهور دينه على جميع الأديان إنّما يكون في زمان المهدي عليه السلام على ما نطقت به الأخبار، قلت قد كنت كثيراً أفكّر في تلك الأخبار وأطلب وجه الجمع بينها حتّى وفّق الله تعالى للوقوف على حديث يجمع بين هذه الأخبار وحاصله أنّ المهدي عليه السلام إذا خرج أحيا الله سبحانه له جماعة ممّن محض الكفر محضاً كما

سيأتي بيانه؛ فهؤلاء الأحياء الذين تقدّم موتهم ورأوا العذاب عياناً وعذّبوا به واضطرّوا إلى الإيمان لا يقبل المهدي عليه السلام منهم توبة، لأنّ توبتهم في هذا الحال مثل توبة فرعون لمّا أدركه الغرق، فقال عزّ وجلّ في جوابه: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]، فلم يقبل له توبة، ومثل توبة من بلغت روحه إلى حلقه وتغرغرت في صدره ورأى مكانه من النار وعاينه فإنّه إذا تاب لا يقبل له توبة أيضاً، فالمراد بالنفس التي لا ينفعها إيمانها هذه النفس؛ وأمّا الأحياء الذين يكونون في زمان ظهوره عليه السلام ولم يسبق عليهم الموت فلا يقبل عليه السلام منهم إلّا القتل أو الإيمان.

وقال الصادق عليه السلام: خمس قبل قيام القائم: اليماني والسفياني والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء وقتل النفس الزكيّة. وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتّى يخرج المهدي من ولدي، ولا يخرج المهدي حتّى يخرج ستّون كذّاباً كلّهم يقول أنا نبيّ. وقال الصادق عليه السلام لا يخرج القائم حتى يخرج قبله إثنا عشر من بني هاشم كلّهم يدعو إلى نفسه. وعن محمّد بن مسلم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ قدّام القائم علامات تكون من الله تعالى للمؤمنين، قلت فما هي جعلني الله فداك؟ قال قول الله عزّ وجلّ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ يعني المؤمنين قبل خروج القائم ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، قال لنبلونّكم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء الأسعار، ونقص من الأموال بكساد التجارات وقلّة الفضل فيها، ونقص الأنفس بالموت الذريع ونقص من الثمرات قلة ريع ما يزرع وقلّة بركات الثمرات، وبشّر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم عليه السلام ثمّ قال لي يا محمّد هذا تأويله وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم.

وقال الصادق عليه السلام: ليس بين قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكيّة إلّا خمس عشرة ليلة. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: بين يدي القائم موت أحمر وموت أبيض وجراد في حينه وجراد في غير حينه كألوان الدم؛ فأمّا الموت الأحمر فالسيف، وأمّا الموت الأبيض فالطاعون. وعن الباقر عليه السلام: إنّ من علاماته خسف قرية من قرى الشام تسمّى الجابية، ونزول الترك الجزيرة ونزول الروم الرملة، واختلاف كثير عند ذلك في كلّ أرض حتّى تخرب الشام ويكون سبب خرابها اجتماع ثلاث رايات فيها: راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفياني. وعن البجلي قال سألت أبا عبد

الله عليه السلام عن اسم السفياني قال وما تصنع باسمه إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنّسرين فتوقّع الفرج؛ قلت يملك تسعة أشهر، قال لا ولكن يملك ثمانية أشهر لا تزيد يوماً. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة، بوجهه أثر جدريّ إذا رأيته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان حتّى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها.

وعن الباقر عليه السلام في قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، قال: سيفعل الله ذلك بهم، قال فقلت من هم؟ قال: بنو أميّة وشيعتهم قلت وما الآية قال ركود الشمس ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر؛ وخروج صدر رجل ووجهه في عين الشمس يعرف بحسبه ونسبه؛ وذلك في زمان السفياني وعندها يكون بواره وبوار قومه؛ وعن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: إذا رأيتم ناراً من المشرق كهيئة المرد العظيم تطلع ثلاثة أيّام أو سبعة؛ الشكّ من العلاء(١) فتوقّعوا فرج آل محمّد إنّ الله عزيز حكيم(٢).

وعن الصادق عليه السلام قال: خروج السفياني واليماني والخراسانيّ في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد وليس فيها راية أهدى من راية اليماني لأنّه يدعو إلى الحقّ. وسأل رجل أبا الحسن عليه السلام عن الفرج، فقال: إذا ركزت رايات قيس بمصر ورايات كندة بخراسان، وقال عليه السلام: سنة الفتح ينشقّ الفرات حتّى تدخل أزقّة الكوفة. وقال عليه السلام: يزجر الناس قبل قيام القائم عن معاصيهم بنار تظهر في السماء؛ وحمرة تجلّل السماء؛ وخسف ببغداد؛ وخسف ببلدة بصرة؛ ودماء تسفك فيها وخراب دورها وفناء يقع في أهلها وشمول أهل الطرق خوف لا يكون لهم معه قرار. وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: آيتان تكون قبل قيام القائم: كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخر الشهر، قال فقلت يابن رسول الله تنكسف الشمس في النصف والقمر في آخر الشهر، فقال عليه السلام أنا أعلم بما قلت، إنّهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام، وذلك أنّ الذي جرت به العادة وبه قال المنجّمون أنّ خسوف القمر لا يكون إلّا في الثالث عشر من الشهر أو الرابع عشر أو الخامس عشر منه لا غير وذلك عند تقابل الشمس والقمر على هيئة مخصوصة، وأنّ كسوف

---

(١) اسم راو من رواة هذه الرواية.
(٢) إعلام الورى ص ٤٥٨.

الشمس لا يكون إلّا في السابع والعشرين من الشهر أو الثامن والعشرين من الشهر أو التاسع والعشرين من الشهر وذلك عند اقترانهما على هيئة مخصوصة كما سبق. وقال الصادق عليه السلام: ينادي مناد باسم القائم عليه السلام، قلت خاصّ أو عام، قال بل عام يسمع كلّ قوم بلسانهم، قلت فمن يخالف القائم وقد نودي باسمه؟ قال لا يدعهم إبليس حتّى ينادي في آخر الليل يشكّك الناس.

وقال الثمالي لأبي عبد الله عليه السلام كيف يكون النداء قال: ينادي مناد من السماء أوّل النهار: ألا إنّ الحقّ في عليّ وشيعته، ثمّ ينادي إبليس في آخر النهار ألا أنّ الحقّ في عثمان وشيعته، ويرتاب عند ذلك المبطلون. وقال الصادق عليه السلام: الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضى من شهر رمضان.

وقال عليه السلام: لا يكون هذا الأمر حتّى يذهب ثلثا الناس فقيل له فإذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى؟ قال أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي؟ وقال الصادق عليه السلام: إذا هدم حائط مسجد الكوفة ممّا يلي دار عبد الله بن مسعود فعند ذلك زوال ملك القوم، وعند زواله خروج القائم عليه السلام ومن علاماته طلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثمّ ينعطف حتّى يكاد يلتقي طرفاه، وعقد الجسر ممّا يلي الكرخ بمدينة بغداد واختلاف من العجم وسفك دماء فيما بينهم، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم، وغلبة العبيد على بلاد السادات... وقد بقي بعض العلامات تركنا ذكرها روماً للاختصار.

نور في تعيين وقت ظهوره عليه السلام

اعلم أنّ أخبارهم عليهم السلام قد وردت بعدم تعيين الوقت لمصالح كثيرة؛ وذلك أنّ شيعتهم لم تزل تحيى على هذا الأمر والرجاء له، وبه سهل عليهم كلّ خطب؛ فنشأ عليه قوم ومات عليه آخرون؛ ولو وقّت وعيّن لانقطع رجاء من علم أنّه لا يدركه ولفاته ثواب توقّع الفرج وانتظاره كما حكيناه سابقاً؛ روى شيخنا الكليني رحمه الله في الصحيح عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى قد كان وقّت هذا الأمر في السبعين، فلمّا أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتدّ غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة؛ فحدّثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب، قال أبو حمزة فحدّثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال

قد كان ذلك. وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن القائم فقال: كذب الوقّاتون إنّا أهل بيت لا نوقّت.

وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت لهذا الأمر وقت؟ فقال كذب الوقّاتون كذب الوقّاتون كذب الوقّاتون، إنّ موسى عليه السلام لمّا خرج وافداً إلى ربّه واعدهم ثلاثين يوماً فلمّا زاد الله على ثلاثين عشراً قال قومه قد أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدثناكم بالحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا صدق الله تؤجروا مرّتين. وروي عن الحسن بن علي بن يقطين عن أخيه الحسين عن أبيه عليّ بن يقطين قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: الشيعة تربّى بالأماني منذ مائتي سنة. قال وقال يقطين لابنه عليّ بن يقطين ما بالنا قيل لنا وكان وقيل لكم فلم يكن قال فقال له عليّ إنّ الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد غير أنّ أمركم حضر فأُعطيتم محضه فكان كما قيل لكم، وإنّ أمرنا لم يحضر فعلّلنا بالأماني؛ فلو قيل لنا إنّ هذا الأمر لا يكون إلّا إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ولرجع عامّة الناس عن الإسلام ولكن قالوا ما أسرع الأمر وأقربه تألّفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج.

فإن قلت ما معنى الحديث الأوّل وكيف يستقيم أن يكون أمر الخروج في السبعين أو بعدها قبل ولادة المهدي عليه السلام مع أنّه هو القائم الذي يملأها عدلاً، قلت: معناه والله العالم أنّ كلّ واحد من الأئمة عليهم السلام قابل للقيام بأمر السيف؛ ولو لم يحصل من الخلق ما أفضى إلى التأخير لكان الحسين عليه السلام أو من بعده قد قام بالأمر وخلفه بالقيام من بعده من الأئمّة عليهم السلام حتّى ينتهي النوبة إلى المهدي عليه السلام فيكون قائماً أيضاً لكن بلا تعب وجهاد شديد، وبالجملة فهم عليهم السلام ليس بينهم تنافس وتنازع في الدولة على حدّ غيرهم من أهل الدنيا، فلا تفاوت بين أن يكون كلّ واحد منهم هو القائم ولكن لله عزَّ وجلّ حكمة هو بالغها والله على ما يشاء قدير.

والظاهر أنّ المراد في السبعين أن يكون ابتداؤها من الهجرة، ويؤيّده أنّ خروج الحسين عليه السلام إنّما كان في حدود السبعين واستشراف أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام إنّما كان بعد أربعين ومائة بقليل، وقيل إنّ ابتداء السبعين من الغيبة المهدويّة؛ وذلك أنّه غاب عليه السلام وهو ابن تسع سنين، وقيل إحدى عشرة سنة.

إذا تحققت هذا فاعلم أنّه قد وردت أخبار مجملة وقد نقلها الأصحاب على إجمالها ولم يتعرّضوا لبيان معناها وذلك أنّها أخبار متشابهة يجب علينا الإذعان لها

من باب التسليم؛ ولمّا انتهت النوبة إلى شيخنا المحقّق رئيس المحدّثين وخاتمة المجتهدين المولى المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار أدام الله أيّام إفاداته؛ وأجزل في الآخرة مثوباته وسعاداته، توجّه إلى إيضاحها وتفسيرها، وطبّق بعضها على وقت تعيين ظهور الدولة الصفويّة أعلى الله منار بنيانها، وشيّد رفيع أركانها؛ وطبّق البعض الآخر على تعيين وقت ظهور مولانا صاحب الزمان عليه ألف سلام فلننقل تلك الأخبار على وجهها ثمَّ نذكر ما أفاده سلّمه الله تعالى من البيان والإيضاح.

الحديث الأوّل ما رواه الشيخ الأجلّ المحدّث محمّد بن إبراهيم النعماني في كتاب الغيبة بسنده إلى أبي خالد الكابلي[1] عن الباقر عليه السلام أنّه قال: كأنّي بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يعطونه ثمَّ يطلبونه فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتّى يقوموا ولا يدفعونها إلّا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء؛ قال أدام الله أيّامه إنّه لا يخفى على أهل البصائر أنّه لم يخرج من المشرق سوى أرباب السلسلة الصفويّة وهو الشاه إسماعيل أعلى الله مقامه في دار المقامة؛ وقوله عليه السلام: لا يدفعونها إلّا إلى صاحبكم: المراد به القائم عليه السلام، فيكون في هذا الحديث إشارة إلى اتّصال دولة الصفويّة بدولة المهدي عليه السلام؛ فهم الذين يسلّمون الملك له عند نزوله بلا نزاع وجدال[2].

الحديث الثاني ما رواه النعماني أيضاً في ذلك الكتاب بإسناد معتبر إلى الصادق عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام يحدّث في الوقائع التي تجري بعده إلى ظهور المهدي عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام يا أمير المؤمنين في أيّ وقت يطهّر الله الأرض من الظالمين فقال عليه السلام لا يكون هذا حتّى تراق دماء كثيرة على الأرض بلا حقّ. ثمَّ إنّه عليه السلام فصّل أحوال بني أميّة وبني العبّاس في حديث طويل اختصره الراوي، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا قام القائم بخراسان وغلب على أرض كوفان وملطان، وتعدى جزيرة بني كاوان وقام منّا قائم بجيلان، وأجابته الأبر والديلم،

(١) في النسخ المطبوعة (الكاهلي) وهو غلط.
(٢) هذا تأويل حدسي للخبر ولا شاهد له في نفس الحديث أصلاً وانقراض الدولة الصفوية وعدم اتصالها بدولة المهدي عليه السلام أصدق شاهد على ما ذكرناه فلذا لا اعتماد بأمثال هذه التأويلات الحدسية والأولى إبقاء الخبر على ظاهره والله العالم وأولياؤه عليهم السلام بحقيقة تأويله ومتى يظهر مصداقه.

وظهرت لولدي رايات الترك متفرّقات في الأقطار والحرمات، وكانوا بين هنات وهنات إذا خربت البصرة وقام أمير الامرة؛ فحكى عليه السلام حكاية طويلة ثمَّ قال إذا جهّزت الألوف وصفّت الصفوف، وقتل الكبش الخروف هناك يقوم الآخر ويثور الثائر ويهلك الكافر؛ ثمَّ يقوم القائم المأمول والإمام المجهول له الشرف والفضل، وهو من ولدك يا حسين لا ابن مثله، يظهر بين الركنين في ذرّ يسير يظهر على الثقلين ولا يترك في الأرض الأدنين؛ طوبى لمن أدرك زمانه ولحق أوانه وشهد أيّامه.

قال ضاعف الله أيّام سعادته: جزيرة بني كاوان جزيرة حول البصرة، وأهل الإبر جماعة في قرب استرآباد والديلم هم أهل قزوين وما والاها؛ والحرمات الأمكنة الشريفة قوله هنات وهنات أي حروب عظيمة ووقائع كثيرة في وقت خراب البصرة؛ والمراد بالقائم المأمول هو المهدي عليه السلام، والمراد بالركنين ركنا الكعبة وهو الركن والحطيم الذي هو محلّ خروجه عليه السلام، وقوله ذرّ يسير المراد به الجماعة القليلة وهم عدد شهداء بدر، وقوله يظهر على الثقلين يعني به أنّه عليه السلام يغلب على الجنّ والإنس سمّيا به لأنّهما يثقلان الأرض بالاستقرار فوقها؛ أو لأنّهما أشرف المخلوقات السفليّة والعرب تسمّي الشريف ثقلاً لحلمه ورزانته، وقيل إنّما سمّيا به لأنّهما قد ثقلا بالتكاليف فهما ثقلان بمعنى مثقلان؛ وقوله الأدنين جمع أدنى وهم أرازل الناس وأدناهم والمراد بهم الظالمون والكافرون، ثمَّ قال سلّمه الله تعالى الظاهر أنّ المراد بأهل الخروج من خراسان هم أمراء الترك مثل چنكيزخان وهلاكوخان، والمراد بالخارج من جيلان هو الشاه المؤيّد الشاه إسماعيل، ومن ثمَّ أضافه عليه السلام إلى نفسه وسمّاه ولده، والمراد بأمير الأمرة إمّا ذلك السلطان المذكور أو غيره من السلاطين الصفويّة؛ وقوله وقتل الكبش الخروف الظاهر أنّه إشارة إلى المرحوم صفي ميرزا فإنّ أباه وهو المرحوم الشاه عبّاس الأوّل قد قتله، وقوله يقوم الآخر المراد به المرحوم الشاه صفي فإنّه أخذ دمه، وأوّل من قتله هو الذي باشر قتل أبيه صفي ميرزا؛ وقوله عليه السلام ثمَّ يقوم القائم المأمول إشارة أيضاً إلى اتّصال الدولة الصفويّة بالدولة المهدويّة على صاحبها السلام[1].

الحديث الثالث رواه الشيخ الأجلّ محمّد بن مسعود العيّاشي وهو من ثقات المحدّثين في كتاب التفسير عن أبي لبيد المخزومي عن الباقر عليه السلام بعدما ذكر ملك

---

(١) هذه الكلمات أيضاً تأويلات وحدسيات ذكرها العلامة المجلسي رحمه الله من باب الاحتمال لا للجزم بها قوله ثم يقوم القائم إشارة أيضاً إلى اتصال إلخ حدس غير صائب.

شقاوة بني العبّاس قال يا أبا لبيد إنّ في حروف القرآن المقطّعة لعلماً جمّاً، إنّ الله تعالى أنزل: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١-٢]، فقام محمّد صلى الله عليه وآله حتّى ظهر نوره وثبتت كلمته وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين؛ ثمّ قال وتبيانه في كتاب الله في الحروف المقطّعة إذا عددتها من غير تكرار، وليس من الحروف المقطّعة حرف ينقضي إلّا وقيام قائم من بني هاشم عند انقضائه، ثمّ قال الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون فذلك مائة وواحد وستّون؛ ثمّ كان بدء خروج الحسين بن علي عليه السلام الم الله، فلمّا بلغت مدّته قام قائم ولد العبّاس عند المص؛ ويقوم قائمنا عند انقضائها بـ: الٓر؛ فافهم ذلك وعه واكتمه.

قال ذلك المحقّق أيّده الله تعالى: قوله عليه السلام: من الألف السابع المراد به من ابتداء خلق أبينا آدم عليه السلام، ثمّ قال أيّده الله تعالى إنّ هذا الحديث في غاية الإشكال؛ وقد ذكرنا له وجوهاً في كتاب بحار الأنوار ولنذكر هنا وجهاً واحداً ولكنّه مبنيّ على تمهيد مقدّمة؛ وهي أنّ المعلوم من كتب الحساب المعتبرة أنّ حساب أبجد له اصطلاحات مختلفة، ومناط حساب هذا الحديث على اصطلاح أهل المغرب، وقد كان شائعاً بين العرب في الأعصار السابقة، وهو هذا صعفص قرشت ثخذ ظغش، فالصاد عندهم ستّون، والضاد تسعون، والسين ثلاثمائة والظاء ثمانمائة والغين تسعمائة، والشين ألف وباقي الحروف على موافقة المشهور.

إذا عرفت هذه المقدّمة فاعلم أنّ تاريخ ولادة نبيّنا صلى الله عليه وآله يظهر من جميع فواتح السور ولكن بإسقاط الحروف المكرّرة مثلاً الم والر وحم وغيرها من المكرّرات لا يؤخذ منه بالحساب إلّا واحد؛ وكذلك الحروف المبسوطة مثل ألف را لا يحسب منه إلّا ثلاثة وكذا لام را ونحو ذلك وحينئذ فألف لام ميم ألف لام ميم صاد ألف لام را ألف لام ميم را كاف ها يا عين صاد طا ها طا سين ميم طاسين يا سين صاد حا ميم حا ميم عين سين قاف قاف نون، إذا عددت حروفها تكون مائة وثلاثاً من وقت خلق أبينا آدم عليه السلام إلى وقت ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله يكون على وفق هذا الحديث ستّة آلاف سنة ومائة وثلاثون (ثلاث سنين ظ) والأوّل من كلّ ألف سنة تاريخ، وأوّل كلّ سابع من آلاف مائة وثلاث سنين يكون قد مضت؛ وعدد هذه الحروف أيضاً يكون مائة وثلاثة على ما عرفت، فيكون الم الذي في أوّل سورة البقرة إشارة إلى مبعث نبيّنا صلى الله عليه وآله، وقوله عليه السلام: وليس حرف ينقضي إلّا وقيام قائم من بني هاشم

عند انقضائه واضح على هذا؛ وذلك أوّل دولة بني هاشم ابتداؤها من عبد المطلب ومن ظهور دولة عبد المطلّب إلى ظهور دولة نبيّنا ﷺ إحدى وسبعين سنة تقريباً عدد الم بحساب أبجد على ترتيب القرآن بعد الم البقرة والم آل عمران، وهو إشارة إلى خروج الحسين عليه السلام فإنه من إبتدأ رواج دولة النبي ﷺ إلى وقت خروج الحسين عليه السلام إحدى وسبعون سنة تقريباً، وأيضاً بحسب ترتيب سور القرآن المص وهو إشارة إلى خروج بني العبّاس فإنّهم من بني هاشم أيضاً وإن كانوا غير محقّين في أمر الخروج وبحساب أبجد على طريق المغاربة مائة وواحد وثلاثون، ومن أوّل بعثة النبيّ ﷺ إلى وقت ظهور دولتهم مائة وواحد وثلاثون وإن كان إلى زمان بيعتهم أكثر.

ويحتمل أن يكون ابتداء هذا التاريخ من وقت نزول سورة الأعراف فيكون مطابقاً لوقت بيعتهم وعلى حساب المص على طريق المغاربة يبنى الحديث المرويّ في كتاب معاني الأخبار وسنذكره إن شاء الله تعالى، وأمّا كون قيام القائم عليه السلام مبنيّاً على حساب الر فالذي يخطر بخاطري أنّ الر قد وقع في القرآن في خمسة مواضع وينبغي أن يحسب كلّه بقرينة أنّه عليه السلام لم يتعرّض لبيانه كما تعرّض لبيان الم ومجموعه ألف ومائة وخمس وخمسون سنة تقريباً من سنة تحرير هذه الرسالة، وهو سنة ألف وثمان وسبعون من الهجرة فيكون قد بقي من وقت خروجه عليه السلام (سبعة وسبعون ظ) خمس وستّون سنة لما كان مبدأ هذه التواريخ من أوائل البعثة؛ هذا محصّل كلامه سلّمه الله تعالى.

أقول: ما ذكره أيّده الله تعالى وإن كان احتمالاً قريباً والتفؤل بالخير خير إلّا أنّا لم نتحقّق بل ولا نظنّ إرادة هذا المعنى من الخبر بل الحقّ أنّه من قبيل الأخبار المتشابهة التي لا يمكن الوصول إلى بيان حقيقتها كيف لا ونحن نتوقّع الفرج صبحاً ومساءً، وعلى ما قاله سلّمه الله تعالى لا تبلغه أعمارنا على تقدير بلوغها العمر المعتاد فإن قضت علينا المنون فإنّا لله وإنّا إليه راجعون؛ ونرجو من الله سبحانه أن يشرّفنا بلقائه إنّه كريم رحيم.

نور في كيفية رجعته عليه السلام وفي بيان سيرته ومن يرجع في عصره من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

روى الحسن بن محبوب عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا يخرج القائم إلّا في وتر من السنين سنة إحدى أو ثلاث أو

خمس أو سبع أو تسع، وقال عليه السلام: ينادى باسم القائم في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ويقوم يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن عليّ عليه السلام لكأنّي به في يوم السبت العاشر من المحرّم قائماً بين الركن والمقام وجبرائيل بين يديه ينادي بالبيعة له، فتصير إليه شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيّاً حتّى يبايعوه فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وروى صاحب منتخب البصائر بسند معتبر إلى المفضّل بن عمر قال سألت سيّدي الصادق عليه السلام هل للمهدي عليه السلام من وقت موقّت يعلمه الناس؟ فقال حاش لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا؛ قلت يا سيّدي ولم ذلك؟ قال لأنّه هو الساعة التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾؛ وهي الساعة التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ولم يقل عند أحد دونه، وقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، قلت فما معنى ما يروون؟ قال يقولون متى ولد متى يظهر شكّاً في قضاء الله، أولئك الذين خسروا الدنيا والآخرة قلت أفلا نوقت (توقّت خ) فقال يا مفضّل إنّ من وقّت لمهديّنا وقتاً فقد شارك الله في علمه وادّعى أنّه أظهر سرّه، قال المفضّل يا مولاي وكيف بدء ظهور المهدي؟ فقال يا مفضّل يظهر بغتة وينادى باسمه وكنيته ونسبه ويكثر ذلك على المحقّين والمبطلين لتسكن فيهم الحجّة على أنّا قد قصصنا ودللنا عليه وسمّيناه وقلنا سميّ جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله لئلا يقول الناس ما عرفنا له إسماً ولا كنية، قال المفضّل يا مولاي فما تأويل قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٩]؟ وقال: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]؛ قال فوالله ليرفع الاختلاف بين أهل الملل والأديان ويكون الدين كلّه واحداً، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

قال المفضّل فقلت يا مولاي لم سمّي الصابئون الصابئين؟ قال لأنّهم صبوا إلى تعطيل الأديان والرسل والملل والشريعة؛ قال المفضّل ففي أيّ بقعة يظهر المهدي؟ قال لا تراه عين وقت ظهوره إلّا رأته كلّ عين وذلك أنّه يغيب آخر يوم من سنة ستّ وستّين ومائتين ولا تراه عين أحد حتّى يراه كلّ أحد، ثمّ يظهر بمكّة ووالله يا مفضّل كأنّي أنظر إليه داخل مكّة وعليه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسه عمامته وفي رجليه نعل رسول الله المخصوفة، وفي يده عصى النبيّ صلى الله عليه وآله يسوق بين يديه أعنزاً عجافاً

حتّى يصل بها نحو البيت حتّى لا يعرفه أحد قال المفضّل يا سيّدي كيف يظهر قال يظهر وحده ويأتي البيت وحده إلى الكعبة ويجنّ عليه الليل، وإذا نامت العيون وغسق الليل نزل إليه جبرائيل وميكائيل والملائكة صفوفاً، فيقول له جبرائيل يا سيّدي قولك مقبول وأمرك جارٍ، فيمسح يده على وجهه ويقول الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء فنعم أجر العاملين؛ ويقف بين الركن والمقام ويصرخ صرخة يا معشر نقبائي وأهل خاصّتي ومن خلقهم الله لظهوري على وجه الأرض ائتوني طائعين، فترد صيحته عليهم وهم على تجائرهم وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها، فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كلّ رجل فيجيئون نحوه ولا يمضي لهم إلّا كلمحة بصر حتّى يكونوا كلّهم بين يديه بين الركن والمقام، فيأمر الله عزّوجلّ بنور فيصير عموداً من الأرض إلى السماء يستضيء به كلّ مؤمن على وجه الأرض، ويدخل عليه نور في جوف بيته فتفرح نفوس المؤمنين بذلك النور وهم لا يعلمون بظهور قائمنا، ثمَّ يصبحون وقوفاً بين يديه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر.

قال المفضّل فالإثنان وسبعون رجلاً الذين قتلوا مع الحسين عليه السلام يظهرون معه؟ قال نعم يظهرون معه وفيهم الحسين عليه السلام في اثني عشر ألفاً من المؤمنين من شيعة عليّ عليه السلام عليه عمامة سوداء يا مفضّل سيّدنا القائم يسند ظهره إلى الحرم ويمدّ يده فترى بيضاء من غير سوء ويقول هذه يد الله ثمَّ يتلو هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، فيكون أوّل من يقبّل يده جبرائيل عليه السلام ثمَّ يبايعه الملائكة ونجباء الجنّ ثمَّ نقباء المؤمنين، ويصبح الناس بمكّة فيقولون قد رأينا الليلة عجباً لم نر مثله ويقول بعضهم لبعض انظروا هل تعرفون أحداً ممّن معه فيقولون لا نعرف أحداً منهم إلّا أربعة من أهل مكّة وأربعة من أهل المدينة، ويكون هذا أوّل طلوع الشمس من ذلك اليوم، فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربيّ مبين يسمع من في السمٰوات والأرضين: يا معشر الخلائق هذا مهديّ آل محمّد - ويسمّيه باسم جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله - بايعوه تهتدوا، ولا تخالفوا أمره تضلّوا، فأوّل من يقبّل يده الملائكة ثمَّ الجنّ ثمَّ النقباء فيقولون سمعنا وأطعنا، ولا يبقى ذو أذن إلّا يسمع ذلك النداء، ويقبل الخلائق من البدو والحضر والبرّ والبحر يحذّر بعضهم بعضاً ما سمعوه بآذانهم، فإذا دنت الشمس من المغرب صرخ صارخ من مغربها يا معشر الخلائق ظهر بكم مولى الناس من أرض فلسطين - وهو عثمان بن عنبسة أمويّ من ولد يزيد بن معاوية لعنهم الله تعالى

- فبايعوه تهتدوا ولا تخالفوا عليه تضلّوا؛ فيردّ عليه الملائكة والجنّ والنقباء قوله ويكذّبونه، ويقولون سمعنا وعصينا، ولا يبقى ذو شكّ ولا مرتاب إلّا ضلّ بالنداء الثاني والمنادي هو الشيطان.

وسيّدنا القائم مسند ظهره إلى الكعبة ويقول يا معشر الخلائق ألا ومن أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فها أنا ذا آدم وشيث، ألا ومن أراد أن ينظر إلى نوح وابنه سام فها أناذا نوح وابنه سام، ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وولده (وابنه خ) إسماعيل فها أناذا إبراهيم وإسماعيل؛ ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فها أناذا عيسى وشمعون ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمّد وأمير المؤمنين فها أناذا محمّد وأمير المؤمنين، ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فها أناذا الحسن والحسين، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الأئمّة من ولد الحسين فها أناذا الأئمّة أجيبوا مسألتي فإنّي أُنبّئكم بما نبّئتم به أو لم تنبّأوا به، ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع منّي، ثمَّ يبتدئ بالصحف التي أنزلها الله لآدم وشيث فتقول أمّة آدم وشيث هذه والله هي الصحف حقّاً، ولقد رأينا ما لم نعلمه فيها وما كان أُسقط منها وبدّل وحرّف؛ ثمَّ يقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور، فيقول أهل التوراة والإنجيل والزبور هذه والله صحف نوح وإبراهيم حقّاً، وما أُسقط وبدّل وحرّف منها، هذه والله التوراة الجامعة والإنجيل الكامل، وإنّها أضعاف ما ترى فيها، ثمَّ يتلو القرآن فيقول المسلمون هذا والله القرآن وما حرّف وما بدّل.

ثمَّ تظهر الدابّة بين الركن والمقام فيكتب في وجه المؤمن مؤمن وفي وجه الكافر كافر، ثمَّ يظهر السفياني ويسير جيشه إلى العراق فيخربه ويخرب الزوراء ويتركهما ويخرب الكوفة والمدينة وتروث بغالهما[1] في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وجيش السفياني يومئذ ثلاثمائة ألف رجل بعد أن خرب الدنيا؛ ثمَّ يخرج إلى البيداء يريد مكّة وخراب البيت؛ فلمّا صاروا بالبيداء عن يسارها صاح بهم صائح يا بيداء أبيديهم، فتبلعهم الأرض بخيلهم فيبقى اثنان؛ فينزل ملك فيحوّل وجوههما إلى ورائهما ويقول لمبشّر امضِ إلى المهدي وبشّره بهلاك جيش السفياني وقال للذي اسمه نذير إمض إلى السفياني فعرّفه بظهور المهدي مهديّ آل محمّد، فيمضي مبشّر إلى المهدي فيعرّفه بهلاك جيش السفياني وأنّ الأرض التي انفجرت لم تبق من الجيش عقال ناقة؛ فيمسح المهديّ عليه السلام على وجهه فيستوي ويبايع المهديّ وتظهر

(١) كذا في النسخ.

الملائكة والجنّ ويخالط الناس ويسيرون معه وينزلون ما بين الكوفة والنجف، ويكون عدّة أصحابه ستّة وأربعين ألفاً من الملائكة ومثلها من الجنّ؛ ثمَّ ينصره ويفتح على يديه.

قال المفضّل الجنّ والملائكة تظهر للناس في ذلك الزمان؟ قال نعم كما يظهر الناس بعضهم لبعض؛ فقال له المفضّل ما يصنع بأهل مكّة فقال يدعوهم بالحكمة والموعظة ثمَّ ينصب عليهم خليفة من أهل بيته ويتوجّه إلى المدينة؛ فقال المفضّل ما يصنع بالكعبة فقال إنّه يهدم هذا البيت ويبنيه على بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام؛ وكذلك يهدم جميع ما بناه الظالمون في كلّ الأقاليم وكذلك يهدم مسجد الكوفة ويصنعه على الأوّل فقال المفضّل أيقيم في مكّة؟ قال لا ولكن ينصب عليهم خليفة من أهل بيته فإذا خرج من مكّة قصد أهل مكّة إلى خليفته فقتلوه، فيرجع المهدي عليه السلام إليهم ويخوّفهم العقوبات فيتوبون فينصب عليهم خليفة منهم، فإذا خرج من مكّة عمدوا إليه أيضاً فقتلوه؛ ثمَّ إنّ المهدي عليه السلام يرسل إليهم عساكر من الجنّ والنقباء فمن آمن تركوه ومن أبى قتلوه وما يؤمن به من مائة واحد؛ فقال له المفضّل يا سيّدي أين يكون منزل المهدي ومحلّ اجتماع المؤمنين معه، فقال إنّ سرير ملكه يكون بلد الكوفة ومجلسه وموضع حكمه مسجدها؛ ومكان بيت المال وقسمة الغنائم مسجد السهلة، وموضع انفراده ونزاهته النجف الأشرف، فقال له المفضّل يكون جميع المؤمنين في الكوفة؛ فقال بلى والله ما من مؤمن إلّا وهو إمّا فيها أو في قربها أو يكون قلبه مائلاً إليها، ويكون قيمة الأرض منها قيمة موضع كلّ شاة ألفا درهم، ويكون سعة بلدها ثمانية عشر فرسخاً. وتتصل قصورها بأرض كربلاء وتكون كربلاء ملجأً للمؤمنين.

ثمَّ إنّه عليه السلام تنفّس فقال يا مفضّل إنّ بقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكعبة على بقعة كربلاء؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إليها أن اسكتي يا كعبة ولا تفخري على كربلاء فإنّها البقعة المباركة التي قال الله فيها لموسى عليه السلام ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤]، وهي موضع المسيح وأمّه وقت ولادته؛ وإنّها الدالية التي غسل بها رأس الحسين بن عليّ عليهما السلام؛ وهي التي عرج منها محمّد صلى الله عليه وآله؛ وقال له المفضّل يا سيّدي يسير المهدي إلى أين، قال إلى مدينة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب، يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين، فقال المفضّل يا سيّدي ما هو ذاك؟ قال يرد إلى قبر جدّه فيقول يا معشر الخلائق هذا قبر جدّي؟ فيقولون نعم يا مهدي آل محمّد؛

فيقول ومن معه في القبر؟ فيقولون صاحباه (مصاحباه خ) وضجيعاه أبو بكر وعمر فيقول عليه السلام وهو أعلم الخلق مَن أبو بكر وعمر: وكيف دفنا مَن بين الخلق مع جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وعسى أن يكون المدفون غيرهما؟ فيقول الناس يا مهدي آل محمّد ما ههنا غيرهما إنّهما دفنا معه لأنّهما خليفتاه وآباء زوجتيه فيقول هل يعرفهما أحد فيقولون نعم نحن نعرفهم بالوصف، ثمَّ يقول هل يشكّ أحد في دفنهما هنا؟ فيقولون لا، فيأمر بعد ثلاثة أيّام ويحفر قبورهما ويخرجهما، فيخرجان طريّين كصورتهما في الدنيا فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها، فتتحرّك الشجرة وتورق وتضرع ويطول فرعها، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذا والله الشرف حقّاً ولقد فزنا بمحبّتهما وولايتهما؛ فينشر خبرهما فكلّ من بقلبه حبّة خردل من محبّتهما يحضر المدينة فيفتنون بهما فينادي منادي المهدي عليه السلام: هذان مصاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أحبّهما فليكن في معزل ومن أبغضهما يكن في معزل فيتجزّأ الخلق جزئين: موالٍ ومعادٍ؛ فيعرض على أوليائهما البراءة منهما؛ فيقولون يا مهدي ما كنّا نبرأ منهما وما كنّا نعلم أنّ لهما عند الله هذه الفضيلة فكيف نبرأ منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما؛ بل والله نبرأ منك وممّن آمن بك وممّن لا يؤمن بهما وممّن صلبهما وأخرجهما وفعل ما فعل بهما، فيأمر المهدي عليه السلام ريحاً فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية ثمَّ يأمر بإنزالهما فينزلان فيحييهما بإذن الله ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثمَّ يقصّ عليهم قصص فعالهم في كلّ كور ودور حتّى يقصّ عليهم قتل هابيل بن آدم وجمع النار لإبراهيم وطرح يوسف في الجبّ وحبس يونس في بطن الحوت، وقتل يحيى وصلب عيسى وعذاب جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسي وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسنين عليهم السلام وإرادة إحراقهم بها، وضرب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها وإسقاطها محسناً، وسمّ الحسن وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبني عمّه وأنصاره وسبي ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمّد، وكلّ دم مؤمن وكلّ فرج نكح حراماً وكلّ رباء أُكل وكلّ خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا؛ كلّ ذلك يعدّده عليهما ويلزمهما إيّاه ويعترفان به؛ ثمَّ يأمر بهما فيقتصّ منهما في ذلك الوقت مظالم من حضر ثمَّ يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض تحرقهما والشجرة ثمَّ يأمر ريحاً فتنسفهما في اليمّ نسفاً.

قال المفضّل يا سيّدي هذا آخر عذابهما؟ قال هيهات يا مفضّل والله ليردنّ

وليحضرنّ السيّد الأكبر محمّد رسول الله ﷺ والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام وكلّ من محض الإيمان محضاً وكل من محض الكفر محضاً وليقتصّنّ منهما بجميع المظالم ثمّ يأمر بهما فيقتلان في كلّ يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى أشدّ العذاب؛ ثمّ يسير المهدي إلى الكوفة فينزل ما بين الكوفة والنجف في ستّة وأربعين ألفاً من الجنّ، وثلاثمائة وثلاثة عشر من النقباء فقال له المفضّل يا سيّدي فالزوراء التي تكون في بغداد ما يكون حالها في ذلك؟ فقال تكون محلّ عذاب الله وغضبه والويل لها من الرايات الصفر ومن الرايات التي تسير إليها في كلّ قريب وبعيد والله لينزلنّ بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم المتمردة من أوّل الدهر إلى آخره، ولينزلنّ بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت؛ وسيأتيها طوفان بالسيوف فالويل لمن اتّخذ بها مسكناً والله إنّ بغداد تعمر في بعض الأوقات حتّى أنّ الرائي يقول هذه هي الدنيا لا غيرها؛ ويظنّ أنّ بناتها حور العين وأولادها أولاد الجنّة، ويظنّ أن لا رزق لله إلّا فيها، ويظهر فيها الكذب على الله والحكم بغير الحقّ وشهادة الزور وشرب الخمور والزنا وأكل مال الحرام وسفك الدماء، ثمّ بعد ذلك يخربها الله تعالى بالفتن وعلى يدي هذه العساكر حتّى المارّ عليها لا يرى منها الرسوم بل يقول هذه أرض بغداد.

ثمّ يخرج الفتى الصبيح وهو الحسني من نحو الديلم وقزوين فيصيح بصوت له فصيح: يا آل محمّد أجيبوا الملهوف؛ فتجيبه كنوز الطالقان كنوز وأيّ كنوز ليست من ذهب ولا من فضّة بل هي رجال كزبر الحديد، لكأنّي أنظر إليهم على البراذين الشهب بأيديهم الحراب يتعاوون شوقاً إلى الحراب كما تتعاوى الذئاب؛ أميرهم رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح؛ فيقبل الحسني فيهم ووجهه كدائرة القمر فيأتي على الظلمة ويقتلهم حتّى يرد الكوفة وقد جمع بها أكثر أهل الأرض فيتّصل به وبأصحابه خبر المهدي؛ فيقولون يابن رسول الله من هذا الذي نزل بساحتنا، فيقول الحسني اخرجوا بنا إليه حتّى ننظر من هو وما يريد؟ وهو يعلم والله أنّه المهدي وإنّه يعرفه؛ فيخرج الحسني وبين يديه أربعة آلاف رجل وفي أعناقهم المصاحف وعليهم المسوح مقلّدين سيوفهم، فيقبل الحسني حين ينزل بقرب المهدي عليه السلام فيقول اسألوا عن هذا الرجل من هو وماذا يريد؟ فيخرج بعض أصحاب الحسني إلى عسكر المهدي فيقول أيّها العسكر الجائل من أنتم حيّاكم الله ومن صاحبكم وماذا يريد؟ فيقول أصحاب المهدي هذا مهدي آل محمّد ونحن أنصاره من الجنّ والإنس والملائكة، ثمّ يقول الحسني خلّوا بيني وبين هذا فيخرج إليه المهدي فيقفان بين

العسكرين، فيقول الحسني إن كنت مهدي آل محمّد فأين عصا جدّي رسول الله وخاتمه وبردته ودرعه وعمامته السحاب؛ وفرسه وناقته العضباء وبغلته دلدل وحماره يعفور، ونجيبه البراق وتاجه والمصحف الذي جمعه أبي أمير المؤمنين بغير تغيير ولا تبديل؛ فيحضر له السفط الذي فيه جميع ما طلبه.

وقال عليه السلام إنّ في السفط تركات جميع النبيّين حتّى عصى آدم ونوح وتركة هود وصالح، ومجمع إبراهيم وصاع يوسف ومكتل شعيب وميزانه، وعصى موسى وتابوته الذي فيه بقيّة (مما ترك خ ل) آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، ودرع داود وخاتم سليمان وعصاه وتاجه ورحل عيسى وميراث النبيّين والمرسلين في ذلك السفط، فيأخذ المهدي العصا وينصبها فوق حجر صلب فتصير شجرة عظيمة يستظلّ تحتها كلّ ذلك العسكر؛ فيقول الحسني الله أكبر يابن رسول الله مدّ يدك أُبايعك فيبايعه الحسني وسائر عسكره إلّا أربعة آلاف من أهل المصاحف والمسوح المعروفون بالزيديّة، فيقولون ما هذا إلّا سحر عظيم فيختلط العسكران؛ ويقبل المهدي عليه السلام على هذه الطائفة فيعظهم ويزجرهم إلى ثلاثة أيّام فلا يزدادون إلّا بعداً وطغياناً وكفراً؛ فيأمر المهدي بقتلهم فكأنّي أنظر إليهم قد ذبحوا على مضاجعهم كلّهم يتمرّغون في دمائهم وتتمرّغ المصاحف، فيقبل بعض أصحابه فيأخذ تلك المصاحف فيقول المهدي دعوها تكون عليهم حسرة كما بدّلوها وغيّروها وحرّفوها ولم يعملوا بما حكم الله فيها.

قال المفضّل ثمَّ ماذا يعمل يا سيّدي؟ قال ثمّ تثور سراياه إلى السفياني إلى دمشق فيأخذونه ويذبحونه على الصخرة، ثمّ يظهر الحسين بن عليّ عليه السلام في اثني عشر ألف صدّيق واثنين وسبعين رجلاً أصحابه الذين قتلوا معه يوم عاشوراء فيا لك عندها من كرّة زهراء ورجعة بيضاء؛ ثمَّ يخرج الصديق الأكبر أمير المؤمنين وتنصب له القبّة البيضاء على النجف وتقام أركانها؛ ركن بالنجف وركن في هجر وركن بصنعاء اليمن وركن بأرض طيبة وركن بأرض البحرين، كأنّي أنظر إلى مصابيحها تشرق في السماء والأرض كأضوأ من الشمس والقمر. فعندها تبلى السرائر وتذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد، ثمَّ يظهر السيّد الأجلّ محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله في أنصاره والمهاجرين إليه ويحضر مكذّبوه ويحضر الشاكّون فيه؛ ويحضر الكافرون القائلون إنّه ساحر وكاهن ومجنون ومعلّم وشاعر وناطق عن الهوى ومن حاربه وقاتله حتّى يقتصّ منهم، ويجازون بأفعالهم منذ

وقت ظهور رسول الله ﷺ إلى ظهور المهدي مع إمام إمام ووقت وقت ويحق تأويل هذه الآية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥] الآية.

فقال المفضّل ما المراد بفرعون وهامان في الآية؟ فقال: أبو بكر وعمر قال المفضّل قلت يا سيّدي ورسول الله وأمير المؤمنين يكونان مع المهدي؟ فقال لا بّد أن يطأ الأرض أي والله حتّى ما وراء جبل قاف وما في الظلمات وجميع البحور، ويقيم دين الله في جميع الأماكن وكأنّي أرى يا مفضّل أننا معاشر الأئمّة واقفون عند جدّنا رسول الله ﷺ نشكو إليه ما نزل بنا من هذه الأمّة بعده، من تكذيبنا وسبّنا وإخافتنا بالقتل والإخراج من حرم الله ورسوله وقتلنا وحبسنا، فيبكي النبيّ ﷺ ويقول قد فعلوا بكم ما فعلوا بجدّكم فأوّل من يشكو إليه فاطمة من أبي بكر وعمر فتقول له إنّهما أخذا فدك منّي بعدما أقمت البراهين عليهما فلم ينفع والكتاب الذي كتبته لي على فدك أخذه منّي عمر بحضور المهاجرين والأنصار وتفل فيه ومزّقه فأتيت إلى قبرك شاكية وأبو بكر وعمر بسقيفة بني ساعدة مضوا إلى المنافقين وتواطأوا معهم وغصبوا خلافة زوجي فأتوا إليه ليبايعهم فأبى فجمعوا حطباً ووضعوه على باب البيت ليحرقوا أهل البيت فصحت وقلت ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله يا عمر تريد أن تقطع نسل الأنبياء فقال عمر اسكتي ليس محمّد موجوداً حتّى ينزل عليه الملائكة بالأمر والنهي قولي لعليّ يبايع أبا بكر وإلاّ أضرمنا النار في بيتكم؛ فقلت أشكو إلى الله كيف فعلوا بنا بعد النبي ﷺ وغصبوا حقّنا فصاح عمر دعينا من هذه الحماقات، ألم تعلمي أنّ الله تعالى لن يجمع النبوّة والإمامة لكم، فرفع سوطه وضربني به فكسر يدي وعصر الباب على بطني فأسقط منّي ولدي المحسن فصحت وا أبتاه وا رسول الله قد كذّبوا ابنتك وضربوها بالسوط وأسقطوا منها ولدها المحسن، فأردت يا رسول الله أن أكشف القناع عن رأسي وأنشر شعري وأشكو إلى الله فمنعني عليّ بن أبي طالب وقال إنّ أباك قد كان بعث رحمة للأمّة فلا تكوني أنت السبب في عذابهم ولا تنشري شعرك والله إن رفعت رأسك بالدعاء ليهلكنّ الله ما في الأرض والهواء. فرجعت إلى البيت وبقيت مريضة من ذلك الضرب حتّى صرت شهيدة منه.

ثمّ يقوم بعدها أمير المؤمنين عليه السلام فيطيل الشكاية ويقول يا رسول الله إنّي حملت الحسنين ليلاً إلى بيوت المهاجرين والأنصار الذين أخذت لي البيعة منهم مراراً

وطلبت منهم النصرة فوعدوني، ولمّا أصبح الصباح لم أر أحداً منهم فصار حالي معهم كحال هارون في بني إسرائيل بعد موسى فلمّا رجع إليه موسى قال له هارون يابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فصبرت في جنب الله على البلاء الذي لم يتحمّله غيري من أوصياء الأنبياء حتّى قتلوني بضربة ابن ملجم. ثمَّ يقوم الحسن عليه السلام فيقول يا جدّاه إنّه لمّا اتّصل خبر شهادة أبي بمعاوية لعنه الله أرسل زياداً وهو ولد زنا مع مائة ألف وخمسين ألفاً من الرجال إلى الكوفة ليأخذ عليّ وعلى أخي الحسين وأهل بيتنا البيعة لمعاوية، ومن لم يقبل منّا يضرب عنقه ويرسل برأسه إلى معاوية فدخلت المسجد وصعدت المنبر ووعظت الناس ودعوتهم إلى دينك وخوّفتهم عقابك فلم يجبني منهم إلّا عشرون فرفعت طرفي في السماء وقلت اللهم اشهد بأنّي دعوتهم إلى دينك وخوّفتهم عقابك فلم يطيعوا اللهم أرسل عليهم البلاء والعذاب؛ فنزلت وتوجّهت إلى جانب المدينة فتبعوني وقالوا إنّ هذا عسكر معاوية قد وصل إلى الأنبار وغار على أهله وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم فامض معنا حتّى نجاهده بالسيوف فقلت لهم إنّه لا وفاء لكم فأرسلت معهم جماعة وقلت لهم إنكم إذا بلغتم معاوية نقضتم بيعتي وتضطرّوني إلى الصلح مع معاوية؛ فما صار إلّا ما أخبرتهم به. ثمّ يقوم الحسين المظلوم عليه السلام مخضّباً بدمه مع جميع الشهداء فينظر النبيّ صلى الله عليه وآله إليهم فيبكي ويبكي لبكائه أهل السماوات والأرض، وتصيح فاطمة عليها السلام صوتاً حتّى تزلزل الأرض وأمير المؤمنين والحسن في جانب يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام في جانب يساره فيحضر حمزة وجعفر وتأتي خديجة وفاطمة بنت أسد ومعهما المحسن ابن فاطمة وهم يبكون فبكى الصادق عليه السلام وقال: لا أقرّ الله عيناً لا تبكي عند ذكر هذه القصّة، وبكى المفضّل فقال: يا سيّدي ما ثواب ما يبكى لمصابكم فقال ثوابه لا يحصى إن كان من الشيعة.

فقال له المفضّل ثمَّ ما يكون بعد هذا يا سيّدي قال إنّ فاطمة تقوم وتقول يا ربّ أوف بما وعدتني في أمر من ضربني وقتل أولادي فتبكي لأجلها أهل السمٰوات والأرض ولا يبقى أحد من ظالمينا والذين أعانوا علينا والذين رضوا لهم بأفعالهم إلّا ويقتل في ذلك اليوم ألف مرّة، فقال له المفضّل يا سيّدي إنّ في شيعتك من لا يعتقد أنّك ترجع مع مواليك وأعدائك فقال يا مفضّل أما سمعوا الأحاديث من رسول الله ومنّا بالرجعة أما سمعوا قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]، فالعذاب الأدنى هو وقت خروجنا والعذاب الأكبر هو عذاب القيامة. إنّ جماعة من شيعتنا يقولون معنى الرجعة أنّ الملك يرجع إلى آل محمّد

فيكون مهديّهم سلطاناً ويلهم على هذا ما أخذ الله منّا الملك حتّى يرجعه إلينا بل فينا ملك النبوّة والإمامة والدنيا والآخرة دائماً، أما سمعوا قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

قال ثمَّ بعد هذا يقوم جدّي عليّ بن الحسين وأبي محمّد الباقر فيشكون إلى جدّهما من فعل الظالمين، ثمَّ أقوم أنا فأشكو إليه من منصور الدوانيقي ويقوم ابني موسى فيشكو من هارون الرشيد ثمَّ يقوم عليّ بن موسى الرضا ويشكو من المأمون الملعون، ثمَّ يقوم محمّد التقي فيشكو من المأمون وغيره ثمَّ يقوم علي النقيّ فيشكو من المتوكّل ثمّ يقوم الحسن العسكري فيشكو من المعتزّ، فيقوم المهدي ومعه ثوب رسول الله ﷺ ملطخ بالدم الذي كان عليه يوم أُحد وشجّوا رأسه وكسروا ضرسه فيه والملائكة حافّة به فيقول يا جدّ إنّك وصفتني للناس وعرّفتهم اسمي ونسبي وكنيتي فأنكروني ولم يطعني منهم أحد فقال بعضهم لم يتولد وقال آخرون إنّه مات ولو كان حيّاً لما غاب هذه الغيبة الطويلة فصبرت إلى أن أمرني الله بالخروج فخرجت فيقول النبيّ ﷺ: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء فنعم أجر العاملين؛ ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ثمَّ يقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح: ١-٣] فقال المفضّل ما ذنب رسول الله ﷺ الذي غفره الله له؟ فقال يا مفضّل إنّ النبيّ ﷺ دعا الله أن يحمّله ذنوب شيعته وشيعة عليّ وشيعة الأئمّة ما تقدّم منها وما تأخّر إلى يوم القيامة وأن لا يفضحه بين الأنبياء بذنوب الشيعة التي تحمّلها فأخبره الله سبحانه أنّه غفر له جميع تلك الذنوب التي تحمّلها، فبكى المفضّل وقال يا سيّدي هذا الفضل كلّه من بركاتكم فقال يا مفضّل هذا كلّه إنّما هو لك ولأمثالك من الشيعة فقال يا مفضّل لا تخبر بهذا الحديث أحداً من الذين يطلبون الرخص في المعاصي ويتركون العبادات لمكان هذه الأخبار فلا تنفعهم شفاعتنا لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فقال له المفضّل قول النبيّ ﷺ وقراءته ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] أما ظهر وغلب دينه على جميع الأديان؟ فقال يا مفضّل لو غلب دينه على الأديان لما بقي في الدنيا دين اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وغيرهم فلا يكون هذا إلّا

في زمن المهدي عليه السلام وكذا يكون تأويل هذه الآية وهي قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فقال عليه السلام إنّ المهدي يرجع إلى الكوفة فيمطر الله عليهم جراداً من ذهب كما أمطره على أيّوب عليه السلام فيقسمه بين أصحابه، ويقسم بينهم كنوز الأرض من ذهبها وفضّتها فقال له المفضّل يا سيّدي إذا مات المؤمن وعليه دين من أصحابه ما يفعل معه؟ فقال يا مفضّل أوّل ما يظهر المهدي ينادي مناديه من له على مؤمن دين فليتكلّم حتّى أُعطيه دينه فيعطي ديون الشيعة كلّها حتّى رأس الثوم وحبّة الخردل، والحديث طويل.

وروى الصدوق وجعفر بن قولويه ومحمّد بن إبراهيم النعماني بأسانيدهم إلى الصادق عليه السلام قال: كأنّي أنظر إلى القائم في النجف والكوفة لابس درع رسول الله صلى الله عليه وآله راكب فرساً أسود أغرّ الجبهة فيحرّكه ويظهر للناس بقدرة الله لكل بلد أن المهدي يريد بلادهم فينشر علم رسول الله صلى الله عليه وآله عمود من العرش وأجزاؤه من النصر والظفر فلا يتوجّه بذلك العلم إلى قوم إلّا أهلكهم الله تعالى. فإذا حرّك ذلك العلم لم يبق مؤمن إلّا صار قلبه كقطع الحديد وأعطاه الله قوّة أربعين رجلاً فيدخل هذا الفرح على المؤمنين وهم في قبورهم فيتزاورون في القبور ويبشرون بعضهم بعضاً بخروج المهدي، وتظهر معه ثلاثة عشر ألفاً من الملائكة وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً من الذين كانوا مع نوح في السفينة ومع إبراهيم لمّا أُلقي في النار ومع موسى لمّا شقّ له البحر ومع عيسى لمّا رفع إلى السماء والأربعة آلاف ملك الذين نزلوا لنصرة الحسين عليه السلام فلم يرخّص لهم فبقوا عند قبره شعثاً غبراً يبكون عليه، وكبيرهم ملك اسمه منصور يستقبلون كلّ من يمضي إلى زيارة الحسين عليه السلام ويشايعون كلّ من يودعه راجعاً ويعودون كلّ من يمرض من زوّاره ويمشون تحت جنازة موتاهم ويستغفرون لهم وهم في الأرض ينتظرون خروج المهدي عليه السلام.

وفي الروايات عن الصادقين عليهما السلام أنّ الله سبحانه خيّر ذا القرنين بين السحاب الذلول أي الخالي من الرعد والصوت وبين السحاب الصعب وهو ما فيه رعد وبرق فاختار الأوّل وبقي الثاني للمهدي عليه السلام فيركب عليها ويطوف السمٰوات السبع والأرضين السبع ويسخّر الله له الرياح كلّها وله من القوّة ما لو قبض بيده الشجرة العظيمة لقلعها من أصلها، وإذا صاح بين الجبلين صار صخرة رماداً ولا يبقى مكان في الدنيا إلّا وصل إليه وتظهر له المعادن كلّها وإذا توجّه إلى جهاد بلاد من البلدان وقع الرعب في قلوبهم من مسيرة شهر ويعرف كلّ من يراه أنّه مؤمن أو كافر صالح

أو فاسق ويحكم بحكم داود وسليمان بعلمه الذي علّمه الله سبحانه لا يسأل البيّنة ولا الشهود؛ وأينما توجّه ظلّله السحاب وينطق السحاب بلسان فصيح: هذا مهدي آل محمّد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وتطوى الأرض له ولأصحابه؛ ومن علاماته أن ليس له ظلّ على الأرض فإذا خرج من مكّة نادى مناديه بأن لا يحمل أحد من العسكر طعاماً ولا ماءً ومعه حجر موسى عليه السلام فإذا وصل إلى المنزل نصبه وانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً فيروى ويشبع من شرب منها فإذا بلغ النجف وسكن فيها انفجر من تلك الصخرة ماء ولبن فيكون هو الغذاء عوض الطعام والشراب، وفي روايات أُخرى أنه يخرج من تلك الصخرة ماء وطعام وعلف، لهم ولدوابّهم.

ويخرج عليه السلام ومعه عصا موسى عليه السلام إذا ألقاها من يده صارت ثعباناً ويكون ما بين فكّيها مقدار أربعين ذراعاً وتلقف في حلقها كلّ ما يأمرها بابتلاعه، ويلبس ثوب إبراهيم الذي أتى به جبرائيل عليه السلام لمّا رماه نمرود في النار فصارت عليه برداً وسلاماً وهو قميص يوسف عليه السلام الذي ألقوه على وجه يعقوب فارتدّ بصيراً ويخرج وهو لابس خاتم سليمان ومعه تابوت بني إسرائيل الذي فيه جميع مواريث الأنبياء وآثارهم ولم يبق كافر على وجه الأرض ولو أنّ كافراً لجأ إلى صخرة أو شجرة لنادت الصخرة هذا الكافر عندي فاقتلوه، ويمسح يده على رؤوس المؤمنين فتتضاعف عقولهم وأحلامهم وتصير كاملة ويكون للمؤمن من القوّة ما لو أراد قلع جبل الحديد لقلعه ويطيعهم كلّ شيء حتّى سباع الهواء وتفخر بقاع الأرض بعضها على بعض بأنّ واحداً من أصحاب القائم عليه السلام مشى عليها وينزع الله الخوف والحزن من قلوب المؤمنين ويلبسها قلوب أعدائهم وينوّر الله سبحانه أسماعهم وأبصارهم حتّى أنّهم إذا كانوا في بلاد والمهدي عليه السلام في بلاد أُخرى يكون لهم من السمع والبصر ما يرونه ويشاهدون أنواره ويسمعون كلامه ومخاطباته معهم ويتكلّمون معه، ويدفع الله عنهم الضعف والكسل والبلاء والأمراض وتنزل أمطار السماء بالبركات التي منعت منذ غصبوا خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ويرتفع الحقد والبغضاء من بين المخلوقات حتّى يرعى الذئب والشاة والسبع والبقر، وحتّى أنّ المرأة تخرج وحدها من العراق إلى الشام ولا تضع رجلها إلّا فوق الورود والأزهار، مع أنّها لابسة حليّها ولا يضرّها سارق ولا سبع، وأوّل ما يظهر يقطع أيدي بني شيبة الذين معهم مفاتيح الكعبة في هذه الأعصار ويعقلها (يعلّقها خ) على الكعبة؛ وينادي عليهم هؤلاء بنو شيبة سراق الكعبة؛ ويخرج أولاد قاتلي الحسين عليه السلام فيقتلهم لأنّهم

رضوا بصنع آبائهم ومن رضي بفعل قبيح كان كمن أتاه، ويحيي عائشة ويعذّبها على إيذائها لفاطمة ومارية، ويقتل مانع الزكاة وتنوّر الأرض بنوره، وترفع الظلمة ولا يحتاج الناس إلى الشمس والقمر، ويعمر كلّ واحد من المؤمنين ألف سنة يولد له في كلّ سنة ذكر، ويبني في ظهر الكوفة مسجداً ويعلّق عليه ألف باب، ويجري من عند قبر الحسين عليه السلام نهراً إلى النجف يصبّ ماؤه في بحر النجف؛ وتبنى على ذلك النهر الأرحية وقال الباقر عليه السلام كأنّي أنظر إلى العجوز وعلى رأسها زنبيل فيه حنطة تمضي لتطحنه من غير كراء.

ويستقر هو وعياله في مسجد السهلة ويخرب المساجد المبنيّة ويجعلها عريشاً كعريش مسجد موسى عليه السلام؛ ويهدم شرف المساجد ومنارها، ويوسّع الجادة حتّى يجعلها ستّين ذراعاً، ويهدم كلّ مسجد بني في الطريق ويخرب كل روزنة وجناح إلى الطريق وكذا الميازيب والبيوت التي تشرع إلى الجوار، ويأمر الله الفلك بإبطاء الحركة حتّى يكون كلّ يوم من أيّامه مقابل عشرة من هذه الأيّام ويهدم الكعبة ويبنيها على أساس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ويهدم المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويصنعها على ما كانت عليه في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله، ويردّ مقام إبراهيم عليه السلام إلى موضعه الأوّل من موضعه الآن الذي وضعه فيه عمر، ويرفع البدع ويقيم السنن ويستغني الشيعة حتّى لو أنّ الإنسان وضع زكاة ماله على عاتقه يحملها ليطلب الفقير لم يجده ولا يقبل من أهل الكتاب جزية ولا يقبل من أحد سوى الإسلام وقد يكون الرجل قائماً على رأس المهدي عليه السلام ممتثلاً لأوامره ونواهيه، فينظر إليه فيأمر المهدي عليه السلام بضرب عنقه بسبب أنّه أضمر في قلبه شيئاً قبيحاً، ويخرج القرآن الذي ألّفه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يعمل به الأشقياء ويرتفع هذا القرآن إلى السماء ويعمل بذلك القرآن وقال أمير المؤمنين عليه السلام كأنّي أنظر إلى الشيعة قد بنوا الخيام بمسجد الكوفة وجلسوا يعلّمون القرآن الجديد للناس[1].

---

(١) يعني الجديد من حيث التفسير والتأويل وبيان الحقائق لا أن ذلك القرآن غير هذا القرآن الذي بأيدينا اليوم فإن القرآن الكريم باقٍ في الأرض ببقاء الدهر إلى يوم القيامة وهو مع العترة الطاهرة لن يفترقا حتى يردا على النبي صلى الله عليه وآله في الحوض كما هو ثابت في السنة المتواترة القطعية فلا بد من توجيه وتأويل ما يروى بخلافها من الآحاد فقوله: (ويرتفع القرآن إلى السماء) كناية عن عظمة القرآن وعلوه في ذلك الزمان وإعلاء كلمة الإسلام بسبب ظهور علوم القرآن وحقائقه وانكشافها للناس واستعدادهم لأخذها من منبعها وصاحبها وما أودعه الله تعالى من العلوم الحقيقية عند خزان العلم والحكمة أعني العترة الطاهرة سلام الله عليهم =

وإذا بعث المهدي عليه السلام والياً إلى بلد يقول إنّ كتابك في كفّك فإذا ورد عليك حكم لم تعرف حكم الله فيه انظر إلى كفّك فإنّ الله يكتب لك حكم تلك القضيّة فيه حتّى تعلمه، ثمَّ يرسل عليه السلام عسكراً إلى اسطنبول فإذا وصلوا إلى الخليج كتبوا شيئاً على أقدامهم ومشوا على الماء فإذا شاهد الروم هذه الحالة منهم تعجّبوا وقالوا كيف يكون حال المهدي؛ فيفتحون اثني عشر بلداً وسلام الناس على المهدي عليه السلام في ذلك الوقت: السلام عليك يا بقيّة الله، ويظهر في مسجد الكوفة عين دهن وعين ماء طهور وعين ماء للشرب؛ فإذا استقرّ عليه السلام في الكوفة بعث عساكر إلى الشام لقتل بني أميّة، فينهزمون إلى بلاد الإفرنج ويمنعونهم عن الدخول إلى بلادهم؛ ويقولون ما ندخلكم بلدنا إلّا أن تدخلوا في ديننا وهو دين النصارى فيتنصّرون ويلبسون الزنّار ويدخلون بلاد الإفرنج فإذا وصل عسكر المهدي عليه السلام إلى بلاد الإفرنج طلبوا منهم الأمان فيقولون لا أمان لكم إلّا أن تدفعوا إلينا بني أميّة؛ فيسلّمونهم إليهم فيقتلونهم كلّهم ويصنع ما صنع النبيّ صلى الله عليه وآله من العفو عمّا وقع في زمن الجاهليّة وإجراء أحكام الإسلام عليهم من حين نبوّته فكذا المهدي عليه السلام.

وروى الشيخ قطب الدين بإسناده إلى الباقر عليه السلام قال إنّ الحسين عليه السلام خطب خطبة قبل مقتله، فقال إنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني يوماً فقال يا بنيّ إنّ الناس يحملونك على المسير إلى العراق وفيها أرض هي محلّ ملاقاة الأنبياء وأوصيائهم واسمها عمورا، فتقتل شهيداً ويقتل جماعة من أصحابك ولكن لا يصل إليهم حرّ الحديد، ثمَّ تلا ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكما أنّ النار صارت برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام فكذلك تكون السيوف عليك وعلى أصحابك برداً وسلاماً ثمَّ قال الحسين عليه السلام والله إن قتلونا ليكون مرجعنا ذلك الوقت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فنمكث معه في ذلك العالم ما شاء الله، فأول من تنشق عنه الأرض قبل القيامة أنا ويكون خروجي موافقاً لخروج أمير المؤمنين والقائم عليهما السلام، فينزل عليّ من الله تعالى جنود من الملائكة لم تنزل قبل ذلك اليوم، وينزل عليّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وجماعة من الملائكة وينزل محمّد وعليّ وأنا وأخي وجماعة

= يظهر في زمن ظهور الدولة الحقة الإلهية كما يستفاد ذلك من الأخبار أيضاً وفي قوله: وإذا بعث المهدي عليه السلام والياً إلى بلاد يقول إن كتابك في كفك إلخ إشارة إلى ارتقاء العلم غاية عظيمة في ذلك العصر عصر العلم والنور ببركة مولانا الإمام صاحب الزمان أرواحنا فداه ولذا أطلق على ذلك العصر أيام الله ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] مع أن الأيام كلها لله.

كثيرة على خيول بلق من نور لم يركبها أحد قبلنا، فيدفع النبيّ صلى الله عليه وآله علمه وسيفه إلى القائم عليه السلام فنمكث ما شاء الله؛ ويظهر الله تعالى من مسجد الكوفة عيناً من دهن وعيناً من ماء وعيناً من لبن؛ فيدفع إليّ أمير المؤمنين عليه السلام سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ويرسلني إلى المشرق والمغرب فما أمرّ على عدوّ إلّا أهرقت دمه؛ وأحرق كل صنم على وجه الأرض حتّى أبلغ إلى الهند وأفتح جميع بلدانها.

ويحيي الله دانيال ويوشع فيأتيان إلى أمير المؤمنين عليه السلام فيقولان صدق الله ورسوله فيما وعدكم فيبعث أمير المؤمنين عليه السلام معهم سبعين رجلاً ليقتلوا عساكر البصرة، ويرسل عسكراً إلى بلاد الإفرنج فيفتح بلدانها، وأقتل أنا كلّ حيوان حرام اللحم ولم يبق على وجه الأرض إلّا طيّب حلال اللحم؛ وأعرض على اليهود والنصارى وسائر أهل الأديان الإسلام أو القتل فمن أسلم قبلت إسلامه، ومن لم يقبل قتلته بإذن الله تعالى؛ ولم يبق أحد من الشيعة إلّا أنزل الله سبحانه عليه ملكاً يمسح الغبار عن وجهه ويطلعه على مكانه من الجنّة؛ ولا يبقى ذو آفة وبلاء إلّا عافاه الله تعالى ببركة الأئمّة عليهم السلام، وينزل الله بركات السماء إلى الأرض حتّى أنّ الشجر ليحمل من الثمار حتّى تنكسر أغصانه، ويأكل الشيعة ثمار الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] ويفتح الله على الشيعة من كراماته بحيث لا يخفى عليهم خبر حتّى أنّ المؤمن ليخبر أهله بعلم ما يعملون[١].

وفي الروايات أنّ الحسين عليه السلام أوّل من تنشق عنه الأرض ويحكم في الدنيا مدّة طويلة حتّى يقع شعر حاجبيه على عينيه، وقد روي في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٦]، أنّ الحسين عليه السلام يظهر مع السبعين الذين استشهدوا معه وعلى رؤوسهم التيجان؛ وفي بعض الروايات أنّه يخرج مع الحسين عليه السلام سبعون نبيّاً كما كانوا مع موسى عليه السلام وكلّهم يبلّغ الناس أنّ هذا الحسين بن عليّ عليهما السلام قد خرج حتّى لا يشك فيه أحد؛ وحتّى يعرفوا أنّه غير الدجّال وغير الشيطان، وفي ذلك الوقت يكون القائم عليه السلام بينهم، فإذا استقرّ أمر الحسين عليه السلام في قلوب المؤمنين قرب أجل المهدي عليه السلام وتوفّي فيتولّى الحسين عليه السلام غسله وكفنه وحنوطه والصلاة عليه، لأنّ الإمام لا يغسله ولا يصلّي

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٨٠.

عليه إلّا الإمام؛ وفي رواية أُخرى أنّ الحسين عليه السلام يملك الدنيا كلّها بعد وفاة المهدي عليه السلام ثلاثمائة سنة وتسع سنين؛ فإذا توفّي الحسين عليه السلام ظهر أمير المؤمنين عليه السلام حتّى يكون نوبة دولته عليه السلام.

وفي الأخبار الكثيرة عن بريد العجلي أنّه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى في إسماعيل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] ما المراد بإسماعيل هذا أهو ابن إبراهيم، فقال عليه السلام لا بل هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى جماعة فكذّبوه وسلخوا جلد وجهه ورأسه، فبعث الله عليهم ملك العذاب وهو سطاطائيل فأتى إلى إسماعيل وقال إنّ الله أرسلني إليك بما تأمر في عذابهم، فقال إسماعيل عليه السلام لا حاجة لي في عذابهم، فأوحى الله سبحانه إليه إن كان لك حاجة إليّ فاطلبها؛ فقال يا ربّ إنّك أخذت علينا معاشر الأنبياء أن نوحّدك ونقرّ بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وبإمامة الأئمّة عليهم السلام، وأخبرت الخلائق بما يفعل الظالمون بولده الحسين ووعدت الحسين عليه السلام الرجوع إلى الدنيا حتّى يأخذ ثأره وينتقم من ظالميه فحاجتي يا ربّ أن ترجعني في زمانه لأجل أخذ ثأري وأقتل من قتلني؛ فقبل الله حاجته وجعله من الذين يرجعون في زمان الحسين عليه السلام؛ وفي رواية أُخرى أنّ الحسين عليه السلام يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفاً من الرجال.

وروى عاصم بن حميد عن الباقر عليه السلام قال إنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب خطبة ذات يوم فحمد الله فيها وأثنى عليه بالوحدانيّة، وقال إنّ الله سبحانه قد تكلّم بكلمة فصارت نوراً فخلق منه نور النبيّ ونوري ونور الأئمّة وتكلّم بكلمة أُخرى فصارت روحاً فأسكنها في ذلك النور وذلك النور مع تلك الروح ركّبها في أبداننا معاشر الأئمّة، فنحن الروح المصطفاة ونحن الكلمات التامّات ونحن حجّة الله الكاملة على الخلق؛ فنحن كنّا نوراً أخضر حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا مخلوق من المخلوقات، وكنّا نسبّح الله ونقدّسه قبل خلق الخلق؛ فأخذ الله لنا العهد من أرواح الأنبياء على الإيمان بنا وعلى نصرتنا؛ وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١]، فقال عليه السلام يعني الإيمان بمحمّد صلى الله عليه وآله ونصرة وصيّه؛ وهذه النصرة قد صارت قريبة؛ وقد أخذ الله الميثاق منّي ومن نبيّه لينصر كلّ منّا صاحبه؛ فأمّا أنا فقد نصرت النبيّ صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه وأمّا نصرته لي وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد، لأنّهم ماتوا قبل إمامتي وبعد هذا

سينصرونني في زمان رجعتي، ويكون لي ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله لنصرتي الأنبياء من آدم إلى محمّد يجاهدون معي، ويقتلون بسيوفهم الكفّار الأحياء والكفّار الأموات الذين يحييهم الله تعالى؛ وأعجب وكيف لا أعجب من أموات يحييهم الله تعالى يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجاً فوجاً لبّيك لبّيك يا داعي الله، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها حتّى يقتلون الكافرين والجبّارين والظالمين من الأوّلين والآخرين؛ حتّى يحصل لنا ما وعدنا الله ثمَّ تلا هذه الآية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

قال عليه السلام يعني يعبدونني ولا يتّقون من أحد لأنّ لي رجعة بعد رجعة؛ وحياة بعد حياة، أنا صاحب الرجعات وصاحب الصولات وصاحب الانتقامات وصاحب الدولة العجيبة أنا حصن الحديد وأنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا أمين الله على علمه وصندوق سرّه وحجابه وصراطه وميزانه وكلمته؛ أنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآياته الكبرى، أنا صاحب الجنّة والنار أُسكن أهل الجنّة في جنّتهم وأهل النار في نارهم، وأنا الذي أُزوّج أهل الجنّة وإليّ مرجع هذا الخلق في القيامة وعليّ حسابهم[١].

---

(١) لا يتوهم القارىء الكريم كما توهمه بعض القاصرين من الجامدين أن هذه الفقرات وأمثالها في الخبر تنافي مع قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٦] وإن الأمور كلها بيد الله تعالى وهو الذي يسكن أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم. .
فإن التوسع في لغة العرب كثير وأنواع الكنايات والمجازات في المحاورات والكلمات كثيرة كما تقول: بنى الأمير المدينة ونقول: بنى العمال المدينة الأول تسبيباً وإشرافاً والثاني مباشرة وعملاً. والله سبحانه هو الذي يأمر أنبياءه وأوصياءهم محاسبة الخلق فيكون حسابهم عليه أمراً وإشرافاً وإحاطة والأنبياء محاسبون مباشرة وولاية ويصح نسبة الحساب عن هذه الحيثيات إلى الله جل شأنه من جهة وإلى الأئمة عليهم السلام من جهة أُخرى انظر الفردوس الأعلى ص ٧٨ ط ٢ تبريز ولا تنس قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨] وغيرها من الآيات الشريفة.
والله سبحانه هو خالق الموت ولا يقدر عليه أحد سواه وملك الموت والمراد به الجنس والملائكة يتوفون الأنفس ويباشرون لقبض الأرواح عن الأبدان بإذنه تعالى وأمره فنسبة التوفي إليه سبحانه خلقاً وأمراً وإحاطة ونسبته إلى الملائكة مباشرة وعملاً وكذا الحال في أمثال هذه التعبيرات والمجازات وما أكثر تلك التوسعات في لغة الضاد لغة القرآن الكريم. =

وأنا المؤذّن على الأعراف وأنا الذي أظهر آخر الزمان في عين الشمس، وأنا دابّة الأرض التي ذكرها الله في الكتاب أظهر آخر الزمان ومعي عصى موسى وخاتم سليمان أضعه في وجه المؤمن والكافر فتنقش فيه هذا مؤمن حقّاً وهذا كافر حقّاً، وأنا أمير المؤمنين وإمام المتّقين ولسان المتكلّمين وخاتم أوصياء النبيّين ووارثهم وخليفة الله على العالمين وأنا الذي علّمني الله علم البلايا والمنايا وعلم القضاء بين الناس، وأنا الذي سخّر لي الرعد والبرق والسحاب والظلمة والنور، والرياح والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم أيّها الناس اسألوني عن كلّ شيء.

= ونسبة أمير المؤمنين عليه السلام لنفسه إسكان أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم لأنه، قسيم الجنة والنار فإن محبته تورث الجنة وبغضه يورث النار ولقد قصر نظر بعض المعاصرين من أهل السنة وقال في كلام له: (أين هذا الاغترار بقسمة الجنة والنار من قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]).

وقد تخيل أن كون أمير المؤمنين عليه السلام قسيم الجنة والنار يوجب الاغترار مع أنا نؤمن بما تفيده الآية الشريفة وأن الله يحاسب عباده يوم القيامة ويوازن أعمالهم ونؤمن أيضاً أن محبة أمير المؤمنين عليه السلام ومودته ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] عند الميزان والحساب ولو بقدر حبة من خردل توجب الجنة وبغضه يوجب النار فهو قسيم الجنة والنار وكفى بنا الله تعالى يوم القيامة حاسباً أيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض. روى الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه علل الشرائع بإسناده عن المفضل بن عمر قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام بما صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار قال لأن حبه إيمان وبغضه كفر وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة والجنة لا يدخلها إلا أهل محبته والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه قال المفضل يابن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعداؤهم يبغضونه فقال نعم قلت فكيف ذلك قال أما علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ما يرجع حتى يفتح الله على يده قلت بلى قال أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أُتي بالطائر المشوي قال اللهم ائتني بأُحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير وعنى به علياً عليه السلام قلت بلى قال يجوز أن لا يحب أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله فقلت لا قال فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أُممهم لا يحبون حبيب الله وحبيب رسوله وأنبيائه قلت لا قال فقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب محبين وثبت أن المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبته مبغضين قلت نعم قال فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار (الحديث) انظر أيضاً إلى تفسير الصافي المقدمة الثالثة.

وعن الصادق عليه السلام أنّ الشيطان لمّا قال ربّ أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فيخرج الشيطان مع جميع عساكره وتوابعه من يوم خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهو آخر رجعة يرجعها أمير المؤمنين عليه السلام فقال الراوي كم لأمير المؤمنين عليه السلام من رجعة؟ فقال إنّ له رجعات ورجعات، وما من إمام في عصر من الأعصار إلّا يرجع معه المؤمنون في زمانه والكافرون فيه حتّى يستولي أولئك المؤمنون على أولئك الكافرين فينتقمون منهم؛ فإذا جاء الوقت المعلوم ظهر أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه وظهر الشيطان مع أصحابه، فيتلاقى العسكران على شطّ الفرات في مكان اسمه الروحاء قريب الكوفة، فيقع بينهم حرب لم يقع في الدنيا من أوّلها وآخرها وكأنّي أرى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا منهزمين حتّى تقع أرجلهم في الفرات فعند ذلك يرسل الله سحابة مملوءة من الملائكة يتقدّمها النبيّ صلى الله عليه وآله وبيده حربة من نور، فإذا نظر الشيطان إليه أدبر فارّاً، فيقول له أصحابه إلى أين تفرّ ولك الظفر عليهم فيقول إنّي أرى ما لا ترون إنّي أخاف من عقاب ربّ العالمين؛ فيصل النبيّ صلى الله عليه وآله ويضربه ضربة بالحربة بين كتفيه فيهلك بتلك الضربة هو مع جميع عساكره؛ فعند ذلك يعبد الله على الإخلاص ويرتفع الكفر والشرك، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا أربعين ألف سنة ويولد لكلّ واحد من شيعته ألف ولد من صلبه في كلّ سنة ولد، وعند ذلك يظهر البستانان عند مسجد الكوفة الذي قال الله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٤]؛ وفيهما من الاتّساع ما لا يعلمه إلّا الله تعالى[1].

وقد روي في تفسير قوله: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، أنّ الله سبحانه قد قرّر لكلّ أحد موتاً وقتلاً؛ فإن كان قد مات قبل الرجعة قتل فيها، وإن كان قد قتل قبلها رجع حتّى يموت فيها؛ وفي الأخبار الكثيرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [النمل: ٨٣] أنّ تأويلها في الرجعة لأنّ في القيامة الكبرى يحشر الله الخلائق كلّهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة كما في الآيات الأُخر. وروي عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ

(١) الاعتقاد اللازم في مسألة الرجعة وهي من الاعتقادات الخاصة الإيمانية إنما هو على نحو الإجمال وأما التفاصيل التي نقلها المصنف رحمه الله وكذا ما ينقله بعدها فهي منقولة بطريق الآحاد ولذا لا توجب لنا علماً والاعتقاد بتلك التفاصيل المنقولة غير لازم في هذه المسألة الاعتقادية.

مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]: أنّ تأويلها في النواصب والسفياني أنّه يكون طعامهم في الرجعة العذرة. وفي أحاديث المعراج: يا محمّد إنّ عليّاً يكون في آخر من أقبض روحه من الأئمّة؛ وهو دابّة الأرض الذي يكلّم الناس.

وفي الروايات عن الصادق عليه السلام قال إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يرجع مع ابنه الحسين عليه السلام رجعة، وترجع معه بنو أميّة ومعاوية وآل معاوية وكلّ من قاتله فيعذبهم بالقتل وغيره؛ ويرجع الله من أهل الكوفة ثلاثين ألفاً ومن سائر الناس سبعين ألفاً، ويتلاقون للحرب مع معاوية وأصحابه بصفّين في الموضع الذي كان فيه ذلك الحرب فيقتلون معاوية وأصحابه في ذلك المكان، ثمّ يحييهم الله سبحانه مرّة فيعذّبهم مع فرعون وآل فرعون أشدّ العذاب، ثمّ يرجع أمير المؤمنين عليه السلام مرّة أُخرى مع النبيّ صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء عليهم السلام فيدفع النبي صلى الله عليه وآله علمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويكون كلّ الأنبياء تحت ذلك العلم، ويكون الأئمّة عليهم السلام عمّالاً له في البلدان وحكّاماً من تحت يده فيعبد الله علانية بدون تقيّة، ويعطي الله نبيّه من الملك ما يوازي ملك جميع الدنيا من أوّلها إلى آخرها حتّى يكون قد أنجز له ما وعده. وفي الحديث أنّه إذا قرب قيام القائم يكون في جمادى الآخرة وعشرة أيّام من رجب مطر ما رأى الخلائق مثله، فينبت عليه لحوم المؤمنين في قبورهم، كأنّي أنظر إليهم قد أقبلوا من جانب جهينة ينفضون التراب من فوق وجوههم.

وفي الرواية أنّه يقوم مع القائم سبعة وعشرون رجلاً، منهم خمسة عشر رجلاً من قوم موسى الذين كانوا يهدون الناس بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة وهم أصحاب الكهف، ويوشع بن نون وصيّ موسى؛ وسلمان الفارسي وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر فيكونون حكّاماً من جانبه. وروي أنّه إذا قام القائم بعث الله إلى كلّ قبر من قبور المؤمنين ملكاً يناديه هذا إمامك قد ظهر فإن أردت أن تحيى وتلحق به، وإن أردت أن تبقى في النعيم إلى يوم القيامة في مكانك. وعن الصادق عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إذا رجع ملك الدنيا خمسين ألف سنة وملكها أمير المؤمنين عليه السلام أربعة وأربعين ألف عام. وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، قال والله ما تنقضي الدنيا حتّى يرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فيلتقيان في النجف ويبني مسجداً في ظهر الكوفة يعلّق عليه اثني عشر ألف باب. وروى ابن طاووس أنّ عمر الدنيا مائة ألف سنة يكون منها عشرون ألف سنة ملك جميع أهل الدنيا، ويكون ثمانون ألف سنة منها مدّة ملك آل محمّد.

وعن الصادق عليه السلام قال كأنّي أنظر إلى سرير من النور وفوقه قبّة من الياقوت

الأحمر مزيّنة بأنواع الجواهر والحسين عليه السلام جالس فوق ذلك السرير وفي حوله تسعون ألف قبّة خضراء والمؤمنون يأتون إلى السلام عليه فوجاً فوجاً، فينادي مناد من الله تعالى أيّها المؤمنون اسألوني حوائجكم فلقد ظلمتم وأُوذيتم فيّ؛ فلا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلّا قضيتها، ويؤتى إليهم بطعامهم وشرابهم من الجنّة؛ وقد ورد في الأخبار الكثيرة أنّ الله تعالى يرجع في دولة المهدي عليه السلام جماعة من الأخيار وجماعة من الأشرار من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً والباقون ملهى عنهم إلى يوم القيامة؛ وقد عرفت أنّ الآيات دالّة عليه أيضاً والأخبار الدالّة على رجوع الحسين وأمير المؤمنين عليهما السلام متواترة، وفي رجوع سائر الأئمّة قريبة التواتر، فلقد نقل منها بعض مشايخنا قريباً من مائتي حديث عن أربعين رجلاً من ثقاة المحدّثين من خمسين أصلاً من الأصول المعتبرة.

وروى السيّد ابن طاووس في كتاب مصباح الزائر عن الصادق عليه السلام أنّه قال من دعا بهذا الدعاء أربعين صباحاً كان من أنصار القائم عليه السلام، وإن مات قبل ظهوره عليه السلام أحياه الله تعالى حتّى يجاهد معه، ويكتب له بعدد كلّ كلمة منه ألف حسنة ويمحى عنه ألف سيّئة وهو هذا الدعاء الشريف المبارك: بسم الله الرحمٰن الرحيم اللهّم ربّ النور العظيم والكرسي الرفيع وربّ البحر المسجور ومنزل التوراة والإنجيل والزبور، ورب الظلّ والحرور ومنزل القرآن العظيم وربّ الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين اللهم إنّي أسألك بوجهك الكريم وبنور وجهك المنير وملكك القديم يا حيّ يا قيّوم أسألك باسمك الذي أشرقت به السمٰوات والأرضون وباسمك الذي يصلح به الأولون والآخرون يا حي قبل كلّ حيّ يا حي بعد كلّ حي يا حي حين لا حي يا محيي الموتى ومميت الأحياء يا حي لا إلٰه إلّا أنت، اللهم بلّغ مولانا الإمام الهادي المهدي القائم بأمرك صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها وسهلها وجبلها وبرّها وبحرها عنّي وعن والديّ من الصلوات زنة عرش الله ومداد كلماته وما أحصاه علمه وأحاط به كتابه، اللهمَّ إنّي أجدّد له في صبيحة يومي هذا وما عشت فيه من أيّام حياتي عهداً وعقداً وبيعةً له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبداً؛ اللهمَّ اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابّين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والممتثلين لأوامره ونواهيه والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهدين بين يديه؛ اللهمّ إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضيّاً فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرّداً قناتي، ملبّياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي؛

اللهمَّ أرني الطلعة الرشيدة والغرّة الحميدة، واكحل ناظري بنظرة منّي إليه وعجّل فرجه وسهّل مخرجه وأوسع منهجه واسلك بي محجّته وأنفذ أمره واشدد أزره؛ وقوّ ظهره واعمر اللهمَّ به بلادك وأحي به عبادك فإنّك قلت وقولك الحقّ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] فأظهر اللهمَّ لنا وليّك وابن وليّك وابن بنت نبيّك المسمّى باسم نبيّك (رسولك خ) حتّى لا يظفر بشيء من الباطل إلّا مزّقه ويحق الحق ويحقّقه؛ واجعله اللهم مفزعاً لمظلوم عبادك وناصراً لمن لا يجد له ناصراً غيرك، ومجدّداً لما عطّل من أحكام كتابك ومشيّداً لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيّك ﷺ؛ واجعله ممّن حصّنته من بأس المعتدين؛ اللهمَّ سرّ نبيّك محمّداً ﷺ برؤيته ومن تبعه على دعوته، وأرحم استكانتنا بعده، اللهم اكشف هذه الغمّة عن هذه الأمّة بحضوره وعجّل لنا ظهوره إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً برحمتك يا أرحم الراحمين.

وروي عن الصادق والكاظم عليهما السلام قالا لو قد قام القائم لحكم بثلاث لم يحكم بهنّ أحد قبله: يقتل الشيخ الزاني ويقتل مانع الزكاة، ويورث الأخ في الأظلّة. وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال رجل لعمّار بن ياسر يا أبا اليقظان آية في كتاب الله عزّ وجلّ أفسدت قلبي وشكّكتني، قال عمّار وأيّ آية هي؟ قال قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] الآية، فأيّة دابّة هذه؟ قال عمّار والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتّى أريكها، فجاء عمّار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمراً وزبداً، فقال يا أبا اليقظان إجلس، فجلس عمّار وجعل يأكل معه فتعجّب الرجل منه، فلمّا قام عمّار قال الرجل سبحان الله يا أبا اليقظان حلفت أن لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتّى ترينيها؟ قال عمّار قد أريتكها إن كنت تعقل. وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦]، قال في الرجعة إذا رجع أمير المؤمنين عليه السلام ويرجع أعداؤه فيسمهم كما توسم البهائم على الخراطيم: الأنف والشفتان.

وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧] أنّ الإنسان هنا هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أي ماذا فعل وماذا أذنب حتّى قتلتموه؛ ثمَّ قال: ﴿مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠﴾ [عبس: ١٨-٢٠]، قال سبيل الخير: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ [عبس: ٢١-٢٢]، قال في الرجعة: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٣] أي لم يقض ما قد أمره. وفي الروايات عن أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام أنّ الله تعالى خلق خلقاً على خلاف

الجنّ والنسناس، يدبّون كما تدبّ الهوام في الأرض، يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام كلّهم ذكران ليس فيهم إناث لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ولا حبّ الأولاد ولا الحرص ولا طول الأمل، ولا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار؛ ليسوا ببهائم ولا هوامّ، لباسهم ورق الشجر، ثمَّ أراد الله أن يفرّقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكوّن لهم مدينة جابرسا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثمَّ أسكنهم فيها، وأسكن الفرقة الأُخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر، وكوّن لهم مدينة جابلقا طولها وسورها كالأولى، وعلى كل مدينة منهما سبعون ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبه، قال الحسن عليه السلام وأنا أعرف تلك اللغات، وما فيهما وما عليهما حجّة غيري وغير أخي لا يعلم بهما أحد من أهل أوساط الأرض ولا يعلمون بطلوع الشمس ولا غروبها لأنّها تطلع من دونهم وتغرب من دونهم ولكنّهم يستضيئون بنور الله ولا يرون أنّ الله تعالى خلق شيئاً من الكواكب[1] فقيل يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم؟ قال لا يعرفونه ولا سمعوا بذكره، ولم يكتسب أحد منهم خطيئة، لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون إلى يوم القيامة، يعبدون الله تعالى لا يفترون؛ الليل والنهار عندهم سواء وإنّهم يبرأون من فلان وفلان. قيل له كيف يتبرَّأُون من فلان وفلان وهم لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه؟ فقال عليه السلام أتعرف إبليس إلّا بالخبر وقد أُمرت بلعنه والبراءة منه؛ وقد وكل الله تعالى بهم ملائكة متى لم يلعنوهما عذّبوا؛ وفيهم جماعة لم يضعوا السلاح مذ كانوا ينتظرون قائمنا؛ يدعون أن يريهم الله إيّاه؛ ويعمر أحدهم ألف سنة يتلون كتاب الله كما علّمناهم، وإنّ فيما نعلّمهم ما لو تلي على الناس لكفروا به ولهم خرجة مع الإمام إذا قاموا يسبقون فيها أصحاب السلاح فيهم كهول وشبّان، إذا رأى شابّ منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتّى يأمره؛ وإذا أمرهم الآمر بأمر قاموا عليه أبداً حتّى يكون هو الذي يأمرهم بغيره، لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب أحدهم بسيفه جبلاً لقدّه، يغزو بهم الإمام الهند والديلم والكرك والترك والروم وبربر[2].

(١) لا يبعد أن يكون جابرسا وجابلقا من الكرات التي لا ارتباط لها مع هذه الكرة الأرضية التي نحن نعيش فيها والله العالم.
(٢) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٤١ باب ١٥.

وعن الصادق عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، قال إذا خرجت أنا وشيعتي وخرج عثمان بن عفّان وشيعته ونقتل بني أميّة فعندها يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

واعلم أنّ الأخبار قد اختلفت في مدّة ملك القائم عليه السلام على ما سبق؛ ومن الأخبار ما رواه الخثعمي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام كم يملك القائم عليه السلام؟ قال سبع سنين يطول له الأيّام والليالي حتّى تكون السنة من سنينه مكان عشر سنين من سنينكم (سنيّكم خ) هذه. وفي رواية أبي بصير قال قلت جعلت فداك كيف يطول السنون؟ قال يأمر الله الفلك بالثبوت وقلّة الحركة فتطول الأيّام لذلك والسنون، قال قلت إنّهم يقولون إنّ الفلك إذا تغيّر فسد، قال ذلك قول الزنادقة فأمّا المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك، وقد شقّ الله القمر لنبيّه صلى الله عليه وآله وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون، وأخبر بطول القيامة وأنّه كألف سنة ممّا تعدّون.

وقال شيخنا الطبرسي قدّس الله روحه في إعلام الورى: قد جاءت الرواية الصحيحة بأنّه ليس بعد دولة القائم دولة لأحد إلّا ما روي من قيام ولده عليه السلام إن شاء الله تعالى، ولم ترد به الرواية على القطع والبتات، وأكثر الروايات أنّ القائم عليه السلام لن يمضي من الدنيا إلّا قبل يوم القيامة بأربعين يوماً يكون فيه الهرج والمرج، وتغلق فيه أبواب التوبة وهو علامة خروج الأموات وقيام الساعة.

أقول: الحقّ أنّ الأخبار الواردة في باب الرجعة مختلفة جدّاً مع كثرتها، فمن جملة اختلافها ترتيب ملك الأئمّة عليهم السلام وكيفيّة حكمهم في الدنيا، أهو على طريق الاجتماع أم على طريق الانفراد، وفي أنّ أيّ دولة وملك يتّصل بالقيامة من ملكهم عليهم السلام (١) والذي يخطر بالبال في وجه الجمع هو أمران:

الأوّل: إنّ ملكهم ودولتهم وإن تعدّدت لكنّها في حكم دولة واحدة سواء كان ملكهم في زمان واحد أم في أزمنة مختلفة؛ لأنّه لا تنافس بينهم في الملك سلطان كلّ واحد منهم ينسب إلى الآخر لاتّحاد الغرض لا كسلاطين الدنيا، وإذا اجتمعوا عليهم السلام في محلّ واحد فمن قدّموه منهم في صلاة أو غيرها كان هو المقدّم في ذلك الفعل ليس إلّا. نعم إذا كان معهم في ذلك المكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير

---

(١) لا يجب الاعتقاد في باب الرجعة بتلك التفاصيل وما ذكره المصنف رحمه الله في وجه الجمع مجرد احتمال لا يوجب القطع.

المؤمنين عليه السلام فالظاهر أنّه لم يتقدّمهما أحد من الأئمّة عليهم السلام على ما ورد في كثير من الأخبار؛ وأمّا من قال بأنّ ذلك العصر لمّا كان منسوباً إلى المهدي عليه السلام فينبغي أن يكون هو رئيس ذلك العصر والمتقدّم فيه على غيره فكلامه خال عن التحقيق، وذلك أنّ ذلك العصر منسوب إليهم كلّهم عليهم السلام لأنّه وقت سلطنة الكلّ ودولتهم لأنّه لم يملك أحد منهم قبل ذلك الزمان ملكاً بالاستقلال لأنّ عليّاً عليه السلام قد ملك سلطاناً لم يتمكّن فيه من عزل شريح القاضي ولا من عزل من نصبه المتخلّفون الثلاثة؛ ولا قدر على محو بدعة ابتدعوها، بل يمكن أن يقال إنّ نسبة تلك الدولة المستقبلة إلى أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام أكثر من نسبتها إلى المهدي عليه السلام، وذلك لأنّ الغرض الأصلي من تلك الدولة الأخذ بالحقوق الماضية وقصاص الظالمين على ما وقع منهم، ولم يقع ظلم على أحد من مخلوقات الله كعشر معشار ما وقع عليهما، وأمّا المهدي عليه السلام فهو وإن وقع عليه ظلم عظيم لكنّه لا يصل إلى ذلك الحدّ وبالجملة فهي دولة واحدة وملك غير متعدّد فينسب ما يقع عقيب هذا إلى ذلك وبالعكس.

الثاني: إنّك قد عرفت أنّ كلّ واحد من الأئمّة عليهم السلام يقال له القائم والمهدي لوجود ذلك المعنى فيه، فما ورد في الأخبار من أنّ الدنيا لا تبقى بعد القائم أكثر من أربعين يوماً يجوز أن يكون المراد منه أمير المؤمنين والحسين عليه السلام، وهذا بعض أحوال القائم عليه السلام. وروى المعلّى بن خنيس عن الصادق عليه السلام قال: إنّ يوم النيروز وهو اليوم الذي أخذ فيه النبيّ صلى الله عليه وآله العهد فيه بغدير خم فأقرّوا فيه بالولاية، فطوبى لمن ثبت عليها والويل لمن نكثها، وهو اليوم الذي وجّه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام إلى وادي الجنّ فأخذ عليهم العهود والمواثيق؛ وهو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا أهل البيت وولاة الأمر ويظفر بالدجّال فيصلبه على كناسة الكوفة، وما من يوم نيروز إلّا ونحن نتوقّع فيه الفرج لأنّه من أيّامنا، حفظه الفرس وضيّعتموه، ثمّ إنّ نبيّاً من بني إسرائيل سئل ربّه أن يحيي القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله فأوحى الله إليه أن صبّ الماء عليهم في مضاجعهم فصبّ عليهم الماء في هذا اليوم فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً؛ فصار صبّ الماء في يوم النيروز سنّة ماضية لا يعرف سببها إلّا الراسخون في العلم وهو أوّل يوم من سنة الفرس.

وروى المعلّى أيضاً قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام صبيحة يوم النيروز فقال يا معلّى أتعرف هذا اليوم؟ قلت لا لكنّه يوم تعظمه العجم وتبارك فيه؛ قال كلاّ

والبيت العتيق الذي ببطن مكّة ما هذا اليوم إلّا لأمر قديم أُفسرّه لك حتّى تعلمه فقلت لعلمي هذا من عندك أحبّ إليّ من أن أعيش أبداً ويهلك الله أعداءكم، فقال يا معلّى يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله فيه ميثاق العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يدينوا برسله وحججه وأوليائه وهو أوّل يوم طلعت فيه الشمس وهبّت به الرياح اللواقح، وخلقت فيه زهرة الأرض وهو اليوم الذي أحيى الله فيه القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم، وهو اليوم الذي هبط فيه جبرائيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام على منكبه حتّى رمى أصنام قريش من فوق البيت الحرام فهشمها.

وأمّا الدجّال فقد عرفت في حديث الصدوق أنّه يخرج من أصبهان؛ وفي الأخبار الكثيرة أنّه يخرج من سيستان بلدة من بلاد العجم؛ ويمكن الجمع بين الأخبار بأنّ له خروجاً مكرّراً كما أنّ أحواله مختلفة عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ وأمّا الذي يقتله فهو المسيح عليه السلام ولكن بحكم المهدي عليه السلام بعد أن يفتح الدجّال أكثر البلاد وتدخل الخلائق في سلطانه، إمّا رغبة في حطام الدنيا لما قد عرفت من أنّه إذا سار إلى مكان تسير معه جبال من الطعام امتحاناً للخلق وابتلاءً حتّى يتميّز الزين من الشين؛ فإنّ ذلك الوقت هو الوقت الذي قال فيه الصادق عليه السلام: والله لتغربلنّ غربلة ولتبلبلنّ بلبلة ولتساطنّ سوط القدر فيجعل أعلاكم أسفلكم، وأسفلكم أعلاكم، ويسبق سبّاقون قد كانوا مقصّرين قبل خروج القائم ويتأخّر من كان سابقاً؛ ومن هذا جاء التشبيه بسوط القدر من اختلاف أحواله وكون العالي في بعض الأحوال يصير سافلاً في الحالة الأُخرى وبالعكس كما وقع على الناس بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله فلقد تأخّر من كان متقدّماً وتقدّم من كان متأخّراً ألا ترى إلى طلحة والزبير مع سبقهما في الإسلام وشدّة جهادهما زمن النبيّ صلى الله عليه وآله واستقامة أحوالهما ذلك الزمان كيف انعكست قضيّتهما حتّى أخرجا المرأة وقاتلا معها إمامهما الذي بايعاه على رؤوس الأشهاد، ومن هنا قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، أي مهملاً متروكاً من الابتلاء والامتحان وأمّا فلان وفلان وفلان فلم يكونوا في زمانه صلى الله عليه وآله من السابقين في الإيمان والإسلام إلّا باللسان، كما نقل في الأخبار أنّ الخليفة الأوّل قد كان مع النبيّ صلى الله عليه وآله وصنمه الذي كان يعبده زمن الجاهليّة معلّق بخيط في عنقه ساتره بثيابه، وكان يسجد ويقصد أنّ سجوده لذلك الصنم إلى أن مات النبيّ صلى الله عليه وآله فأظهروا ما كان في قلوبهم وقد تقدّم مجمل أحوالهم.

وأمّا المجتهدون منهم فقد أنكروا رجعة المهدي عليه السلام وشنّعوا علينا تشنيعاً كثيراً نظماً ونثراً، ونسبونا في توقّع القائم عليه السلام إلى طلب المحال فكان شعراؤهم يخاطبون محبوبهم بأنّ طمعنا في وصالك قد صار كطمع الروافض في انتظار القائم، يعني أنّ ذلك محال وهذا مثله وأمّا أبو حنيفة فقد روي صاحب كتاب الاحتجاج أنّه قال يوماً لمؤمن الطاق إنّكم تقولون بالرجعة؟ قال نعم؛ قال أبو حنيفة فأعطني الآن ألف درهم حتّى أعطيك ألف دينار إذا رجعنا، قال الطاقي فأعطني كفيلاً بأنّك ترجع إنساناً ولا ترجع خنزيراً أو قرداً وأمّا شيخهم الغزالي فذهب في إحيائه إلى أنّ الرافضي إذا جاء يطلب بدمه نقول له أنّ الدم الذي تطلبه هدر في هذه الأوقات لأنّه موقوف على إمامك الغائب فأحضره لنا حتّى نمكّنك من دمك والأخذ به؛ ونحن نقول أنّ ذلك القاتل إن كان من جماعتكم فلنا الإذن في قتله من أئمتنا عليهم السلام وإنّهم قالوا إنّ دم المخالف كفّارته وديته تيس والتيس خير منه، هذا إذا لم يقتل وأمّا إذا تعدّى على مواليه الشيعة وقتل منهم فهو من باب العبد إذا قتل مولاه فالإذن لنا حاصل في القتل لكن هذا الزمان زمان هدنة وتقيّة فتأخّر هذا الحكم عنكم لمصالح؛ وأمّا إذا كان القاتل من الشيعة فإن كنتم تخافون الله تعالى فارجعوهم إلى علماء دينهم ليحكموا عليهم بحكم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

فإن قلت رويت في هذه الأخبار أنّ القائم عليه السلام لا يقبل من أحد من أهل الملل والأديان إلّا القتل أو الإيمان، وقد روي الكليني طاب ثراه عن الباقر عليه السلام أنّه إذا قام القائم عرض الإيمان على كلّ ناصب فإن دخل فيه بحقيقة وإلاّ ضرب عنقه أو يؤدّي الجزية كما يؤدّيها اليوم أهل الذمّة؛ ويشدّ على وسطه الهميان ويخرجهم من الأمصار إلى السواد فما وجه التوفيق بين هذه الأخبار؛ قلت أمّا شيخنا المعاصر سلّمه الله تعالى فقد صار إلى الأخبار السابقة؛ وأوّل هذا الخبر بأنّه محمول على زمان أوّل ظهوره وابتدائه وعندما يستقلّ بالأمر يقتل أهل الرايات وذوي الرايات والخروج يعمد إلى النواصب فلا يقبل منهم إلا الإيمان أو القتل؛ وأمّا نحن فالذي يظهر لنا هو تأويل تلك الأخبار وأنّ القتل فيها إمّا محمول على الأكثر باعتبار وقوعه برؤسائهم ومن لا يقبل الجزية منهم؛ وإمّا بحمله على إرادة ما يعم الهوان والمذلّة فإنّ من كان منهم سلطاناً في هذه الأعصار إذا حصل عليه أنواع الهوان والذلّ كان القتل أهون عليه من تلك الحال، ويؤيّده أنّ الشيعة في ذلك العصر يكونون حكّاماً ولا ريب أنّهم يحتاجون إلى رعايا يدخلون تحت حكمهم ويقومون بخدمتهم ولا

يناسبه أن يكونوا من الشيعة أيضاً بل ينبغي أن يكونوا من أهل المذاهب الباطلة والأديان العاطلة.

ولنرجع الآن إلى أحوال أمثالنا من الناس، ولمّا كان الإنسان محتاجاً في أموره وأسفاره إلى الأيّام والساعات وسعودها ونحوسها فلنعقد له نوراً.

نور في سعود الأيام ونحوسها

اعلم أنّ الأخبار قد دلّت على أنّ كلّ من توكّل على الله في جميع أموره من غير ملاحظة سعود الأيّام ونحوسها كان الله متكفّلاً بحفظه وحراسته، وقد روي الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى الصقر بن أبي دلف، قال سألت أبا الحسن الثالث عليه السلام فقلت حديث روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله لا أعرف معناه، قال وما هو؛ قلت قوله لا تعادوا الأيّام فتعاديكم ما معناه فقال نعم نحن الأيّام ما دامت السمٰوات والأرض، فالسبت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، والأحد أمير المؤمنين عليه السلام، والإثنين الحسن والحسين عليهما السلام، والثلاثاء عليّ بن الحسين ومحمّد بن علي وجعفر بن محمّد عليهم السلام، والأربعاء موسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن علي الجواد وأنا، والخميس ابني الحسن، والجمعة ابن ابني وإليه تجمع عصابة الخلق؛ وهو الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فهذا معنى الأيّام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة؛ ثمّ قال ودّع واخرج فلا آمن عليك؛ أقول الظاهر أنّ ما أشار إليه عليه السلام هو تأويل الحديث وبطنه وهو لا ينافي إرادة ظاهره أيضاً، فإنّ كلام النبيّ صلى الله عليه وآله كالقرآن في أنّ له ظاهراً وباطناً، وحينئذ فظاهره يرجع إلى الردّ على من أخذ نحوس الأيّام وسعودها من أقوال المنجّمين وأضرابهم؛ فلا ينافي الأخبار الواردة بذمّ بعض الأيّام والشهور، وحيث انتهى الحال إلى هنا فلا بأس بذكر هذه الأمور مفصّلة من الأخبار ولنبتدئه بذكر الشهور فنقول:

روى عليّ بن طاووس بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: إنّ **اليوم الأوّل من الشهر**: خلق الله فيه آدم وهو يوم مبارك لطلب الحوائج وللدخول على الحكّام والسلاطين؛ ولطلب العلم والتزويج، وللأسفار والبيع والشراء وشراء الحيوانات وإذا ضلّ فيه حيوان أو فقد فإنّه يرجع إلى صاحبه بعد ثمانية أيّام، وإذا مرض فيه مريض فإنّه يعافى بإذن الله تعالى، وإذا ولد فيه مولود يكون فرحاً مستبشراً مباركاً إلى آخر عمره.

اليوم الثاني: خلقت فيه حوّاء وهو مبارك للتزويج والبنيان وكتابة السجلاّت والديون وغيرها، ولطلب الحوائج، وإذا مرض المريض في أوّله يعافى بخلاف آخره وإذا ولد فيه مولود يكون حسن الرؤية والتربية.

اليوم الثالث: يوم نحس قد أُخرج آدم وحوّاء فيه من الجنّة؛ وينبغي أن يكون حاجتك فيه إصلاحك أمور بيتك ولا تخرج فيه إلى أغراضك الخارجة عن البيت ما أمكنك ولا تدخل فيه على السلاطين ولا تبع فيه ولا تشتر وكل عبد يأبق فيه فإنّه يردّ إلى مولاه وإذا مرض فيه المريض يصل إلى مشقّة شديدة وإذا ولد فيه مولود يكون واسع الرزق طويل العمر.

اليوم الرابع: مبارك للزراعة والصيد والبناء وشراء الحيوانات، ويكره فيه السفر فمن سافر فيه يخاف عليه القتل أو نهب المال أو البلاء العارض، وفيه تولّد هابيل ويكون المولود فيه مباركاً؛ وإذا ضلّ فيه الآبق عسر رجوعه إلى صاحبه لأنّه يلجأ إلى ملجأ يعسر رجوعه منه.

اليوم الخامس: يوم نحس قد تولّد فيه قابيل وفيه قتل هابيل فلا تلتمس فيه أغراضك ولا تخرج فيه من بيتك، ومن حلف فيه يميناً جوزي عليه سريعاً والمولود فيه يكون حسن الحال؛ وفي حديث سلمان لا تدخل فيه على السلاطين.

اليوم السادس: مبارك لطلب الحوائج وللتزويج ومن سافر فيه في البرّ أو البحر رجع إلى أهله بما طلب؛ ومبارك فيه شراء الدوابّ؛ وإذا ضاع فيه ولد يرجع إلى أهله سريعاً، والمولود فيه يكون حسن الحال سالماً من الآفات وهو مبارك للصيد وطلب المعاش، وفي رواية سلمان أنّ الطيف الذي يرى فيه يظهر تفسيره بعد يوم أو يومين.

اليوم السابع: مبارك لطلب الحوائج ومن شرع فيه بمشق أو كتابة فإنّه يصير كاملاً على أحسن الوجوه؛ ومن ابتدأ فيه ببناء أو تزويج كان حسن العاقبة؛ والمولود فيه يكون حسن التربية واسع الرزق وهو يوم مبارك للصيد.

اليوم الثامن: مبارك للحوائج ومن دخل فيه على السلطان قضيت حاجته، ويكره فيه سفر البرّ والبحر وارتكاب الحروب، والمولود فيه يكون مبارك الولادة، والآبق فيه لا يحصل في اليد إلّا بتعب عظيم، ومن ضلَّ عن الطريق لا يصل إليه إلّا بعد مشقّة شديدة والمريض فيه ينال فيه تعباً ومشقّة؛ وفي رواية أُخرى أنّه مبارك لكلّ شيء إلّا للسفر وفي رواية سلمان أنّه مبارك لكلّ شيء.

اليوم التاسع: مبارك لابتداء الأغراض والحوائج، ومبارك للقرض والزراعة وغرس الأشجار وللظفر على الأعداء ومن سافر فيه لقي الخير وينجو من فرّ فيه من العدوّ؛ ومن مرض فيه سكن عنه ألم المرض وكلّ ما ضاع فيه يصل إلى أهله، والمولود فيه يكون مباركاً على جميع الأحوال وموفّقاً ورزقه واسع، وفي رواية سلمان أنّ من رأى فيه طيفاً ظهر أثره في ذلك اليوم.

اليوم العاشر: تولّد فيه نوح عليه السلام والمولود فيه يكون عمره طويلاً ورزقه واسعاً وهو مبارك للبيع والشراء والسفر، وإذا ضاع فيه شيء وجد؛ والآبق فيه يرجع إلى صاحبه وإذا مرض فيه مريض فهو حقيق بأن يوصي، وهو مبارك للبذر والحرث ولبيع السلف وفي رواية سلمان أنّ أثر الطيف الذي يرى فيه يظهر بعد عشرين يوماً.

الحادي عشر: تولّد فيه شيث عليه السلام وهو مبارك لقضاء الحوائج وللبيع والشراء وللسفر، وينبغي أن يحترز فيه عن الدخول على السلاطين، والآبق فيه يرجع باختياره سريعاً، والمريض فيه يرجى له الشفاء سريعاً؛ ومن ولد فيه يكون طيّب العيش في حياته، ولكن لا بدّ له قبل موته من فرار من السلطان، وفي رواية سلمان أنّ أثر الطيف فيه يظهر بعد عشرين يوماً.

الثاني عشر: مبارك للتزويج ولفتح الحوانيت وللشراكة ولسفر البحر، وفي هذا اليوم لا ينبغي أن يصير الإنسان واسطة بين اثنين، والمريض فيه يرجى له الشفاء، والمولود فيه يكون سهل التربية والآبق فيه يرجع، والمولود فيه يكون طويل العمر ولا يفتقر مدّة عمره.

الثالث عشر: يوم نحس فليحترز فيه عن الجدال والنزاع والدخول على الملوك والسلاطين وحلق الرأس ومسحه بالدهن وجميع الحوائج، والآبق فيه لا يرجع ولا يحصل سريعاً، ومن مرض فيه يناله التعب، والمولود فيه لا يكون عمره طويلاً، وفي رواية سلمان أنّ أثر الطّيف فيه يظهر إلى تسعة.

اليوم الرابع عشر: مبارك لطلب الحوائج والمولود فيه يكون ظالماً؛ ويكون مباركاً لطلب العلم والبيع والشراء والسفر وأخذ القرض ولركوب البحر؛ ويرجع الآبق فيه والمريض فيه يعافى إن شاء الله تعالى، والمولود فيه يكون طويل العمر راغباً في تحصيل العلوم ويكون غنيّاً في آخر عمره؛ وفي رواية سلمان أنّه مبارك للدخول على السلاطين والمنام فيه يقع بعد عشرين.

اليوم الخامس عشر: مبارك لجميع الأمور إلّا لأخذ القرض وكتابة القبالة؛

والآبق فيه يرجع سريعاً والمريض فيه يعافى سريعاً؛ والمولود فيه يكون أخرس، وفي رواية سلمان أنّ المنام فيه يظهر أثره بعد ثلاثة أيّام.

السادس عشر: يوم نحس لا يصلح لطلب الحوائج ولكن يكون الشروع في البنيان مباركاً فيه، والمسافر فيه يكون هالكاً والآبق فيه يرجع سريعاً، والضالّ فيه عن الطريق يكون سالماً والمريض فيه يعافى سريعاً، والمولود فيه قبل الزوال يكون مجنوناً وإذا تولّد بعد الزوال يكون حسن الحال، وفي رواية سلمان أنّ المنام فيه يظهر أثره بعد يومين.

السابع عشر: يوم وسط فاحذر فيه من المجادلة ومن إعطاء القرض وأخذه فمن أعطى فيه قرضاً لم يرجع إليه ومن أخذ فيه قرضاً لم يوفّق لأدائه، والمولود فيه يكون حسن الأحوال وفي رواية أُخرى أنّ الحجامة فيه موجبة للشفاء.

الثامن عشر: يوم مبارك لطلب الحوائج من البيع والشراء والحرث والسفر، وإذا تخاصم أحد مع خصمه فيه غلب عليه؛ والقرض فيه يرجع إلى صاحبه ومن مرض فيه عوفي؛ والمولود فيه يكون مباركاً.

التاسع عشر: يوم مبارك قد تولّد فيه إسحاق عليه السلام والسفر فيه مبارك والسعي في الرزق وفي الحوائج وتعلّم العلوم، ولا يصلح فيه شراء الرقيق والدواب والضالّ والآبق فيه يرجع بعد خمسة عشر يوماً والمولود فيه يوفّق للخيرات.

العشرون: من أوسط الأيّام ومبارك للسفر وقضاء الحوائج وللبناء ولصنع عريش الشجر ولشراء الدوابّ، ومن ضلّ فيه عن الطريق خيف عليه الهلاك؛ والمريض فيه يكون صعب المرض والمولود فيه يكون ضيّق المعاش.

الحادي والعشرون: يوم نحس فلا تطلب فيه الحوائج واحذر فيه من السلطان والدخول عليه، والمسافر فيه يخاف عليه الهلاك والمتولّد فيه يكون فقير الأحوال، وفي رواية أُخرى أنّه لا ينبغي أن يفعل فيه إلّا ذبح الحيوانات.

الثاني والعشرون: مبارك لطلب الحوائج والبيع والشراء وللدخول على السلاطين والصدقة فيه مقبولة والمريض فيه يعافى سريعاً، والمسافر فيه يرجع بعافية وفي صحّة؛ وفي حديث آخر أنّه يوم خفيف يصلح فيه جميع الأغراض.

الثالث والعشرون: تولّد فيه يوسف عليه السلام ومبارك لطلب الحوائج والتجارات وللدّخول على السلطان وللتزويج والمسافر فيه يرجع بغنيمة وخير والمولود فيه يكون حسن التربية.

الرابع والعشرون: يوم نحس تولّد فيه فرعون فلا تلتمس فيه طلب الحوائج، ومن تولّد فيه يصعب عليه معاشه في الدنيا ولا يوفّق للخير؛ وفي آخر عمره إمّا يقتل أو يغرق والمريض فيه يطول عمره.

الخامس والعشرون: يوم نحس فاحفظ نفسك فيه ولا تخرج فيه بغير حاجة وفيه ابتلاء (ابتلى خ) الله سبحانه قوم فرعون في مصر بآيات العذاب والمريض فيه يبتلى بمرض صعب لكن ينجو منه؛ وفي رواية سلمان إلجأ إلى الله من شرّ هذا اليوم بالدعاء والصلاة وعمل الخير.

السادس والعشرون: مبارك للسفر ولجميع الأمور إلّا للتزويج فإنّ من تزوّج فيه يقع الفراق بينه وبين زوجته؛ لأنّه اليوم الذي فرق الله فيه البحر لموسى عليه السلام والمسافر لا ينبغي أن يدخل منزله في هذا اليوم؛ والمريض فيه يكون حاله صعباً والمولود فيه يكون طويل العمر.

السابع والعشرون: مبارك للحوائج؛ والمولود فيه يكون حسن الخَلق والخُلق طويل العمر مع سعة المعاش محبوب القلوب؛ وفي رواية أخرى أنّه مبارك فيه السفر.

الثامن والعشرون: مبارك للحوائج وفيه تولّد يعقوب عليه السلام، والمولود فيه يكون كثير الهمّ والغمّ ويبتلى بأمراض العين؛ وبرواية سلمان أنّ الطيف فيه يظهر أثره بعد عشرين يوماً.

التاسع والعشرون: مبارك لجميع الحوائج، والمولود فيه يكون حليماً؛ ومن سافر فيه حصّل مالاً كثيراً ومن مرض فيه ألبسه الله العافية؛ وفيه ينبغي أن يكتب الإنسان وصيّته وفي رواية أُخرى أنّه مبارك لجميع الحوائج خصوصاً للدخول على السلاطين والدخول على الإخوان والمحبّين وفي رواية سلمان أنّ الطيف فيه يظهر أثره في ذلك اليوم.

الثلاثون: مبارك للبيع والشراء والتزويج؛ والمولود فيه يكون حليماً مباركاً؛ والآبق فيه يرجع إلى صاحبه ومن ضيّع فيه شيئاً لقيه ومن استقرض فيه شيئاً وفّق لأدائه سريعاً، وعن الكاظم عليه السلام لا تترك فيه الحجامة فإن تركته فيه فلا تتركه في اليوم الرابع.

وأمّا الأيّام فالأوّل يوم الجمعة: وهو يوم مبارك وهو عيد أحسن الأعياد ويستحب فيه دخول الحمّام وحلق الرأس وقصّ الأظفار وأخذ الشارب، ويكره السفر فيه قبل الزوال لمكان الصلاة وبعد الزوال يكون السفر مباركاً، وفي بعض

الأخبار أنّ فيه ساعة من احتجم فيها هلك فلذا كره فيه الحجامة، وفي بعض الأخبار تخصيص الكراهة بوقت الزوال، وفي بعض آخر إنّ الحجامة فيها لا بأس بها، وعن الكاظم عليه السلام أنّ من احتاج إلى الحجامة في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وليحتجم؛ وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه إذا برد الهواء دخل إلى البيت يوم الجمعة للمنام وإذا خرج وقت الحرّ يخرج أيضاً يوم الجمعة، وفي بعض الروايات أنّ النورة فيه تورث البرص؛ وفي كثير من الأخبار أنّ النورة فيه لا بأس بها بل في بعضها تصريح بالاستحباب؛ وفي الأخبار أنّه يوم نكاح وتزويج ويستحبّ فيه نسل الشعر والتطيّب ولبس الثياب الفاخرة وشراء الثمار فيه لأهل المنزل وغسل الرأس بالسدر أو الخطمي وهو مبارك لجميع الأمور.

يوم السبت: يوم مبارك قال النبيّ صلى الله عليه وآله بارك الله لأمّتي في سبتها وخميسها، ويبارك فيه كلّ أمر خصوصاً الأسفار، وفي الحديث أنّه لو تحرّك حجر من موضعه يوم السبت لردّه الله إلى موضعه، وتقليم الأظفار وأخذ الشارب فيه حسن أيضاً؛ وفي الحديث أنّ من قلّم أظفاره يوم السبت والخميس عافاه الله تعالى من وجع الضرس والعين؛ وأنّ الحجامة فيه تورث الضعف.

يوم الأحد: متوسّط من الأيّام، وفي الحديث أنّه مبارك للبناء والأغراس.

يوم الاثنين: انحس الأيّام وفي الحديث أنّ أنحس أيّام السنة يوم عاشوراء وأنحس أيّام الأسبوع يوم الاثنين وهو يوم منسوب إلى بني أميّة جعلوه عيداً لما قتلوا الحسين عليه السلام. وقد مات فيه النبيّ صلى الله عليه وآله فلا يبارك فيه شيء من الأمور، وفي بعض الأخبار أنّ الحجامة فيه في وقت العصر لا بأس بها وفي بعض الأخبار أنّ الحجامة فيه كلّه لا بأس بها وقد ورد في الأحاديث النهي عن السفر فيه من غير غرض مهمّ، وفي الروايات أنّ صبح الاثنين لأكثر الأغراض.

يوم الثلاثاء: يوم مبارك قد ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام وإنّ من احتجم فيه وكان هو يوم الرابع عشر أو السابع عشر أو العشرين شافاه الله تعالى من أوجاع كلّ السنة وفي الحديث أنّ فيه ساعة من احتجم واتّفق فيها لم ينقطع دمه حتّى يهلك وأنّ من كانت له حاجة مشكلة فليطلب قضاءها يوم الثلاثاء؛ وفي بعض الأخبار النهي عن تقليم الأظفار فيه وفي الخبر أنّه يوم حرب ويوم يصلح فيه أخذ الدم.

يوم الأربعاء: يوم نحس لأكثر الأغراض وقد ورد النهي فيه عن الحجامة والنورة والسفر وفي بعض الروايات تجويز الحجامة والسفر فيه وإذا احتاج إلى الحجامة فيه

فالأحسن وقوعها في آخر النهار، وفي الخبر النهي عن الحجامة فيه إذا كان القمر في العقرب وفي الحديث أنّه جيّد لأخذ الدواء.

يوم الخميس: مبارك لجميع الحوائج خصوصاً للحجامة والأحسن وقوعها قبل الزوال، ويحسن فيه تقليم الأظفار والأولى أن يترك ظفراً منها ليوم الجمعة؛ وفي الحديث أنّ النبيّ ﷺ إذا أحرّ (احترّ خ) الهواء يخرج من البيت للمنام يوم الخميس؛ وورد أيضاً أنّه للدخول على الأمراء ولقضاء الحوائج.

وفي عيون الأخبار حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه ثمَّ قام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن يوم الأربعاء وتطيّرنا منه وثقله وأيّ أربعاء هو؟ فقال آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق، وفيه قتل قابيل أخاه؛ ويوم الأربعاء أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار، ويوم الأربعاء وضعوه في المنجنيق؛ ويوم الأربعاء أغرق الله فرعون ويوم الأربعاء جعل الله عزّ وجلّ عاليها سافلها، ويوم الأربعاء أرسل الله الريح على قوم عاد ويوم الأربعاء أصبحت كالصريم ويوم الأربعاء سلّط على نمرود البقّة؛ ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى عليه السلام ليقتله؛ ويوم الأربعاء خرّ عليهم السقف من فوقهم، ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان؛ ويوم الأربعاء خرّب بيت المقدّس؛ ويوم الأربعاء حرّق مسجد سليمان بن داود باصطخر من كورة فارس ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريّا عليهما السلام؛ ويوم الأربعاء أظلّ فرعون أوّل العذاب ويوم الأربعاء خسف الله عزّ وجلّ بقارون ويوم الأربعاء ابتلي أيّوب عليه السلام بذهاب أهله وماله وولده، ويوم الأربعاء أُدخل يوسف عليه السلام السجن ويوم الأربعاء قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥١]؛ ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة ويوم الأربعاء عقروا الناقة؛ ويوم الأربعاء شجّ النبيّ ﷺ وكسرت رباعيّته ويوم الأربعاء أُمطرت عليهم حجارة من سجّيل، ويوم الأربعاء أخذت العمالقة التابوت، وسأله عن الأيّام وما يجوز فيها من العمل؛ فقال أمير المؤمنين عليه السلام يوم السبت يوم مكر وخديعة ويوم الأحد يوم غرس وبناء ويوم الإثنين يوم سفر وطلب ويوم الثلاثاء يوم حرب ودم؛ ويوم الأربعاء يوم شؤم تتطيّر فيه الناس ويوم الخميس يوم الدخول على الأمراء وقضاء الحوائج، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح.

قال المؤلّف عفا الله عنه: الظاهر أنّ المراد باليوم في أكثر هذه الأخبار ما يشمل الليل أيضاً وله شواهد من الأخبار؛ فإن قلت ذكرت تقليم الأظفار ولم تذكر كيفيّته؛ قلت قد وردت أكثر الأخبار مطلقة؛ منها ما رواه الصدوق طاب ثراه عن الحسين بن

أبي العلا أنّه قال للصادق عليه السلام ما ثواب من أخذ من شاربه وقلّم أظفاره في كلّ جمعة، قال لا يزال مطهّراً إلى الجمعة الأُخرى؛ وقال الباقر عليه السلام من أخذ من أظفاره وشاربه كلّ جمعة وقال حين يأخذه بسم الله وبالله وعلى سنّة محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم لم يسقط من قلامة ولا جزازة إلّا وكتب الله عزّ وجلّ له بها عتق نسمة، ولم يمرض إلّا مرضه الذي يموت فيه ونحو ذلك من الأخبار؛ وهذا دليل على أنّ الترتيب غير منظور إليه ولكنّ المرويّ من فعل النبيّ صلى الله عليه وآله الابتداء بالمسبّحة من اليد اليمنى ثمّ الوسطى، وهكذا على الترتيب يبدأ باليسرى بالخنصر إلى أن يختم بإبهام اليمنى.

وقد ذكر له بعض المحقّقين نكتة لطيفة وهي أنّ اليد أشرف من الرجل فليبدأ بها واليمنى أشرف من اليسرى، واليمنى خمسة أصابع والمسبّحة أفضل وهي المشيرة في كلمتي الشهادة من بين الأصابع، ثمّ بعدها ينبغي أن يبتدأ بما على يمينها إذ الشرع يستحبّ إدارة الطهور وغيره عن (على خ) اليمنى وإن وضعت ظهر اليد على الأرض فالإبهام هو اليمنى؛ وإن وضعت الكف فالوسطى هي اليمنى واليد إذا تركت بطبعها كان الكفّ مائلاً إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكفّ عالياً فما يقتضيه الطبع أولى؛ ثمّ إذا وضعت الكفّ على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبّحة إلى أن يعود إلى المسبّحة فيقع البداية بخنصر اليسرى والختم بإبهامه ويبقى إبهام اليمنى؛ وإنّما قدّرت الكف موضوعاً على الكفّ حتّى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من وضع الكفّ على ظهر الكفّ أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فإنّ ذلك لا يقتضيه الطبع.

قال وأمّا أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيه نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فإنّ المعاني التي ذكرناها لا تتجه هاهنا إذ لا مسبّحة في الرجل، وهذه الأصابع في حكم صفّ واحد ثابت على الأرض، فيبدأ من جانب اليمنى فإنّ تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين انتهى كلامه. وفي الفقيه أنّ من قلّم أظفاره يوم الجمعة يبدأ بخنصره من اليد اليسرى ويختم بخنصره من اليد اليمنى والاعتماد عندي على هذا وقد روي عكسه أيضاً والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال.

نور في بعض الأسباب الموجبة لدفع نحوسة الأيّام وفي أحوال شهر محرّم الحرام وأحوال الكسوف والخسوف

اعلم أنّ التوكّل على الله سبحانه من أقوى الأسباب فيه وكذلك الأدعية المنقولة وآيات القرآن والتصدّق فقد ورد في الحديث اقرأ آية الكرسي واحتجم في كلّ يوم وتصدّق وسافر في كلّ يوم تريد. وفي الخبر أنّ الصدقة والدعاء يردّان البلاء وقد أُبرم إبراماً. وعن سهل بن يعقوب قال دخلت على الهادي عليه السلام وكان عندي كتاب فيه أخبار عن الصادق عليه السلام في اختيارات الأيّام فصحّحها لي فقلت له إنّ الإنسان قد يضطرّ في أكثر أوقاته إلى السفر في بعض الأيّام لأغراضه فما يفعل؟ فقال عليه السلام: يا سهل إنّ ولايتنا ومحبّتنا تحفظ شعيتنا من كلّ بلاء ومصيبة، لو أنّ محبّينا وموالينا يسلكون البرّ والبحر ويدخلون بين السباع والأعداء من الجنّ والإنس لأمنوا شرّهم بولايتنا ومحبّتنا، فاعتمد على الله وأخلص الولاية لنا، ثمَّ علّمه دعاءً للاعتصام.

وأمّا أحكام عاشوراء فقد روي الشيخ الراوندي في كتاب القصص عن الصدوق بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال إنّ في كتاب دانيال عليه السلام أنّ المحرّم إذا كان يوم السبت يكون الشتاء بارداً وتغلو فيه الحنطة، ويكثر موت الأطفال وتسلم فيه الزراعة من الآفات ويحصل في العنب وبعض الأشجار آفة وترخص فيه الأسعار، ويقع فيه الطاعون في بلاد الروم ويكون حرب بين الروم والعرب والظفر للعرب يغنمون أموال الروم ويأسرون ذراريهم ويكون الظفر للسلطان.

وإذا كان المحرّم يوم الأحد يكون الشتاء معتدلاً ويكون فيه مطر نافع، ويكون فيه أنواع الموت والبلاء ويكون العسل قليلاً في تلك السنة ويكون في الهواء أثر الطاعون والوباء، ويكون في آخر السنة غلاء قليل في المأكولات ويكون الغلاء للسلطان في آخره.

وإذا كان يوم الاثنين أوّل المحرّم فإنّه يكون الشتاء صالحاً ويكون في الصيف حرّ شديد ويكثر المطر في أوانه ويكثر العسل ويرخص الطعام والأسعار في بلدان الجبال، وتكثر الفواكه فيها وهي آذربيجان وعراق العجم والأهواز وفارس؛ وقيل المراد ببلاد الجبال همدان وما والاها؛ ويكثر تلك السنة موت النساء وفي آخر السنة يخرج خارجيّ على السلطان بنواحي المشرق؛ ويصيب بعض فارس غمّ ويكثر الزكام في أرض الجبل.

وإذا كان أوّل المحرّم يوم الثلاثاء فإنّه يكون الشتاء شديد البرد ويكثر الغنم والعسل؛ ويصيب بعض الأشجار والكرم آفة من حدث يحدث في السماء، ويموت فيه خلق ويخرج على السلطان خارجي قويّ وتكون الغلبة للسلطان، ويكون في أرض فارس في بعض الغلاّت آفة، وتغلو الأسعار بها في آخر السنة.

وإذا كان يوم الأربعاء أوّل المحرّم فإنّ الشتاء يكون وسطاً ويكون المطر في القيظ صالحاً نافعاً مباركاً وتكثر الثمار والغلاّت في الجبال كلّها وفي ناحية المشرق إلّا أنّه يقع الموت في الرجال في آخر السنة، ويصيب الناس بأرض بابل وبالجبل آفة وترخص الأسعار وتسكن مملكة العرب في تلك السنة ويكون الغلبة للسلطان.

وإذا كان يوم الخميس أوّل المحرّم فإنّه يكون الشتاء ملائماً ويكثر القمح والفواكه والعسل بجميع نواحي المشرق؛ وتكثر الحمى في أوّل السنة وفي آخرها وبجميع أرض بابل في آخر السنة، ويكون للروم على المسلمين غلبة ثمَّ تظهر العرب عليهم بناحية المغرب ويقع بأرض السند حروب والظفر لملوك العرب.

وإذا كان يوم الجمعة فإنّه يكون الشتاء بلا برد ويقلّ المطر وماء الأودية والعيون، وتقلّ الغلاّت بناحية الجبال مائة فرسخ في مائة فرسخ ويكثر الموت في جميع الناس، وتغلو الأسعار بناحية المغرب ويصيب بعض الأشجار آفة، ويكون للروم على الفرس كرّة شديدة وغلبة عظيمة.

وأمّا علامات كسوف الشمس في الاثني عشر شهراً، فإذا انكسفت الشمس في المحرم فإنّ السنة تكون خصيبة إلّا أنّه يصيب الناس أوجاع كثيرة في آخرها وأمراض، ويكون للسلطان الظفر على أعدائه وتكون زلزلة بعدها سلامة، وإذا انكسفت في صفر فإنّه يكون فزع وجوع في ناحية المغرب؛ ويكون قتال في المغرب كثير؛ ثمَّ يقع الصلح في ربيع الأوّل والظفر للسلطان وإذا انكسفت في ربيع الأول فإنه يكون بين الناس صلح ويقل الإختلاف والظفر للسلطان بالمغرب، ويقلّ البقر والغنم وتتّسع في آخر السنة الأرزاق ويقع الوباء في البدو بالإبل وإذا انكسفت في شهر ربيع الآخر فإنّه يكون بين الناس اختلاف كثير ويقتل منهم خلق عظيم، ويخرج خارجيّ على الملك ويكون فزع وقتال ويكثر الموت في الناس.

وإذا انكسفت في شهر جمادى الأوّل[1] فإنّه يكون السعة في جميع الناس بناحية

---

(١) كذا في النسخ والصحيح: الأولى.

المشرق والمغرب ويكون للسلطان إلى الرعيّة نظر ويحسن السلطان إلى أهل مملكته ويراعي جانبهم، وإذا انكسفت في جمادى الآخر فإنّه يموت رجل عظيم بالمغرب ويقع ببلاد مصر قتال وحروب شديدة، ويكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة، وإذا إنكسفت في رجب فإنّه تعمر الأرض وتكون أمطار كثيرة بناحية المشرق، ويكون جراد بناحية فارس ولا يضرّهم ذلك.

وإذا انكسفت في شعبان تكون سلامة في جميع الناس من السلطان، ويكون للسلطان ظفر على أعدائه بالمغرب ويقع وباء في الجبال في آخر السنة ويكون عاقبته إلى سلامة؛ وإذا انكسفت في شهر رمضان كان جملة الناس يطيعون عظيم فارس ويكون للروم على العرب كرّة شديدة؛ ثمَّ يكون على الروم ويسبى منهم ويغنم، وإذا انكسفت في شوال فإنّه يكون في أرض الهند والزنج قتال شديد ويكثر نبات الأرض بالمشرق وإذا انكسفت في ذي القعدة فإنّه يكون مطر كثير متواتر ويقع خراب بناحية فارس.

وإذا انكسفت في ذي الحجّة فإنّه يكون فيه رياح كثيرة وتنقص الأشجار ويقع بالأرض من المغرب خراب ويغلو عليهم، ويخرج خارجيّ على الملك ويصيبه منه شدّة ويقلّ طعام أهل فارس ثمَّ يرخص الطعام في السنة الثانية.

في علامات خسوف القمر طول السنة: إذا انكسف القمر في المحرّم فإنّه يموت رجل عظيم، وتنتقص الفاكهة بالجبال ويقع في الناس حكّة ويكثر الرمد بأرض بابل؛ ويقع الموت وتغلو أسعارها ويخرج خارجيّ على السلطان والظفر للسلطان ويقتلهم، وإذا انكسف في صفر فإنّه يكون جوع ومرض ببابل وبلادها حتّى يتخوّف على الناس ثمَّ يكون أمطار كثيرة فيحسن نبات الأرض وحال الناس ويكون بالجبال فاكهة كثيرة وإذا انكسف في شهر ربيع الأوّل فإنّه يقع في المغرب قتال ويصيب الناس يرقان وتكثر فاكهة البلاد بأرض ماه، ويقع الدود في البقول في الجبل ويقع خراب كثير بماه وإذا انكسف في شهر ربيع الآخر فإنّه يكثر الأنداء وهي الرطوبات والمياه بالجبال ويكثر الخصب والمياه بالجبال، وتكون السنة مباركة ويكون للسلطان الظفر بالمغرب، وإذا انكسف في جمادى الأولى فإنّه يهراق دماء كثيرة بالبدو ويصيب عظيم الشام بليّة شديدة؛ ويخرج خارجي على السلطان والظفر للسلطان.

وإذا انكسف في جمادى الآخرة فإنّه يقلّ الأمطار والمياه بنينوى ويقع فيها جزع شديد وغلاء ويصيب ملك بابل إلى المغرب بلاء عظيم وإذا انكسف في رجب فإنّه

يكون بالمغرب موت وجوع ويكون في أرض بابل أمطار ويكثر وجع العين في الأمصار، وإذا انكسف في شعبان فإنّ الملك يقتل أو يموت ويملك ابنه؛ وتغلو الأسعار ويكثر جوع الناس.

وإذا انكسف في شهر رمضان يكون بالجبل برد شديد وثلج ومطر وكثرة المياه ويقع بأرض فارس سباع كثيرة ويقع بأرض ماه موت كثير بالصبيان والنساء، وإذا انكسف في شوّال فإنّ الملك يغلب على أعدائه ويكون في الناس شرّ وبليّة وإذا انكسف في ذي القعدة فإنّه تنفتح المدائن الشداد وتظهر الكنوز في بعض الأرضين والجبال، وإذا انكسف في ذي الحجّة فإنّه يموت رجل عظيم بالمغرب ويدّعي رجل فاجر الملك.

قال مؤلّف الكتاب عفا الله عنه: هذه الملاحم علامات وضعها الله لنبيّه دانيال وقد جرّبناها فرأيناها صادقة في كلّ الموارد وهو دليل على صحّة الحديث الذي نقلت فيه.

وأمّا الملحمة الإسكندريّة فهي وإن لم تكن في الاعتبار مثل هذه الملحمة إلّا أنّها لا تخلو من قوّة واعتبار وموافقة التجارب فلذلك أردنا اختصارها هنا فنقول: قد ذكر في تلك الملحمة[1] أنّ الشمس إذا انكسفت في شهر أيار مع طلوع الشمس دلّ على شمول الاضطراب سائر البلاد، واضطراب أمر الجبال وانتقال الملك عن السلطان إلى غيره وعلى أنّ الملوك تتغيّر نيّاتهم على خواصّهم ويستبدلون بهم، وعلى أنّ المواشي تتناسل وكذلك البقر، وإن انكسفت وأظلم النهار فإنّه يشتدّ الرعود في تلك السنة ويكثر الأمطار إذا مضى من هذا الشهر اثنان وعشرون يوماً، وإن انكسفت والضياء باق كان الحرّ شديداً بالنهار؛ ونهب في الناس وتفريق في أهل المدائن

---

(١) هذه التأثيرات والأحكام المذكورة للكسوف والخسوف بحسب الشهور العربية والرومية أو غيرها لا ينبغي الركون إليها وهي نظير أحكام النجوم التي لا يجوز الإخبار بها والعمل والاعتماد عليها بل هذه الأحكام للكسوف والخسوف والأمطار والزلازل جلها بل كلها من أقوال أهل النجوم وحدسياتهم القديمة.

والعجب عن نقل المصنف رحمه الله هذه المطالب والأقوال في كتابه لو لم يكن إسقاط هذه المطالب من الكتاب تحريفاً له وخيانة لآثار السلف لكنا أسقطنا هذه التفاصيل عن الكتاب كبعض المطالب التي كان إسقاطها أولى ولكن لم نحذف من الكتاب شيئاً ولو حرفاً واحداً حفظاً له عن التغيير والتحريف وحفاظة للأمانة الموروثة لنا عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم.

وزروعها ودوابّهم وأمتعتهم؛ وقتال بين الملوك ويكون في آذربيجان وقعة صعبة وأمر شديد يجتمع الملوك بعضها إلى بعض؛ ويذهب أموال أهل الشرق والغرب؛ وإن كان كسوفها من قبل المشرق وذلك في أوّل النهار فإنّ الملك يظفر على أعدائه ويهلكهم، وإذا انكسفت في حزيران في أوّل النهار يدلّ على تجدد سلطان في بلد الجبل غير سلطانه وعلى أنّه يقتل وجوه الناس ويدلّ على حسن حال المواشي وتناسلها ووقوع الوباء في السواحل والمواضع التي هي قريبة من البحر، وعلى انتقال الملك من بعض الملوك إلى ولده وقتل والديه وانتشار الأمور ببابل واختلالها.

وإن انكسفت عند طلوعها وقع الشرّ والقتال بين ملكين ويهلكان جميعاً وإن كان عند غروبها يدلّ على هلاك أهل الغرب وهلاك رجل له قدر في بعض البلاد، وإن كانت في وسط السماء فأمر يحدث في الأرض وقتال بمصر ويقع فساد كبير في أرض بابل وإن انكسفت في تموز عند طلوعها تكثر الفتن في سائر المدن الملاصقة للمشرق وظهور الوباء في تلك السنة، وإن كان وسط السماء يدلّ على ارتفاع شأن ملك فارس وانقياد الملوك إليه، ويدلّ أيضاً على كثرة الوباء في عموم البلاد في أكثر الأرض وإن كان قبل المغرب يدلّ على خصب السنة وفساد التمور وعلى أنّه تطيع الملوك كلّها ملك بابل، وتشدّ الروم على العرب، ويغلبونهم.

وإن انكسفت في آب عند طلوعها يدلّ على قتال شديد وهرجة عظيمة صعبة، وإن كانت وسط السماء يدلّ على توسّط حال السنة إلّا أنّ الحنطة يكثر بعضها وينقص بعضها؛ وإن كان عند غروبها دلّ على كثرة الأراجيف المختلقة والقتال، ويدلّ على إمساك القطر وحسن أمور الملك ويقتل أعداءه وتحسن نيّة السلطان وأُولي الأمر في أتباعهم ورعاياهم، وإن انكسفت في أيلول عند طلوعها أوجب الغلاء واتّصال الفتن والشّر وإن كانت وسط السماء فإنّ بعض الملوك يقصد بلاد المغرب وتتّصل الفتن في سائر البلاد؛ ويقلّ المطر وتفسد التمور وتتعذّر في هذه السنة ويقع الشرّ في أرض بابل وإن كان عند غروبها يدلّ على حسن حال أهل نينوى وخراسان وكثرة التمور في تلك السنة.

وإن انكسفت ورأيت الشمس حمراء مستديرة في وقت الكسوف فإنّه يدلّ على قتال شديد وسفك الدماء، وقال ذو القرنين إنّه يهلك الملك وتكون الأسعار صالحة، ويهلك حصن من الحصون العظيمة وتكثر الأشجار وتصلح الأرض،

ويكون القتال والحرب في ناحية مصر؛ وإن انكسفت في تشرين الأوّل في أوّل النهار فإنّه يدلّ على هلاك رجل عظيم القدر ويموت الملك وتشتعل الحروب في الأرض؛ ويظهر الجراد وينقطع المطر وإن كانت وسط السماء فإنّه يسقط رجل عظيم القدر ويكون فساد في آذربيجان ويصيب الدواب والأغنام وينقطع الغيث مدّة ثلاثة أشهر، وإن انكسفت عند غروبها وقع الجراد في بلاد الروم.

وإن انكسفت في تشرين الثاني عند طلوعها ولم يتغيّر لونها ولم تسودّ فإن السلطان يضعف أمره، ويقع الغلاء في أرض يونان مصر، وإن كانت في وسط السماء يدلّ على خصب السنة وحسن حالها وكثرة خيراتها مع كثرة العلل والأمراض التي تحدث آخر السنة ويدل أيضاً على تعدّي السلطان على أهل السواد وينتقل بعض الملوك من مقرّ سريره إلى مدينة أُخرى يكون هلاكه فيها؛ وإن كان في آخر النهار فإنّ الغلاء والوباء يقعان في بلاد الروم، ويلحق العرب شدّة ويقع بينهم السيف ويكثر الغيث في البلاد وتقوى شوكة المتلصصة وتنقطع الطرقات، وإن انكسفت في كانون الأوّل دلّت على كثرة الخرابات وتشتدّ الرياح العواصف ويقع الوباء في خراسان وفارس، ويكثر السمك والعصافير ويقع القتال في بلاد العرب ويكون الغالب الاضطراب في سائر المدن؛ وينزعج ملك مصر من موضعه وينحلّ نظام ملكه، وإن كانت بأسرها فإنّه يكون جوع وموت ببابل وأرض موصل وبلد فارس ويظهر مكر من العرب وإن كان بحمرة ينقص القمح ويكثر الشعير، ويكون قتل وفزع في المدينة وتكثر الأشرار ويهلك رؤساء قوم في ثلج وتنقص الخيرات وتقع الحروب.

وإن انكسفت في كانون الثاني إن كان جزئياً يدل على خصب السنة وكثرة الخيرات ووفور الغلاّت والثمار واتّصال الأمطار ويدلّ على هرب رجل عظيم القدر من بلاد الروم وقصد فارس ودخوله على سلطانها وتتحارب السلاطين ويموت ملك مصر وتتقدّم السفل والسواقط وينحطّ أهل الشرف ويكثر المطر والبرد؛ ويظهر الجراد وتفسد الغلاّت ويكثر القتل والنهب في البلاد ويقهر الملك الصغير الكبير، وإن انكسفت كلّها يهلك ملك حدث السنّ ويقع الغلاء والقتل بمصر ويقتل الزنج ملكهم ويقتل النساء.

وإن انكسفت في شباط يدلّ على الغلاء وقلّة الأمطار واتّصال الثلوج وشمول الوباء وحسن حال بابل وخروج خارجيّ وانتصابه للملك واضطراب السواد مدّة ثلاثة أشهر، وظهور رجل عظيم القدر بجبال فارس وآذربيجان وتختلق الأراجيف في

الأرض وتختل السواحل، وتغرق السفن وتكثر الأدهان والسمسم ويقع الوباء في الغنم، وإن انكسفت كلّها فإنّه يقع قتل عظيم ببابل ويلحق أهل خراسان شدّة عظيمة، وإن انكسفت في آذر يدلّ على خصب السنة وحسن حال الثمار وكثرة الأندية والأمطار في خراسان، وعلى وقوع الوباء في أرمنيّة ويجيء المطر في آخر السنة ويكون أكثر الاضطراب في المشرق والمغرب وتظهر في خراسان علّة مختلقة، وإن انكسفت كلها لحق بعض السلاطين مكيدة من أعاديه (أعدائه خ) ويقتل ملك عظيم ويزول سلطنته ويكون مرض شديد وأكثر ذلك يكون في العامّة.

وأمّا الشهور العربيّة فإن انكسفت في المحرّم تكون السنة خصبة ويلحق الناس حرارات وأمراض؛ وإن كان في صفر فإنّه يكون فزع وجوع وقتال في تلك السنة؛ وإن كان في ربيع الأوّل فإنّه يقتل رجل من العظماء ويخرج رجل يدّعي الملك[1] وإن كان في جمادى الأوّل فإنّ الأحوال تكون صالحة؛ ويعمّ السكون والفرح والسلامة؛ وإن كان في جمادى الثاني يموت رجل كبير في هذه السنة من ناحية المغرب ويلحق جنده صعوبة عظيمة ويكون بمصر قتال واختلاف، وإن كان في رجب فإنّ الحرب يعمّ ويظهر الجراد ويقلّ المطر ثلاثة أشهر، وإن كان في شعبان فإنّ السنة تخصب ويكون في آخرها مرض شديد، وإن كان في رمضان المبارك فإنّه يخرج الروم على العرب ويكون مطر وبرد، ويصيب أهل فارس والبادية شدّة وجوع وموت ويقع في العرب قتال وجوع.

وإن كان في شوّال فإنّه يقتل ملك الهند ويقتل ملك بابل أعاديه وتكون سنة خصبة ويحسن حال النباتات، وتكثر الأمطار وتأكل الناس البراغيث، وإن كان في ذي القعدة فإنّ المطر يأتي ثلاثة أيّام متواترة ويظهر الجراد ولا يضرّ الزرع وتصلح النباتات، وإن كان في ذي الحجّة فإنّه يكون رياح ومطر وتخرج الخوارج، وتكثر الغلّة والطعام بفارس ونواحيها وقراها.

وأمّا خسوف القمر في الشهور الروميّة فإن كان في نيسان في أوّل الليل يدلّ على قتل رجل عظيم القدر بالحديد، وتتغيّر نيّة الآباء على الأولاد ويقلّ سكونهم إليهم، ويدلّ أيضاً على كثرة الثلوج والخصب والرخص؛ وإن كان في نصف الليل ولونه يضرب إلى الحمرة يدلّ على الغلاء والوباء وقلّة الأمطار. وإن كان في آخر الليل

---

(١) قوله: (وإن كان في ربيع الثاني إلخ) ساقط في النسخ المطبوعة وكذا في النسخة المخطوطة.

يدلّ على صلاح حال الملك ورعيّته وعلى اتّصال الأمطار وهلاك الوحوش وهلاك الغلاّت إلّا أنّه يحسن حال الكرم، وإن كان في أيار في أوّل الليل يدلّ على ثوران الفتن وعلى أن يلحق الزرع اليرقان ويموت البقر، وتكون الأمطار متّصلة ويحصل بين أهل طائفة من فارس قتال وإن كان في نصف الليل يدلّ على وقوع الوباء بنواحي بيت المقدّس وحدوث الغلاء غير أنّ حال النخيل يحسن ويستولي على الأمور السلطانيّة إنسان غشوم مقعد، ويكون بسببه تغيّر نيّة السلطان على خواصّه وتتصل الأمطار وتقع الحروب بأرض بابل، ويقع الجوع بآذربيجان وتقتل أشراف الناس ويصيب الناس شدّة، وإن كان آخر الليل يدل على سكون الناس وأمنهم وزوال أسقامهم؛ ويكثر السمك والعصافير، وإن انخسف في حزيران فإن كان أوّل الليل يدل على خبث نيّة أصحاب الدول وسعيهم في خراب أمور الملك وتتصل الأمطار ويظهر الجراد ولا يفسد إلّا قليلاً ويكثر الجوع بفارس، وتكثر الأثمار وينقص القمح، وإن كان في نصف الليل يدل على الوباء وعلى إسقاط الحبوب، وإن كان في آخر الليل يدلّ على غزارة المياه وعلى حسن حال مصر في آخر السنة وخروجهم على سلطانهم ويحسن حال الزرع والنخل والأشجار وإن انخسف في تموز في أوّل الليل يدلّ على كثرة الأمطار ووقوع الوباء في الناس والوحوش وإن كان في نصف الليل يدل على وقوع الوباء في المغرب واتّصال الفتن في كثير من البلدان وكثرة المطر، وإن كان في آخر الليل يدل على محاصرة بابل وكثرة الأراجيف ووقوع الوباء في مواضع كثيرة؛ وكثرة الأوجاع والعلل وظهور البرص؛ وإن كان في آب في أوّل الليل يدل على حصار أهل بابل ووقوع القتال واضطراب السلطان، ويعتري الناس ضيقة الصدر ولا يعرفون سببه؛ ويعارضهم شبيه الوسواس وتكثر الأمطار؛ وإن كان في نصف الليل فإنّه يقع تشويش وتكثر الأمطار وترخص الغلات.

وإن كان خسوفه في أيلول في أوّل الليل يدلّ على فساد الزرع ويظهر الجراد وتكثر الأراجيف ويسير ملك من المشرق إلى المغرب ويملك بلاداً ويضيفها إلى مملكته وتكون سنة خصبة ويعرض للناس وجع العين وتكثر الأمطار جدّاً، وإن كان نصف الليل يدل على كثرة المياه وحسن حال الأنعام وكثرة العشب[1] وإن كان آخر الليل يعمّ الخصب البلاد ويفرح الناس، وتقلّ الأمراض ويهلك الملك ويرث ولده من بعده، وإن كان في تشرين الأول أوّل الليل يدل على اضطراب وتشويش ووقوع

(١) العشب بالضم والسكون الكلأ الرطب في أول الربيع.

الملك بخواصّه فيحطّهم عن مراتبهم، ويدل على وقوع القتال في الجبال وعلى هلاك البقر والمواشي وحدوث الآفات في الكلاب وكثرة العلل والأمراض؛ ويحسن الزرع وتكثر الأمطار بعد تأخرها وإن كان نصف الليل فإنّ السنة تكون كثيرة الخيرات.

وإن انخسف في تشرين الثاني أوّل الليل يدل على الوباء ووقوع الآفة في المزارع ويموت ملك العرب ويظهر الوجع في أهل الجبال بفارس، وإن كان نصف الليل يدل على اضطراب أمور الناس مع اتّصال الأمطار ويظهر الجراد الكثير ويحسن الزرع ويفقد رجل كبير؛ ويسير أهل المشرق إلى أهل المغرب ويكون بينهم حرب كثير؛ وإن انخسف في كانون الأوّل يدل على الوباء بأرض الأهواز وفارس وعلى عموم الرخص واتّصاله وعلى هلاكِ أعداء الملك، وإن كان نصف الليل إلى الصبح فإنّه يدل على وفور المياه ويفسد السمسم ويحسن حال الثمار والغلاّت الصيفيّة، ويهلك الوحش مع كثرة العشب والزرع في الجبال؛ ويتحدّث الناس بأمر يظهر في المغرب ويموت ملك الشام ويكثر الموت في الإبل، وقال ذو القرنين يكون حروب وقتال يقع في المدائن ويقلّ الزرع والفواكه والقطن؛ ويزيد في العيون ويظهر في الناس اليرقان ويهلك القمح والشعير وتخصب أرض بابل وتكثر الأمطار بآذربيجان؛ ويكثر الثلج ويظهر الجراد ويكون في أصفهان جوع ووباء.

وإن كان في كانون الثاني يدلّ على ارتفاع الأسعار في الأهواز؛ وإن كان نصف الليل أو آخره يدلّ على هلاك الوحوش وبوارها وظهور الجراد وكثرة الأمراض في أرض بابل مع كثرة الفواكه؛ وتمكن النفاق في قلوب الناس ويحسن الزرع؛ وإن انخسف في شباط أوّل الليل يدل على وقوع الغلاء في بلاد المغرب ويصيب الناس يرقان، وإن كان نصف الليل أو آخره يدل على اضطراب أهل البحر وهلاك راكبي السفن بالغرق؛ وعلى اتّصال الحرب وهلاك رجل عظيم بفارس؛ وهلاك قوم من التجّار واضطراب الملك إلّا أنّه يظفر بأعدائه، وإن كان خسوفه بحمرة فأراجيف ورعد ويعصى على الملك أصحابه وتغلو الأسعار بأرض الترك ويظهر صوت شديد وتسفك الدماء؛ وإن كان خسوفه في آذر أوّل الليل يدل على الجزع الشديد بأهل البحر وعلى وقوع الوباء في بلاد الهند وموت ملكهم وعلى حسن حال المواشي، ويكون بمصر قتال شديد وتخرب بعض بلدانها ويقع البرد والثلج، وإن كان في نصف الليل يدل على موت بأرض مصر ويموت ملك المغرب.

وأمّا الشهور العربيّة فإن انخسف في محرّم يدل على موت رجل عظيم من أهل المغرب؛ وإن كان في صفر يدل على كثرة الأمطار والفواكه وخوف شديد، وإن كان في ربيع الأوّل فيدل على القتال في الصيف؛ وإن كان في ربيع الآخر فإنّ المدن تكون عامرة ويكثر الطعام؛ وإن كان في جمادى الأولى يدل على مصائب تصيب العلماء في نفوسهم وأموالهم وإن كان في جمادى الثانية فإنّ الملوك تصطلح مع العلماء وتكون السنة كثيرة الخير وإن كان في رجب يدل على الفتن والحرب، وإن كان في شعبان يدل على الاختلاف بين قبائل العرب والأشراف، ويشتدّ الأمر على الفقراء ثمَّ تستقيم الأمور بعد ذلك، وإن كان في شهر رمضان المبارك فإنّ الملك يظفر بأعدائه ويكثر الشرّ بين الرعيّة، وإن كان في شوّال فإنّ الملك يقتل ويملك ولده من بعده ويغلو الطعام؛ وإن كان في ذي القعدة يدل على كثرة الحرب والجور ويهلك الناس بالاختلاف، وإن كان في ذي الحجّة يدل على فتح مدينة محاصرة وينهزم كل العسكر وتفتخر العبيد على مواليهم ويكون جوع شديد.

وأمّا البروج فإن كان الكسوف في برج الحمل يدل على كثرة التمّور ويقع الوباء في الناس وينقطع النسل مدّة، وإن كان في الثور يدل على إسقاط أهل الجبال واختلاف أمر السلاطين ودخول بعضهم إلى مدينة بعنف وقلّة ثباته فيها؛ وإن كان في الجوزاء يدلّ على الغلاء والبلاء لأهل بابل وخروج الناس من أماكنهم مدّة ورجوعهم إليها من بعد ذلك وإن كان في السرطان يدل على قلّة الأمطار وظهور حيوان غريب الخلقة في أرض بابل، وإن كان في الأسد يدل على أمراض بأهل فارس وكثرة الوباء والحروب والفتن في بلاد الهند وظهور الجراد ولا يؤذي شيئاً، وإن كان في السنبلة يدلّ على خصب السنة وكثرة الخيرات ونور النباتات ووهن بعض السلاطين.

وإن كان في الميزان يدل على هلاك الحشرات والهوام ووقوع الغلاء بأرض خراسان وشدّة تلحق أهلها؛ وإن كان في العقرب يدل على إسقاط أهل الجبال ووقوع الغمّ وأسباب توجب البكاء إلّا أنّ العاقبة محمودة وإن كان في القوس يدل على الوباء في أشراف الناس وقلّة الطعام وارتفاع أسقاط الناس وتجادل بين العلماء؛ وموت رجل عظيم القدر وتغيير النقود وتقلّب الأمور؛ وإن كان في الجدي يدل على اضطراب العالم وكثرة الأراجيف واختلاف الناس من مواضعهم، وإن كان في الحوت يدل على قلّة الريع وقلّة الغلاّت.

وأمّا الرعود فإذا أرعدت والقمر في الحمل يدل على وقوع الخوف في العالم ووقوع الشتات، ويدل على هبوب الرياح المزعجة ومجيء الأمطار في التشاريق ثمّ ينقطع مدّة ويتصل بعد زيادة المياه والعيون واضطراب الأمور، وكثرة الحمى والحصف وشدّة البرد في بابل وآذربيجان، واختلاف الكروم بها من كثرة البرد وشدّة الوباء في هذه البلدان؛ وإن أرعدت في الثور يدلّ على حسن حال الغلاّت خصوصاً الحنطة وأنواع الأثمار، ويدل أيضاً على فرح سلطان المشرق ووقوع الحرب والقحط ببلاد الروم وحدّ الشمال حتّى ينتهي أمر الناس في النواحي إلى أكل الميتة؛ ويحسن حال الزروع أوّل السنة وتموت البقر وتعم الأوجاع، وتهلك أعيان الناس وتظهر آية في السماء وشدّة فزع الناس منها وذلك في مصر والسودان والهمدان والأكراد، وإن أرعدت في الجوزاء يدلّ على غمّ يلحق الناس معه مرض ويحسن حال الحنطة بالجبال؛ وتتلف الأباطيخ ويقع الخوف مع السلامة، ويدلّ على تقدّم الأمطار أوّل الشتاء وهبوب الرياح وهلاك الأشجار وكثرة الوباء في الهند وآذربيجان، وتعذر الغلاّت في المشرق ووقوع الصاعقة من السماء واشتباك الحروب وهلاك رجل عظيم القدر، وظهور الجراد في البلاد التي تتولاّها الجوزاء كالهند وأرمنية وآذربيجان.

وإن أرعدت في السرطان يدل على جوع شديد في نواحي المشرق وكثرة الأراجيف وظهور الجراد وفساد الزرع والأشجار؛ واشتباك الحروب والفتن وتمكّن الأعداء من الرعيّة؛ وإن أرعدت في الأسد يدل على سلامة الغلاّت وظهور الحكّة والبثور والجرب في الناس؛ ويهرب الناس من الفتن وهلاك أهل السفن في البحر وانقطاع المطر، وإتلاف الكروم وموت الأكابر، وهلاك النساء عند الولادة وعلّة الناس من أكل الثمرة، وإن أرعدت في السنبلة يدل على هلاك خواصّ الملوك ووقوع الفزع بمصر وحسن حال الغلاّت وتهلك الأغنام والمواشي وتكثر الأمراض أوّل السنة وتتصل الأمطار وتقلّ الغلاّت ويضطرب أمر السلطان ويتعذّر القوت في الجزيرة والفرات من القحط؛ وإن أرعدت في الميزان يدلّ على الحروب وحسن حال الأمطار ويدل على الفتن في العالم وظهور الدفائن والكنوز من تحت الأرض، وخراب البيع والصوامع وبيوت العبادات واتّصال الثلوج وهلاك الثمرات، وكثرة الأمراض في الصيف وزوالها في آخر الشتاء واشتباك الحروب في بلاد الميزان وسفك الدماء في المغرب.

وإن أرعدت في العقرب يدل على هلاك الطيور وشمول البلاء والغلاء في تلك السنة وخروج ملك المشرق وتوجّهه نحو البلاد ليفتحها ويملكها، ويدلّ على كثرة الأمراض وحسن حال الثمار والغلاّت واعتدال المواشي، وإن أرعدت في القوس يدل على حسن حال الغلاّت في الجبال وقلّة الأمطار وكثرة الثلوج وآفة الكروم وكثرة الموت في الرجال، وإن أرعدت في الجدي يدل على اتّصال الأمطار وكثرة الأراجيف وانقطاع الأمطار أوّل السنة مدّة شهرين ونصف، ويهلك الزرع والأشجار، وإن أرعدت في الدلو يدل على حروب كثيرة وأمراض صعبة وحسن حال الثمار والغلاّت وقلّة المطر في بلاد الروم وكثرة الموت في الصيف، وإن أرعدت في الحوت يدل على قلّة الحنطة واتّصال الأمطار في البلاد التي يتولاّها الحوت وهي اليمن.

وأمّا حال الأمطار فإذا جاء المطر في نيسان يدل على زكاة الغلاّت وربّما يخرج خارجيّ مفسد، وإن أمطرت في أيار فيدل على كثرة القحط، وإن أمطرت في حزيران حدث في الناس أوجاع الرئة ونقص حبل النساء؛ وإن أمطرت في تموز يدل على زيادة المياه وإن كان في آب فيقع الموت في المواشي، وإن كان في أيلول فإنّه يحسن حال الزرع وهكذا حال بقيّة الشهور.

وأمّا أحوال البرد فإن وقع في نيسان فيدل على قوّة السلطان الأعظم ببابل، وإن كان في أيار يدل على قتل الملك معه كبار حاشيته ويكون حرب عظيم وإن وقع البرد في حزيران يدل على خصب السنة وحسن حالها وإن وقع في تموز يدل على الغلاء الشديد وتضايق الأمور بالناس وافتقارهم، وإن وقع في آب يدل على قلّة الغلاّت ويتلوه الرخص سريعاً، وإن وقع في أيلول يدل على برد شديد؛ وإن وقع في تشرين الأوّل يدل على الوباء وخروج الخوارج ببابل؛ وإن وقع في تشرين الثاني يدل على الجوع خصوصاً بمصر والبصرة ويخرج الخوارج ببابل؛ ويكثر الموت في البلد الذي وقع فيه البرد والثلج، وإن كان في كانون الأوّل يدل على ظهور خوارج على الملك ويقتلهم الملك، وإن كان في كانون الثاني يدل على اضطراب عظيم، وإن وقع في شباط يدل على ظهور الجراد وفساد الغلاّت وسخط السلطان على أصحابه والرعيّة وكثرة الحرب وتغلو الأسعار، وإن وقع في آذار يدل على اتّساع الخيرات والخصب إلاّ أنّه يكون قتال شديد ومنازعات.

وأمّا ظهور قوس قزح فإن ظهر في نيسان يدل على اختلاف وارتفاع المطر في

ذلك الشهر، وإن ظهر في أيار يدل على الوباء في البقر وحسن حال الثمرات ووقوع الصلح بين الملك وبين من يعاديه، وكثرة الأمطار ووقوع الوباء في السودان، وإن ظهر في المغرب يدل على الغلاء واضطراب الناس في نواحي المغرب ويقوى أمر الملك ويقتل أعاديه، وإن ظهر في حزيران يدل على موت خواصّ الملك ويكون هلاكهم على يد الملك وإن ظهر في المغرب يدل على وقوع الغلاء في المغرب، وإن ظهر في آب من المشرق يدل على تشويش بين الملوك وغلاء في خراسان ثلاث سنين، وإن ظهر في أيلول من ناحية المشرق يدل على اشتباك الحروب بين ملك فارس والأهواز؛ وإن ظهر في تشرين الأوّل من ناحية المشرق يدل على اضطراب الروم وموت الحيوانات وإن ظهر في المغرب يدل على السلامة والفرح وعلى نكد المماليك على مواليهم وحسن حال الثمار؛ وإن ظهر في تشرين الثاني من المشرق يدل على كلب الكلاب والسباع وتأذي الناس بها، ووقوع الوباء ببابل ثلاث سنين، وإن ظهر من المغرب يدلّ على كثرة الأمطار والتمور، وإن ظهر في كانون الأوّل من المشرق يدل على حسن حال الغلاّت والثمرات واتّصال المطر مدّة ثلاثة أشهر، وكثرة الوباء والأوجاع والحروب واختلاف بين الناس وكثرة الشغب، وإن ظهر من المغرب يدل على خصب السنة وظهور الجراد والمرض والقتال؛ وإن ظهر في كانون الثاني يدل على وقوع الملك في أيدي أعاديه وكثرة الثلوج وحسن حال الروم والثمرات وإن ظهر في المغرب يدل على كثرة الأمطار وزيادة الغلاّت ويشتدّ الغلاء في بلاد الروم، وإن ظهر في شباط من المشرق يدل على كثرة الحروب بين الملكين وخصب السنة وحسن حال الثمرات في خراسان وفارس، وإن ظهر من المغرب يدل على اضطراب الفتن والحروب وظفر من الملك بأعاديه، وإن ظهر في آذار من المشرق يدل على فتنة بين الملكين وظفر أحدهما بالآخر؛ وعلى الأمطار وموت الأطفال، وإن ظهر من ناحية المغرب يدل على الوباء وانتقال الناس من أماكنهم، وكثرة الغلاّت والعصافير ويظهر الجراد ويكون الغلاء بعد ذلك.

وأمّا أحوال الزلازل فإن كان في نيسان نهاراً دلّت على حسن حال الفواكه والعنب وإن كان ليلاً ينتقل الناس من أماكنهم، وإن كان في أيار نهاراً دلت على كثرة الرخص والخصب التام والمطر في أكثر البلاد؛ وإن كان ليلاً فموت يقع في الناس والبقر والغنم وحرب يقع في خراسان، وإن كان في حزيران نهاراً دلّت على الغلاء في تلك السنة وقلّة المرعى، وإن كان ليلاً تخرب مدينة بابل ويقع الموت في النساء ويمرض خاصّة الملك ويموت ملك نينوى وإن كان في تموز نهاراً يدل على

موت رجل جليل القدر، وإن كان ليلاً دلّت على أنّ في خراسان مرضاً وشرّاً عظيماً في أيّام الحصاد؛ وإن كان في آب نهاراً دلّت على حسن الطعام وكثرة القتال والسبي وتظهر اللصوص، وإن كان ليلاً دلّت على ظهور اللصوص وقطع الطرق وفوران الحروب.

وإن كان في أيلول نهاراً دلّت على كثرة التناسل وحسن حال الغلاّت والثمار وموت رجل جليل القدر وإن كان ليلاً يقع الحرب وإن كان في تشرين الأوّل نهاراً دلّت على ظهور ملك يستولي على الدنيا ويفتقر الأغنياء ويستغني الفقراء ويكون موت في خراسان وإن كان ليلاً تدل على إسقاط أهل الجبال؛ وإن كان في تشرين الثاني نهاراً دلّت على كثرة الأمراض وإن كان في كانون الأوّل نهاراً دلّت على موت الحيوانات؛ وإن كان في كانون الثاني نهاراً دلّت على موت الأطفال وكثرت الخيرات وتكون أمراض كثيرة وإن كان ليلاً يدل على اضطراب الناس.

وإن كان في شباط نهاراً يدل على اتّصال الأمطار ومرض الأطفال واجتماع الجيوش وتعصّي الأولاد على آبائهم ولا يقبلون منهم ويقع الجوع والوباء، وإن كان ليلاً يدل على عموم الغمّ لسائر البلدان ويتكلّم الجنين في بطن أمّه ويكثر الشرّ والأمراض ويموت رجل عظيم، وإن كان في آذار نهاراً يدلّ على كثرة اللصوص ويقتل الملك وتموت الناس ثمَّ يكون في آخر السنة فرح ويكثر الطعام ويقع الجوع في بلاد الروم ويكثر الموت في هذه السنة؛ وإن كان ليلاً يكون القتال بمصر وتكثر المياه ويظهر الموت في الناس ويصلح حال الأشجار والثمار.

نور في ذكر الشهور الاثني عشر وما وقع فيها على طريق الإجمال

قال الشيخ الطوسي رحمه الله إنّ أوَّل السنة هو شهر رمضان ولكن أهل التواريخ يجعلون أوّلها محرّم الحرام، فنجري على موافقتهم وإلاّ فالأخبار إنّما دلّت على قول الشيخ رحمه الله.

المحرّم سمّي بذلك لتحريم القتال فيه والغالب عند العرب، واليوم الأوّل منه معظم عند ملوك العرب وفيه استجاب الله تعالى دعوة زكريّا وفيه أُدخل إدريس عليه السلام الجنّة، وفي ثالثه خلاص يوسف عليه السلام من الجبّ؛ وفي خامسه عبر موسى عليه السلام البحر؛ وفي سابعه كلّمه على الطور؛ وفي تاسعه أخرج يونس عليه السلام من بطن الحوت وقد كان في بطنها سبعة أيّام وطافت به سبعة أبحر، وفيه ولد موسى ويحيى

ومريم عليهما السلام، وفي عاشره الداهية الكبرى التي لا تطيق الألسنة ذكرها، وفي سادس عشره جعلت القبلة البيت المقدّس؛ وفي سابع عشره نزل العذاب على أصحاب الفيل وفي الخامس والعشرين منه كانت وفاة السجّاد عليه السلام.

صفر سمّي بذلك لاصفرار الشجر فيه وقيل إنّ محالّ العرب كانت تصفر من أهلها وتخلو لأنّهم يخرجون إلى الغارات عند انقضاء المحرّم، وفي أوّله أُدخل رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق وهو عيد بني أميّة؛ وكان مقتل زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام وفي ثالثه أحرق مسلم ابن عقبة باب الكعبة ورمى حيطانها بالنار فتصدّعت؛ وكان يقاتل عبد الله بن الزبير من جهة يزيد لعنه الله؛ وفيه ولد الباقر عليه السلام، وفي سابعه توفّي الحسن بن عليّ وولد الكاظم عليهما السلام، وفي سابع عشره توفّي الرضا عليه السلام؛ وفي العشرين منه رجوع حرم الحسين عليه السلام إلى المدينة، وفي الثالث والعشرين منه عاد الأمر إلى بني العبّاس واستخلف السفّاح؛ ولليلتين بقيتا منه قبض النبيّ صلى الله عليه وآله.

ربيع الأوّل سمّي بذلك لارتباع الناس فيه وكذا ربيع الثاني لأنّ صلاح أحوالهم كانت في هذين الشهرين، في ربيع الأوّل في أوّل يوم منه كانت وفاة العسكري عليه السلام ومصير الأمر إلى القائم عليه السلام، وفي أوّل ليلة منه هاجر النبيّ صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة سنة عشر من مبعثه وكان ذلك ليلة الخميس؛ وفيها كان مبيت عليّ عليه السلام على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله؛ وفي صبيحة هذه الليلة صار المشركون إلى باب الغار وأقام النبيّ صلى الله عليه وآله في الغار ثلاثة أيّام بلياليهنّ، وخرج في رابعه متوجّهاً إلى المدينة فوصلها يوم الثاني عشر؛ وفي ثامنه وفاة العسكري عليه السلام، وفي تاسعه مقتل عمر بن الخطّاب وقد تقدّم[1] وبعضهم زعم أنّ مقتله يوم الاثنين لأربع بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرون من الهجرة؛ وفي عاشره تزوّج النبيّ صلى الله عليه وآله بخديجة وعمره خمس وعشرون سنة وعمرها أربعون سنة[2] وفي مثله لثماني سنين من مولده كانت وفاة جدّه عبد المطلب سنة ثمان من عام الفيل؛ وفي ثاني عشره سنة اثنتين وثلاثين ومائة كان انقضاء دولة بني أميّة وفي رابع عشره كان موت يزيد لعنه الله تعالى وله يومئذ ثمان

(١) وتقدم منا نقل الأقوال في ذلك انظر ج ١ ص ١١١ من هذا الكتاب.

(٢) ذهب جمع من أهل التحقيق إلى أن خديجة عندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله كانت ابنة ثمان وعشرين سنة ورسول الله صلى الله عليه وآله في الخامسة والعشرين انظر إلى ما كتبنا في الجزء الأول من هذا الكتاب صفحة (٨٦).

وثلاثون سنة[١] وفي سابع عشره كان مولد النبيّ ﷺ ومولد الصادق عليه السلام.

---

(١) الأقوال في سبب موت يزيد لعنه الله تعالى مختلفة وأصحها ما ذكره الوزير كافي الكفاة الصاحب إسماعيل بن عباد الطالقاني قدس سره المتوفى (٣٨٥) في كتابه (عنوان المعارف) المطبوع في المجموعة الأولى من سلسلة نفائس المخطوطات سنة (١٣٧١هـ) في النجف الأشرف بتحقيق العلامة المعاصر الجليل الشيخ محمد حسين آل ياسين دام بقاؤه نزيل كاظمين بغداد نجل آية الله الفقيه الشيخ محمد رضا آل ياسين النجفي قدس سره.
قال الصاحب رحمه الله تعالى ما هذا لفظه: ص ١٣ (وكان سبب موته - يعني يزيد - أنه سكر فقام يرقص فسقط على رأسه فبدأ دماغه).
كانت أم يزيد ميسون بنت بجدل أمكنت عبد أبيها من نفسها فحملت بيزيد وطلقها معاوية وهي حامل به بويع له في شهر ربيع الآخر سنة (٦١هـ) وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة (٦٤هـ) وكانت مدة غلبته على الأمر ثلاث سنين وتسعة أشهر في السنة الأولى قتل سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام وفي السنة الثالثة غزا الكعبة ورماها بالمنجنيق واحترقت أستارها. شب يزيد وترعرع بنزعة نصرانية ومخازي عدو الله وعدو رسوله وطعمة الشرك والوثنية وجرثومة النفاق والزندقة أكثر من أن تحصى ويقال له يزيد الخمور لإدمانه شرب الخمر ويزيد القرود لأنه كان له قرد يلعب معه الشطرنج وكان يسميه أبا قيس وكان من قصده هدم الإسلام ومحق الدين ومحوه ونسف الحق وإطفاء نوره ولولا شهادة سيد الشهداء عليه السلام ونهضته المقدسة لم تقم للإسلام قائمة ولكانت الأمة اليوم في أعمق مهاوي الضلالة والغواية ولنعم ما قال شيخنا الإمام كاشف الغطاء رحمه الله في الآيات البينات صفحة (٢٥).
(ولولا شهادته - يعني الحسين سلام الله عليه - لكانت الشريعة أموية ولعادت الملة الحنيفية يزيدية فحقاً أقول إن الإسلام علوي والتشيع حسيني أقول وحقاً ما أقول إن من ليس له حبل ولاء خاص إلى علي صلوات الله عليه فليس من الإسلام على شيء ومن ليس له حبل ولاء خاص بالحسين سلام الله عليه فليس من التشيع على شيء ولعل من هنا نجد أن لكل شيعي علاقة خاصة مع الحسين عليه السلام ليست له مع غيره من سائر الأئمة سلام الله عليهم مع أنه يعتقد بإمامتهم وفرض طاعتهم) وكان سبب خلع أهل المدينة له أن يزيد أسرف في المعاصي وأظهر كفره وجاهر بمروقه من الدين قال عبد الله بن حنظلة الغسيل: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة وقال المعتضد بالله الخليفة العباسي في كتابه الذي أمر بإنشائه وقراءته على الناس ما نصه: (ومنه إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير صاحب الديوك والفهود والقرود وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبة وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه ويعاين سكرانه وفجوره وكفره فلما تمكن عنه ما مكنه منه ووطأه له وعصى الله ورسوله فيه طلب بثارات =

ربيع الآخر في رابعه ولد العسكري عليه السلام وقيل في عاشره أوّل سنة الهجرة استقر صلاة الحضر والسفر.

جمادى الأولى سمّي بذلك لأنّه صادف أيّام الشتاء حين جمد واشتدّ البرد وكذا جمادى الآخر ويسمّى جمادى الأولى جمادى خمسة والثانية جمادى ستّة لأنّ الأولى خامس المحرّم والثانية سادسه، وفي نصفه كان مولد السجّاد عليه السلام وفيه كانت وقعة الجمل ونزول النصر على عليّ عليه السلام، جمادى الآخر وفي أوّل يوم منه

= المشركين وطوائلهم عند المسلمين فأوقع بأهل الحرة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين فيها وشفى بذلك عبد نفسه وغليله وظن أن قد انتقم من أولياء الله وبلغ النوى لأعداء الله فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتكم	وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل

هذا هو المروق من الدين وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ثم من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اجترم سفكه دم الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل وشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة اجتراء على الله وكفراً بدينه وعداوة لرسوله ومجاهدة لعترته واستهانة بحرمته فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم لا يخاف من الله نقمة ولا يرقب منه سطوة فبتر الله عمره واجتث أصله وفرعه وسلبه ما تحت يده وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته إلخ.

وأول من أباح الغناء في الإسلام هو يزيد قال المؤرخ جرجي زيدان ولما تولى الخلافة أصحاب اللهو والقصف أخذ الغناء في الانتشار وأول من أباحه ونشط أهله يزيد بن معاوية ففي أيام يزيد ظهر الغناء في مكة واستعملت الملاهي لأنه كان صاحب لهو وطرب وتفشى الغناء الجديد في الحجاز ولا سيما المدينة إلخ انظر تاريخ التمدن الإسلامي ج ٥ ص ٣٥.

وما كان يزيد إلا سيئة من سيئات أبيه معاوية وحسب اللعين أن مخازي ابنه وموبقاته تخفى على الملأ الديني وطفق يذكر له فضلاً وعلماً بالسياسة فجابهه لسان الحق وإنسان الفضيلة سيد الشهداء الحسين سلام الله عليه بكلماته المباركة انظر الغدير ج ١٠ ص ٢٤٨ و٢٥٠ و٢٥٦ ط ٢ وإلى تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٨٨ وتاريخ الخلفاء للسيوطي والنزاع والتخاصم للمقريزي وإلزام النواصب.

نزول الملك على النبيّ ﷺ، وفي ثالثه وفاة فاطمة عليها السلام وفي نصفه هدم ابن الزبير الكعبة بيده لمّا تولى الأمر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر؛ ثمّ ردّها عبد الملك بن مروان إلى ما كانت عليه، وفي مثله سنة ثلاث وسبعين قتل عبد الله بن الزبير وله ثلاث وسبعون سنة، وفي عشرينه سنة اثنتين من المبعث كان مولد فاطمة عليها السلام، وقيل سنة خمس من المبعث؛ وفي سابع وعشرينه كانت وفاة أبي بكر وولاية عمر.

رجب سمّي بذلك لأنّه يرجَّب أي يعظَّم ويسمّى الأصبّ بالباء لانصباب الرحمة فيه ويقال له الأصمّ لأنّه لا يسمع فيه حركة سلاح لأنّه من الأشهر الحرم، وفي أوّله ركب نوح عليه السلام في السفينة، وفي غرّته يوم الجمعة ولد باقر عليه السلام، وفي ثالثه كانت وفاة الهاديّ عليه السلام، وذكر ابن عيّاش أنّ مولد الهادي عليه السلام كان ثاني رجب أو في خامسه على الخلاف وذكر أنّ في عاشره كان مولد الجواد عليه السلام، وفي ثالث عشره يوم الجمعة ولد عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكعبة قبل النبوّة باثنتي عشرة سنة وللنبيّ ﷺ ثمان وعشرون سنة؛ وفي نصفه خرج النبيّ ﷺ من الشعب وفيه لخمسة أشهر من الهجرة عقد النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام على فاطمة عليها السلام عقد النكاح ولها يومئذ ثلاثة عشر وروي تسعة أو عشر وفي هذا اليوم دعاء أمّ داود وفيه حوّلت القبلة من بيت المقدّس إلى الكعبة، وفي الثاني والعشرين منه ملك معاوية، وفي خامس وعشرينه كانت وفاة الكاظم عليه السلام، وفي سابع وعشرينه مبعث النبيّ ﷺ.

شعبان سمّي بذلك لتشعّب العرب فيه إلى طلب الغارات؛ وفي ثانيه سنة اثنتين من الهجرة نزل فرض صيام شهر رمضان، وفي ثالثه مولد الحسين عليه السلام، وفي نصفه مولد القائم عليه السلام، وفي عشرين منه النيروز المعتضدي.

رمضان سمّي به لمصادفة شدّة الرمضاء وهو شدّة الحرّ، وقيل مأخوذ من الرمض وهو الاحتراق لاحتراق الذنوب فيه، وفي الحديث أنّ رمضان من أسمائه تعالى فالشهر مضاف إليه، ومن هذا جاء في الخبر لا تقولوا جاء رمضان ولا ذهب رمضان بل قولوا شهر رمضان؛ وفي أوله سنة إحدى ومائة كانت البيعة للرضا عليه السلام؛ وفي عاشره سنة عشر من مبعث النبيّ ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين توفّيت خديجة وتوفّي قبلها بثلاثة أيّام في ذلك العام أبو طالب؛ وفي نصفه مولد الحسن عليه السلام؛ وليلة سبع عشر منه كانت ليلة بدر وهي ليلة الفرقان، ويوم سبعة عشر منه كانت الوقعة ببدر؛ وفي ليلة تسع عشر منه يكتب وفد الحاج، وفيها ضرب أمير المؤمنين عليه السلام، وفي

العشرين منه سنة ثمان فتحت مكّة وفيه وضع عليّ عليه السلام رجله على كتف النبيّ صلى الله عليه وآله ونبذ الأصنام، وفي الحادي والعشرين منه كان الإسراء بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وفيها رفع عيسى وقبض يوشع ابن نون وموسى وعليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وقال الطبرسي رحمه الله أنزلت صحيفة إبراهيم لثلاث مضين من رمضان، والتوراة لستّ منه، والإنجيل لثلاث عشر، والزبور لثماني عشر، والقرآن لأربع وعشرين. وليلة ثلاث وعشرين من ليالي الإحياء وهي ليلة الجهني، وحديثه أنّه قال للنبيّ صلى الله عليه وآله إنّ منزلي ناءٍ عن المدينة فمرني بليلة أدخل فيها فأمره النبيّ صلى الله عليه وآله أن يدخل ليلة ثلاث وعشرين وهي ليلة القدر؛ وفي الحديث أنّ الثلاث الليالي هنّ ليالي القدر؛ قال أبو عبد الله عليه السلام التقدير في ليلة تسع عشر والإبرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين وهذه الليلة التي قال الله فيها ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ١-٣]، وهو مدّة ملك بني أميّة كما جاء في الرواية فإنّ ملك بني أميّة كان ألف شهر.

قال القاسم بن الفضل وعليّ بن مسلم حسبنا ملك بني أميّة فإذا هو ألف شهر لا يزيد ولا ينقص، منها ١ سنو معاوية تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، ٢ وملك يزيد لعنه الله تعالى ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً؛ ٣ ومعاوية بن يزيد أربعون يوماً، ٤ ومروان بن الحكم ستّة أشهر وثمانية عشر يوماً، ٥ وعبد الملك إحدى وعشرون سنة وخمسون يوماً؛ ٦ والوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومان، ٧ سليمان بن عبد الملك سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً، ٨ وعمر بن عبد العزيز سنتان وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً، ٩ ويزيد بن عبد الملك أربع سنين وشهر؛ ١٠ وهشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وستّة عشر يوماً، ١١ والوليد بن يزيد سنة وشهران واثنان وعشرون يوماً، ١٢ وإبراهيم بن الوليد شهران وثلاثة أيّام؛ ١٣ ومروان بن محمّد إلى أن بويع العبّاس خمس سنين وشهران وعشرة أيّام، فذلك تسعون سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً؛ وضع من ذلك أيّام الحسن عليه السلام وهو خمسة أشهر وعشرة أيّام، وأيّام عبد الله بن الزبير وهي سبع سنين وعشرة أشهر وثمانية أيّام، فصار الباقي بعد ذلك ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر يكون ألف شهر سواء. وليالي الإحياء سبعة: ليلتا الفطر والأضحى وليلة النصف من شعبان، وأوّل ليلة من رجب والمحرّم وليلة عاشوراء وليلة القدر.

شوّال سمّي بذلك لشولان الإبل بأذنابها في ذلك الوقت لشدّة شهوة الضراب؛

ولذلك كرهت العرب التزويج فيه وعن النبيّ ﷺ إنّما سمّي بذلك لأنّ فيه شالت ذنوب المؤمنين أي ارتفعت وذهبت وفي أوّل يوم منه وهو العيد أوحى ربّك إلى النحل صنعة العسل؛ وفي نصفه وقيل سابع عشره غزوة أُحد ومقتل حمزة عليه السلام وفيه ردّت الشمس على عليّ عليه السلام وفي آخره كانت أيّام النحسات التي أهلك الله تعالى فيها عاداً وقيل إنّها كانت أيّام العجوز.

ذو القعدة سمّي بذلك لقعودهم فيه عن الحرب والغارات لكونه من الأشهر الحرم وفي أوّل يوم منه واعد الله تعالى موسى عليه السلام ثلاثين ليلة وفي خامسه رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت؛ وفي خامس وعشرينه دحو الأرض وفي ليلته ولد إبراهيم وعيسى عليهما السلام وفي تاسع وعشرينه أنزل الله الكعبة وهي أوّل رحمة نزلت من السماء.

ذو الحجّة سمّي بذلك لأنّ مناسك الحجّ فيه وروي أنّ ميقات موسى ذو القعدة فأتمّه الله بعشر ذي الحجّة وفي أوّله كان العزل لأبي بكر عن براءة بعليّ عليه السلام وفيه ولد إبراهيم عليه السلام وفيه اتّخذه الله خليلاً وفيه زوّج النبيّ ﷺ فاطمة عليها السلام وروي أنّه كان يوم السادس وقيل كان ذلك في رجب وفي ثالثه تاب الله عزّ وجلّ على آدم عليه السلام وفي سابعه يوم الزينة الذي غلب فيه موسى السحرة وثامنه يوم التروية وتاسعه عرفة.

وقد وقع في الأخبار بوجه التسمية وجوه منها أنّ إبراهيم عليه السلام رأى ليلة الثامن من ذي الحجّة أنّه يذبح ولده إسماعيل فتروّى ذلك اليوم وتفكّر في أنّه هل هو أضغاث أحلام أم من الله سبحانه إلهام فعرفه في اليوم التاسع.

ومنها ما روي من أنّ آدم وحوّاء تلاقيا بعد هبوطهما إلى الدنيا وافتراقهما يوم الثامن فتروى آدم في معرفتها ذلك اليوم وعرفها يوم التاسع.

ومنها ما روي من أنّ الحاج كانوا يقولون إذا أرادوا الخروج إلى عرفات ترويتم من الماء، وأمّا يوم التاسع فلقول جبرائيل عليه السلام لآدم اعترف بذنوبك، وفي تاسعه سدّ النبيّ ﷺ أبواب مسجده إلّا باب عليّ عليه السلام وفيه قتل هاني ومسلم في الكوفة؛ وقيل إنّ المعراج كان فيه وكذا ولادة عيسى عليه السلام وعاشره يوم عيد الأضحى والثلاثة بعده أيّام التشريق، وثامن عشره يوم الغدير وفيه آخى النبيّ ﷺ بين أصحابه وفيه قتل عثمان بن عفّان، وليلة تسع عشرة منه دخل عليّ عليه السلام على الزهراء وكانت ليلة جمعة وفي أحد وعشرينه أُنزلت توبة آدم وفي رابع وعشرينه نام عليّ عليه السلام على فراش النبيّ ﷺ وهو يوم تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه وهو يوم المباهلة؛

وروي أنّ يوم البساط الحادي والعشرين منه وفي خامس وعشرينه نزلت سورة هل أتى في أهل الكساء. وحيث إنّه قد تعارف التشاؤم من الأيّام وغيرها فلا بأس بذكره.

نور في التشاؤم وحقيقته وإصابة العين وما يناسبه

اعلم أنّ التشاؤم وهو الطيرة قد كان معروفاً في أعصار الجاهليّة وقد كانوا يتشأمون ويتطيّرون من أمور كثيرة فلمّا جاء الشرع نهى عنها، روي شخينا الكليني قدّس الله ضريحه في الروضة عن النضر بن قرواش قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجمال يكون فيها الجرب أعزلها من إبلي مخافة أن يعديها جربها والدابّة ربّما صفرت لها حتّى تشرب الماء فقال أبو عبد الله عليه السلام إنّ أعرابيّاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله إنّي أُصيب الشاة والبقرة والناقة بالثمن اليسير وبها جرب فأكره شراءها مخافة أن يعدي ذلك الجرَب إبلي وغنمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أعرابي فمن أعدى الأوّل ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا شؤم ولا صفر ولا رضاع بعد فطام. الحديث؛ وفي حديث آخر قال الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كفّارة الطيرة التوكّل.

وروى الجمهور عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال الطيرة شرك وما منّا ولكنّ الله يذهبه بالتوكّل، هكذا جاء في الحديث مقطوعاً ولم يذكر المستثنى أي ما منّا أحد إلّا ويعتريه التطيّر وتسبق الكراهة إلى قلبه فخذف اختصاراً واعتماداً على فهم السامع، وإنّما جعل الطيرة من الشرك لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ التطيّر يجلب لهم نفعاً ويدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه فكأنّهم جعلوه شريكاً لله تعالى، وقوله ولكنّ الله يذهبه بالتوكّل معناه أنّ الذنب الحاصل من عروض التطيّر يذهب بالتوكّل فيكون كفّارته كما في ذلك الحديث. وفي الأخبار ما يدل على الطيرة في الجملة، منها ما رواه الصدوق عن سليمان بن جعفر الجعفري عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال الشؤم للمسافر في طريقه في سبعة: الغراب الناعق عن يمينه والكلب الناشر لذنبه والذئب العاوي الذي يعوي في وجه الرجل وهو مقعٍ على ذنبه يعوي ثمّ يرتفع ثمّ ينخفض ثلاثاً والظبي السانح من يمين إلى شمال والبوَمة الصارخة والمرأة الشمطاء تلقى فرجها والأتان العضباء يعني الجدعاء فمن أوجس في نفسه منهنّ شيئاً فليقل: إعتصمت بك يا ربّ من شرّ ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك قال فيعصم من ذلك والمراد من الظبي السانح المارّ من جانب اليمين إلى الشمال وقد كانوا

يتشاءمون به كما يتيمّنون بخلافه فإنّه أمكن للتمكّن من رمي السهم للظبي، والشمطاء مأخوذ من الشمط وهو بياض شعر الرأس يخالط سواده، وقوله تلقى فرجها معناه أنّك تستقبلها ذاهباً إليها أو مقبلة إليك. وأمّا العدوى وهو سراية الأمراض بالمخالطة فقد عرفت أنّ النهي ورد من الشارع عنها أيضاً ولكن روي إعتبارها أيضاً والنهي عن ارتكاب موجباتها منها ما روي عنه عليه السلام أنّه قال لا يورد ذو عاهة على مصح وقال عليه السلام فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد وزعم أهل الطبّ أنّ المسريات سبع: الجذام والجرب والجدري والحصبة والبخر والرمد والأمراض الوبائيّة ووجه الجمع بين أخبار هذا الباب بوجوه:

أوّلها أنّ الطيرة والعدوى قد تسريان من التوهّم منهما، روي الصدوق بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود كما لا تضرّ الطيرة من لا يتطيّر منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيّرون.

وروى الكليني عن الصادق عليه السلام أنّه قال: الطيرة على ما تجعلها إن هوّنتها تهوّنت وإن شدّدتها تشدّدت وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً. وروى أنّ الحسن عليه السلام مرّ يوماً بجماعة من المجذومين وهم يأكلون وكان عليه السلام صائماً فقالوا هلمّ إلى الغداء فقال إنّي صائم وخشي أن يكون قد حصل لهم بذلك كسر قلب فقال تأتوني الليلة جميعاً لأفطر معكم فأتوه عند المساء وأكل معهم على خوان واحد جبراً لقلوبهم؛ وروى مثل ذلك عن السجّاد عليه السلام ويكون هذا من باب ما روي من أنّ الباذنجان لما أُكل فإن كان قد أُكل للدواء يكون دواءً وإن كان قد أُكل للداء يكون داءً لأنّ معناه أنّه إذا أُكل وتوهّم من أكله الداء يكون داءً لأنّ الذي يأكله يقصد المرض والداء فإنّه لم يقع أبداً فيكون تأثير الطيرة والعدوى مسبّباً عن التوهّم منهما وهذا ليس بغريب، وفي الشرع ما هو أغرب منه كما سيأتي في نور المنام إن شاء الله تعالى من الأخبار الدالّة على أنّ الطيف يقع على ما يعبّر ويفسّر فيكون تعبير الطيف سبباً لوقوعه على أيّ نحو يعبّر؛ والعادات شاهدة بمثل هذا فإنّا شاهدنا جماعة قد عوّدوا أنفسهم حال السعي في طلب الحوائج التشاؤم من قول الذي يلقاهم ويسألهم فيقول يا فلان أين تريد فيرجعون ويدعون السعي في الحوائج حتّى أنّهم لو مضوا على طلب تلك الحاجة لما قضيت وبعضهم قد عوّد نفسه التشاؤم من رؤية الأعور وقد رأينا من بالغ في التشاؤم حتّى صار يتطيّر من النظر إلى من لبس العباءة السوداء وربّما حصل له بعض الضرر إذا ترك بعض عاداته فيرى حينئذ أنّه على صواب

بارتكاب تلك المحظورات وغرض صاحب الشرع الأنور سدّ هذا الباب والالتجاء إلى التوكل على جناب الحقّ ودفع نحوسة التشاؤم من المذكورات في الخبر السابق وغيرها بالدعاء وآيات القرآن؛ ولقد جربنا قراءة آية الكرسيّ لدفع كلّ هول وخوف من الحاليّات والمستقبلات، ومن جملتها أنّه قد كنّا في بعض الأسفار فغار علينا جماعة من اللصوص فشرعت أنا في قراءة آية الكرسي فلمّا وصلوا إلينا تشاوروا في أمرهم ثمَّ أتوا إلينا بالسلام والتحيّات الخاصّة وقد كنّا ضللنا عن الطريق فأرسلوا معنا واحداً منهم إلى أن وصلنا إلى قريب المنزل وجربنا أنّ قراءتها في أوّل النهار وأوّل الليل يقي من طوارقهما وآفاتهما وقد أشرنا إلى جماعة من الجنود والعساكر الذين يباشرون الحروب فكانوا يقرأونها ويدخلون بين الصفوف ويخرجون سالمين غانمين وكذلك في الأسفار فلقد سافرنا مع قوافل كل قافلة تزهو على الألف وكنت أقرأ آية الكرسي كلّ يوم إذا ركبنا وإذا حللنا ليلاً ونهاراً فلمّا رجعنا من ذلك السفر الطويل رجعنا وهم سالمون لم يتصدّعوا بوجع ولا ألم ولا فقد مال ولا وجه من الوجوه ومثل هذا قد جرّبناه كثيراً، وفي الخبر أنّ الإنسان إذا قرأ آية الكرسي مرّة واحدة أرسل الله إليه ملكاً يحفظه فإذا قرأها مرّتين أرسل الله إليه ملكين يحفظانه فإذا قرأها ثلاثاً أرسل إليه ملائكة ثلاثة يحفظونه، فإذا قرأها أربعاً أرسل إليه أربعة من الملائكة يحفظونه فإذا قرأها خمساً قال الله سبحانه للملائكة تنحّوا عنه ودعوني أنا أحفظه فيحفظه الجبّار عزّ وجلّ من جميع موارد الأذى.

وثانيها ما ذكره شيخنا الشهيد قدّس الله روحه من أنّ النفي في قوله صلى الله عليه وآله: لا عدوى، المراد به نفي ما كانوا يظنّونه من أنّ الأمراض تتعدّى بأنفسها من غير مشيئة الله سبحانه فنهاهم النبيّ صلى الله عليه وآله عن هذا الاعتقاد الفاسد من أنّ الطيرة والعدوى مؤثّرة بنفسها من غير إرادة الله ومشيئته وقال لا عدوى ولا طيرة يعني أنّهما ليس لهما تأثير من أنفسهما بل المؤثّر هو مشيئته سبحانه المقارنة لوقتيهما ويؤيّد هذا أنّ العدوى كثيرة الوقوع ويمكن أن يكون السبب في الوقوع ما مرّ في الوجه الأوّل.

وثالثها أنّ النفي منصرف إلى الكمال والاستقلال وهو خبر «لا» المحذوف فيكون معناه لا عدوى ولا طيرة كاملة في الإسلام كما كانت في أعصار الجاهليّة فقد رفع منها بميامن بركة النبيّ صلى الله عليه وآله شدّة ذلك التأثير وقد بقي البعض وقد ورد الأمر بخلاف ما يعمله المتطيّرون؛ روي الدقّاق قال كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الحجامة يوم الأربعاء لا تدور فكتب عليه السلام: من احتجم يوم الأربعاء لا تدور خلافاً

على أهل الطيرة عوفي من كل آفة ووقي من كلّ عاهة، وأمّا قوله في الحديث الأوّل ولا هامة فقد فسّرها صاحب النهاية بطير يتشاءمون به وهو البومة وفي هذه الأعصار يتشاءمون بها أيضاً مع أنّه قد روي في الأخبار أنّ البومة كانت تألف الناس في الحجور وعلى الموائد والبيوت فلمّا قتلوا الحسين عليه السلام نفرت وذهبت عنهم وذهبت إلى الوديان والمواضع الخربة تبكي على الحسين عليه السلام وتنوح عليه بصوتها ومثل هذه لا يتشاءم منها، وقيل إنّ العرب كانت تزعم أنّ روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فيقول اسقوني اسقوني(١) فإذا أُدرك بثأره طارت؛ وقيل كانوا يزعمون أنّ عظام الميت وقيل روحه تصير هامة فتطير ويسمّونه الصدى فنفاه الإسلام ونهاهم عنه.

وقوله صلى الله عليه وآله ولا شؤم كالتأكيد لما تقدّمه. قوله ولا صفر قال صاحب النهاية كانت العرب تزعم أنّ في البطن حيّة يقال لها الصفر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه وأنّها تعدي فأبطل الإسلام ذلك ويجوز أن يكون المراد به الصفير بقرينة أنّه لم يذكر ويظهر من بعض الأخبار كراهته.

بقي الكلام في إلمام العين وتأثيرها وهو ممّا لا يشكّ فيه فإنّه قد ورد في الأدعية الاستعاذة بالله تعالى منها ومن تأثيرها، وروي في الأخبار أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أقام عليّاً إماماً للناس يوم الغدير ورقي المنبر الذي عملوه له من رحال الإبل وأخذ في تعداد مدائح عليّ والنصّ عليه أتى المنافقون إليه وقالوا ما بقي لنا إلّا أن نصيبه بالعين حتّى لا يتمّ أمر ابن عمّه عليّ فينا فطفقوا فيما راموه فقال بعضهم انظروا إلى عينيه كيف يجولان في رأسه لشدّة إرادته هذا الأمر في ابن عمّه كأنّهما علقتا دم، وأخذوا في مثل هذا التشبيه حتّى أطلع الله نبيّه صلى الله عليه وآله على كيدهم بقوله: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١] وهو ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١] أي أنّ محمّداً مجنون في حبّ ابن عمه ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢]، يعني ليس ما يقولون حقّاً بل هو مذكّر للعالمين. وقد كانت العرب إذا اشتهوا أكل اللحم عمد بعضهم إلى الجمل الواقف الصحيح وأخذوا في تشبيهه حتّى تصيبه عيونهم فيقع إلى الأرض من ساعته فبادروا إلى نحره واقتسام لحمه وفي هذه الأعصار أيضاً قد شاهدناه كثيراً.

---

(١) آسفوني آسفوني: المخطوطة.

ومن هذا قال ﷺ: إنّ العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر، وقال أيضاً لا رقية إلّا من عين أو حمة، والحمة بالتخفيف لسعة العقرب وأشباهه، ومعناه أنّه لا شيء ينبغي أن يبالغ في التعويذ عليه إلّا تأثيرات العين فإنّ رفعها يحتاج إلى أنواع الرقيات، وقيل معناه أنّه لا يجوز الرقيات المشتملة على القراءة والنفث إلّا من هذين الشيئين لأنّ النفث قد ورد النهي عنه.

وقال الصادق عليه السلام: من أعجبه من أخيه شيء فليبارك عليه فإنّ العين حقّ يقول بارك الله عليك في كذا، وقد أمر النبيّ ﷺ أن يكتب عوذة لولدي جعفر بن أبي طالب من عيون الناس، وقد كانوا في أعصار الماضية إذا أرادوا أن يصيبوا حيواناً أو غيره بأعينهم يتجوّعون ثلاثة أيّام ثمّ يأتون إليه فيشبّهونه حتّى يقتلوه، وبالجملة فتأثير العين ممّا لا ينبغي الشكّ فيه، وقول بعضهم إنّه اتّفاقي وإنّ العين لا تأثير لها ممّا لا ينبغي، نعم من قوي توكّله على الله تعالى لا تأخذه عين ولا غيرها بل لا تضرّه السباع والآفات. وحيث إنّ المناكحات من أهمّ أمور الناس فلا بأس بذكر أحوالها.

نور في التزويج وأحواله وأحكامه

اعلم أنّ المقصود من إيجاد هذا العالم هو العبادة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ وكلّما كانت العبيد أكثر كانت الطاعة أوفر؛ ومن ثمّ قوّى سبحانه داعي النكاح بإلقاء الشهوة لأنّه كان يعلم أنّ الناس لو بقوا على داعي الثواب وتحصيل النسل لما ارتكبه إلّا القليل، وقد ورد من صاحب الشرع الأنور من الحث عليه شيء كثير.

قال الصادق عليه السلام: من كان له ما يتزوّج به فلم يتزوّج فليس منّا، وقال عليه السلام: إلتمسوا الرزق بالنكاح ومن ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظنّ بربّه لقوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]؛ وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أفضل الشفاعات أن يشفع بين اثنين في نكاح حتّى يجمع الله بينهما، وقال ﷺ: تزوّجوا فإنّي مكاثر بكم الأمم غداً يوم القيامة حتّى أنّ السقط ليجيء محبنطئاً على باب الجنّة فيقال له ادخل الجنّة، فيقول لا، حتّى يدخل أبواي قبلي. المحبنطئ الممتلئ غيظاً، وقال عليه السلام: ركعتان يصلّيهما متزوّج أفضل من صلاة رجل عزب يقوم ليله ويصوم نهاره؛ وقال عليه السلام أراذل موتاكم العزّاب.

وقال عليه السلام: يا معشر الشبّان من استطاع منكم الباه فليتزوّج، ومن لم يستطع

فليدمن الصوم فإنّه له وجاء، والوجاء قطع الذكر والخصيتين؛ وعن أبي الحسن عليه السلام قال جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال أبو جعفر عليه السلام هل لك من زوجة؟ قال لا، قال: ما أُحبّ أنّ لي الدنيا وما فيها وأبيت ليلة وليس لي زوجة، وقال عليه السلام: تزوّجوا ولا تطلّقوا فإنّ الطلاق يهتزّ منه العرش؛ وإنّ الله لا يحبّ الذواقين والذواقات وتزوّجوا في الحجر الصالح فإنّ العرق دساس؛ وقال عليه السلام: من تزوّج والقمر في العقرب لم ير الحسنى؛ وروي أنّه يكره التزويج في محاق الشهر، وينبغي أن يختار من النساء النجيبة العفيفة الجميلة صاحبة الدين الولود، قال أمير المؤمنين عليه السلام: تزوّج عيناء سمراء عجزاء مربوعة فإن كرهتها فعليّ الصداق، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يتزوّج امرأة بعث إليها من ينظر إليها، وقال شمّي لبّتها فإن طاب عرفها وإن درم كعبها عظم كعثبها، اللبّة صفحة العنق، والعرف الريح الطيّبة ودرم كعبها أي كثر لحمه؛ والكعثب الفرج.

وقال عليه السلام إذا أراد أحدكم أن يتزوّج فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإنّ الشعر أحد الجمالين، وقال عليه السلام ما استفاد امرؤ فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله؛ وقال عليه السلام الحياء عشرة أجزاء تسعة في النساء وواحد في الرجال، فإذا خفضت المرأة[1] ذهب جزء من حيائها، وإذا تزوّجت ذهب جزء، وإذا افترعت[2] ذهب جزء، وإذا ولدت ذهب جزء، وبقي لها خمسة أجزاء فإن فجرت ذهب حياؤها كلّه وإن عفّت بقي لها خمسة أجزاءاً؛ وقال أمير المؤمنين عليه السلام خلق الله الشهوة عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء في النساء وجزءاً واحداً في الرجال ولولا ما جعل الله عزّ وجلّ فيهنّ من الحياء لكان لكل رجل تسع نسوة متعلّقات به[3] وقال

---

(١) الخفض في المرأة مثل الختان للرجل.

(٢) افترع البكر: أزال بكارتها.

(٣) قال المصنف رحمه الله في كتابه زهر الربيع: شراح هذا الحديث بنوه على مساواة الرجال للنساء وأن كل واحدة من الأجزاء التسعة للشهوة تفتقر إلى رجل مثلاً لو كان الرجال ألفاً وكذلك النساء لكان كل امرأة باعتبار كل جزء من الأجزاء المذكورة تتعلق برجل غير من تعلقت به قبله فيلزم لكل رجل تسعة نسوة متعلقات به ويلزم من هذا أن يكون لكل امرأة تسعة رجال لكن لما كان المقصود التنبيه على توفر شهوتهن وفرط رغبتهن في النكاح وكان المانع من إظهار ذلك الحياء الذي فيهن صرح بالشق الأول الذي هو الملزوم للشق الثاني فإن تعدد الرجال إنما يحصل من تعدد أجزاء الشهوة التي في كل امرأة انتهى.

الصادق عليه السلام إنّ الله جعل للمرأة صبر عشرة رجال فإذا هاجت بها كانت لها قوّة شهوة عشر رجال.

وينبغي أن يجتنب تزويج الجميلة إذا لم تكن من الأنجاب فإنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله أيّها الناس إيّاكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في منبت السوء، وقال الصادق عليه السلام إذا تزوّج الرجل المرأة لمالها وجمالها لم يرزق ذلك، فإن تزوّجها لدينها رزقه الله عزّ وجلّ جمالها ومالها.

وأمّا في الأمم السابقة فقد كان الأفضل لهم ترك التزويج ولذا مدح الله سبحانه يحيى بأنّه كان سيّداً وحصوراً، والحصور الذي لم يتزوّج وكانوا يترهّبون في الجبال ويعبدون الله سبحانه ويسيحون في الأرض؛ وكان بعضهم يمزق ترقوته فيجعل فيها سلسلة ويشدّها في سواري المسجد ملازمة للعبادة، وكان بعضهم يخصي نفسه حتّى لا يكون له داعي الشهوة ولمّا جاءت الملّة البيضاء نسخت تلك الأحكام كلّها، فقال عليه السلام من رغب عن سنّتي وهو النكاح فليس منّي، وقال تعلّموا من الديك خصالاً: السخاوة والشجاعة والغيرة والإيقاظ لوقت الصلاة وكثرة الطروقة وهو الجماع؛ وسهّل علينا ما كان مضيّقاً على الأمم المتقدّمين، فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الاتكاء في المساجد رهبانيّة العربيّة فيكون مدحاً لهم لأنّه قائم في الفضل مقام الترهّب وهو ترك الدنيا للعبادة، والمراد بالإتّكاء هنا الجلوس متّكئاً لانتظار أوقات الصلاة، والعلامة «رحمه الله» في المنتهى قال ويكره الاتّكاء في المساجد لقوله عليه السلام الاتّكاء في المساجد رهبانيّة العرب فعقل منه ذمّ الاتّكاء عكس ما قلناه؛ وجعل بدل الخصاء الصوم لأنّه يقلّل الشهوة ويصفي الباطن؛ ومن هذا جاء في الحديث القدسي: كلّ عمل ابن آدم له إلّا الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به؛ وهذا الحديث لا يخلو من إشكال حيث أنّ ظاهره التفضيل على الصلاة، مع أنّه صلى الله عليه وآله قال أفضل أعمالكم الصلاة؛ ومن هنا تصدّى المحقّقون لتأويله فذكروا له وجوها:

منها أنّه اختصّ ترك الشهوات والملاذ في الفرج والبطن وذلك أمر عظيم يوجب التشريف؛ وأُجيب بالمعارضة بالجهاد فإنّ فيه ترك الحياة فضلاً عن الشهوات، وبالحج إذ فيه الإحرام ومتروكاته كثيرة؛ ومنها أنّه أمر خفيّ لا يمكن الاطّلاع عليه فلذلك شرّف بخلاف الصلاة والجهاد وغيرهما؛ وأُجيب بأنّ الإيمان والإخلاص وأفعال القلب الحسنة خفيّة مع تناول الحديث إيّاها؛ ومنها أنّ خلاء الجوف تشبيه

بأجلّ صفات الربوبيّة وهي العلم الذاتي وكذلك الإحسان إلى المؤمنين وتعظيم الأولياء والصالحين كلّ ذلك فيه التخلّق تشبيهاً بصفات الله تعالى، ومنها أنّ جميع العبادات وقع التقرّب بها إلى غير الله إلّا الصوم فإنّه لم يتقرّب به إلا إليه وحده، وأُجيب بأنّه يفعله أصحاب استخدام الكواكب، ومنها أنّ الصوم يوجب صفاء العقل والفكر بواسطة ضعف القوى الشهويّة بسبب الجوع، ولذلك قال عليه السلام لا تدخل الحكمة جوفاً ملئ طعاماً. وصفاء العقل والفكر يوجبان حصول المعارف الربانيّة التي هي أشرف أحوال النفس الإنسانيّة، وأجيب بأنّ سائر العبادات إذا واظب عليها أورثت ذلك وخصوصاً الصلاة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ وقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، قال بعضهم لم أر فيه فرقاً تقرّ به العين ويسكن إليه القلب وقال شيخنا الشهيد قدّس الله روحه ولقائل أن يقول هب أنّ كلّ واحد من هذه الأجوبة مدخول بما ذكر فلم لا يكون مجموعها هو الفارق فإنّه لا تجتمع هذه الأمور المذكورة لغير الصوم وهذا واضح.

ومنها أنّ الله سبحانه قد جعل لكل عبادة جزاءً مذكوراً مقرّراً سوى الصوم كقولك خطْ(١) هذا الثوب بكذا وذاك بكذا وهذا الثوب اجعل مقدّر أجرته إليّ ولا يلزم منه أن يكون أفضل من غيره فتأمّل؛ وأمّا قوله: أجزي به فهو على صيغة المعلوم ومعناه مضاعفة الجزاء من غير عدد وحساب، لأنّ الكريم إذا تولّى بنفسه الجزاء اقتضى عظمته وسعته؛ وتقديم الضمير للتخصيص أو للتأكيد والأوّل أنسب بالسياق؛ أي أنا أجزي به لا غيري بخلاف باقي العبادات فإنّ جزاءها قد يفوّض إلى الملائكة وذهب شيخنا المعاصر أدام الله أيّامه إلى أنّ أجزي من باب المجهول والمعنى أنّ عبادي لا يجازوني على نعمائي بمثل الصوم وهو كما ترى(٢).

وبالجملة فالتزويج مرغب فيه من جهة الشرع وكذلك مخالطة النساء، وفي الروايات أنّ عثمان بن مظعون قدّس الله روحه لمّا نظر إلى الدنيا وفنائها وسمع من

---

(١) من الخياطة.

(٢) إن قرأنا (أُجزى) مبنياً للمفعول فيكون المراد أنه هو جزائي واللائق بمقام عظمتي وتجردي فإن الصائم يتجرد ويصير روحانياً والمتخلق بأخلاق الروحانيين يلحق بهم ويكون لحوقه بهم جزاؤه لهم سواء عاد الضمير إلى الصوم أو للصائم ولعل هذا هو مراد شيخه المعاصر أعني العلامة المجلسي رحمه الله من قوله والمعنى أن عبادي إلخ.

النبيّ ﷺ المواعظ البالغة حمله ذلك على أن لبس الثياب الخلقة وترك أهله ومضى إلى بعض جبال المدينة ليتخلّى للعبادة فجاءت امرأته يوماً إلى بيت النبيّ ﷺ، فلمّا دخل عليه السلام البيت عرفها فقال هذه امرأة أخي عثمان؛ فقالت له زوجته نعم يا رسول الله لكن يا رسول الله زوجها فارقها ومال إلى بعض الجبال للعبادة ومن هذا امرأته لم تمسّ الطيب مدّة ولم تلبس أفخر ثيابها.

فلمّا سمع النبيّ ﷺ كلامها خرج غضباناً يجرّ طرف ردائه على الأرض فرقي المنبر واجتمع الناس وأمر بإحضار عثمان، فأبلغ في الخطبة وقال أتريدون ديناً خيراً من ديني وسنّة أهدى من سنّتي؛ والله لو كان أخي موسى حيّاً لما وسعه إلّا اتّباعي انظروا إلى ما أفعل إنّي أصوم وأفطر وأُصليّ وأنام وأنكح النساء وآكل وأشرب، ثمّ التفت إلى عثمان وقال له إنّ الله سبحانه غني عن ثيابك هذه الخشنة فقم وانزعها وادخل على (إلى خ) أهلك وخالطهم واكتسب لهم فترك عثمان ما كان فيه.

نعم إذا علم أو ظنّ أنّ المرأة تحمله على ما لا قدرة له عليه فيرتكب بسببها المأثم وفعل الحرام حرم التزويج كما في بعض أمصار هذه الأعصار، وروى الشيخ الجليل أحمد بن فهد في كتاب التحصين عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ليأتينّ على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلّا من يفرّ من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر كالثعلب بأشباله قالوا متى ذلك الزمان؟ قال إذا لم تنل المعيشة إلّا بمعاصي الله فعند ذلك حلّت العزوبة؛ قالوا يا رسول الله أمرتنا بالتزويج، قال بلى ولكن إذا كان ذلك الزمان فهلاك الرجل على يدي أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وأولاده؛ فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي قرابته وجيرانه، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال يعيّرونه بضيق المعيشة ويكلّفونه ما لا يطيق حتّى يوردوه موارد الهلاكة؛ وإن لم يكن كذلك ففي التزويج فضل عظيم لما ورد في ثواب خدمتهن.

روي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال دخل علينا رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر وأنا أُنقي العدس، فقال يا أبا الحسن قلت لبّيك يا رسول الله؛ قال إسمع منّي وما أقول إلا من أمر ربّي، ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلّا كان له بكلّ شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين وداود النبيّ ويعقوب وعيسى عليهم السلام، يا عليّ من كان في خدمة العيال ولم يأنف كتب الله تعالى اسمه في ديوان الشهداء وكتب له بكلّ

يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكلّ قدم ثواب حجّة وعمرة وأعطاه الله بكلّ عرق في جسده مدينة؛ يا عليّ ساعة في خدمة العيال في البيت خير من عبادة ألف سنة، وألف حجّة وألف عمرة وخير من عتق ألف رقبة؛ وألف غزوة وألف مريض عاده وألف جمعة وألف جنازة وألف جائع يشبعهم وألف عارٍ يكسوهم وألف فرس يوجّهه في سبيل الله وخير له من ألف دينار يتصدّق به على المساكين وخير له من أن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ومن ألف أسير أعتقه وخير له من ألف بدنة يعطي المساكين ولا يخرج من الدنيا حتّى يرى مكانه في الجنّة، يا عليّ من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنّة بغير حساب يا علي خدمة العيال كفّارة الكبائر ويطفئ غضب الربّ ومهور الحور العين ويزيد في الحسنات والدرجات يا علي لا يخدم العيال إلّا صدّيق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة وروى الصدوق عن النبيّ ﷺ أنّه قال من أطاع امرأته أكبّه الله على منخريه في النار فقيل وما تلك الطاعة؟ فقال تدعوه إلى النائحات والعرسات والحمامات والثياب الرقاق فيجيبها.
فإن قلت ما معنى هذا الحديث؟

قلت أمّا النائحات فلا يحرم خروج المرأة إليه كلّه لأنّه قد روي أنّ نساء الأئمّة عليهم السلام كنّ يخرجن للتعزية، وكان عليه السلام يقول إنّ هذه حقوق الناس فلتقض الحقوق وكذلك العرسات فإنّه ورد أنّ أمّ سلمة وغيرها من نساء النبي ﷺ كنّ يخرجن إلى عرسات أهل المدينة، وحينئذ فالنهي في هذا الحديث محمول على ما إذا لم يكن خروجهنّ بقصد أداء الحقوق بل يكون بقصد التنزّه والتفرّج ويكون في تلك المحافل والأمكنة آلات اللهو والطرب الغير المحلّلة كما هو المعتاد في هذه الأعصار.

وأمّا الحمامات فلم نطّلع على خبر يرخّص للنساء دخولها والأخبار متظافرة على المنع فقد روي عن النبيّ ﷺ أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبعث بحليلته إلى الحمّام، وقد خصّ هذا النهي شيخنا الشهيد قدّس الله روحه بحالة اجتماعهنّ أمّا مع الانفراد فلا بأس واستثنى من الكراهة مع الاجتماع حال الضرورة وقال الائتزار يخفّف الكراهة وإن اجتمعن.

أقول: وعلى هذا يكون النهي عنه كالنهي عن الأوّلين لأنّه إذا خرجن لا لضرورة يكون خروجهنّ لأجل التنزّه والتنعّم وذلك لا يندفع بالائتزار كما هو المعروف أيضاً والظاهر أنّ هذا لا يكون من باب الضرورة نعم الضرورة غسل الجنابة وأمثاله مع

برودة الهواء وظنّ الضرر بمباشرة الماء والأولى أن لا يجيبها في هذا أيضاً بل يعوّدها الغسل في المنزل ألا ترى إلى كثير من البلدان التي لم يوجد فيها الحمّامات فإنّ نساء أهلها قد اعتادوا على الغسل في منازلهم والعادة قاضية بكلّ شيء مع أنّ العادة في أكثر بلاد الحمّامات[١] اجتماع النساء في الدخول بغير إزار ولا ريب في تحريمه وما يعلم أو يظنّ أنّه وسيلة إلى الحرام يكون حراماً.

وأمّا الثياب الرقاق فيجوز أن يكون النهي عنها باعتبار عدم القدرة فإذا أجابها لزمه ارتكاب المآثم في تحصيلها كما هو عادة أكثر الناس ويجوز أن يكون راجعاً إلى الإسراف وإن كان قادراً عليه ويجوز أن يكون باعتبار كونه حاكياً ما تحته فيطّلع على بدنها الأجانب ويحملها على التبرّج وهذا كلّه حرام.

وينبغي أن يزوّج الكفء كما قال عليه السلام من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته كائناً من كان فزوّجوه إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، وقال صلى الله عليه وآله: إنّما أنا بشر مثلكم أتزوّج فيكم وأُزوّجكم إلّا فاطمة فإنّ تزويجها نزل من السماء؛ وقال عليه السلام: الكفء أن يكون عفيفاً وعنده يسار، وقال صلى الله عليه وآله من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمه ومن شرب الخمر بعدما حرّمها الله فليس بأهل أن يزوّج إذا خطب، وقد زوّج النبيّ صلى الله عليه وآله ابنة عمّه الزبير بن عبد المطلب للمقداد وقد كان وضيع النسب لكنّ الإسلام رفعه ليكون سبباً وحجّة على الأمّة، كما قال صلى الله عليه وآله أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش وأنكحت المقداد ضباعة بنت زبير بن عبد المطّلب ليعلموا أنّ الشرف شرف الإسلام؛ وقال رجل للصادق عليه السلام كيف يزوّج الحائك؟ فقال عليه السلام: إنّ الله جعله كفواً لحور العين وزوّجه بهن فكيف لا ترضى أنت أن يكون كفواً لابنتك؛ وأمّا تزويج الهاشميّات لمن لم يكن هاشميّاً فالظاهر جوازه وحرّمه بعض الأصحاب لقول النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا نظر إلى أولاد عليّ وجعفر: بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا، والظاهر أنّه محمول على الاستحباب.

وأما الجمع بين سيّدتين فقد روي في الخبر النهي عنه وأنّه يدخل الحزن على فاطمة عليها السلام، وذلك أنّه لا بدّ له في العادات من أن يفضّل واحدة منهما، ومن فضّلها فقد أضرّ بابنة فاطمة الأُخرى[٢].

---

(١) كذا في النسخ المطبوعة والمخطوطة والصحيح أن يكون العبارة هكذا (حمامات البلاد).

(٢) هذا القول من جملة الأقوال المنكرة التي تفوه بها الأخباريون قال الشيخ الأفقه الأكبر رئيس الإسلام الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره في كتابه الحق المبين ص ٦٩ ما هذا لفظه =

وينبغي اختيار الأشكال والأشباه؛ قال رسول الله ﷺ أنكحوا الأكفاء وانكحوا فيهم واختاروا لنطفكم، فإنّ الخال أحد الضجيعين؟ وعن الصادق عليه السلام قال أتى النبيّ ﷺ رجل فقال يا رسول الله إنّي أحمل أعظم ما يحمل الرجال فهل لي أن آتي بعض مالي من البهائم ناقة أو حمارة؟ فإنّ النساء لا يقوين على ما عندي، فقال رسول الله ﷺ لم يخلقك حتّى خلق لك ما يحتملك من شكلك، فانصرف الرجل فلم يلبث أن عاد الى رسول الله ﷺ فقال له مثل مقالته أوّل مرة فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من السوداء العنطنطة[1] قال فانصرف الرجل فلم يلبث أن عاد فقال يا رسول الله أشهد أنّك رسول الله حقّاً؛ إنّي طلبت من أمرتني به فوقعت على شكلي ممّا يحتملني وقد أقنعني ذلك.

= الشريف: ومنها (أي ومن الأقوال المنكرة العجيبة والأحكام الغريبة الصادرة عن الأخباريين) قولهم بتحريم الجمع بين الفاطميتين مع التصريح بفساد عقد النكاح من بعضهم مع أن التحريم لو قيل به لا يستلزمه لخبر أو خبرين شاذين مخالفين للكتاب والسنة النبوية وجميع الأخبار الدالة على جواز الجمع في العقد الدائم في خصوص أربع وفي غيره مطلقاً وكذا جميع أقوال الفقهاء حيث حصروا المحرمات في النكاح ولم يتعرضوا له فيها وما نسب إلى بعض المحدثين من القول بذلك استناداً إلى ما ذكر في كتابه من أنه إنما يروى فيه ما هو حجة بينه وبين الله تعالى فقد بينا أن ذلك منقوض بما ذكر من الأحاديث المتروكة العمل في كتابه وأنه لا بد من تنزيل عباراته وقد خالفوا جميع الأخبار الدالة على لزوم عرض الخبر على كتاب الله والسنة النبوية وعلى ما أجمع عليه الإمامية فإن خالف فهو زخرف وإذ التزموا العمل بكل خبر وأنه يحكم على عمومات الكتاب والسنة ويخصصهما لزم الحكم بذلك في جميع الأخبار صحيحها في مصطلح المتأخرين وضعيفها لأن الكل قطعية عندهم فيلزم العمل بأحاديث وجوب جبر المقصورة والذكر عند طلوع الشمس وعند غروبها وجميع الأذكار والدعوات في جميع الأوقات وآدابها الواردة بصيغة الأمر وأخبار تحريم كثير من الأوضاع في مقامات الآداب وغيرها وبأحاديث الوضوء بماء الورد ولزوم نقص شعبان وتمام رمضان وفساد الصوم بمطلق الكذب والغيبة والسب ونحوها ونوم النبي ﷺ عن غسل الجنابة مع أنه كان لا ينام قلبه وطهارة طين المطر إلى ثلاثة أيام والسهو من النبي ﷺ حتى من الصلاة ووجوب الكحل وفرق الشعر ونجاسة الحديد ونحوها ثم شرع قدس سره لبيان دس الأخبار الموضوعة في أحاديثنا من المغيرة بن سعيد وأمثاله إلى أن قال: على أن مسألة الجمع (أعني الجمع بين الفاطميتين) مما يعم بها البلوى لكثرتها وكثرة وقوعها فينبغي أن تكون أخبارها بين الشيعة متواترة كأخبار المتعة بخلاف المسائل النادرة الوقوع والمسألة واضحة البرهان غنية عن البيان.

(١) السوداء العنطنطة أي الطويلة العنق مع حسن قوام.

وينبغي أن لا يتجاوز المهر الذي تزوّج النبيّ ﷺ به أزواجه وهو خمسمائة درهم كلّ درهم قيمته في هذا الزمان اثنا عشر غازياً ونصف غاز تقريباً، روي عن الحسين بن خالد قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن مهر السنّة كيف صار خمسمائة؟ فقال إنّ الله تبارك أوجب على نفسه إن يكبره مؤمن مائة تكبيرة ويسبّحه مائة تسبيحة ويحمده مائة تحميدة ويهلّله مائة تهليلة، ويصلّي على محمّد وآله مائة مرّة؛ ثمَّ يقول اللّهم زوّجني من حوراء عيناء إلّا زوّجه الحور العين وجعل ذلك مهرها، ثمَّ أوحى الله إلى نبيّه ﷺ أن سنّ مهور النساء خمسمائة درهم، ففعل رسول الله ﷺ، وأيّما مؤمن خطب إلى أخيه حرمته فبذل له خمسمائة درهم فلم يزوّجه فقد عقّه واستحقّ من الله عزّ وجلّ ألاّ يزوّجه حوراء.

والأولى أن يسوق إليها جميع مِهرها قبل الدخول وإلاّ فبعضه، ولو دخل بها وقد ساق إليها شيئاً كما هو المعتاد إمّا من جملة المهر كما كان متعارفاً في الأزمان السابقة أو من غيره كما في هذه الأعصار فهل يسقط باقي المهر بالدخول أم يستقرّ في ذمّته ديناً عليه مثل غيره من الديون، المشهور هو الثاني؛ وبعضهم على الأوّل، والأخبار الصحيحة دالّة على سقوط المهر بالدخول، وفي مكاتبات مولانا صاحب الزمان عليه السلام أنّ المهر إن كان كتب عليه كتاب فهو دين وإلاّ فهو قد سقط بالدخول، ويمكن توجيهه بأنّ المهر إذا كتب عليه كتاب كان قرينة على إرادة الزوجة له، أمّا إذا لم يكتب عليه كتاب يكون قرينة على إرادتها الإعراض عنه وإبراء ذمّة الزوج من باقيه وإن لم تصرّح به كما شاهدناه في أكثر النواحي سيّما القرى والبوادي، فإنّه ليس منظورهم من العقد إلّا تحصيل علاقة الزوجيّة وأمّا إرادة المهر فلا تخطر لهم على بال، وهذه المسألة من مشكلات المسائل حيث أنّها من حقوق الناس وعموم البلوى بها؛ والأولى في مثل هذا إيقاع صلح بين الزوجين أو ورثتهما بحيث لا تأخذ المرأة كلّ ما بقي من المهر ولا تحرم منه كلّه.

والبكر البالغة العاقلة الرشيدة قد وقع الخلاف بين الأصحاب رضوان الله عليهم في اختيار العقد عليها على أقوال، والذي يقضيه الجمع بين الأخبار هو أنّ الاختيار في النكاح إليها لا غير وأمّا الأخبار الدالّة على أنّ اختيارها إلى أبيها أو جدّها فطريق تأويلها إمّا الحمل على الاستحباب أو على التقيّة؛ والاحتياط ظاهر لا يخفى.

أمّا الصيغة فهي أنكحتك وزوّجتك وهذا ممّا لا إشكال فيه؛ نعم لفظ الكتاب قد

ورد بالفعلين بغير لفظ «من» الزائدة مثل ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] و﴿أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ﴾ [القصص: ٢٧]؛ ويؤيّده أنّ الأقوى بين النحاة هو أنّ «من» لا تزاد في الكلام الموجب وأمّا الأخبار فأكثرها على زيادة «من» كقوله عليه السلام: إذا قال زوّجتك من فلانة أو من نفسي فهي امرأتك؛ فزيدت «من» في الإيجاب كما هو مذهب الكوفيّين والأخفش، وحينئذ فالأولى هو الجمع بين الصيغتين عملاً بالكتاب والسنة وبقول البصريّين والكوفيّين؛ ولا خلاف بين علمائنا بوقوعه بصيغة الماضي.

أمّا الحال والاستقبال فالمشهور بينهم العدم، والأصحّ هو الجواز عند قصد الإنشاء بها لأنّ قربها منه أشدّ من صيغة الماضي؛ ولأنّ صيغة الحال وردت في خبر سهل الساعدي لمّا أتت المرأة إلي النبيّ صلى الله عليه وآله تطلب التزويج فقام رجل فقال زوّجنيها يا رسول الله، فقال زوّجتكها بما معك من القرآن، وقول العلاّمة طاب ثراه في المختلف والوجه المنع لبعده عن الإنشاء الموضوع له لفظ الماضي، لا يخفى ما فيه بعد ما قدّمناه، وأمّا الاستقبال فقد جوّزه ابن حمزة واستدلّ عليه برواية أبان بن تغلب في المتعة أتزوّجك متعة فإذا قالت نعم فهي امرأتك. والأوضح هو الاستدلال بقوله تعالى: ﴿أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ﴾ [القصص: ٢٧] فإنّ ظاهره يعطي أنّ هذا هو الإيجاب؛ ولعمرك إنّ فقهاءنا رضوان الله عليهم قد ضيّقوا المجال على الناس في أبواب صيغ العقود، والمفهوم من الأخبار اتّساع الحال فيها وسنحرّره إن شاء الله في شرحنا على كتابي التهذيب والاستبصار إذا بلغ الحال إلى هناك.

وإذا أراد التزويج فليولم يوماً أو يومين والثالث رياء وسمعة وهو واحد من المواضع الخمسة، وأمّا الأربعة فهي النفاس بالولد؛ والختان وشراء الدار وقدوم الرجل من مكّة وهذه الأربعة هي التي ورد التأكيد عليها، وأمّا هيئة زفافها فيستحبّ أن يكون كما روي من أنّ فاطمة عليها السلام لمّا كانت ليلة زفافها أتى النبيّ صلى الله عليه وآله ببغلته الشهباء وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة عليها السلام إركبي وأمر سلمان أن يقودها والنبيّ صلى الله عليه وآله يسوقها فبينا هو في بعض الطريق إذ سمع النبيّ صلى الله عليه وآله صوتاً فإذا هو بجبرائيل عليه السلام في سبعين ألفاً من الملائكة فقال النبيّ صلى الله عليه وآله ما أهبطكم إلى الأرض؟ قالوا جئنا نزفّ فاطمة عليها السلام إلى زوجها، وكبرّ جبرائيل وكبّر ميكائيل وكبّرت الملائكة وكبّر محمّد صلى الله عليه وآله فوضع التكبير على العرائس من تلك الليلة.

وقال الصادق عليه السلام زفّوا عرائسكم ليلاً وأطعموا ضحى، وظاهره تأخّر الطعام

وأكثر الأخبار دلّت على التقدّم، والظاهر هو التخيير كما لا يخفى، مع أنّ الواو لا تفيد الترتيب.

وأمّا باقي الكيفيّات فرواها أبو سعيد الخدري[1] قال أوصى رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فقال يا علي إذا دخلت العروس بيتك فاخلع خفّها حين تجلس واغسل رجليها وصبّ الماء من باب دارك إلى أقصى دارك فإنّك إذا فعلت ذلك أخرج الله من دارك سبعين ألف لون من الفقر، وأدخل فيه سبعين ألف لون من الغنى، وأدخل عليك سبعين لوناً من البركة وأدخل عليك سبعين ألف رحمة ترفرف على رأس العروس حتّى تنال بركتها كلّ زاوية في بيتك، وتأمن العروس من الجنون والجذام والبرص أن يصيبها ما دامت في تلك الدار، وامنع العروس في أسبوعها من الألبان والخلّ والكزبرة والتفّاح الحامض، فقال عليّ عليه السلام يا رسول الله لأيّ شيء أمنعها من هذه الأشياء الأربعة؛ قال لأنّ الرحم تعقم وتبرد من هذه الأربعة الأشياء عن الولد والحصير في ناحية البيت خير من امرأةٍ لا تلد؛ فقال عليّ عليه السلام يا رسول الله ما بال الخلّ تمنع منه؟ قال إذا حاضت على الخلّ لم تطهر أبداً بتمامه والكزبرة تثير الحيض في بطنها وتشتدّ عليها الولادة، والتفّاح الحامض يقطع حيضها فيصير داءً عليها؛ ثمَّ قال يا عليّ لا تجامع امرأتك في أوّل الشهر ووسطه وآخره فإنّ الجنون والجذام والخبل يسرع إليها وإلى ولدها.

يا عليّ لا تجامع امرأتك بعد الظهر فإنّه إن قضي بينكما ولد في ذٰلك الوقت يكون أحول والشيطان يفرح بالحول في الإنسان، يا عليّ لا تتكلّم عند الجماع فإنّه إن قضي بينكما ولد لا يؤمن أن يكون أخرس، ولا ينظرنّ أحد إلى فرج امرأته وليغضّ بصره عند الجماع فإنّ النظر إلى الفرج يورث العمى في الولد؛ يا عليّ لا

---

(١) رواها الشيخ الصدوق رحمه الله في من لا يحضره الفقيه وفي طريقه إلى أبي سعيد الخدري جهالة ومن ينعم النظر إلى هذه الوصية ومارس أحاديث رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأنس بكلامهم وحصلت له هذه الملكة يظهر له أن تلك الوصية غير صادرة عنهم سلام الله عليهم ولذا صرح أكبر فقهاء الإمامية ومجتهديهم المشاهير الشهيد الثاني قدس سره في كتابه القيم (المسالك) بأنها من الموضوعات قال رحمه الله ما هذا لفظه الشريف: (والوصية المذكورة تفوح منها رائحة الوضع وقد صرح به بعض النقاد).
وقال العلامة الفيض الكاشاني رحمه الله في الوافي: في أبواب معاشرة النساء ص ١٠٩ (ولا يخفى ما في هذه الوصايا وبعد مناسبتها لجلالة قدر المخاطب بها ولذلك قال بعض فقهائنا إنها مما يشم منه رائحة الوضع).

تجامع امرأتك بشهوة امرأة غيرك فإنّي أخشى إن قضي بينكما ولد أن يكون مخنثاً مخبّلاً؛ يا علي من كان جنباً في الفراش مع امرأته فلا يقرأ القرآن فإنّي أخشى عليهما أن تنزل نار من السماء فتحرقهما.

يا علي لا تجامع امرأتك إلّا ومعك خرقة ومع أهلك خرقة ولا تمسحا بخرقة واحدة فتقع الشهوة على الشهوة فإنّ ذلك يعقب العداوة بينكما ثمّ يؤدّيكما إلى الفرقة والطلاق يا علي لا تجامع امرأتك من قيام فإنّ ذلك من فعل الحمير وإن قضي بينكما ولد كان بوّالاً في الفراش كالحمير البوّالة في كلّ مكان؛ يا علي لا تجامع امرأتك في ليلة الفطر فإنّه إن قضى بينكما ولد لم يكن ذلك الولد إلّا كثير الشرّ، يا عليّ لا تجامع امرأتك في ليلة الأضحى فإنّه إن قضي بينكما ولد يكون له ستّة أصابع أو أربع يا عليّ لا تجامع امرأتك تحت شجرة مثمرة فإنّه إن قضي بينكما ولد يكون جلّاداً وقتّالاً أو عريفاً، يا علي لا تجامع امرأتك في وجه الشمس وتلألئها إلّا أن يرخى ستر فيستركما فإنّه إن قضي بينكما ولد لا يزال في بؤس وفقر حتّى يموت؛ يا عليّ لا تجامع أهلك بين الأذان والإقامة فإنّه إن قضي بينكما ولد يكون حريصاً على إهراق الدماء، يا علي إذا حملت امرأتك فلا تجامعها إلّا وأنت على وضوء فإنّه إن قضي بينكما ولد يكون أعمى القلب بخيل اليد يا علي لا تجامع أهلك في النصف من شعبان فإنّه إن قضي بينكما ولد يكون مشوماً ذا شامة في وجهه.

يا علي لا تجامع أهلك في آخر درجة منه إذا بقي يومان فإنّه إن قضي بينكما ولد يكون عشّاراً أو عوناً للظالم ويكون هلاك فئام من الناس على يديه، يا علي لا تجامع أهلك على سقوف البنيان فإنّه إن قضي بينكما ولد يكون منافقاً مرائياً مبتدعاً؛ يا علي إذا خرجت في سفر فلا تجامع أهلك تلك الليلة فإنّه إن قضي بينكما ولد ينفق ماله في غير حقّ وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧] يا عليّ لا تجامع أهلك إذا خرجت إلى سفر مسيرة ثلاثة أيّام ولياليهنّ فإنّه إن قضي بينكما ولد يكون عوناً لكلّ ظالم، يا عليّ عليك بالجماع ليلة الاثنين فإنّه إن قضي بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قسم الله عزّ وجلّ له؛ يا عليّ إن جامعت أهلك ليلة الثلاثاء فقضي بينكما ولد فإنّه يرزق الشهادة بعد شهادة أن لا إله إلا الله محمّد رسول الله ولا يعذّبه الله مع المشركين، ويكون طيّب النكهة من الفم رحيم القلب سخيّ اليد طاهر اللسان من الغيبة والكذب والبهتان، يا عليّ وإن جامعت أهلك ليلة الخميس فقضي بينكما ولد فإنّه يكون حاكماً من الحكّام أو عالماً

من العلماء؛ وإن جامعتها يوم الخميس عند زوال الشمس عن كبد السماء فقضي بينكما ولد فإنّ الشيطان لا يقربه حتّى يشيب ويكون فهماً ويرزقه الله عزّوجلّ السلامة في الدين والدنيا؛ يا عليّ وإن جامعتها ليلة الجمعة وكان بينكما ولد فإنّه يكون خطيباً قوالاً مفوّهاً وإن جامعتها في ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنّه يرتجى أن يكون له ولد من الأبدال إن شاء الله تعالى، يا علي لا تجامع أهلك في أوّل ساعة من الليل فإنّه إن قضي بينكما ولد لا يؤمن أن يكون ساحراً مؤثراً للدنيا على الآخرة، يا عليّ احفظ وصيّتي هذه كما حفظتها عن جبرائيل.

وقال الكاظم عليه السلام من أتى أهله في محاق الشهر فليسلم لسقط الولد، وعن الباقر عليه السلام قال يكره الجماع في ليلة ينكسف فيها القمر، واليوم الذي تنكسف فيه الشمس وفيما بين غروب الشمس إلى أن يغيب الشفق، ومن طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ وفي الريح السوداء والحمراء والصفراء والزلزلة؛ ولقد بات رسول الله صلى الله عليه وآله عند بعض نسائه فانكسف القمر في تلك الليلة فلم يكن منه شيء؛ فقالت له زوجته يا رسول الله بأبي أنت وأمّي أكل هذا البغض؛ فقال ويحك حدث هذا الحدث في السماء فكرهت أن أتلذّذ وأدخل في شيء، لقد عيّر الله تعالى قوماً فقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤]؛ وأيم الله لا يجامع أحد زوجته في هذه الساعة التي وصفت فيرزق في جماعه ولداً وقد سمع هذا الحديث فيرى ما يحبّ.

وقال الصادق عليه السلام لا تجامع في أوّل الشهر ولا في وسطه ولا في آخره فإنّه من فعل ذلك فليسلم لسقط الولد؛ فإن تمَّ أوشك أن يكون مجنوناً، ألا ترى أنّ المجنون أكثر ما يصرع في أوّل الشهر ووسطه وآخره، وعلّل في الكافي بأنّ الجنّ يكثرون غشيان نسائهم في أوّل ليلة من الهلال، وفي وسطه وفي آخره؛ والظاهر أنّ الوجه فيه أنّ هذا الولد يكون موافقاً لأولاد الجنّ فهو (همزاد) فيكون وطء الإنسان وولادة ولده موافقاً لوطء الجنّ وولادة أولادهم، وقال عليه السلام يكره الجنابة حين تصفر الشمس وحين تطلع وهي صفراء، وسأل محمّد بن العيص أبا عبد الله عليه السلام فقال أُجامع وأنا عريان؟ قال لا ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها؛ وقال عليه السلام لا تجامع في السفينة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يكره أن يغشى الرجل المرأة وقد احتلم حتّى يغتسل من احتلامه الذي رأى، فإن فعل فخرج الولد مجنوناً فلا يلومنّ إلّا نفسه، ومن جامع امرأته وهي حائض فخرج الولد مجذوماً أو أبرص فلا يلومنّ إلّا نفسه،

وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لو أنّ رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبّي مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفسهما ما أفلح أبداً إن كان غلاماً كان زانياً وإن كان جارية كانت زانية، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا أراد أن يغشى أهله أغلق الباب وأرخى الستور وأخرج الخدم، وظاهر هذا الحديث تخصيص الصبّي بالمميّز، وفي بعض الأخبار إطلاق وهو منزّل على هذا المقيّد.

فإن قلت كيف حمل الأصحاب رضوان الله عليهم هذه النواهي على الكراهة مع ترتّب الأفعال المحرّمة عليها لأنّ خروج الولد مجنوناً أو أجذم أو أبرص أو نحو ذلك من الأفعال يحرم على الأب مع قدرته على رفع هذه الأمراض بعدم استعمال الجماع في هذه الأوقات المخصوصة.

قلت قد خطر هذا الخاطر لشيخنا البهائي قدّس الله روحه في موضع آخر وهو ما روي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الماء الذي يسخن بالشمس لا تغتسلوا به ولا تعجنوا به فإنّه يورث البرص؛ حيث ذكر أنّ الفقهاء رضوان الله عليهم حملوا هذا النهي على الكراهة؛ ثمَّ تكلّم عليهم بأنّ النهي حقيقة في التحريم كما هو المذهب المنصور في الأصول، ثمَّ قال ولو نزّلنا عن ذلك وقلنا باشتراكه بين التحريم فتعليله صلى الله عليه وآله بأنّ ذلك يورث البرص قرينة كون النهي للتحريم لوجوب اجتناب الضرر المظنون؛ ألا ترى أنّ الطبيب الحاذق لو نهى شخصاً عن أكل شيء وقال إنّه يورث ضرراً عظيماً لوجب عليه اجتنابه فكيف بالنهي الصادر عنه صلى الله عليه وآله، على أنّ الضرر الذي جعله علّة للنهي لو لم يكن مظنوناً لكان متساوي الطرفين وكان احتمال البرص وعدمه متساويين.

والجواب عن هذا كله وهو أنّ النهي في كلّ من باب الأمر في قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] من أنّه للإرشاد، وتفصيل هذا أنّ كثيراً من المحللات الشرعيّة قد ذكر لها الشارع ضرراً بدنياً وكذلك الأطبّاء كالباذنجان وبعض البقول وبعض المطعومات، فإذا أخبر الشارع بترتّب الضرر عليها فكيف أحلّها مع أنّه لم يحرم إلّا ما أضرّ بالبدن وسمّاه خبيثاً، وحينئذ فحاصل معناه أن ترتب أنواع هذا الضرر على هذه الأمور أشدّ من ترتّبها على غيرها لا أنّ بينهما علّية ومعلوليّة وسببيّة ومسببيّة أو أنه يحصل منه الظنّ بوقوع ذلك الضرر؛ ألا ترى أنّ أفلاطون وبطليموس وأساطين الحكماء ذكروا خواصّ المركّبات والمفردات وبيّنوا أنّ في بعضها مفاسد للأبدان وذكروا وجه المفاسد مع أنّه لم يقل أحد بحرمتها ولا أحذق

من هؤلاء الحكماء فظهر أنّ هذا كلّه من باب المعالجات والأدوية المتعارفة بالنسبة إلى أصحاء الأبدان، فمعنى قوله ﷺ: إنّ من جامع في هذه الأوقات يكون ولده كذا أنّ هذه الأوقات لها نسبة إلى مثل هذه المذكورات في الولد لا أنّ بينهما ربطاً يتعقّبه الظنّ بهذا الترتّب، ألا ترى أنّ الولد يعلق كثيراً في تلك الأوقات من غير أن يترتّب عليه تلك الأمور المذكورة، وحينئذ فمعنى إخباره ﷺ بأنّ من جامع في كذا يكون ولده كذا ما ذكرناه، وذلك أنّ كلامهم عليهم السلام منزّل على ما هو معروف في المحاورات شائع في الاستعمال وقد شاع في العرف قولهم لا تأكل كذا لأنّه يتعقبه ضرر كذا وليس مرادهم إلّا ما حقّقنا، وإيّاك والغفلة عن مثل هذا فإنّه كثير الوقوع في الأخبار والإشكال الذي أورده في مادّة خاصّة جار في كلّ الموادّ.

فإن قلت مثل هذه المذكورات من أنواع الضرر هل تدفع وتزول بما ذكره صاحب الشرع في دفع نحوسة الأيّام، قلت الظاهر هذا وذلك لأنّ ما ذكره عليه السلام عامّ في دفع كلّ نحوسة، أمّا آيات القرآن فقد ورد أنّ القرآن لما يقرأ فإذا قرئ بقصد دفع تلك النحوسات دخل في ذلك العموم خصوصاً قراءة آية الكرسي فإنّا قد جربناها كما تقدّم.

وأمّا الصدقات وأنواع الأذكار والأدعية المأثورة فالظاهر أنّ حكمها حكم القرآن أيضاً، بل يمكن أن يقال إنّ التوكّل على الله وقوّة العزم وإخلاص النيّة ربّما يدفعه أيضاً كما يستفاد من ظواهر بعض الأخبار وعمومها.

رجعنا إلى الكلام الأول فإذا دخلت العروس عليه وفعل معها هذه الأفعال فلا يبادر إلى الجماع ابتداءً فيكون قد أخاف المرأة وفعل مثل الحمير بل ربّما يمكن أن يقال إنّ ما ورد من صاحب الشرع من نزع خفّ العروس وجعله يده على ناصيتها وقراءة الدعاء وصلاة ركعتين من الرجل والمرأة لأجل استقرار قلب العروس لأنّهما أجنبيّان تلاقيا هذه الساعة؛ بل ينبغي المداعبة والمزاح والمطايبة، وهذا ليس مخصوصاً بالعروس بل يجري في كل النساء فإنّ النبيّ ﷺ كان يمازح نساءه ويقبّلهنّ قبل الجماع، قال الصادق عليه السلام إنّ أحدكم ليأتي أهله فتخرج من تحته فلو أصابت زنجياً لتشبّثت به فإذا أتى أحدكم أهله فليكن بينهما مداعبة وهو المزاح فإنّه أطيب للأمر؛ وفي موضع آخر أنّ الجماع من غير مزاح وتقبيل مثل فعل الحمير فإنّ الحمار ينزو من غير مداعبة بل قيل إنّ الحمار يقدّم الشمّ على النزو فمن لم يفعل ما ذكر يكون أخسّ طبعاً منه وفي رسالة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام التي وضعها

في الطبّ الأمر بالإكثار من المزاح عند المقاربة والأمر بتغميز ثدييها، وقد علّله عليه السلام بأنّ ماء المرأة يخرج من ثديها وشهوتها في وجهها فالمزاح والتقبيل طلباً لشهوتها حتّى تريد منك مثل ما تريد أنت منها والتغميز طلباً لنزول مائها حتّى يتخلق الولد من الماءين؛ وذلك أنّه لا يتخلق من واحد كما ورد في بعض الأخبار؛ ولأنّ ماء الرجل إذا تخلّقت منه البنت وحده يكون أوصافها كأوصاف الرجل وهذا لا يكون مطلوباً في البنت، وليكن عزمه بكلّ استمتاع إقامة السنّة وطلب الولد والتحصّن من الزنا والنظر إلى الأجانب حتّى يكون قد فاز بالثواب الآجل وحصل له التلذّذ العاجل؛ ولا يكون مطمح نظره إفضاء الشهوة فإنّه من أفعال البهائم؛ بل روي أنّ البهائم تدرك هذا المعنى العالي، كما روي أن عصفوراً قال لعصفورته في زمان سليمان عليه السلام تعالي حتّى أُجامعك فيرزقنا الله ولداً يثقل الأرض بلا إلٰه إلّا الله، فسمعه سليمان فقال إنّ هذه النيّة خير من ملك سليمان، ومن ثمَّ اهتمّ الشارع بأمر النطفة فلم يجوّز للرجال إراقتها خارج الرحم، حتّى أنّه لو فعل هذا كان الواجب عليه أو المستحبّ أن يدفع إلى الزوجة عشرة دنانير دية الماء وكذا الزوجة لو فعلت مثله.

ودية النطفة إذا أُلقيت في الرحم فأخرجها مخرج عشرون ديناراً، ولو أفزعه مفزع حال الجماع فألقى ماءه خارج الرحم فعشرة دنانير؛ وإن كانت المفزعة هي المرأة فلا شيء لها منه؛ وكذا لو كان هو الرجل فلا شيء له وكانت الدية للآخر، ودية العلقة وهي القطعة من الدم تتحوّل إليها النطفة أربعون ديناراً، وفي المضغة وهي القطعة من اللحم بقدر ما يمضغ ستّون ديناراً؛ وفي ابتداء تخلّق العظم من المضغة ثمانون ديناراً، وفي التامّ الخلقة قبل ولوج الروح فيه مائة دينار ذكراً كان الجنين أم أنثى، وقيل متى لم تتمّ خلقته ففيه غرّة عبد أو أمة صحيحاً لا يبلغ الشيخوخة ولا ينقص سنّه عن سبع سنين لرواية أبي بصير وغيره، والأوّل أشهر فتوى وأصحّ رواية، ولو ولجته الروح فدية كاملة للذكر ونصف للأنثى، وإن خرج ميّتاً مع تيقّن حياته في بطنها ومع اشتباه كونه ذكراً أو أُنثى يكون على الجاني نصف الديتين، ودية المسلم بالذهب ألف دينار وبالفضّة عشرة آلاف درهم لأنّه قد كان في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله كلّ دينار قيمته عشرة دراهم، لكن في هذه الأوقات قد ارتفعت قيمة الذهب فصار قيمة الدينار تزيد على عشرين درهماً فبحسب هذا التفاوت تفاوتت الديتان تفاوتاً كثيراً؛ لكن قد ورد في بعض الأخبار أنّ الأصل هو الدراهم منضمّاً إلى أصالة البراءة من الزائد، وهذه الدية إذا كانت صلحاً عن القصاص لا تسقط العقاب الأُخروي

كالقصاص بل هما عقاب دنيويّ، وما ورد في الأخبار من أنّ الحدّ مسقط للذنب فالظاهر أنّه محمول على حقوق الله سبحانه كالزنا وشرب المسكرات؛ وفي الأخبار دلالة على هذا أيضاً.

وقد ورد جواز العزل في مواضع، منها المستمتع بها؛ ومنها الأمة؛ ومنها الزوجة السليطة، ومنها الزوجة البذيّة؛ ومنها الزوجة الناشزة؛ ووجه العلّة ظاهر لا يحتاج إلى البيان، فإذا أراد الجماع فليقل بسم الله الرحمٰن الرحيم حتّى لا يشاركه الشيطان في ذلك الولد، فقد ورد في دعاء المقاربة اللّهم إن قضيت لي منها ولداً فاجعله مباركاً سويّاً ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً، قال الراوي قلت له عليه السلام وكيف يكون شرك شيطان، فقال لي إنّ الرجل إذا دنى من المرأة وجلس مجلسه حضره الشيطان فإن هو ذكر اسم الله تنحّى الشيطان عنه وإن فعل ولم يسمّ أدخل الشيطان ذكره فكان العمل منهما جميعاً والنطفة واحدة، قلت فبأي شيء يعرف هذا؟ قال بحبّنا وببغضنا؛ ومن هذا يستفاد أنّ أكثر المخالفين لنا في المذهب شرك شيطان.

وقد روي هذا في الأخبار؛ روي الصدوق رحمه الله بإسناده إلى عليّ عليه السلام قال قد كنت جالساً عند الكعبة فإذا شيخ محدودب؛ فقال يا رسول الله ادعُ لي بالمغفرة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله خاب سعيك يا شيخ وضلّ عملك؛ فلمّا ولّى الشيخ سألته عنه؛ فقال ذلك اللعين إبليس قال عليّ عليه السلام فعدوت خلفه حتّى لحقته وصرعته إلى الأرض وجلست على صدره ووضعت يدي على حلقه لأخنقه، فقال لا تفعل يا أبا الحسن فإنّي من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، والله يا علي إنّي لأحبّك جدّاً وما أبغضك أحد إلّا شركت أباه في أمّه فصار ولد زنا فضحكت وخلّيت سبيله.

ولعلّك تقول إنّ مخالفينا يزعمون أنّهم لا يبغضون عليّاً وهذا زعم باطل؛ وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ علامة بغض عليّ تقديم غيره وتفضيله عليه؛ وكلّ مخالفينا قد قالوا بهذا؛ وما أحسن قول عليّ عليه السلام لمّا قال له رجل يا عليّ إنّي أحبّك وأحبّ عثمان فقال له أنت أعور إما أنّ تعمى وإمّا أن تستبصر. وأمّا دعاء المباشرة فهو اللهمّ ارزقني ولداً واجعله تقيّاً زكيّاً ليس في خلقه زيادة ولا نقصان، واجعل عاقبته إلى خير، وهو مرويّ عن الباقر عليه السلام قال فإذا أنزل الماء فليقل اللهمّ لا تجعل للشيطان فيما رزقتني نصيباً، وينبغي المبادرة إلى تزويج البنات خصوصاً إذا أدركن فإنّهنّ كما قال عليه السلام كالثمار تفسد بعد إدراكها إذا لم تقطف، وقال عليه السلام من

سعادة الرجل أن لا تطمث ابنته إلّا عند زوجها وكانوا يكرهون الاستعجال في كلّ الأمور إلّا في أمور منها المبادرة بتزويج البنت ومنها المبادرة بالتوبة بعد الذنب.

نور في تكون الأولاد في الرحم وبعض أحوالهم

اعلم أنّ من قرّر الله في صلبه أولاداً في عالم الذرّ فلا بدّ أن يوجدوا منه ومن لم يقرّر في صلبه أولاداً في ذلك العالم فهو محروم منهم، روي الكليني بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال كان عليّ بن الحسين عليه السلام لا يرى بأساً بالعزل يقرأ هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ فكلّ شيء أخذ الله منه الميثاق فهو خارج وإن كان على صخرة صمّاء، ولكن لا يقول ذلك الرجل إنّ الأمر قد فرغ منه فما فائدة الدعاء في طلب الولد؛ لأنّه قد عرفت أنّ الله سبحانه جعل الأمور مربوطة بأسبابها وجعل لنفسه المشيئة في كلّ شيء؛ فلعلّ الحكمة القديمة اقتضت كون حصول الولد معلّقاً على الدعاء وأشباهه، ودعاء طلب الولد قد روي عن الصادق عليه السلام وهو اللهمّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين وحيداً وحيشاً فيقصر شكري عن تفكّري بل هب لي عاقبة صدقٍ ذكوراً وإناثاً آنس بهم من الوحشة وأسكن إليهم من الوحدة؛ وأشكرك عند تمام النعمة يا وهّاب يا عظيم يا معظّم، ثمَّ أعطني في كلّ عافيةٍ شكراً حتّى تبلّغني منها رضوانك في صدق الحديث وأداء الأمانة ووفاء العهد برحمتك يا أرحم الراحمين[1].

وعنه عليه السلام قال: ادعُ وأنت ساجد: ربّ هب لي من لدنك ذرّيّة طيّبة إنّك سميع الدعاء؛ ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. وعن الباقر عليه السلام إذا أصبح وأمسى يقول سبحان الله سبعين مرّة ويستغفر سبع مرات؛ ويسبّح تسع مرّات، ويختم العاشرة بالاستغفار، قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢]، قال الراوي وقد جربت ذلك غير مرّة وعلّمتها غير واحد من الهاشميّين ممّن لم يكن يولد لهم فولد لهم ولد كثير والحمد لله. والماء الذي يكون مبدأ نشوء المؤمن ممزوج بماء الجنّة؛ كما روي أنّ الله سبحانه إذا علم ذلك الوقت الذي يقارب المؤمن فيه زوجته أرسل ملكاً ومعه ماء من الكوثر فوضع ذلك الماء في الكوز التي يشرب منها

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٧ باب الدعاء في طلب الولد.

فيشرب من ذلك الماء فإذا شرب قارب أهله فيكون النطفة بماء الكوثر ومن ثمَّ تلبس الإيمان قلب ذلك الولد في عالم الطفوليّة، فإذا وقعت النطفة في الرحم أرسل الله ملكاً إلى موضع قبره فجاء بشيء من ترابه ومزجه بتلك النطفة، فإذا شبّ حنت نفسه إلى تلك البلد التي قرّر فيها قبره؛ فإذا قرب الأجل هيّئت أسباب السفر إلى تلك البلاد وقوي عزمه عليه حتّى يبلغ ذلك القبر.

فانظر كيف أعدّ الله سبحانه أمكنة الموت ومنازله قبل منازل الحياة وحبّب إلى الإنسان الرحيل إليه، ومن هنا قال ﷺ حبّ الوطن من الإيمان، فإنّ المراد بالوطن في هذا الحديث على ما فهمه شيخنا البهائي رحمه الله وبعض المحقّقين هو الوطن الحقيقي وهو القبر الذي قال فيه عليه السلام: القبر إمّا روضة من رياض الجنان وإمّا حفرة من حفر النيران؛ واستدلّوا عليه بأنّ المساكن المتعارفة من الأمور الدنيويّة والنبيّ ﷺ لم يأمر بحبّ الدنيا وقتاً من الأوقات، بل الذي ورد عنه إنّما هو الحثّ على تركها والرغبة عنها.

والحقّ أنّ كلامه ﷺ كما في الروايات مثل كلام القرآن في أنّ له ظاهراً وباطناً وفي أنّ اللفظ الواحد منه يجمع المعاني المتكثّرة ويكون كلّها مراده (ة خ) حال إلقاء الكلام كما قال: أُوتيت جوامع الكلم؛ والمراد به ما قلّ لفظه وكثر معناه فيكون المراد بالوطن ما يتناول الوطنين الدنيويّ والأُخروي، وذلك أنّ الأمور الضروريّة للإنسان من جهة الحياة قد وقع الحثّ من الشرع على إحكامها وإتقانها والميل إليها وإلى إصلاحها، فقال ﷺ إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً؛ وأمّا تأويل بعضهم له حتّى يراد به خلاف معناه الظاهر وهو أن يكون المراد منه أنّ الإنسان إذا علم أنّه يعيش أبداً لم يكن له اهتمام بالمبادرة إلى تدبير أمور دنياه بل يسوّفها ويؤخّرها ويقول إذا كان العمر طويلاً أتمكّن من فعل هذا فيما بعد فلا يهتمّ بتعجيل أمور الدنيا فيكون الفقرتان للترغيب في أمور الآخرة وحدها فهو خلاف الظاهر من الخبر ومن سياقه، ومن ثمَّ أورده المحدّثون في الأصول في باب الحثّ على المعايش والمكاسب وأيضاً هو خلاف العادات، وذلك أن طول الأمل ورجاء أن يبلغ العمر إلى الثمانين وما فوقها هو الذي حثّنا ورغبنا في أمور الدنيا والمبادرة إليها فكيف لو علمنا بالحياة أبداً وهذا ظاهر، وأيضاً في حبّ الوطن نظام أمر الدنيا المأمور به، وذلك أنّ بعض الناس على ما شاهدناهم لهم أوطان وبلاد لا يقدر غيرهم أن يقيم فيها يوماً واحداً لكنّها عندهم أحبّ من بغداد

وأصفهان، وذلك أنّهم لو كرهوها لما فيها من الضرر الذي لا يحتمله غيرهم لأدّى إلى خراب أكثر البلاد وازدحام الناس في أمكنة مخصوصة.

وأيضاً فإنّه ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة وسكن فيها كان إذا أتاه آت من مكّة يسأله عن أرضها وعن أزهارها ومياهها ويتشوّق إليها، ويقول هي مسقط رأسي فيظهر الميل إليها من جهة كونها وطناً لا من جهة الشرف والفضل فإنّ لذلك مقاماً آخر مع أنّه ﷺ لقي من أهلها أنواع الأذى لكنّها:

دیار بها حلّ الشباب تميمتي وأوّل أرض مسّ جلدي ترابها

وكذلك الأئمة عليهم السلام كانوا يتشوّقون إلى أوطانهم ويظهرون الميل إليها والحبّ لها لكونها أوطاناً مع أنّ الأوطان والديار ليستا من أمور الدنيا.

وحيث انتهى الحال بنا إلى هنا فلا بأس بتحقيق الدنيا وأنّها عبارة عن أي شيء وما المراد بالدنيا التي أطبق أهل الله على ذمّها؛ وما المراد بالدنيا التي مدحها أمير المؤمنين عليه السلام في بعض مواطنه، وذلك أنّه عليه السلام سمع رجلاً يذمّ الدنيا فقال أيّها الذامّ للدنيا المنخدع بأباطيلها المغترّ بغرورها، بم تذمّها أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك، متى استهوتك أم متى غرّتك؟ أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمّهاتك تحت الثرى كم علّلت بكفّيك ومرّضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطبّاء لم ينفع أحدهم إشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوّتك، قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك؛ إنّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها ودار موعظة لمن اتّعظ بها؛ مسجد أحبّاء الله ومصلّى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنّة فمن ذا يذّمها وقد أذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثّلت لهم ببلائها البلاء وشوّقتهم بسرورها إلى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً؛ فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة؛ ذكّرتهم الدنيا وحدّثتهم فصدّقوا ووعظتهم فاتّعظوا ولم يعهد منه عليه السلام مدح للدنيا سوى هذا الموضع نعم روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال لا تسبّوا الدنيا فنعم المطيّة[1] للمؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشرّ، وإذا قال العبد لعن الله الدنيا

(١) المطية: الدابة التي تركب وفي شرح شواهد مجمع البيان، مخطوط: وهي الدابة التي تمطو في سيرها أي تسرع.

قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربّه؛ وأمّا ذمّه لها وأنّه طلّقها ثلاث مرّات لم يرجع فيها فهو مشهور وفي الكتب مسطور، وحينئذ فما المراد من الدنيا المذمومة؟ فنقول قد غلط أكثر الناس في المراد منها فقيل هو الدهر؛ وقيل هي الأسباب، وقيل غير ذلك وهذا كلّه ظاهر البطلان، أمّا الدهر والأيّام والليالي فقد عرفت أنّه عليه السلام نهى عن ذمّها وسبّها وأنّ من سبّها كان آثماً مع أنّها مخلوقات من مخلوقاته سبحانه خلقها لانتفاعنا بها.

وأمّا الأموال فقد ورد في الأخبار نعم المال الصالح والولد الصالح للعبد الصالح ولأنّ بالأموال ينال ثواب الصدقات وإعانة المحتاج وإغاثة الملهوف وكلّ مقام من المقامات، وأمّا الجاه والاعتبار فلأن منه قضاء حوائج الإخوان التي قال فيها الصادق عليه السلام أن من طاف بالبيت أسبوعاً كتب الله له ستّة آلاف حسنة ومحى عنه ستّة آلاف سيّئة، ورفع له ستّة آلاف درجة؛ ثمّ قال وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف حتّى عدّ عشراً، وأمّا المنازل والدور فكذلك أيضاً لأنّه قد ورد أنّ الدار الواسعة من روح المؤمن في الدنيا وللاحتياج إليها في بقاء نوع الإنسان.

فالحاصل أنّ الدنيا غير هذا كلّه وهي الحالة التي تبعّد الإنسان من ربّه وإن كانت هي الصلاة كما أنّ الآخرة هي الحالة التي تقرّب الإنسان من ربّه وإن كانت العيشيّة[1] وذلك لأنّا شاهدنا من واظب على الصلوات والأذكار من الصوفيّة وغيرهم ولم يكن لهم نيّة سوى إقبال الناس عليهم وتوجّههم إليهم في هذه الصلاة وهي الدنيا، وأمّا كون الأمور الدنيويّة في الظاهر أموراً أُخرويّة فقد بلغني أنّ جماعة من المؤمنين من أهل العراق قصدوا الشام لبعض مطالبهم فسكنوا في بعض خاناتها فخرجوا في سحر تلك الليلة (ذات ليلة خ) إلى الحمّام أو المسجد، فأخذهم غلمان العسس وقيّدوهم وأتوا بهم إليه واتّفق في تلك الأوقات كثرة اللصوص في تلك البلاد؛ فلمّا أوقفوهم بين يديه وقالوا إنّ هؤلاء لصوص؛ وكان ذلك الرجل رجلاً عظيم الهيكل عليه لباس الروم فلمّا رفع بصره إلى المؤمنين سألهم عن بلادهم وأحوالهم؛ فقالوا له إنّا من أهل العراق؛ فعرفهم أنّهم من الشيعة، فقال هؤلاء

(١) العيشية: كذا في النسخ المطبوعة ولكن في النسخة المخطوطة العسسية، وكذا في النسخة المطبوعة من الكتاب سنة (١٢٦٩ ـ ١٢٧١هـ ق) ولعلها الصحيح بقرينة الحكاية الآتية.
والعسس: الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة وهو جمع عاسّ.

لصوص من الرافضة فحلف أن يصنع بهم أنواع السياسات فأخذتهم غلمانه وأمر أن يحبسوا بمنزله حتّى يجيء هو ويقتلهم؛ فأتوا بهم وحبسوهم؛ فلمّا كان قرب الصبح أقبل العسس إلى منزله وهم قد تيقنوا القتل، فلمّا وصل إلى بيته وتفرّق عنه جلاوزته غلقوا بابه فخرج بعض خدّامه بثياب بيض فخلع تلك الثياب وفرش له مصلاّه، وإذا فيه سجدة وسبحة وقرآن وصحيفة، فصلّى بتضرّع واستكانة وبكاء فلمّا استتمّ تعقيبه أمر بإحضار المؤمنين؛ فقال لهم أيّها المؤمنون أنا مثلكم شيعيّ ولي من غلاّت الأملاك ما يفضل عن مؤنتي؛ وليس لي احتياج إلى هذا المنصب ومع هذا في كلّ سنة أُعطي السلطان مبلغاً جزيلاً حتّى يعطوني هذا المحلّ، وليس هذا والله إلّا للخوف على أمثالكم من الشيعة حتّى لا ينال الضرر أحداً منكم، لأنّ كلّ عسس تقدّمني كان إذا ظفر بالشيعة أنزل بهم أنواع البلاء؛ وقد شاهدنا مثله في أصفهان فهؤلاء قد حصّلوا الجنّة بكونهم أعساساً.

وفي الحديث أنّه ربّما دخل المسجد رجلان صالح وفاسق فلمّا خرجا كتب الصالح فاسقاً والفاسق صالحاً، وذلك أنّ الصالح إذا رأى أهل المسجد يدلّ عليهم بعبادته ويحقر أعمالهم بالنظر إلى عمله، فتكون عبادته تلك من الأمور الدنيويّة، وأمّا الفاسق فإنّه إذا نظر إلى أهل العبادة في المسجد ندم على ما وقع منه من أنواع المعاصي فيكتب بهذا من الصالحين؛ فيكون أنواع فسقه وسيلة إلى دخوله الجنّة، وروي أنّ الرجل ربّما أذنب الذنب فدخل به الجنّة، فقيل له كيف ذلك؟ قال لأنّ ذلك الذنب يكون نصب عينه فيكون خائفاً منه فيدخله الله الجنّة بذلك الخوف منه والفزع، وبالجملة فالدنيا المذمومة هي الحالات والأسباب الحائلة بين العبد ومولاه وأمّا الممدوحة فهي تلك الحالات والأسباب أيضاً لكن من جهتها الأُخرى، وهي جهة القرب إليه سبحانه[1].

ولنرجع إلى ما كنّا فيه فنقول إنّ الله سبحانه قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، وتفصيله على ما ورد في الأخبار أنّ النطفة

(١) روي أن عيسى عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوز عليها كل زينة فقال لها كم تزوجت؟ قالت لا أحصيهم كثرة قال لها أماتوا عنك أو طلقوك؟ قالت قتلتهم كلهم فقال عليه السلام تعساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، منه رحمه الله.

إذا وقعت في الرحم بقيت أربعين يوماً نطفة، ثمَّ تصير علقة حتّى يتمّ لها أربعون يوماً ثمَّ تصير مضغة حتّى يتمّ لها أربعون يوماً، فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلاّقين فيقتحمان في بطن المرأة من فمها فيصلان إلى الرحم وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء فينفخان فيها روح الحياة والبقاء ويشقّان له السمع والبصر وسائر الجوارح، ثمَّ يوحي إلى الملكين اكتبا عليه قضائي وقدري واشترطا لي البداء فيما تكتبان، فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهته وفيه صورته ورؤيته وأجله وميثاقه شقيّاً أو سعيداً وجميع شأنه، فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ويختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه ثمَّ يقيمانه قائماً في بطن أمّه، وربّما عتا فانقلب ولا يكون إلّا في عاتٍ أو مارد.

فإذا بلغ أوان خروجه تامّاً أو غير تامّ أوحى الله إلى ملك يقال له زاجر فيزجره زجرة يفزع منها فينقلب فيخرج باكياً من الزجرة وينسى الميثاق، وعن أبي جعفر عليه السلام أنّ النطفة تتردّد في بطن المرأة تسعة أيّام في كلّ عرق ومفصل منها؛ وللرحم ثلاثة أقفال قفل في أعلاها ممّا يلي السرّة من الجانب الأيمن، والقفل الآخر وسطها، والقفل الآخر أسفل الرحم، فيوضع بعد تسعة أيّام في القفل الأعلى فيمكث فيه ثلاثة أشهر فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفس والتهوّع، ثمّ ينزل إلى القفل الأوسط فيمكث فيه ثلاثة أشهر؛ وسرّة الصبيّ فيها مجمع العروق عروق المرأة كلّها منها يدخل طعامه وشرابه من تلك العروق، ثمَّ ينزل إلى القفل الأسفل فيمكث فيه ثلاثة أشهر فذلك تسعة أشهر ثمّ تطلق المرأة فكلّما طلقت انقطع عرق من سرّة الصبيّ فأصابها ذلك الوجع ويده على سرته حتّى يقع إلى الأرض.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] أنّ المراد بها ملائكة التصوير فإذا دخلوا بطن المرأة وأخذوا في تصويره قالوا ما نصوّره يا ربّ أذكر أم أنثى؟ فإن كان ذكراً قالوا على أيّ صورة؟ فيقول سبحانه أحضروا صور آبائه إلى آدم وصوّروه على صورة واحد منها، وإن كان أنثى يقول سبحانه أحضروا صور أمّهاته إلى حواء فصوّروها مثل صورة واحدة منها؛ ومن هذا ورد أنّه لا يجوز للرجل أن يقول هذا الولد لا يشبهني وينفيه لأجله لأنّه قد يكون على صورة واحد من آبائه؛ وكذلك البنت وقد يشبه الولد غير آبائه، روي الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الرضا صلوات الله عليه قال إنّ الملك قال لدانيال إنّي أشتهي أن يكون لي ابن مثلك، فقال ما محلّي من قلبك؟ قال أجلّ محلّ وأعظمه؛ قال دانيال عليه السلام فإذا جامعت فاجعل

همّتك فيّ، قال ففعل الملك ذلك فولد له ابن أشبه خلق الله بدانيال وسيأتي تحقيق الوجه في هذا إن شاء الله تعالى.

وأمّا شبهه للأقارب فقد ورد في سؤالات الخضر لأمير المؤمنين عليه السلام أخبرني عن الرجل كيف يذكر وينسى وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟ فالتفت إلى الحسن عليه السلام فقال أجبه، فقال عليه السلام أمّا ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان فإنّ قلب الرجل في حقّ وعلى الحقّ طبق فإن صلّى الرجل عند ذلك على محمّد وآل محمّد صلاة تامّة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق فأضاء القلب وذكر الرجل ما كان نسي؛ وإن هو لم يصلّ على محمّد وآل محمّد أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحقّ فأظلم القلب ونسي ذلك الرجل ما كان ذكره.

وأمّا ما ذكرت من أمر المولود الذي يشبه أعمامه وأخواله فإنّ الرجل إذا أتى أهله ليجامعها فجامعها بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب فأُسكنت تلك النطفة في جوف الرحم فخرج الولد يشبه أباه وأمّه، وإن وقعت النطفة في حال اضطرابها على بعض العروق فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الولد أخواله الحديث؛ ويأمرهم بأن يكتبوا تحته ولله فيه المشيئة، ومن هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم السعيد من سعد في بطن أمّه والشقيّ من شقي في بطن أمّه؛ وقد تقدّم معناه في حديث آخر من أنّ من كان في علم الله أنّه شقيّ يكتبه شقيّاً لكن قد تحقّقت أنّ علمه سبحانه ليس علّة للمعلول، فإذا تم له أربعة أشهر أمر الله الروح بأن تدخل في ذلك البدن، وربّما امتنعت فيلطف بها الملائكة حتّى تدخل، ومن هنا قال الصادق عليه السلام إذا كان بامرأة أحدكم حبل وأتى عليه أربعة أشهر فليستقبل بها القبلة وليقرأ آية الكرسي وليضرب على جنبها وليقل اللهمّ إنّي قد سمّيته محمّداً فإنّه يجعله غلاماً، فإن وفى بالاسم بارك الله فيه وإن رجع عن الاسم كان لله فيه الخيار إن شاء أخذه وإن شاء تركه.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النطفة تجول في الرحم أربعين يوماً، فمن أراد أن يدعو الله عزّ وجلّ في تلك الأربعين قبل أن يخلق؛ ثمَّ يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ فيقف ما شاء الله فيقول إلٰهي أذكر أم أنثى فيوحي الله عزّ وجلّ ما يشاء ويكتبه الملك؛ ثمَّ يقول إلٰهي أشقيّ أم سعيد؟ فيوحي الله عزّ وجلّ ما يشاء من ذلك ويكتب الملك؛ فيقول إلٰهي كم رزقه وما أجله؟ ثمَّ يكتب، ويكتب كلّ

شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه، ثمّ يرجع به فيرده في الرحم؛ فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، ويكون غذاءه دم الحيض يدخل إلى بطنه من سرّته حتّى يخرج إلى الدنيا فيحوّل الله ذلك الدم لبناً إلى الثديين، فإذا تمّت مدّة الحمل وهي ستّة أشهر أو تسعة أشهر أو سنة أرسل الله إلى ملك يقال له زاجر وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢]؛ فيدخل إلى بطن المرأة ويزجر الولد زجرة عظيمة حتّى ينتكس على رأسه، لأنّه كان واقفاً في بطن أمّه على رجليه، وأمّا سائر الحيوانات فهي محتبية في بطون أمّهاتها واضعة رأسها بين رجليها؛ والكيّ الذي في يديها موضع منخريها.

وذهب مخالفونا إلى أنّ مدّة الحمل قد تكون خمس سنين أو أربع سنين؛ وذلك لأنّ محمّد بن إدريس الشافعيّ قد سافر أبوه عن أمّه وبقي عنها مدّة كثيرة فولدت أمّ الشافعيّ وأتت به بعد خمس سنين من سفر أبيه، فلمّا بلغ الشافعيّ وفهم الحكاية ذهب إلى أنّ مدّة الحمل قد تكون خمس سنين ستراً على ما صنعته أمّه في غيبة أبيه، وقد نقل هذا جمهور المخالفين ولمّا كان من الأمور الغريبة والكرامات العجيبة وباعثاً لاتّهام الروافض لهم ذكروا له علّة، وحاصلها أنّ محمّد بن إدريس إنّما بقي في بطن أمّه هذه المدّة الكثيرة لأنّ أبا حنيفة كان حيّاً في الدنيا وكان الناس يستضيئون بأنوار قياساته فاستحى الإمام الشافعيّ أن يخرج إلى الدنيا وفيها الإمام المعظم أبو حنيفة، فلمّا مات أبو حنيفة وأعلم الله الشافعيّ بموته خرج من بطن أمّه، فانظر إلى سرّ هذه القبائح وإلى الإمام الشافعيّ كيف انفرد بهذه الفضيلة دون سائر مخلوقات الله سبحانه؛ ولعمرك إنهم لو قالوا إنّه ولد جار أبيه لكان أولى من هذه التكلّفات كما ذكروه في النسب الشريف للخليفة الثاني.

وبالجملة فإذا زجره الملك خرج من الظلمات إلى أنوار الدنيا؛ وتلك الظلمات على ما قالوا هي ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة وهي بيت الأولاد، وظلمة البطن؛ ويجوز أن يكون الظلمات الثلاث عبارة عن تلك الأقفال الثلاثة المتقدّمة، فأوّل منزله ظلمات ثلاث وآخره ظلمات ثلاث، وهي ظلمة القبر وظلمة العمل وظلمة الوحدة؛ فانظر إلى هذه الأحوال كيف حال صاحبها.

وقد تعسر ولادة المرأة فتحتاج إلى العلاج والدواء ولا دواء أنفع من أدوية الأئمّة عليهم السلام، ففي الروايات عنهم عليهم السلام أنّه يكتب ويعلّق على ساقها اليسرى باسم

الله وبالله محمّد رسول الله ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ [النازعات: ٤٦] الآية؛ إذا السماء انشقّت وأذنت لربّها وحقّت وإذا الأرض مدّت وألقت ما فيها وتخلّت، ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً أخرج بإذن الله من البطن الطيّبة إلى الأرض الطيّبة؛ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أُخرى بإذن الله وقدرته واسمه، باسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه داء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العزيز الوهّاب، كأنّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلّا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلّا القوم الفاسقون، أولم يرَ الذين كفروا أنّ السمٰوات والأرض كانتا رتقاً إلى قوله أفلا يؤمنون؛ إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون وإذا جاء نصر الله، السورة، وأُولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ.

وصورة أُخرى: يكتب في رقّ ويعلّق على فخذها سبع مرّات إنّ مع العسر يسراً؛ ومرّة واحدة يا أيّها الناس اتّقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم إلى قوله وتضع كلّ ذات حمل حملها؛ وصورة أُخرى: يكتب على جنبها باسم الله وبالله أخرج بإذن الله، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أُخرى؛ ويصلّى على النبيّ ﷺ صورة أُخرى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥-٦] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ فهيّىء لكم من أمركم رشداً، وعلى الله قصد السبيل صورة أخرى: يكتب على قرطاس ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]؛ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون، ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون، كأنّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلّا ساعة من نهار، ويعلّق على وسطها فإذا وضعت يقطع ولا يترك إن شاء الله تعالى ومثله يكتب على قرطاس ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ الآية، وروي أنّه يكتب ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وتُسقى ماءها وينضح على فرجها، وروي أنّه يقرأ عندها ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾. ومن بعض أحوال الطفل في بطن أمّه أنّه يتغذّى من وقت ولوج الروح فيه إلى تسعة أشهر ولا يكون منه عذرة، ومن هنا قال عليه السلام إنّ أهل الجنّة يأكلون ولا يتغوّطون بل يصير عرقاً يرشح من أبدانهم كرائحة المسك؛ فقال له رجل أله نظير في الدنيا؟ قال عليه السلام نعم وذلك أنّ الولد في بطن أمّه يبقى تسعة أشهر يأكل ولا يخرج منه شيء. هذه أحواله قبل الولادة.

وأمّا أحواله بعدها فاعلم أنّه إذا خرج من بطن أمّه يخرج قابضاً كفّيه، وعند الموت يبسطهما، وفي تعليله قال أمير المؤمنين عليه السلام:

وفي قبض كفّ الطفل عند ولاده دليل على الحرص المركب في الحيّ
وفي بسطها عند الممات مواعظ ألا فانظروني قد خرجت بلا شيّ[1]

ويخرج وهو باكٍ أيضاً والسبب في بكائه أمور، منها ما روي من أنّ سببه زجرة الملك له وهو في بطن أمّه فيخرج خائفاً باكياً، ومنها ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] أنّه ما من مولود يولد إلّا والشيطان يمسّه حين يولد، فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان إيّاه إلّا مريم وابنها، ومنها ما رواه المفضّل بن عمر قال سألت جعفر بن محمّد عليه السلام عن الطفل يضحك من غير تعجب ويبكي من غير ألم، فقال يا مفضّل ما من طفل إلّا وهو يرى الإمام ويناجيه، فبكاؤه لغيبه شخص الإمام عنه وضحكه إذا أقبل إليه، حتى إذا أُطلق لسانه أُغلق ذلك الباب عنه، وضرب على قلبه بالنسيان وهذا تعليل لمطلق بكائه، ومنها ما رواه نافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإنّ بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلّا الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه.

ومنها ما رواه المفضّل في توحيده في علل الرضا عليه السلام [2] أنّ الأطفال إذا خرجوا من بطون أمّهاتهم يخرجون وأبدانهم فيها رطوبات البطن الضارّة بالبدن، وهذه الرطوبات لا تخرج منه إلّا بالتعصّر وتشنّج العروق؛ ولا يكون هذا إلّا حال البكاء، ومن ثمّ ورد النهي عن منعهم عن البكاء؛ ومنها أنّ الولد إذا خرج من أمّه خرج إلى دنيا واسعة المجال بعدما كان في ظلمات لكنّ الله سبحانه يلهمه الموت والفناء والاستعداد لأهوالها ومصائبها وما يجري عليه من التعب والعناء فيفهم هذا المعنى ويعقله فعند ذلك يشرع في البكاء فزعاً وخوفاً ممّا رأى، ومن ثمّ كان يوم الولادة من الأيّام الثلاثة التي لا أصعب منها على ابن آدم، ولهذا سلّم الله سبحانه فيها على يحيى بن زكريّا وجعله سالماً من آفات هذه الأيّام الثلاثة، فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣٣]؛ وكذلك قال عيسى عليه السلام:

(١) ديوان الإمام علي ص ١٥٩.
(٢) هكذا وقعت العبارة فيما وقفنا عليه من نسخ الكتاب.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ والمراد بالسلام فيه على ما قاله المفسّرون الأمن من الأهوال والسلامة من الآفات فجعل سبحانه يوم الولادة معادلاً ليوم القيامة في المصائب والأهوال.

فإن قلت ما معنى ما روي من قول الصادق عليه السلام: أكبر ما يكون الإنسان يوم يولد وأصغر ما يكون يوم يموت؛ قلت له معانٍ، أحدها أن يكون المراد بالكبر والصغر العزّة والذّل بحسب الدنيا وثانيها أن يكون أكبريّته باعتبار أنّه أوّل أيّام تحصيل الكمال والقرب من الله بخلاف وقت الموت، فإنّه وقت انقطاع تحصيل الكمال، وهذان الوجهان للمحقّق سلطان العلماء.

وثالثها أنّ يوم الولادة أكبر باعتبار الإجتماع فيه بين الروح والبدن ويوم الموت هو يوم افتراقهما، ورابعها أنّ يوم الولادة الإنسان خالٍ فيه عن المعاصي بخلاف يوم الموت فإنّه قد تحمل من المعاصي، وخامسها أنّ يوم الولادة أكبر أحوال الإنسان باعتبار استجماعه لجميع عمره بخلاف يوم الموت فيكون ردّاً على ما تعارف في العادات من قولهم هذا صغير السن وهذا كبيره، وقد ذكرنا له وجوهاً أُخرى في الهدية.

فإذا خرج يخرج على رأسه سوى الأنبياء والأئمّة عليهم السلام فإنّهم يخرجون وقوفاً على أرجلهم صوناً لهم عن الانتكاس، وأمّا قول مولانا زين العابدين عليه السلام في الدعاء الثاني من الصحيفة في الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله من أنّه ترك مكة التي هي مسقط رأسه ابتغاء وجه الله فالظاهر أنّه كناية عن محلّ الولادة؛ فإذا تولّد أُذّن في أذنه اليمنى وأقيم في اليسرى؛ وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّهما عصمة من الشيطان الرجيم، وينبغي تحنيكه بالتمر، وعن السجّاد عليه السلام أنّه إذا بشر بالولد لم يسأل أذكر هو أم أنثى حتّى يقول سويّ فإن كان سويّاً قال الحمد لله الذي لم يخلق منّي شيئاً مشوّهاً.

وأمّا تهنئة الولد فدعاؤه رزقك الله شكر الواهب وبارك لك في الموهوب وبلغ أشدّه ورزقك الله برّه. وأمّا التوأم فأكبرهما ما رواه أحمد بن أشيم عن بعض أصحابه قال أصاب رجل غلامين في بطن فهنّأه أبو عبد الله عليه السلام، ثمّ قال أيّهما أكبر؟ فقال الذي خرج أوّلاً فقال أبو عبد الله عليه السلام الذي خرج آخراً هو أكبر أما علمت أنّها حملت بذلك أوّلاً، وأنّ هذا دخل على ذلك فلم يمكنه أن يخرج حتّى خرج هذا فالذي يخرج آخراً هو أكبرهما، والولد إذا خرج فتارة يشبه أباه وتارة يشبه عمّه وأُخرى خاله وتارة لا يشبه أحداً منهم.

روى الكليني طاب ثراه عن بعض أصحابه عن أبي جعفر عليه السلام قال أتى رجل من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذه ابنة عمّي وامرأتي إنّي لا أعلم منها إلّا خيراً وقد أتتني بولد شديد السواد منتشر المنخرين جعد قطط أفطس الأنف، لا أعرف شبهه في أخوالي ولا في أجدادي، فقال لامرأته ما تقولين؟ قالت لا والذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما أقعدت مقعده منّي مذ ملكني أحداً غيره، قال فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه مليّاً ثمَّ رفع بصره إلى السماء ثمَّ أقبل على الرجل فقال يا هذا إنّه ليس من أحد إلّا بينه وبين آدم تسعة وتسعون عرقاً كلّها تضرب في النسب، فإذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسأل الله الشبه لها فهذا من تلك العروق التي لم يدركها أجدادك ولا أجداد أجدادك؛ خذ إليك ابنك، فقالت المرأة فرَّجت عنّي يا رسول الله.

وعن الصادق عليه السلام قال إنّ رجلاً أتى بامرأته إلى عمر فقال إنّ امرأتي هذه سوداء وأنا أسود؛ وإنّها ولدت غلاماً أبيض؛ فقال لمن بحضرته ما ترون؟ فقالوا نرى أن ترجمها فإنّها سوداء وزوجها أسود وولدها أبيض، قال فجاء أمير المؤمنين عليه السلام وقد وجّه بها لترجم فقال للأسود أتتّهم امرأتك؟ فقال لا، قال فأتيتها وهي طامث، قال قد قالت لي في ليلة من الليالي إنّي طامث فظننت أنّها تتّقي البرد فوقعت عليها؛ فقال للمرأة هل أتاك وأنت طامث؟ قالت نعم سله قد حرَّجت عليه وأبيت. قال فانطلقا فإنّه ابنكما وإنّما غلب الدم النطفة فابيضّ، ولو قد تحرّك أسودّ فلمّا أيفع اسودّ.

وروى محمّد بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنّ الله عزّ وجلّ خلق للرحم أربعة أوعية، فما كان في الأوّل فللأب وما كان في الثاني فللأمّ وما كان في الثالث فللعمومة وما كان في الرابع فللخؤولة. وكانت العرب تزعم أنّ الولد يشابه أباه إذا كان الرجل متشوّقاً إلى الجماع والمرأة كارهة له، ومن هذا كانوا يتعمّدون إلى جماع نسائهم وقت رحيلهم والنساء على شغل بتجهيز أمور الرحيل وهنّ في ذلك الوقت لا يردن الجماع، وقد مدح بعض الشعراء بعضهم بقوله:

ممّن حملن به وهن عواقد (قواعد خ ل) حبك النطاق فشبّ غير مهبّل

لأنّهنّ كنّ يتحرّمن بمقانعهنّ وقت الارتحال لسوق الأظعان، وذلك أنّ الرجل إذا كان هو المتشوّق كانت نطفته هي الغالبة على نطفة الأمّ فيكون صورة الولد مشابهة لصورة أبيه وموصوفاً بصفاته؛ وهذا هو السبب في انحطاط أولاد العلماء والأكارم

عن درجات أبائهم وأوصافهم، وذلك أنّهم خصوصاً العلماء إنّما شوقهم إلى لذّاتهم المعنويّة وأمّا هذه اللذّات الحسيّة كالنكاح وأضرابه فلا يهتمّون بالتلذّذ به كمال الاهتمام، بل أكثر قصدهم بغشيانهم النساء إنما هو امتثالهم السّنة فيكون شوق المرأة إلى تلك الحاجة أزيد وأعظم، فيأتي الولد متّصفاً بأوصافها بعيد الوصول إلى معالي أبيه وصفاته.

ووجه آخر قريب من هذا ويوافقه أقوال الأطبّاء وهو أنّ النطفة إنّما تتكوّن من الغذاء وكلّما كان الغذاء ألطف والطبيعة متوجّهة إلى طبخه ونضجه وجرّه إلى مجاريه كانت النطفة أرقّ وألطف، فأمّا العلماء ومن نحا نحوهم فإنّ طبائعهم الشريفة أجلّ من أن تتوجّه إلى الغذاء وطبخه ونضجه حتّى يحسن تكوّن النطفة ونضجها إلّا القليل في قليل من الأوقات وقال الصادق عليه السلام من نعم الله عزّ وجلّ على الرجل أن يشبهه ولده وهذه النطفة هي التي روي عمّار الساباطي قال سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الميّت هل يبلى جسده؟ قال نعم حتّى لا يبقى لحم ولا عظم إلّا طينته التي خلق منها، فإنّها لا تبلى تبقى منه في القبر مستديرة حتّى يخلق منها كما خلق أوّل مرّة وقوله عليه السلام مستديرة الظاهر أنّه مأخوذ من دار يدور دوراناً يعني منتقلة من حال إلى حال ومن شأن إلى شأن في جميع مراتب التغيير لكنّها باقية في ذاتها حتّى يخلق منها كما خلق أوّل مرّة، وقد يفسّر بمعنى مدوّرة بناءً على صيرورتها بسيطة؛ أو يجعل كناية عن كثرة استعدادها بناءً على أنّ الدائرة أوسع الأشكال؛ ولا يخفى ما في هذين من التكلّف والركاكة[1].

فإن قلت كيف طريق التوفيق بين هذا الخبر وبين ما رواه شيخنا في الكافي عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن علّة تغسيل الميت غسل الجنابة، فقال إنّ الله خلق خلاّقين فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] فعجن النطفة بتلك التربة التي يخلق منها بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة، فإذا تمّت له أربعة أشهر قال يا رب نخلق ماذا؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر أو أنثى أبيض أو أسود، فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان، صغيراً أو كبيراً؛ ذكراً أو أنثى؛

(١) لأستاذنا الإمام المغفور له كاشف الغطاء قدس سره كلمات حول ذلك الخبر ذكرها في الفردوس الأعلى انظر ص ٢٨٠ ط ٢ تبريز وانظر أيضاً إلى مصابيح الأنوار للعلامة الأكبر السيد عبد الله شبر رحمه الله المتوفى (١٢٤٢هـ) ج ١ ص ١٨ ط بغداد.

فلذلك يغسل الميّت غسل الجنابة وظاهر هذا الحديث أنّ تلك النطفة لا تصل معه إلى القبر بل تخرج منه حال الموت إمّا قبل خروج الروح أو بعده؛ وفي الأخبار أنّها تخرج تارة من عينيه بهيئة الدموع وأُخرى من فمه كالزبد، قلت يمكن أن يقال في وجه الجمع أمران:

الأوّل أنّ الخارج منه حال الموت هو نطفة المنيّ، ومن ثمَّ أوجبت الغسل؛ والذي يبقى معه في القبر إنّما هو التراب الذي يؤتى به إلى النطفة ويمزج معها، الثاني أن يكون الخارج منه وقت الموت بعض تلك النطفة، والباقي بعض آخر؛ وقوله عليه السلام: فلذلك يغسل الميّت غسل الجنابة المراد به أنّه يغسل غسلاً كغسل الجنابة في هيئته وترتيبه وإن كان ينوي فيه غسل الأموات لا غسل الجنابة.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال غسل الميّت مثل غسل الجنابة، ويستفاد من هذين الحديثين الدلالة على ما هو المشهور من وجوب الترتيب بين الجانب الأيمن والأيسر في غسل الجنابة، والشيخ والأصحاب رضوان الله عليهم قد استدلّوا على الترتيب بقول الرضا عليه السلام في صحيح أحمد بن محمّد ثمَّ أفض على رأسك وجسدك، وبصحيحة محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام ثمّ تصب على سائر جسدك؛ وفي معناهما روايات صحيحة وهي لا تدلّ على الترتيب بين الجانبين، ومن ثمَّ ذهب الصدوقان وابن الجنيد وصاحب المدارك إلى استحباب الترتيب بين الجانبين (في غسل الأموات خ ل) والأولى الاستدلال عليه بذينك الحديثين، فإنّ الترتيب بين الجانبين في غسل الأموات ممّا قد انعقد عليه الإجماع ودلّت عليه الأخبار.

واعلم أنّ هذه النطفة كما مزجت بتراب القبر فقد مزجت بغيره أيضاً كما رويناه بأسانيدنا إلى إسحاق بن عمّار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام الرجل آتيه أكلّمه ببعض كلامي فيعرفه كلّه، ومنهم من آتيه فأكلّمه بالكلام فيستوفي كلامي كلّه ثمَّ يردّه عليّ كما كلّمته، ومنهم من آتيه فأُكلّمه فيقول أعد عليّ، فقال يا إسحاق أوما تدري لم هذا؟ قلت لا قال الذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه فذاك من عجنت نطفته بعقله، وأمّا الذي تكلّمه فيستوفي كلامك ثمَّ يجيبك على كلامك فذاك الذي ركب عقله في بطن أمّه وأمّا الذي تكلّمه بالكلام فيقول لك أعد عليّ فذاك الذي ركّب عقله فيه بعدما كبر فهو يقول أعد عليّ.

أقول: فقد تفاوتت بسبب هذا مراتب الناس في الشعور والذكاء؛ وبه أيضاً

تفاوتت الناس في درجات الثواب والعقاب؛ روي الديلمي عن أبيه قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام فلان من عبارته ودينه وفضله كذا وكذا، قال فقال كيف عقله؟ فقلت لا أدري؛ فقال إنّ الثواب على قدر العقل، إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان يعبد الله عزّ وجلّ في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر طاهرة الماء، وإنّ ملكاً من الملائكة مرَّ به فقال يا ربّ أرني ثواب عبدك هذا، فأراه الله عزّ وجلّ ذلك فاستقلّه الملك، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن اصحبه فأتاه الملك في صورة إنسي؛ فقال له من أنت؟ قال أنا رجل عابد بلغنا مكانك وعبادتك بهذا المكان فجئت لأعبد الله معك، فكان معه يومه ذلك فلمّا أصبح قال له الملك إنّ مكانك هذا لنزهة قال ليت لربّنا حماراً، فلو كان لربّنا حمار لرعيناه في هذا الموضع فإنّ هذا الحشيش يضيع، فقال له الملك وما لربّك حمار، فقال لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الملك إنّما أُثيبه على قدر عقله.

فإن قلت كيف جاز ترتّب ثواب العمل الاختياري على العقل الذي لا اختيار للإنسان في تحصيله؛ فعبادة هذا العابد لو وقعت من كامل العقل لكان ثوابها أزيد مع أنَّها عمل واحد؛ قلت الجواب عنه من وجوه: الأوّل أنّ العقل وإن كان موهبيّاً لكن له حالات وأدوات كسبيّة يمكن تضاعفها وتزايدها بالممارسة والكسب ومعاشرة الأنبياء والأولياء وأرباب العقول والأحلام، وهذا شعبة من شعب تهذيب الأخلاق الذي أرسلت الأنبياء له، وقد كان هذا العابد مقصّراً في درجات التفكّر ومعاشرة من قد كان مكمّلاً لحالات عقله التي كان يدرك بها أنّ الله سبحانه مستغنٍ عن الحمار كما هو الموجود في تلك الأعصار من أحوال أهل العبادة وعزلتهم عن الناس مع نقصانهم في الكمال الاختياري لهم وذلك أنّ العزلة قد اشتملت على عين العلم وزاء الزهد؛ فإن رفعت منها عين العلم صارت زلّة أي ذنب أعظم الذنوب وإن رفعت منها زاء الزهد صارت علّة، كما في عزلة أكثر الصوفيّة فإنّها خالية من عين العلم وزاء الزهد.

الثاني أنّ العقل هنا المراد به العلم وإطلاقه عليه في الكتاب والسنّة كثير جدّاً من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب، ولا ريب أنّ تحصيله أمر اختياريّ وبه تقوى حالات العقل وشعبه؛ وذلك العابد لو كان حصّل العلم وطلبه من أهله لما خفي عليه أنّ الله ليس له حمار فقد قصّر في تحصيل العلم، ومن ثمّ كان ثوابه قليلاً.

الثالث أنّ العقل كلّما كان أكمل كانت المعارضات والموانع وجنود الشيطان

عليه أكثر؛ وذلك أنّ الشيطان وجنوده إنّما تكثر وساوسهم وتسويلاتهم لأرباب العقول وكلّما كان العقل أنقص كانت المعارضات له عن سلوك جادّة الإيمان أقلّ؛ فكامل العقل لمّا كان كثير الجهاد لجنود الشيطان ولإزالة تلك الموانع كان ثوابه أكثر لكثرة أعماله الظاهرة والباطنة التي منها ما عرفت، وأمّا ناقص العقل فله ذلك العمل الظاهر وهو العبادة والقيام بها فأعماله أقل من أعمال ذلك الرجل فيكون كثرة الثواب وقلّته هنا راجعة إلى زيادة العمل ونقصانه وهذا هو العدل وما كان ربّك بظلاّم للعبيد.

نور في أيام رضاعه وما يكون فيها إلى يوم فطامه

اعلم أنّ في إرضاع الأمّ لولدها ثواباً جزيلاً، روى أبو خالد الكعبي[1] عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال أيّما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحه نظر الله عزّ وجلّ إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذّبه، فقالت أمّ سلمة عليها السلام ذهب الرجال بكلّ خير فأيّ شيء للنساء المساكين؟ فقال عليه السلام بلى إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا تدري ما هو لعظمه؛ فإذا أرضعت كان لها بكلّ مصّة كعدل عتق محرّر من ولد إسماعيل عليه السلام؛ فإذا فرغت من رضاعه ضرب ملك على جنبها وقال استأنفي العمل فقد غفر الله لك.

والإرضاع ليس بواجب عليها ويجوز لها أخذ الأجرة من الأب إن لم يكن للولد مال، نعم يجب عليها إرضاع اللبأ - بكسر اللام - وهو أوّل اللبن، لأنّ الولد لا يعيش بدونه؛ وقدّره بعضهم بثلاثة أيّام، وظاهر الجوهري وابن الأثير أنّه حلبة واحدة، ومع ذلك يجوز لها أخذ الأجرة عليه؛ ولو طلبت الأمّ زيادة أجرة على الإرضاع جاز للأب انتزاعه منها وتسليمه إلى الغير، وأمّا الأمة فيجوز للمولى جبرها على مطلق الإرضاع وإذا استرضع لابنه فليختر الحسان الوجوه النجيبة العفيفة الديّنة، قال الصادق عليه السلام لا تسترضع من ولدت من الزنا ولا ابنتها، وقال عليه السلام لا تسترضعوا الحمقاء فإنّ اللبن يعدي وإنّ الغلام ينزع إلى اللبن في الرعونة والحمق، واللبن يغلب الطباع والولد يشبّ عليه وعن أبي عبد الله عليه السلام في المرأة يكون لها الخادم قد فجرت تحتاج إلى لبنها قال مرها فلتحلّلها يطِب اللبن.

---

(١) كذا في النسخ.

وأمّا الحضانة بفتح الحاء وهي تولية أمور الأطفال لفائدة تربيته وأحواله من تنظيفه وتكحيله وجعله في مهده وغسل خرقه وثيابه فهي للأمّ مدّة رضاعه إذا كانت حرّة مسلمة، فإذا فصل عن الرضاع فالأمّ أحقّ بالأنثى إلى سبع سنين؛ وقيل إلى تسع وقيل إلى سبع فيهما والأوّل مع شهرته جامع بين الأخبار المطلقة، والأب أحقّ بالذكر بعد فصاله إلى البلوغ؛ وأحقّ بالأنثى بعد السبع، والأمّ أحقّ من وصيّ الأب؛ فإن فقد الأبوان فالحضانة لأب الأب، فإن فقد فللأقارب الأقرب منهم إلى الولد فالأقرب على المشهور لآية ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] فالجدّة لأمّ كانت أم لأب وإن علت أولى من العمّة والخالة كما أنّهما أولى من بنات العمومة والخؤولة؛ وكذلك الجدّة الدنيا والخالة والعمّة أولى من العليا منهنّ وكذا ذكور كلّ مرتبة، ثمّ إن اتّحد الأقرب فالحضانة مختصّة به، وإن تعدّد أقرع بينهم، ولو اجتمع ذكر وأنثى ففي تقديم الأنثى قول ذهب إليه العلاّمة في التحرير مع اعترافه بعدم النصّ، وكون الأنثى أوفق لتربية الولد سيّما الصغير والأنثى، وإطلاق الدليل المستفاد من الآية يقتضي التسوية بينهما كما يقتضي التسوية بين كثير النصيب وقليله، ومن يمتّ بالأبوين وبالأمّ خاصّة لاشتراك الجميع في الإرث، وقيل انّ الأخت من الأبوين أو الأب أولى من الأخت من الأمّ، وكذا أمّ الأب أولى من أمّ الأمّ؛ والجدّة أولى من الأخوات، والعمّة أولى من الخالة، نظراً إلى زيادة القرب أو كثرة النصيب، وفيه نظر لأنّ المستند وهو الآية مشترك ومجرّد ما ذكر لا يصلح دليلاً؛ وقيل لا حضانة لغير الأبوين اقتصاراً على موضع النصّ؛ وعموم الآية يدفعه، ولو تزوّجت الأمّ سقطت حضانتها؛ فإن طلّقت عادت الحضانة على المشهور.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الحضانة حقّ لمن ذكر ولكن هل يجب عليه مع ذلك أم له إسقاط حقّه منها فيه قولان للأصحاب، والظاهر عدم جواز إسقاطها حيث يستلزم تركها تضييع الولد إلّا أنّ حضانته حينئذ تجب كفاية كغيره من المضطرّين؛ وفي اختصاص الوجوب بذي الحقّ نظر؛ وليس في الأخبار ما يدلّ على غير ثبوت أصل الاستحقاق، وينبغي لمن له الحضانة وللأبوين أن لا يتأذيا من بكاء الأطفال، فإنّك قد تحقّقت أنّ في بكاء الأطفال ثواباً جزيلاً، ويزيد عليه ما رواه محمّد بن مسلم قال كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل يونس بن يعقوب فرأيته يئنّ؛ فقال له أبو عبد الله عليه السلام ما لي أراك تئنّ؟ قال طفل لي تأذّيت به الليل أجمع؛ فقال له أبو عبد الله عليه السلام يا يونس حدّثني أبي محمّد بن عليّ عن آبائه عليهم السلام عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جبرائيل عليه السلام نزل عليه ورسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام

وفاطمة عليها السلام يئنّان؛ فقال جبرائيل يا حبيب الله ما لكما تئنّان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله من أجل طفلين لنا تأذّينا ببكائهما؛ فقال جبرائيل عليه السلام يا محمّد فإنّه سيبعث لهذا القوم شيعة إذا بكى أحدهم فبكاؤه لا إله إلّا الله إلى أن يأتي عليه سبع سنين؛ فإذا أتى عليه السبع فبكاؤه استغفار لوالديه إلى أن يأتي على الحدّ؛ فإذا جاز الحدّ فما أتى من حسنة فلوالديه وما أتى من سيّئة فلا عليهما.

فإذا أتى اليوم السابع فليعقّ عنه؛ روي عن العبد الصالح عليه السلام قال العقيقة واجبة فإذا ولد للرجل فإن أحبّ أن يسمّيه من يومه فعل؛ وقال الصادق عليه السلام كلّ مولود مرتهن بالعقيقة؛ وعن عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّي والله ما أدري كان أبي عقّ عنّي أو لا قال فأمر أبو عبد الله عليه السلام فعققت عن نفسي وأنا شيخ؛ وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن العقيقة أواجبة هي؟ قال نعم واجبة؛ وفي الكافي قال رسول الله صلى الله عليه وآله المولود مرتهن بعقيقة فكّه أبواه أو تركاه؛ والمراد أنّه مرتهن من الموت بعقيقته فإن أراد أبواه بقاءه عقّا عنه وإن أرادا موته تركا العقيقة، وبعض علمائنا كالمرتضى طاب ثراه نظر إلى ظاهر هذه الأخبار فأوجب العقيقة ولكنّ الجمع بين الأخبار يقتضي الاستحباب والاحتياط في عدم تركها، لأنّ الأخبار الدالّة على الوجوب كثيرة والأخبار الدالّة على أنّها سنة يمكن حملها على ما علم وجوبه من سنّته صلى الله عليه وآله والأحاديث الدالّة على سقوطها يمكن حملها على الفقير الغير القادر.

وينبغي أن لا يأكل من العقيقة أبو الولد ولا أمّ الولد ولا من كان في عيال بيته؛ وروي جواز الأكل مطلقاً وتفصيل أعضائه؛ وقد روي جواز التصدّق باللحم، والأحسن هو الطبخ ودعوة المؤمنين، وأقلّهم عشرة؛ ولتخصّ القابلة بالرجل والورك؛ وفي بعض الأخبار أنّ لها ربع العقيقة؛ وفي بعضها ثلثها، ولو لم يكن قابلة تصدّقت به الأمّ؛ والدعاء المأثور عند ذبحها: باسم الله وبالله اللّهمّ إنّ هذه عقيقة عن فلان لحمها بلحمه ودمها بدمه وعظمها بعظمه اللّهم اجعله وقاءً لآل محمّد صلى الله عليه وعليهم؛ وليكن قد حلق رأسه قبل الذبح وتصدّق بوزنه ذهباً وإلاّ فضّة ويسمّيه في اليوم السابع بأحسن الأسماء بعد أن سمّاه محمّداً؛ وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ من ولد له أربعة أولاد ولم يسم أحدهم باسمي فقد جفاني وقال عليه السلام ليس في الأرض دار فيها اسم محمّد إلّا وهي تقدّس كلّ يوم؛ وعن الحسين عليه السلام لو ولد لي مائة لأحببت أن لا أسمّي أحداً منهم إلّا عليّاً؛ وقال الرضا عليه السلام لا يدخل الفقر بيتاً

فيه اسم محمّد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين، أو طالب أو جعفر أو عبد الله، أو فاطمة من النساء.

وعن جابر قال أراد أبو جعفر عليه السلام الركوب إلى بعض شيعته ليعوده، فقال يا جابر الحقني فتبعته؛ فلمّا انتهى إلى باب الدار خرج علينا ابن له صغير، فقال له أبو جعفر عليه السلام ما اسمك؟ فقال محمّد، قال فبما تكنّى؟ قال بعليّ فقال أبو جعفر عليه السلام لقد احتظرت من الشيطان احتظاراً شديداً، إنّ الشيطان إذا سمع منادياً ينادي يا محمّد يا عليّ ذاب كما يذوب الرصاص، حتّى إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوّ من أعدائنا اهتزّ واختال وقال عليه السلام أصدق الأسماء ما سمّي بالعبوديّة؛ وأفضلها أسماء الأنبياء، وقال عليه السلام سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا، فإن لم تدروا أذكر أم أنثى فسمّوهم بالأسماء التي تكون للذكر والأنثى فإنّ أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسمّوهم يقول السقط لأبيه ألا سمّيتني وقد سمّى رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً قبل أن يولد؟

وقال الصادق عليه السلام لا يولد لنا ولد إلّا سمّيناه محمّداً، فإذا مضى سبعة أيّام فإن شئنا غيّرنا وإن شئنا تركنا وعن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم محمّد أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم إلّا كان خيراً لهم.

وقد ورد النهي عن الضرب والإساءة إلى من اسمه محمّد؛ بل ينبغي إكرامه واحترامه لأجل صاحب الاسم؛ وقال الصادق عليه السلام ما من رجل يحمل له حمل فينوي أن يسمّيه محمّداً إلّا كان ذكراً إن شاء الله تعالى، وقال هاهنا ثلاثة كلّهم محمّد، محمّد، محمّد قال وقال أبو عبد الله عليه السلام الحامل يأخذ بيدها ويستقبل بها القبلة عند الأربعة أشهر ويقول: اللّهم إنّي قد سمّيته محمّداً، ولد له غلام فإن حوّل اسمه أُخذ منه. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان له حمل فنوى أن يسمّيه محمّداً أو عليّاً ولد له غلام؛ وقال الصادق عليه السلام جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ولد لي غلام فماذا أُسمّيه؟ فقال سمّه بأحبّ الأسماء إليّ حمزة. وقال صلى الله عليه وآله استحسنوا أسماءكم فإنّكم تدعون بها يوم القيامة قم يا فلان بن فلان إلى نورك، قم يا فلان بن فلان لا نور لك، وقال عليه السلام إنّا لنكنّي أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم؛ وقال عليه السلام هذا محمّد قد أذن لهم (لكم خ) في التسمية به فمن أذن لهم (لكم خ) في يس؟ يعني التسمية وهو اسم النبيّ صلى الله عليه وآله، وفيه دلالة على كراهة التسمية به.

وقد نهى ﷺ عن أسماء أن يتسمّى بها منها حكم وحكيم؛ وخالد ومالك وحارث، وذكر إنها ستّة أو سبعة لا يجوز أن يتسمى بها؛ ونهى عن أربع كنى: عن أبي عيسى وعن أبي الحكم وعن أبي مالك وعن أبي القاسم إذا كان الاسم محمّداً، ونهى عن الكنية بأبي مرّة. وينبغي أن لا يفرق بين الذكور والإناث بل يعتقد أنّ ثواب تربية البنت لمّا كان أجزل فالميل إلى إرادتها أفضل، قال رسول الله ﷺ نعم الولد البنات المخدّرات، من كانت عنده واحدة جعلها الله له ستراً من النار؛ ومن كان عنده اثنتان أدخله الله بهما الجنّة، وجاء رجل إلى النبيّ ﷺ وعنده رجل، فأخبره بمولود فتغيّر لون الرجل. فقال النبيّ ﷺ ما لك؟ قال خير قال قل قال خرجت والمرأة تمخض فأُخبرت أنّها جارية، فقال له النبي ﷺ الأرض تقلّها، والسماء تظلّها؛ والله يرزقها وهي ريحانة تشمّها؛ ثمّ أقبل على أصحابه فقال من كانت له ابنة واحدة فهو مفدوح[1] ومن كانت له ابنتان فيا غوثاه؛ ومن كانت له ثلاث وضع عنه الجهاد وكلّ مكروه ومن كانت له أربع فيا عباد الله أعينوه يا عباد الله أقرضوه يا عباد الله إرحموه، وقال عليه السلام من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنّة؛ قيل يا رسول الله واثنتين؛ قال واثنتين، قيل يا رسول الله وواحدة، قال وواحدة وقال عليه السلام البنات حسنة والبنون نعمة، فالحسنات يثاب عليها والنعم يسأل عنها. وروي أنّه قال رسول الله ﷺ لرجل رأى معه صبياً من هذا؟ قال ابني، قال أمتعك الله به أما لو قلت بارك الله فيه لك لقدمته[2].

وينبغي الإكثار من تقبيل الأطفال، قال عليه السلام أكثروا من قبلة أولادكم فإنّ لكم بكلّ قبلة درجة في الجنّة، ما بين كلّ درجة إلى درجة خمسمائة عام؛ وقال أمير المؤمنين عليه السلام قبلة الولد رحمة وقبلة المرأة شهوة وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الرجل أخاه دين وقبلة الإمام العادل طاعة. وعن رفاعة قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن الرجل يكون له بنون وأمّهم ليست بواحدة أيفضّل أحدهم على الآخر؟ قال نعم لا بأس به، قد كان أبي يفضّلني وينبغي أن لا يفضّل إلّا لمزيّة في الولد، لما روي أنّه ﷺ نظر إلى رجل له ابنان فقبّل أحدهما وترك الآخر، فقال النبيّ ﷺ فهلاّ واسيت بينهما.

وقال رسول الله ﷺ: من قبّل ولده كتب الله له حسنة ومن فرّحه فرّحه الله يوم

---

(١) فدحه فدحاً الأمر أو الحمل أو الدين أثقله وبهظه.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٩٤.

القيامة ومن علّمه القرآن دعي بالأبوين فكسيا حلّتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنّة وقال الصادق عليه السلام جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال ما قبّلت صبيّاً قطّ فلمّا ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا رجل عندي أنّه من أهل النار.

والإرضاع ينبغي أن يكون من الثديين؛ روي عن أمّ إسحاق زوجة الصادق عليه السلام قالت نظر إليّ أبو عبد الله عليه السلام وأنا أُرضع أحد ابنيَّ محمّداً وإسحاق فقال يا أمّ إسحاق لا ترضعيه من ثدي واحد أرضعيه من كليهما يكون أحدهما طعاماً والآخر شراباً؛ وقال عليه السلام الرضاع واحد وعشرون شهراً، فما نقص فهو جور على الصبيّ.

ويستحبّ الختان في اليوم السابع وكذا خفض الجواري وروي أن الأرض تشكو إلى الله من بول الأغلف وقال الصادق عليه السلام كانت امرأة يقال لها أمّ حبيب تخفض الجواري فلمّا رآها رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها يا أمّ حبيب العمل الذي كان في يدك هو في يدك اليوم؟ قالت نعم يا رسول الله؛ فقال لها يا أمّ حبيب إذا أنت فعلت فلا تنهكي أي لا تستأصلي، وأشمّي فإنّه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج. وقال عليه السلام ثقب أذن الغلام من السنّة وختان الغلام من السنّة ولمّا ولد الحسن عليه السلام هبط جبرائيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله بالتهنئة في اليوم السابع وأمره أن يسمّيه ويكنّيه ويحلق رأسه ويعقّ عنه، ويثقب أذنه، وكذلك حين ولد الحسين عليه السلام أتاه في اليوم السابع وأمره بمثل ذلك، قال وكان لهما ذؤابتان في القرن الأيسر، وكان الثقب في الأذن اليمنى في شحمة الأذن، وفي اليسرى في أعلى الأذن، فالقرط في اليمنى والشقّ في اليسرى؛ وقد روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ترك لهما ذؤابتين في وسط الرأس وهو أصحّ من القرن على ما قاله الكليني، وروي عن سفيان السمط قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام إذا بلغ الصبيّ أربعة أشهر فاحجمه في كلّ أربعة أشهر في النقرة، فإنّها تجفّف لعابه وتهبط الحرارة من رأسه وجسده؛ وقال عليه السلام الولد يعيش لستّة أشهر وسبعة أشهر وتسعة أشهر ولا يعيش لثمانية أشهر وكان الصادق عليه السلام يكره القنازع[1] في رؤوس الصبيان، وقال عليه السلام أُتي النبيّ صلى الله عليه وآله بولد يدعو له وله قنازع فأبى أن يدعو له وقال عليه السلام في المرأة الحامل تأكل السفرجل فإنّ الولد يكون أطيب ريحاً وأصفى لوناً، ونظر عليه السلام إلى غلام جميل فقال ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام أكل السفرجل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ليكن أوّل ما تأكل النفساء الرطب فإنّ الله تعالى قال

---

(١) القنازع وهي أن يحلق الرأس إلا قليلاً ويترك وسط الرأس.

لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥]، قال يا رسول الله فإن لم يكن إبّان الرطب، قال تسع تمرات من تمر المدينة، فإن لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم فإنّ الله عزّ وجلّ قال وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاماً إلّا كان حليماً وإن كانت جارية كانت حليمة، وقال الرضا عليه السلام أطعموا حبالاكم ذكر اللبان فإن يكن في بطنها غلام خرج زكيّ القلب عالماً شجاعاً وإن تكن جارية حسن خلقها وخلقتها، وعظمت عجيزتها وحظيت عند زوجها؛ وإذا أفصح بالكلام فليعلم التهليل وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ [الإسراء: ١١١]؛ وكلاهما مروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وهو حسن.

نور في أحواله من فطامه إلى وقت بلوغه

وهذه المدّة هي أيّام دولته وفراغته التي يفعل فيها ما أراد، ولكن ليس فيها ذلك الالتذاذ لعدم كمال العقل ووفور التميز فتكون داخلة تحت أيّام الطفوليّة التي تنقضي من غير معرفة بانقضائها. ويشير إلى الأوّل قول النبيّ صلى الله عليه وآله الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين؛ فإن رضيت خلائقه لإحدى وعشرين سنة وإلاّ فاضرب على جنبه فقد أعذرت إلى الله تعالى، وإلى الثاني قول أمير المؤمنين عليه السلام فيما نسب إليه في (من خ) الديوان:

إذا عاش امرؤ ستّين عاماً	فنصف العمر تمحقه الليالي
ونصف النصف يذهب ليس يدري	لغفلته يميناً عن شمال
وثلث النصف آمال وحرص	وشغل بالمكاسب والعيال
وباقي العمر أسقام وشيب	وهمّ بارتحال وانتقال
فحبّ المرء طول العمر جهل	وقسمته على هذا النوال

فهذا حال صاحب الستين فكيف يكون حال صاحب الثلاثين ونحوها؛ وهذه الأيّام وإن كان قد رفع فيها التكليف لكن لم يرفع فيها التأديب والتعزير، قال الصادق عليه السلام إذا بلغ الغلام ثلاث سنين قيل له قل سبع مرّات لا إله إلّا الله ثمَّ يترك حتّى يتمّ له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوماً، ثمَّ يقال له فقل محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله سبع مرّات ويترك حتّى يتمّ له أربع سنين ثمَّ يقال له قل سبع مرّات صلّى الله على محمّد وآل محمّد ثمَّ يترك حتّى يأتي له خمس سنين، ثمَّ يقال له أيّهما يمينك وأيّهما شمالك؛ فإذا عرف ذلك حوّل وجهه إلى القبلة ويقال له اسجد، ثمَّ

يترك حتّى يتمّ له ستّ سنين؛ فيقال له صلّ وعلّم الركوع والسجود حتّى يتمّ له سبع سنين؛ فإذا تمّت له سبع سنين قيل له اغسل وجهك وكفّيك فإذا غسلهما قيل له صلّ، ثمَّ يترك حتّى يتمّ له تسع سنين، فإذا تمّت له علّم الوضوء وضرب عليه وأُمر بالصلاة وضرب عليها؛ فإذا تعلّم الوضوء والصلاة غفر لوالديه إن شاء الله تعالى.

وقال الصادق عليه السلام دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدّب سبعاً وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلاّ فإنّه لا خير فيه وقال عليه السلام اهمل صبيّك حتّى تأتي عليه ستّ سنين ثمَّ أدّبه في الكتّاب ستّ سنين ثمَّ ضمّه إليك سبع سنين فأدّبه بأدبك فإن قبل وصلح وإلاّ فخلّ عنه؛ وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال يرخى عن الصبيّ سبعاً ويؤدّب سبعاً ويستخدم سبعاً. وينتهي طوله في ثلاث وعشرين، وعقله في خمسة وثلاثين، وما كان بعد ذلك فالتجارب وعنه عليه السلام أنّ الصبيّ يشبّ في كلّ سنة أربع أصابع بإصبع نفسه، وقال الصادق عليه السلام إذا أتى للصبيّ ستّ سنين وجب عليه الصلاة، فإذا أطاق الصوم وجب عليه الصيام؛ وفي معناه أخبار كثيرة، ويستفاد منها الدلالة على أنّ عبادات الصبيّ شرعيّة مخاطب بها من جهة الشارع، ونسبة الوليّ إليه في الأمر بها كنسبة الأمر بالمعروف إلى تارك المعروف وحينئذ فينوي الصلاة الشرعيّة المتطوّع بها ولا ينوي الوجوب المصطلح كما قاله بعض الأصحاب فإنّه لا وجه له ويدخل تحت نذر من نذر لمن يعبد الله عبادة شرعيّة، ويثاب على فعلها بعد بلوغه كما يثاب أبواه (بعد خ) عليها والقول الآخر أنّها تمرينيّة فيسقط أكثر هذا.

وأمّا الوجوب المصطلح فهو بالاحتلام ونحوه كما هو المشهور وبه روايات ضعيفة أمّا الصحيح فقد رواه الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا بلغ الغلام أشدّه ثلاث عشرة سنة ودخل في الأربع عشرة سنة فقد وجب عليه ما يجب على المحتلمين احتلم أو لم يحتلم، وكتب عليه السيئات وكتب له الحسنات، وجاز له كلّ شيء إلّا أن يكون ضعيفاً أو سفيهاً. وظاهر بعض المحقّقين من المتأخّرين العمل بها وهو غير بعيد.

وأمّا السرقة فيعفى عنه أوّل مرّة، فإن سرق ثانياً أُدّب فإن عاد ثالثاً حكّت أنامله حتّى تدمى، فإن سرق رابعاً قطعت أنامله؛ فإن سرق خامساً يقطع كما يقطع البالغ وبه روايات كثيرة.

واعلم أنّه ينبغي للآباء المسارعة إلى برّ الأولاد، قال أبو الحسن عليه السلام إذا وعدتم الصبيان أوفوا لهم فإنّهم يرون أنّكم الذين ترزقونهم؛ إنّ الله ليس يغضب

لشيء كغضبه للنساء والصبيان؛ وقال النبيّ ﷺ من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنّه من فرّح ابنته كان كأنّما أعتق رقبة من ولد إسماعيل؛ وفي سبع سنين لعبه ينبغي للأب أن يتركه بحاله مع الصبيان وأن لا يحبسه معه ولا يمنعه من اللهو واللعب ولا يكلّفه المكتب إلّا بعد السبع أو الستّ سنين، فقد روي عنه عليه السلام أنّه يستحبّ عرامة الغلام في صغره ليكون حليماً في كبره، وما ينبغي أن يكون إلّا هكذا.

وروي أنّ أكيس الصبيان أشدّهم بغضاً للكتّاب. والعرامة، قال في النهاية رجل عارم أي خبيث شرير، والعرامة الشدّة والقوّة والشراسة، وإذا أتت سنو تأديبه فأولاها ما رواه الصدوق طاب ثراه قال كان جابر بن عبد الله الأنصاري يدور في سكك الأنصار في المدينة وهو يقول عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر؛ يا معاشر الأنصار أدّبوا أولادكم على حبّ عليّ فمن أبى فانظروا في شأن أمّه؛ وقال الصادق عليه السلام من وجد برد حبّنا على قلبه فليكثر الدعاء لأمّه فإنّها لم تخن أباه، وكان الصبيّ على عهد رسول الله ﷺ إذا وقع الشكّ في نسبه عرضت عليه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فإن قبلها أُلحق نسبه بمن ينتمي إليه، وإن أنكرها نفي.

وينبغي أن يعلّمه كسباً حلالاً غير مكروه؛ فإنّ الكسب كما سيأتي إن شاء الله تعالى في بابه بعضه حرام وبعضه مكروه، روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال يا رسول الله قد علّمت ابني هذا الكتاب ففي أيّ شيء أُسلمه؟ قال أسلمه لله أبوك ولا تسلمه في خمس: لا تسلمه سبّاء، ولا صائغاً، ولا قصّاباً، ولا حنّاطاً ولا نخّاساً فقال يا رسول الله وما السبّاء؟ قال الذي يبيع الأكفان ويتمنّى موت أُمّتي، للمولود من أُمّتي أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس؛ وأمّا الصائغ فإنّه يعالج غبن أُمّتي، وأمّا القصّاب فإنّه يذبح حتّى تذهب الرحمة من قلبه؛ وأمّا الحنّاط فإنّه يحتكر الطعام على أمّتي ولأن يلقى الله العبد سارقاً أحبّ إليّ من أن يلقاه احتكر طعاماً أربعين يوماً، وأمّا النخّاس فإنّه قد أتاني جبرائيل فقال يا محمّد إنّ شرّ أُمّتك الذين يبيعون الناس.

وروي عن سدير الصّيرفي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام حديث بلغني عن الحسن البصري فإن كان حقّاً فإنّا لله وإنّا إليه راجعون؛ قال وما هو؟ قلت بلغني أنّ الحسن كان يقول لو غلى دماغه من حرّ الشمس ما استظلّ بحائط صيرفيّ، ولو تفرّثت كبده عطشاً لم يستقِ من دار صيرفي ماء؛ وهو عملي وتجارتي وعليه نبت لحمي ودمي

ومنه حجّتي وعمرتي، قال فجلس عليه السلام فقال كذب الحسن خذ سواء وأعط سواء، فإذا حضرت الصلاة فدع ما بيدك وانهض إلى الصلاة، أما علمت أنّ أصحاب الكهف كانوا صيارفة يعني صيارفة الكلام ولم يعن صيارفة الدراهم.

فإن قلت الكلام إنّما هو في صيارفة الدراهم فإذا كان أهل الكهف صيارفة الكلام فكيف يكون حسن حالهم منافياً لذّم صيارفة الدراهم؛ قلت هذه الفقرة من الحديث قد استشكلها المحقّقون حتّى أنّ بعضهم قال أنّ هذا التفسير من كلام الصدوق رحمه الله لا من كلام الإمام عليه السلام؛ ويؤيّده أنّ الحديث موجود في الأصول الأربعة وكلّها خالية من هذا التفسير سوى كتاب الفقيه، ولكن سعد بن هبة الله الراوندي نقل في كتاب قصص الأنبياء حديثاً مسنداً عن الكاهلي عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر أصحاب الكهف فقال لو كلّفكم قومكم ما كلّفهم قومهم ما فعلتم فعلهم؛ فقيل له وما كلّفهم قومهم؟ قال كلّفوهم الشرك بالله فأظهروا من حالهم الكفر واسرّوا الإيمان حتّى جاءهم الفرج؛ وقال إنّ أصحاب الكهف كذبوا فآجرهم الله وصدقوا فآجرهم الله، وقال كانوا صيارفة الدراهم[1] وقال خرج أصحاب الكهف على غير ميعاد فلمّا صاروا في الصحراء أخذ هذا على هذا وهذا على هذا العهد والميثاق ثمَّ قال: أظهروا أمركم فأظهروه فإذا هم على أمر واحد[2] وقال إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر وثوابهم على إظهارهم الكفر أعظم منه على إسرارهم الإيمان قال وبلغ التقيّة بأصحاب الكهف أن كانوا ليشدّون الزنّار ويشهدون الأعياد؛ فأعطاهم الله تعالى أجرهم مرّتين انتهى، وحينئذ فالفقرة التي في ذلك الحديث مأخوذة من هذا الحديث وقد ذكر المحقّقون لذلك وجوهاً:

أوّلها ما صار إليه المحقّق صاحب المنتقى قدّس الله روحه[3] حيث قال غاية ما

---

(١) قوله: (كانوا صيارفة الدراهم) هكذا وقعت العبارة فيما وقفنا عليه من نسخ الكتاب المطبوعة والمخطوطة ولكن الصحيح من عبارة الحديث هكذا: (وقال كانوا صيارفة الكلام ولم يكونوا صيارفة الدراهم).
انظر إلى مصابيح الأنوار ج ١ ص ٤٢٨ ط بغداد.

(٢) أي الإيمان.

(٣) هو المحقق الأكبر الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن العاملي الجبعي صاحب كتاب المعالم المتوفى (١٠١١هـ) ابن أشهر مشاهير مجتهدي الإمامية الشيخ الشهيد الثاني قدس الله سرهما. وكتابه المعالم في أصول الفقه كتاب لطيف نفيس من كتب الدرس بين الطلاب منذ زمن تأليفه إلى اليوم وهو في الرعيل الأول والقمة العليا بين المحققين من علماء الإمامية =

يوجه به متن الحديث أن سلم عن النقص وتوافقت فيه النسخ أن يكون يعني بصيغة المفعول وكذلك لم يعن؛ فيكون المراد أنّ الحسن وهم من تأويل ما روي في الصيارفة فإنّ المعنى بها صيارفة الكلام لا صيارفة الدراهم على ما روي من قول رسول الله ﷺ من التهديد لمن يصرف الكلام في المواعيد وغيرها؛ وهذا الوجه لا يوافق حديث الراوندي كما لا يخفى.

وثانيها أنّ صرف الكلام في مقام التقيّة أمر ممدوح وإن كان في غيره مذموماً، ومقصود الإمام عليه السلام من بيان أنّهم صيارفة الكلام الترغيب على استعمال التقيّة،

= وتصانيفه الممتعة في غاية التحقيق والتدقيق والإتقان في المطالب العلمية وكتابه منتقى الجمان من جلائل الكتب ونفائس الآثار والأسف أنه لم يطبع حتى اليوم ونسأل الله تعالى التوفيق لطبعه ونشره.
كان رحمه الله من تلامذة أكبر مجتهدي الشيعة المحقق الأردبيلي قدس سره وفي غاية الورع والتقوى وجامعاً للفضائل والكمالات الإنسانية وكان من أكبر فقهاء الإمامية ومجتهديهم المشاهير ومن ورعه وتقواه ما ذكره سبط أخته العلامة المتبحر السيد محمد العيناثي العاملي رحمه الله صاحب كتاب الاثنا عشرية في كتابه (آدب النفس) مخطوط موجود في مكتبتنا ولم أطلع على نسخة غير هذه النسخة وهي كانت من متملكات مؤلفه رحمه الله ما هذا لفظه:
كان شيخنا الفاضل الألمعي الكامل النقي خالي الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين الشهير بالشهيد الثاني قدس الله روحيهما في غاية الورع وكان له طاحونة لم يأكل من غلتها لاحتمال أن يكون طحن فيها حنطة لم تخرج زكاتها وكان يقول لفقهائنا: في هذه المسألة قولان: أحدهما أن الزكاة تتعلق بعين المال والثاني الزكاة حق يلزم الذمة فهذا لا إشكال فيه وعلى القول الأول يجتنب ما أخذ من الأجرة لأن الزكاة باقية في تلك الحنطة التي لم تخرج زكاتها وهذا غاية الورع فاعتبروا يا أولي الأبصار (انتهى).
وكان ولده المحقق الشيخ محمد بن الحسن أيضاً في غاية الورع والتقوى قال ولده العالم الجليل الشيخ علي الشهيدي السبط ابن الشيخ محمد في كتابه الدر المنثور: (إنه بلغه أن بعض أهل العراق لا يخرج الزكاة فكان كلّما اشترى من القوت شيئاً زكوياً زكاه قبل أن يتصرف فيه) وللمحقق الشيخ محمد ابن صاحب المعالم شرح على كتاب التهذيب للشيخ رحمه الله موجود في مكتبتنا فرغ منه في ١٣ محرم الحرام سنة (١٠٢٥هـ) في الأرض المقدسة الحائرية والنسخة منقولة في حياة الشارح عن نسخة الأصل ويعبر كثيراً في شرحه هذا عن الشيخ البهائي رحمه الله بقوله: شيخنا أيده الله وشيخنا المحقق أيده الله تعالى وانتهى شرحه إلى باب (ما يجوز الصلاة فيه من اللباس والمكان) وشرح بعض روايات ذلك الباب.
انظر إلى الدر المنثور (مخطوط) وآداب النفس (مخطوط) ومقالنا الذي نشره العلامة العارف الزين في مجلة (العرفان) الأغر ج ٤ ص ٣٩٧ - ٤٠٠ من المجلد الرابع والأربعين.

وفي قوله عليه السلام: ما فعلتم فعلهم نوع شكاية من شيعة زمانه في الإفشاء وترك التقيّة، فيكون هذا من باب التنظير؛ كما ورد في الكافي في باب الكفالة والحوالة عن حفص ابن البختري، قال: أبطأت عن الحجّ؛ فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما أبطأ بك عن الحجّ؟ فقلت جعلت فداك تكفّلت برجل فخفر بي، فقال عليه السلام ما لك وللكفالات أما علمت أنّها أهلكت القرون الأولى، ثمَّ قال عليه السلام إنّ قوماً اذنبوا ذنوباً كثيرة فأشفقوا منها خوفاً شديداً فجاء آخرون فقالوا ذنوبكم علينا فأنزل الله عزّ وجلّ عليهم العذاب ثمَّ قال تبارك وتعالى خافوني واجترأتم عليّ، فقد قاس عليه السلام كفالة الأموال بكفالة الذنوب.

وثالثها أن يكون الحسن قد فهم أنّ الذمّ متوجّه إلى مطلق الصراف فردّه عليه السلام بأنّ أصحاب الكهف كانوا صيارفة الكلام؛ ولا يخفى بعده. وكراهة الصياغة مستندة أيضاً إلى خلف الوعد كما قال صلى الله عليه وآله ويل لتجّار أُمّتي من لا والله وبلى والله، وويل لصياغ أُمّتي من اليوم وغداً[1] وكذا يكره الحياكة لأنّها رذالة، وكذلك الحجامة قال الباقر عليه السلام احتجم رسول الله صلى الله عليه وآله حجمه مولى لبني بياضة وأعطاه ولو كان حراماً ما أعطاه، فلمّا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله أين الدم؟ قال شربته يا رسول الله، فقال ما كان ينبغي لك أن تفعله وقد جعله الله لك حجاباً من النار، وسئل الأعمش أتجوز الصلاة خلف الحائك؟ قال نعم على غير وضوء؛ وسئل أتقبل شهادته؟ فقال نعم إذا كان معه شاهدان عدلان.

نور في بعض أحوال الطفل في المكتب

اعلم أنّه إذا أراد أن يضع ولده في المكتب فليقصد المعلّم العفيف صاحب الدين المرضيّ والأخلاق الحميدة وذلك أنّ المعلّم يكسب الصبيّ دينه وأخلاقه كما هو المشاهد وليضعه بين أترابه من الصبيان؛ والأولى أن لا يكون بينهم بالغ يحصل الريب منه إلّا أن يكون نائب المعلّم؛ والأولى أن لا يكون بالغاً أيضاً؛ ولا يوضع

(١) وفي كتب الصدوق طاب ثراه رواية وهي أنه لا بد لخمسة من خمسة ولا بد لتلك الخمسة من النار لا بد للتاجر من الكذب ولا بد للكاذب من النار ولا بدّ لمن داس بساط السلطان من الكلام بهواه ولا بد لصاحب الهوى من النار ولا بد لمن مازح الجواري والغلمان من الزنا ولا بد للزاني من النار ولا بد لمن لبس ثياب المرتفعة من الكبر ولا بد للمتكبر من النار ولا بد للصائغ من قول غداً أو بعد غد ولا بد لخلف الوعد من النار، منه رحمه الله تعالى.

الصبيان والبنات بمكتب واحد[١] لئلاّ ينجرّ إلى المحبّة والتعشّق بينهم؛ مع أنّه ورد النهي من الشارع عن تعليم البنات سوى سورة النور، وذلك أنّ فيها حدّ الزاني بقوله

---

(١) وأما المدارس المنتشرة في أغلب البلاد الإسلامية في هذا العصر التعيس ففي غاية الفساد فقد اجتمع في بعضها الرجال والإناث في محل واحد فضلاً عن وضع الصبيان والبنات في مكتب واحد وقد أفضى هذا الأمر إلى شيوع الفساد وانحطاط الأخلاق ووقوع الفسوق والشرور وظهور الشنائع وعدم التأدب بالآداب الدينية والتخلق بالأخلاق الإسلامية كما هو الهدف الحقيقي من وضع تلك المدارس بتلك الكيفية التي أوعزنا إليها.

قال أستاذنا الإمام كاشف الغطاء قدس سره ذلك الرجل العظيم والمجتهد الأكبر الفكور ما هذا لفظه:

ليعلم كل مسلم بل كل إنسان أن أولاده وبناته ودائع الله عنده وهو مسؤول عنها ومحاسب عليها وكما يجب عليه حفظ أجسامهم وتغذية أبدانهم بالإنفاق عليهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم - كذلك - بل أوجب من ذلك يجب عليه تربية عقولهم وتغذية أرواحهم وتصحيح عقائدهم واشباع حواسهم بأصول الدين وأمهات فروعه وتمرينهم على الأخلاق الفاضلة من الصدق والعفة والأمانة وأمثالها وتمرينهم على النظافة والطهارة والصلاة كل ذلك قبل أن يدخلهم هذه المدارس الرسمية الفاقدة لكل تلك الفضائل وكل ما فيها أقصى ما يقال فيها أنها كمالات وتلك أصول وأساسيات بها يصير الإنسان إنساناً وبدونها فليس هو إلا حمار أو شيطان وكما أن الرجل مكلف بتهذيب نفسه ووقايتها من عذاب الله مكلف أيضاً بوقاية أهله وحفظهم من عذاب الله تعالى.

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] نعم وإن أمهات التكاليف وأصولها الأولية ثلاثة:

١ - الواجب على كل إنسان أن يتعلم أصول دينه. فاعلم أنه لا إله إلا الله، وفروعه فليتفقهوا في الدين، وطلب العلم فريضة على كل مسلم.

٢ - أن يعمل ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥] والعلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل والجاهل خير من العالم الذي لا يعمل بعلمه بل الحجة عليه أعظم والعقوبة له ألزم.

٣ - أن يعلّم غيره ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢] وما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلّموا.

فالدين كله علم وعمل وتعليم والإسلام كله إطاعة وتسليم وفقنا الله لما يرضيه وأعاننا على أنفسنا بالعمل بأوامره ونواهيه.

انظر إلى كتاب السؤال والجواب ج ١ ص (٣٥٢) الطبعة الثالثة سنة (١٣٧٠هـ) في النجف الأشرف.

تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة، وتتأكد الكراهة في تعليم سورة يوسف وأحسن أحوالهنّ المغزل، قال عليه السلام مروا نساءكم بالمغزل فإنّه خير لهنّ وأزين؛ وقال عليه السلام المغزل في يد المرأة الصالحة كالرمح في يد الغازي المريد وجه الله.

ونهى عليه السلام عن إنزال النساء الغرف، وأيضاً في تعليمهنّ علم المكتب مظنّة الاجتراء على تعلّم علم السحر لأنه أقرب إليهنّ من غيرهنّ، وكانت العرب تمدح النساء بعدم تعلّم السور، قال عبيد بن حصين الملقّب بالراعي من كثرة وصفه الإبل:

هـن الـحـرائـر لا ربّـات أخـمـرة سـود الـمـحـاجـر لا يـقـرأن بـالـسـور

والباء في بالسور زائدة للتأكيد. وينبغي للمعلّم إذا أُتي بالصبيّ أن ينظر إليه أوّل نظرة بعين الهيبة والبطش حتّى يخافه من ذلك؛ وأن تكون آلة تأديبه للصبيان كالفلكة معلّقة فوق رؤوسهم ينظرون إليها، وأن يخرج عنهم أحياناً ويتركهم وأنفسهم لئلّا تموت قلوبهم من كثرة جلوسه معهم ولا شيء في الدنيا أحبّ إلى الطفل من مرض معلّمه أو غيبته؛ ومن ثمّ قال بعض الظرفاء لمّا خرجوا إلى الاستسقاء فقال بعضهم أخرجوا الأطفال معكم فإنّ دعاءهم سريع الإجابة؛ فقال ذلك الرجل دعنا من هذا الكلام لو كان لهم دعوة مستجابة لما بقي معلّم على وجه الأرض؛ وينبغي للمعلّم أن يقسم لحظاته بين الصبيان إلّا أن يكون يعطى الأجرة من واحد أزيد من غيره، وحينئذ فينبغي له كثرة التوجّه إليه لأنّه إنّما يعطى لهذا، ولمّا كان أوّل ما يتعلّمه الصبيّ هو تعداد حروف الهجاء وبعده تعليم أبجد فلا بأس ببيان معناهما فنقول:

روينا بالأسانيد المتكثّرة إلى الرضا عليه السلام قال إنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ ليعرّف به خلقه الكتابة حروف المعجم؛ وإنّ الرجل إذا ضرب على رأسه بعصى فزعم أنّه لا يفصح بعض الكلام فالحكم فيه أن تعرض عليه حروف المعجم، ثمّ يعطى الدية بقدر ما لم يفصح منها، ولقد حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم في ا ب ت ث قال الألف آلاء الله، والباء بهجة الله، والتاء تمام الأمر بقائم آل محمّد عليهم السلام، والثاء ثواب المؤمنين على أعمالهم الصالحة؛ ج ح خ؛ فالجيم جمال الله والحاء حلم الله عن المذنبين؛ والخاء خمول ذكر أهل المعاصي عند الله عزّ وجلّ، د ذ فالدال دين الله، والذال من ذي الجلال، ر ز، فالراء من الرؤوف الرحيم، والزاء زلازل القيامة؛ س ش فالسين سناء الله، والشين شاء ما شاء وأراد ما أراد، وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله، ص ض فالصاد من صادق الوعد في حمل

الناس على الصراط، وحبس الظالمين عند المرصاد والضاد ضلّ من خالف محمّداً وآل محمّد ﷺ، ط ظ، فالطاء طوبى للمؤمنين وحسن مآب؛ والظاء ظنّ المؤمنين بالله خيراً وظن الكافرين به سوءً؛ ع غ فالعين من العلم؛ والغين من الغنى، ف ق؛ فالفاء فوج من أفواج النار، والقاف قرآن على الله جمعه وقرآنه، ك ل فالكاف من الكافي واللام لغو الكافرين في إفترائهم على الله الكذب، م ن فالميم ملك الله يوم لا مالك غيره، ويقول الله عزّوجلّ لمن الملك اليوم؟ ثمّ ينطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون لله الواحد القهّار فيقول الله جلّ جلاله اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب والنون نوال الله للمؤمنين ونكاله بالكافرين، و هـ؛ فالواو ويل لمن عصى الله؛ والهاء هان على الله من عصاه لا ي. فلام ألف لا إله إلا الله وهي كلمة الإخلاص ما من عبد قالها مخلصاً إلّا وجبت له الجنّة، والياء يد الله فوق أيديهم باسطة بالرزق سبحانه وتعالى عمّا يشركون؛ ثم قال عليه السلام إن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن بهذه الحروف التي يتداولها جميع العرب.

وروى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى الحسين عليه السلام قال جاء يهوديّ إلى النبيّ ﷺ وعنده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له ما الفائدة في حروف الهجاء فقال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام أجبه وقال اللّهمّ وفّقه وسدّده، فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما من حرف إلّا وهو اسم من أسماء الله عزّوجلّ ؛ ثمّ قال أمّا الألف فالله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم، وأمّا الباء فباقٍ بعد فناء خلقه؛ وأمّا التاء فالتوّاب يقبل التوبة عن عباده؛ وأمّا الثاء فالثابت الكائن ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وأمّا الجيم فجلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه، وأمّا الحاء فحقّ حيّ عليم (حليم خ) وأمّا الخاء فخبير بما يفعله العباد؛ وأمّا الدال فديّان يوم الدين، وأمّا الذال فذو الجلال والإكرام وأمّا الراء فرؤوف بعباده؛ وأمّا الزاء فزين المعبودين؛ وأمّا السين فالسميع البصير؛ وأمّا الشين فالشاكر لعباده المؤمنين، وأمّا الصاد فصادق في وعده ووعيده؛ وأمّا الضاد فالضارّ النافع؛ وأمّا الطاء فالطاهر المطهّر، وأمّا الظاء فالظاهر المظهر لآياته، وأمّا العين فعالم بعباده؛ وأمّا الغين فغياث المستغيثين؛ وأمّا الفاء ففالق الحبّ والنوى، وأمّا القاف فقادر على جميع خلقه؛ وأمّا الكاف فالكافي الذي لم يكن له كفواً أحد لم يلد ولم يولد؛ وأمّا اللاّم فلطيف بعباده، وأمّا الميم فمالك الملك، وأمّا النون فنور السمٰوات والأرض من نور عرشه، وأمّا الواو فواحد صمد لم يلد ولم يولد، وأمّا الهاء فهاد لخلقه؛ وأمّا

اللام ألف فلا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له؛ وأمّا الياء فيد الله باسطة على خلقه؛ فقال رسول الله ﷺ هذا هو القول الذي رضي الله عزّ وجلّ من جميع خلقه فأسلم اليهودي.

وبعدما يعلّمه هذه الحروف يعلّمه أبجد وتفسيره على ما رواه صاحب المجالس بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال سئل عثمان بن عفّان رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ما تفسير أبجد؟ فقال رسول الله ﷺ تعلّموا تفسير أبجد فإنّ فيها الأعاجيب كلّها ويل لعالم جهل تفسيره؛ فقيل يا رسول الله ما تفسير أبجد؟ فقال رسول الله ﷺ أمّا الألف فآلاء الله حرف من أسمائه وأمّا الباء فبهجة الله وجلاله وجماله وأمّا الدال فدين الله وأمّا هوز فالهاء هاء الهاوية فويل لمن هوى في النار وأمّا الواو فويل لأهل النار وأمّا الزاء فزاوية الله في النار نعوذ بالله ممّا في الزاوية يعني زوايا جهنّم وأمّا حطي فالحاء حطوط الخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر وما نزل به جبرائيل مع الملائكة إلى مطلع الفجر وأمّا الطاء فطوبى لهم وحسن مآب؛ وهي شجرة غرسها الله عزّ وجلّ ونفخ فيها من روحه وإنّ أغصانها لترى من وراء سور الجنّة تنبت بالحليّ والحلل متدلّية على أفواههم وأمّا الياء فيد الله فوق خلقه سبحانه وتعالى عمّا يشركون وأمّا كلمن فالكاف كلام الله لا تبديل لكلمات الله ولن تجد من دونه ملتحداً وأمّا اللام فإلمام أهل الجنّة بينهم في الزيارة والتحيّة والسلام، وتلاوم أهل النار فيما بينهم؛ وأمّا الميم فملك الله الذي لا يزول، ودوام الله الذي لا يفنى؛ وأمّا النون فنون والقلم وما يسطرون، فالقلم قلم من نور وكتاب من نور في لوح محفوظ يشهده المقرّبون وكفى بالله شهيداً؛ وأمّا سعفص فالصاد صاع بصاع وفصّ بفصّ، يعني الجزاء بالجزاء وكما تدين تدان إنّ الله لا يريد ظلماً للعباد؛ وأمّا قرشت يعني قرشهم فحشرهم ونشرهم إلى يوم القيامة، وقضى بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون.

وقد روي تفسير آخر عن المسيح عليه السلام وهو أنّه لمّا نشأ صار يدور مع الصبيان فبينما هو كذلك إذ وثب غلام منهم على آخر فوكزه برجله فقتله فجاء أهله وتعلّقوا بالصبيان وقالوا من قتل هذا الغلام؟ فقالوا قتله عيسى فقال القاضي لعيسى لم قتلت هذا الغلام؛ فقال عيسى للقاضي أراك حاكماً جهولاً لم لا تسألني هل قتلت؟ فقال القاضي أراك غلاماً عاقلاً قال له القاضي فما اسمك؟ فقال عيسى بن مريم؛ فقال القاضي يا عيسى لم قتلته؟ فقال عيسى للقاضي ما بهذا أمرتك؛ ثمّ دنا عيسى من

المقتول، ثمَّ قال له قم بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم، قال فاستوى المقتول جالساً، فقال له عيسى من قتلك؟ فقال قتلني فلان بن فلان وهذا عيسى بريء من دمي؛ قال فتعجّب الناس من ذلك وأخذوا الغلام القاتل فقتلوه؛ ثمَّ إنّ المقتول بعد إقراره على من قتله عاد إلى موته كما كان، ثمَّ أخذت مريم بيد عيسى فانطلقت به إلى منزلها وقالت يا بنيَّ لا ترجع تلعب مع الصبيان وانطلق معي إلى معلّم رأيته هناك فلعلّك أن تتعلّم منه شيئاً تنتفع به فقال يا أمّاه إنّ ربّي قد أعطاني غنى عن تعليم المعلّمين، وقد علّمني التوراة والإنجيل وأنا في بطنك فقالت صدقت غير أنّك تكون عند معلّم خير من أن تكون مع الصبيان قال فانطلقت به إلى ذلك المعلّم فقال له المعلّم يا غلام، فقال عيسى أيّها المعلّم إنّك لجاهل ينبغي لك إذا سلّموا إليك غلاماً أن تعرف اسمه قبل أن تعلّمه فتدعوه باسمه فقال المعلّم صدقت فما اسمك؟ قال عيسى بن مريم قال المعلّم يا عيسى اقرأ باسم الله فقال عيسى عليه السلام عند ذلك: بسم الله الرحمٰن الرحيم فقال المعلم قل أبجد فقال عيسى عليه السلام له ما معنى أبجد؟ قال فغضب المعلّم عند ذلك فقال له عيسى لا تغضب فإنّ الإنسان خلق ولا علم له فقال المعلم لعيسى ما أبجد؟ فقال عيسى للمعلم قم من موضعك إلى موضعي حتّى أقعد مكانك ففعل المعلم ذلك فقال عيسى الألف آلاء الله والباء بهاء الله والجيم جمال الله والدال دين الله قال المعلم أحسنت يا عيسى فما هوز قال عيسى أمّا الهاء فهو الله الذي لا إلٰه إلّا هو؛ والواو ويل يومئذ للمكذّبين؛ والزاء زبانية جهنّم قال المعلم أحسنت يا عيسى؛ ثمَّ قال المعلم فما حطّي فقال عيسى أمّا الحاء فهي حطوط الخطايا عن المذنبين والطاء شجرة طوبى والياء يد الله على خلقه قال المعلم أحسنت يا عيسى ثمَّ قال المعلم فما كلمن؟ قال عيسى أمّا الكاف فهو كلام الله وأمّا اللام فإنّها لقاء أهل الجنّة بعضهم ببعض؛ وأمّا الميم فإنّها ملك الله وأمّا النون فإنّها نساء أهل الجنّة فقال المعلم أحسنت يا عيسى؛ فما صعفص، فقال عيسى عليه السلام أمّا الصاد الأولى فصاع بصاع، وأمّا العين فعلم الله وأمّا الفاء فإنّها أفعاله الجميلة، وأمّا الصاد الأُخرى فإنّها الصدق في أقواله، فقال أحسنت يا عيسى ثمّ أخذ بيده وانطلق به إلى أمّه فقال لها خذي ولدك فإنّه علمني ما لم أكن أُحسنه ولا أعلمه.

وينبغي للمعلم أن يعلم الصبيان هذه المعاني ويفسّرها لهم. وأمّا أجرة المعلم فقيل بتحريمه مطلقاً وقيل بأنّ الحرام منه، ما كان على تعليم القرآن وقيل لا يحرم الأجر إلّا على القدر الضروري منه كالفاتحة والسورة، نعم قال أهل هذه الأقوال إنّه يعلّم ليهدى إليه الهديّة ولا يشارط من أوّل الأمر فما يهدى إليه من جهة التعليم

حلال إجماعاً والأولى القول بتحليل الأجر مطلقاً، وحمل ما ورد فيه من النهي إمّا على التقيّة أو على الكراهة ويؤيّده ما رواه الشيخ عن أبي قرّة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّ هؤلاء يقولون إنّ كسب المعلم سحت فقال كذبوا أعداء الله إنّما أرادوا أن لا يعلّم القرآن ولو أنّ المعلم أعطاه رجل دية ولده كان للمعلم مباحاً.

والذي يدلّ على كراهة الأجر قول الصادق عليه السلام المعلم لا يعلّم بالأجر ويقبل الهدية إذا أُهدي إليه؛ وعن إسحاق بن عمّار عن العبد الصالح عليه السلام قال قلت له إنّ لنا جاراً يكتّب وقد سألني أن أسألك عن عمله، قال مرهُ إذا دفع إليه الغلام أن يقول لأهله إنّي أعلّمه الكتاب والحساب وأتتجر عليه بتعليم القرآن حتّى يطيب له كسبه. وعن حسان قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التعليم، قال لا تأخذ على التعليم أجراً، قلت الشعر والرسائل وما أشبه ذلك أُشارطه عليه، قال نعم بعد أن يكون الصبيان عندك سواء في التعليم لا تفضل بعضهم على بعض.

وأمّا قول من قال بتحريم الأجر على الواجب منه فهو تعويل على ما قاله كثير من العلماء من تحريم أخذ الأجرة على الواجبات كتغسيل الموتى وتكفينهم ونقلهم إلى حفرهم والأذان وهذه القاعدة لا تكاد تتمّ أمّا أوّلاً فلأنّه قد ورد في بعض الموارد الخاصّة جواز أخذ الأجر على الواجبات.

وأمّا ثانياً فلأنّ هذه الواجبات الكفائيّة كثيرة جدّاً مع أنّ الأصحاب رضوان الله عليهم قاطعون بجواز أخذ الأجر عليها وذلك كالخياطة، والحياكة؛ والتجارة، ونحوها ممّا يحتاج إليه الإنسان في تعيّشه وبقائه؛ فإنّ أهل هذه الصناعات لو تركوا القيام بها لوجبت على غيرهم ممن يمكنه القيام بها؛ ولجاز للحاكم أن يضطرّهم ويجبرهم عليها مع أنّها من الواجبات؛ نعم قد ورد النهي عن جواز أخذ الأجرة على بعض الواجبات فيقتصر فيه على مورده؛ وذلك كالأذان فإنّه قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام يا عليّ لا تتّخذن مؤذّناً يأخذ على الأذان أجراً، وروى الطاهرون على أبيهم عليّ عليه السلام أنّه أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين والله إنّي لأحبّك لله فقال له ولكنّي أبغضك لله، قال ولـم؟ قال لأنّك تبغي في الأذان وتأخذ على تعليم القرآن أجراً وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من أخذ على تعليم القرآن أجراً كان حظّه يوم القيامة، والنهي فيه للمؤذّن يمكن حمله على التحريم، وأمّا على تعليم القرآن فهو محمول على الكراهة جمعاً بين الأخبار مع جواز أن يحمل حديث الجواز على ما إذا لم يشارط في تعليم القرآن أجراً معلوماً؛ وحمل هذا الحديث وما روي (ورد خ) في معناه على ما إذا شارط عليه كما قاله الشيخ الطوسي رحمه الله.

وإذا بلغ عشر سنين مميّزاً جازت وصاياه وتصدّقاته ووقوفاته إلى غير ذلك من موارد الخير؛ قال الصادق عليه السلام إذا بلغ الغلام عشر سنين فأوصى بثلث ماله في حقّ جازت وصيته وإذا كان ابن سبع سنين فأوصى من ماله باليسير في حقّ جازت وصيته وما تضمّنه من جواز وصيّته من بلغ العشر قد عمل به أكثر الأصحاب سوى ابن إدريس رحمه الله فإنّه اشترط البلوغ في كلّ تصرّفاته ولم يعمل بهذا الخبر وما في معناه لأنّها أخبار آحاد عنده وأمّا ابن سبع سنين فلم يذهب أحد إلى جواز وصيّته سوى ما نسبه شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله إلى ابن بابويه وذلك أنّه نقل هذا الخبر في كتابه وذكر في أوّل الكتاب أنّه يعمل بكلّ ما أورده فيه؛ وأمّا ابن الجنيد فقد جوّز وصايا من بلغ ثماني سنين.

نور في وقت بلوغه وما يتبعه من الأحوال

اعلم أنّ المشهور بين العلماء هو أنّ بلوغ الصبيّ يعتبر تارة بالإمناء يقظة أو نوماً وتارة بالبلوغ خمس عشرة سنة، وأُخرى بالإنات والصبيّة ببلوغ التسع أو بالحيض ووجّه أنّها تشبّ بالتسع ما يشبّه الولد بالخمس عشرة، وتحيض على التسع لحرارة الطبيعة فيها ومن ثمّ انقطع نسلها ويئست على الخمسين أو الستّين، وذلك أنّ حرارتها شعلة تشبّ من التسع إلى الخمسين فتخمد نارها سريعاً وتبرد حرارتها الشديدة وأمّا الرجل فحرارته أقلّ منها فتكون بارزة إلى الوجود تدريجاً؛ ونظير هذا في الحكايات ما روي أنّ هارون الرشيد دخل عليه فقير فسأله الرشيد لم تكون أعمار الفقراء أطول من أعمار الملوك والأغنياء؟ فقال له الفقير ذلك بسبب أنّ الأغنياء قد آتاهم الله أرزاقهم دفعة واحدة فأكلوها وفنيت أعمارهم لفنائهم أرزاقهم وأمّا الفقراء فأرزاقهم تأتيهم على سبيل التدريج ولم يكونوا يموتوا حتّى تستكمل أرزاقهم، فقال له هارون صدقت ثمّ إنّه أمر له بعطيّة جزيلة فلمّا أخذها وصار إلى منزله مات بعد مدّة قليلة، فاتّصل خبره بهارون فقال إنّا دفعنا إليه رزقه دفعة واحدة فأكله فمات.

فإذا بلغ وتمّ بلوغه استقبلته التكاليف الإلهيّة وكتبت أعماله وأقواله في الدفاتر السماويّة ونزل إليه الكاتبان رقيب وعتيد، فرقيب يكون معه على يمينه يكتب حسناته وعتيد معه على يساره يكتب سيّئاته؛ ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] فرقيب سمّي به لأنّه يقول لعتيد إذا أراد المبادرة بكتابة الذنب له: رقّبه لعلّه يتوب فيرتقبه سبع ساعات وأمّا عتيد فهو بمعنى الحاضر وذلك لأنّه لا يفارقه في حال من الأحوال ومن هذا كان عليّ عليه السلام إذا أراد الدخول إلى بيت الخلاء إلتفت إلى كاتبيه

فقال أميطا عنّي فلكما الله عليّ أن لا أُحدث حدثاً حتّى أخرج إليكما وهذان الكاتبان يكتبان أعمال اليوم إلى الليل فيأتيان مع الصحيفتين إلى إمام العصر ويعرضانهما عليه فيقرأهما، فما كان من صحيفة سيّئات شيعته استغفر الله لهم، وأصلح ما كان يقبل الإصلاح ولهذا قال عليه السلام لشيعته إذا أتتني صحيفة سيئاتكم فلتكن صحيفة قابلة للإصلاح؛ يعني ينبغي أن يكون كالكتاب الذي فيه غلط لا أن يكون كلّه غلطاً فإنّه لا يقبل الإصلاح؛ والعرض على إمام العصر إنّما يكون بعد العرض على روح النبيّ صلى الله عليه وآله ومن تقدّم ذلك الإمام من آبائه الطاهرين وذلك لئلاّ يكون علم آخرهم أزيد من علم أوّلهم كما وردت به الرواية.

وروي أنّه صلى الله عليه وآله قال حياتي خير لكم ومماتي خير لكم أمّا حياتي فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [الأنفال: ٣٣]؛ وذلك أنّ بعض المنافقين قال اللهم إن كان ما يتلوه محمّد من القرآن من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١]، وقال صلى الله عليه وآله ما دمت بينهم فلم ينزل عليهم العذاب وأمّا مماتي فهو أنّ أعمالكم تعرض عليّ كلّ خميس وجمعة فأستغفر الله لكم وأسأله التجاوز عن ذنوبكم وهذا كله هو المراد من قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]، فإنّ المراد بالمؤمنين هنا الأئمّة عليهم السلام على ما في الأخبار.

ثمَّ بعد هذا العرض يصعدان بأعماله إلى موقف العرض، ويأتي إليه ملكان آخران لكتابة أعمال الليل فيكتبان عليه إلى طلوع الفجر ثمَّ إذا أرادا العروج هبط ملكان آخران ويجتمع الأربعة أوّل وقت صلاة الصبح كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] والمراد بقرآن الفجر صلاة الصبح، من باب تسمية الكلّ باسم جزئه إشارة إلى أرجحيّة طول القراءة فيها ومعنى ﴿مَشْهُودًا﴾ أنّها تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، فإذا بادر المكلّف إلى فعلها أوّل وقتها أثبتتها له ملائكة الليل وملائكة النهار في صحائف الليل والنهار، وكلّ ملكين يصعدان لا ينزلان إلى يوم القيامة، وفي الحديث أنّ السبب فيه أن لا يشتهر بكثرة قبائحه بين الملائكة.

وتفصيل صعود الأعمال ما رويناه بالأسانيد الكثيرة عن خالد بن سعدان أنّه قال لمعاذ حدّثني حديثاً (بحديث خ) سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله حفظته وذكرته في كلّ يوم من شدّته ودقّته، قال نعم ثمّ بكى بكاءً طويلاً؛ ثمَّ قال وا شوقاه إلى

رسول الله ﷺ وإلى لقائه؛ ثمّ قال بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ ركب وأردفني؛ ثمّ سرنا فرفع بصره إلى السماء وقال الحمد لله يقضي في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبّيك يا رسول الله يا سيّد المرسلين قال أُحدّثك بحديث إن أنت حفظته نفعك، وإن أنت ضيّعته انقطعت حجّتك عند الله عزّ وجلّ يا معاذ إنّ الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السمٰوات فجعل في كلّ سماء ملكاً قد جلّلها بعظمته وجعل لكلّ باب من أبواب السمٰوات ملكاً بوّاباً.

فيكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسي، ثمّ ترتفع الحفظة بعمله وله نور كنور الشمس، حتّى إذا بلغ سماء الدنيا فتزكّيه وتكثره، فيقول قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الغيبة فمن اغتاب لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري؛ أمرني بذلك ربّي، قال ثمّ تجيء الحفظة من الغد ومعهم عمل صالح، فتمرّ به تزكيّه و تكثره حتّى يبلغ السماء الثانية، فيقول الملك الذي في السماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنّما أراد بهذا عرض الدنيا أنا صاحب الدنيا لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري؛ قال ثمّ تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً بصدقة وصلاة فتعجب به الحفظة وتجاوزه إلى السماء الثالثة فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره أنا صاحب الكبر إنّه عمل وتكبّر على الناس في مجالستهم؛ أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدري في السماء له دويّ بالتسبيح والصوم والحجّ، فتمرّ به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وبطنه، أنا ملك العجب إنّه كان يعجب بنفسه وإنّه عمل وأدخل نفسه العجب أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري.

قال وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلى بعلها فتمرّ به إلى ملك السماء الخامسة بالجهاد والصدقة ما بين الصلاتين ولذلك العمل ضوء كضوء الشمس، فيقول الملك قفوا وأضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنّه كان يحسد من يتعلّم أو يعمل لله بطاعته؛ وإذا رأى لأحد فضلاً في العمل والعبادة حسده ووقع فيه؛ فيحمله على عاتقه ويلعنه عمله؛ قال وتصعد الحفظة بعمل العبد فتتجاوز السماء السادسة فيقول الملك قفوا أنا صاحب الرحمة واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واطمسوا عينيه إنّ صاحبه لا يرحم شيئاً إذا أصاب عبد من عباد الله ذنباً للآخرة أو ضرّاً في الدنيا شمت به أمرني ربّي أن لا أدع عمله

يجاوزني، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد بفقه واجتهاد وورع وله صوت كالرعد وضوء كضوء البرق ومعه ثلاثة آلاف ملك فتمرّ به إلى ملك السماء السابعة؛ فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحجاب أحجب كلّ عمل ليس لله تعالى؛ إنّه أراد رفعة عند القوّاد وذكراً في المجالس وصيتاً في المدائن أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ما لم يكن له (لله خ) خالصاً، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر كثير تشيّعه ملائكة السمٰوات والملائكة السبعة بجماعتهم؛ فيطأُون الحجب كلّها حتّى يقوموا بين يديه سبحانه فيشهدوا له بعمل ودعاء، فيقول أنتم حفظة عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه لم يردني بهذا العمل، عليه لعنتي، فتقول الملائكة عليه لعنتك ولعنتنا الحديث؛ وهو طويل ينبّهك على أنّ العمل الصالح الخالص من الشوائب أقلّ قليل، نسأل الله التوفيق للإخلاص فيه.

ويستفاد من هذا الحديث أنّ السماء لها أبواب وفرج وإليها ومنها صعود وهبوط؛ وقد حمل بعض المحقّقين ما روي عن الرضا عليه السلام من أنّ الصلاة لها أربعة آلاف باب على أبواب السماء التي يصعد إليها بالصلاة، والظاهر غير هذا وهو أن يكون المراد بالأبواب الأحكام، ويؤيّده ما روي في حديث آخر من أنّ الصلاة لها أربعة آلاف حدّ، ويمكن توجيه الحدود بأنّ واجباتها ألف كما ذكره شيخنا الشهيد في الألفيّة؛ وتروك هذه الألف محرّمات، فهذان ألفان ومستحبّاتها أيضاً ألف كما ذكر أكثره في النفليّة وتروك هذه الألف مثلها من المكروهات فالمجموع أربعة آلاف، نعم ورد في كثير من الأخبار أنّ المؤمن إذا مات بكت عليه البقاع التي كان يعبد الله عليها وملائكة أعماله وأبواب السماء التي كان يصعد منها بعمله.

فإن قلت ما معنى بكاء البقاع والأبواب ونحوهما من الجمادات؟ قلت قد ذكر له معان: أوّلها أنّ البكاء الصادر منها إنّما هو بلسان الحال لا المقال ومثل هذا قد ورد في لسان العرب كثيراً وذلك أنّهم ينسبون البكاء على الأحباب إلى منازلهم وأطلالهم ونحوهما، وثانيها أنّ الأفعال المنسوبة إلى الجمادات كالبكاء والتسبيح والتقديس وغير ذلك إنّما هو في الحقيقة لأهلها ولمن حلّ بها وهو من المجازات المشهورة.

وثالثها أنّ الله سبحانه قد ركّب في الجمادات نوعاً من العلم والشعور للخضوع والانقياد لخالقها وبارئها، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ ومن هذا قال بعضهم إنّ تسبيح الحصاة في كفّه صلى الله عليه وآله ليس بإعجاز

إنّما الإعجاز في إسماعه الصحابة وهذا هو الذي دلّت عليه الأخبار فلا عدول عنه[1].

وبالجملة فرقيب وعتيد يكتبان عليه من أوّل بلوغه إلى أربعين سنة ولكن يسامحونه هذه المدّة ولا يشدّدان عليه في أمر الكتابة لتظافر دواعي الشهوات والآثام؛ فإذا بلغ الأربعين أوحى الله إلى ملكيه أن اكتبا وتحفّظا على أعماله ولا تسامحوه في شيء، فقد روي أنّ الذنب الواحد ربّما كتبوه في سبعة أرقعة؛ وذلك لقلّة الدواعي وللأخذ في انتقاص الشهوات فإذا أتى ذنباً فقد أتاه من وجه شقائه لا من حيث الشهوة، وكلّما بلغ سنّه زاد التشديد عليه، ومن هذا قال عليه السلام إنّي لأعجب كلّ العجب من رجلين والله يبغضهما فقير متكبّر وشيخ زانٍ. وفي الرواية أنّ الرجل

(١) وهذا المعنى الثالث هو المعنى الصحيح المتين قال الشيخ البهائي قدس سره ذلك المجتهد الأكبر أعجوبة الدهر ما هذا لفظه الشريف: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر: ٢٤] هذا التسبيح إما بلسان الحال فإن كل ذرة من الموجودات تنادي بلسان حالها على وجود صانع حكيم واجب الوجود لذاته. وأما بلسان المقال وهو في ذوي العقول ظاهر وأما غيرهم من الحيوانات فذهب فرقة عظيمة إلى أن كل طائفة منها تسبح ربها بلغتها وأصواتها كبني آدم وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].
وأما غير الحيوانات من الجمادات فذهب جم غفير إلى أن لها تسبيحاً لسانياً أيضاً واعتضدوا بقوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقالوا لو أُريد به التسبيح بلسان الحال لاحتاج قوله جل شأنه ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] إلى تأويل وذكروا أن الإعجاز في تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وآله ليس من حيث نفس التسبيح بل من حيث إسماعه للصحابة وإلا فهي في التسبيح دائماً. انظر مفتاح الفلاح ص ١٠١ ط مصر ومما ذكر في معنى بكاء البقاع والجمادات يعلم أيضاً معنى ما ورد في الأخبار الكثيرة المتقاربة المضمون عن أهل البيت عليهم السلام من بكاء السماء والأرض وما يرى وما لا يرى على سيد الشهداء سلام الله عليه فقد روي الشيخ الثقة الأقدم شيخ الإمامية وفقيهها المقدم الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى (٣٦٧هـ) في كتابه النفيس القيم (كامل الزيارات) وهو من أهم كتب الإمامية وأصولها المعتمد عليها في الحديث بإسناده عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة ويونس بن ظبيان وأبي سلمة السراج والمفضل بن عمر كلهم قالوا سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول إن أبا عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب عليهن والجنة والنار وما خلق ربنا وما يرى وما لا يرى انظر ص ٨٠ ط النجف وفي معناها روايات كثيرة وفي المقام تحقيقات علمية يطول الكلام بذكرها وقد نقلها العلامة المتتبع المحدث النهاوندي نزيل المشهد رحمه الله في كتابه (أنوار المواهب) انظر الجزء الرابع ص ١٣.

إذا شابت لحيته وبقي على ما كان عليه من مقارفة الذنب[١] أتاه الشيطان ووقف بحياله وقال بأبي وجه لا يفلح أبداً أنت مناي ومرادي فيسرجه ويلجمه ويركب على ظهره ويورده موارد الهلاك وربّما نزل عنه وقال إنّ ظهره لنا متى أردنا ركبناه.

ويجب على من دخل تحت قلم التكليف أن يبادر إلى البحث والفحص عن أحوال طريقه ومذهبه الذي يوصله إلى النجاة لأنّ الأديان والمذاهب قد تشعبت بعد النبيّ ﷺ وكلّ فرقة ادّعت أنّها هي المحقّة وأنّها من أهل الجنّة وفسّقت أو كفّرت غيرها وفي الطريق المتواتر عن النبيّ ﷺ أنّ أُمّة موسى افترقت بعده إحدى وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار، وأنّ أمّة عيسى افترقت بعده اثنتين وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أمّتي ستفترق بعدي ثلاثاً وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار، وقد أخبر ﷺ عن افتراق الأمّة بعده وابتداعهم الأديان ورجوعهم القهقرى وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقد ذهب جمهور المخالفين إلى أنّ اختلاف الأمّة بعده ﷺ هو الأصلح والأولى بحالهم واستدلّوا عليه بالكتاب والسنّة، أمّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] أي للإختلاف خلقهم، فدلّ على أنّ اختلافهم حسن لأنّهم خلقوا لأجله؛ كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وأمّا السنّة فما روي عنه ﷺ من قوله اختلاف أمّتي رحمة[٢] والجواب أمّا عن الآية فقد ورد في تفسيرها عن أهل

---

(١) قارف الذنب: داناه وخالطه وفي اللسان ولا تكون المقارفة إلا في الأشياء الدنية.

(٢) حاشا نبي الرحمة الذي جمع تشعب الأُمة وألف بين قلوبهم وأمرهم بالتآلف والتعاضد ووحدة الكلمة أن يقول: (اختلاف أُمتي رحمة) ويقصد بذلك اختلافهم في الدين كيف يسيغ وجدان مسلم مثقف عاقل أن ينسب هذا القول إلى رسول الله ﷺ بهذا المعنى فكل عاقل يقطع بكذبه وأنه من الموضوعات قطعاً فإن القرآن الكريم والمعجز الباقي الذي جاء به النبي العظيم ﷺ من عند الله سبحانه يقول:
﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾ [الأنفال: ٤٦] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فبعد هذه النصوص كيف يصح أن ينسب إلى النبي الأعظم ﷺ أنه قال إن اختلاف أمته في الدين رحمة نعم يمكن أن يريد من الاختلاف معنى آخر غير ما يتبادر إلى الأذهان كما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام =

البيت عليهم السلام أن المشار إليه في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ [هود: ١١٩] الرحمة المدلول عليها بالفعل، فيكون حاصل المعنى أنّ ربّك إنّما خلقهم ليرحمهم ويؤلّف بينهم لكنّهم اختاروا الاختلاف والتضادّ فحرموا الرحمة منه سبحانه وتعالى[1] وأمّا عن الحديث

= الصادق عليه السلام في كتاب (معاني الأخبار) بسند ضعيف لأحمد بن هلال والظاهر أنه العبرتائي الضعيف الذي لا اعتماد على رواياته عن محمد بن أبي عمير عن عبد المؤمن الأنصاري قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن قوماً رووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال إن اختلاف أُمتي رحمة فقال صدقوا قلت إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب قال ليس حيث ذهبت وذهبوا إنما أراد قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] فامرهم أن ينفروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويختلفوا إليه فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم إنما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافاً في دين الله إنما الدين واحد.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩] فإن قيل لا يخلو من أن يكون المراد أنه للاختلاف خلقهم أو للرحمة ولا يجوز أن يعني الرحمة لأن الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة (ذلك) ولو أرادها لقال: ولتلك خلقهم فلم قال: (ولذلك خلقهم) كان رجوعه إلى الاختلاف أولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها لأن الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها وإذا جعلتم قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ١١٩] دالاً على الرحمة فكذلك قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] دال على الاختلاف.

قلنا أما لفظة (ذلك) في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف لدليل العقل وشهادة اللفظ فأما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز أن يكون شائياً له ومجرياً بخلق العباد إليه.

وأما شهادة اللفظ فلان الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب.

فأما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وأن الكناية عن الرحمة لا تكون إلا مونثة فباطل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي وإذا كني عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لأن معناها هو الفضل والإنعام كما قالوا: سرني كلمتك يريدون سرني كلامك وقال الله تعالى: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] ولم يقل (هذه) وإنما أراد هذا فضل من ربي.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: ٥٦] والشاهد على ذلك من كلام أهل اللسان من النظم والنثر كثير وفي كلام الله تعالى غنى وكفاية.

ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه أُمة واحدة ولا محالة أنه تعالى لهذا خلقهم ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقيل (اللام) للعاقبة يريد أن الله خلقهم وعلم أن عاقبتهم تؤول إلى الاختلاف المذموم كما =

فقد روي عن الصادق عليه السلام حين سئل عن معناه فقال عليه السلام إنّما عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله الاختلاف إلى البلاد لتحصيل العلوم والمعارف؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] وكيف يأمر صلّى الله عليه وآله بالاختلاف مع استلزامه التضادّ بين الأمّة واختلاف الدين وهو واحد.

وأمّا الداعي لهم إلى هذه المقالة فهو ما وقع بين الصحابة بعده صلى الله عليه وآله من التشاجر والجدال، كما وقع بين بني هاشم وبين تيم وعديّ على الخلافة وكما في حكاية قتل عثمان وأنّ الذين قتلوه كانوا أكابر الصحابة وأجلاّءها حتّى أنّه قد روي يوسف بن عبد الله النمري وهو من فضلائهم في كتاب استيعاب الرجال في أحوال محمّد بن أبي بكر ما هذا لفظه: وكان عليّ عليه السلام يثني على محمّد بن أبي بكر ويفضّله لأنّه كان له عبادة واجتهاد وكان ممّن حضر قتل عثمان، وقيل إنّه شارك في دمه انتهى؛ فإذا أقرّوا على عليّ عليه السلام بأنه إنّما كان يعظم محمّداً لأجل قتله عثمان فيجب عليهم أن يتبرّأوا إمّا من عليّ عليه السلام ومحمد أو من عثمان لأنّ قتل إمام المسلمين كفر بالله بإجماع المسلمين، وكذا الرضا بقتله والإعانة عليه.

= قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾ [الأعراف: ١٧٩] ولا يجوز أن تكون اللام للغرض لأنه تعالى لا يجوز أن يريد منهم الاختلاف المذموم لأنه لو أراد منهم ذلك لكانوا مطيعين له في ذلك الاختلاف وحقيقة الطاعة الموافقة للإرادة فحينئذ لم يعذبهم، ولما استحقوا عقاباً، والاجماع محقق بعذابهم ويمكن أن تكون (اللام) في الآية للغرض وهذا إذا كان معنى الآية أنه سبحانه لو شاء لجعلهم أُمة واحدة في الجنة على سبيل التفضل لكنه اختار لهم أعلى الدرجتين ليستحقوا الثواب ولهذا الغرض خلقهم.

وقال سيدنا المرتضى قدس سره: قد قال قوم: إن معنى الآية ولو شاء ربك أن يدخل الناس بأجمعهم الجنة فيكونوا في وصول جميعهم إلى الجنة أُمة واحدة لفعل وأجروا هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣] وأنه أراد هداها إلى طريق الجنة فعلى هذا التأويل تكون لفظة ذلك إشارة إلى إدخال الجميع الجنة وخلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها لكنهم نقضوا هذا الغرض بسوء اختيارهم وهذا المعنى اختيار جمهور المعتزلة قالوا: ولا يجوز أن تفسر الآية بأن الله العادل يخلقهم للاختلاف بل خلقهم للرحمة وهو القول الصحيح والقارىء الكريم بعد التأمل فيما ذكرناه تعرف سخافة ما ذكره الشيخ المراغي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩] انظر تفسير المراغي ج ١٢ ص ٩٨ وانظر إلى أمالي السيد المرتضى ج ١ ص ٧٠ - ٧٣ طبعة مصر سنة (١٣٧٣هـ) ومجمع البيان للطبرسي ج ٣ ص ٢٠٤ ط صيدا وتفسير مقتنيات الدرر ص ٣٥٠ ط طهران.

وقد صرّحوا في كتبهم أن عائشة ما خرجت في قتال البصرة إلّا لطلب دم عثمان حتّى أنّها لمّا قالت هذا الكلام لأمّ سلمة عليها السلام صرخت أمّ سلمة وقالت يا عائشة أنت بالأمس تشهدين على عثمان بالكفر لما منعك من إرث رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وسمّيته نعثلاً باسم يهوديّ كان في المدينة وقلت اقتلوا نعثلاً قتله الله، والآن تطلبين بدمه وتقولين إنّه إمام المسلمين فقالت عائشة نعم لأنّه تاب وصار كالسبيكة وخرج من ذنوبه ولو أنّهم قتلوه ذلك الوقت لما طلبت بدمه هذا مع أنّ عثمان كان صاحب أولاد وكانوا أولياء دمه وعائشة أجنبيّة بالنسبة إليه؛ والجهاد موضوع عن النساء وقد أمر الله نساء النبيّ صلى الله عليه وآله بالاستقرار في المنازل وعدم الخروج منها فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ ولعمرك إنّها زادت على تبرّج الجاهليّة الأولى بالوقوف بين صفوف العساكر حتّى قتل لأجلها آلاف من المسلمين، وكذلك الاختلاف الذي وقع بين علي عليه السلام ومعاوية الذي سمّوه خال المؤمنين باعتبار أخته أم حبيبة؛ وقد قتل في حرب صفين ثمانون ألفاً من الطرفين فما هذه الرحمة التي في هذا الاختلاف أتكفير بعضهم بعضاً أم إهراق دماء المسلمين، وليس هذا إلّا من عجزهم عن جواب هذه المسألة وظنّهم الخير بالطرفين، وهو غير محتاج إليه فإنّ صحبة الأنبياء لو كانت وحدها مظنّة حسن الحال لكان القرب إليهم بالبنوّة والزوجيّة يفيده بالطريق الأولى، ولما ورد الذم والتوبيخ لابن نوح وزوجته وزوجة لوط مع تمام العلاقة بينهم بالنسب، وقبل الخوض في الاستدلال على المذهب الحقّ لا بدّ من تفصيل الفرق وأديانها واختلاف اعتقاداتها الذي بانت بسببه الطوائف بعضها عن بعض، وقد تعرّض بعضهم لمثل هذا لكن إمّا بإيجاز مخلّ أو بإطناب مملّ.

نور في بيان الفرق وأديانها وما يتعلق به من المقدمات واللواحق

اعلم أوّلاً أنّ الناس ينقسمون إلى أهل الديانات وهم اليهود والنصارى والمجوس والمسلمون وإلى أهل الآراء والأهواء مثل الفلاسفة والدهريّة والصابئة وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة؛ ويفترق كل منهم فرقاً فافترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة كما تقدّم، والناجية أبداً من الفرق واحدة؛ لقوله صلى الله عليه وآله لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ إلى يوم القيامة.

وأمّا ضبط القواعد التي يبنى (يبتنى خ) عليها مناط الاختلاف كلّه فهي أربع على

ما قيل، أوّلها الصفات والتوحيد، ويندرج فيها صفات الذات وصفات الفعل وما يجب على الله وما يجوز عليه وما يمتنع؛ وفيها الخلاف بين الأشعريّة والكراميّة والمجسّمة والمعتزلة كما سيأتي. وثانيها القدر والعدل ويندرج فيها مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب وإرادة الخير والشرّ المقدور والمعلوم؛ وفيها الخلاف بين القدرية والبخاريّة والجبريّة والأشعريّة والكراميّة؛ وثالثها الوعد والوعيد والأسماء والأحكام، ويندرج فيها الإيمان والتوبة والوعد والوعيد والإرجاء والتكفير والتضليل، وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيديّة والمعتزلة والأشعريّة والكراميّة. ورابعها السمع والعقل والرسالة والإمامة ويندرج فيه مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والأصلح واللطف والعصمة في النبوّة وشرائط الإمامة نصّاً عند جماعة وإجماعاً عند آخرين وكيفيّة انتقالها على مذهب من قال بالنصّ وكيفيّة إثباتها على مذهب من قال بالإجماع، والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكراميّة والأشعريّة.

وأصل الفرق الإسلاميّة أربعة: القدريّة، الصفائيّة، الخوارج؛ الشيعة، ثمَّ يتركّب بعضها مع بعض وينشعب (يتشعّب خ) عن كلّ فرقة أصناف فيصل إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ ويجب أن يدرى أنّ السبب الأوّلي في الشبه التي انبعث منها تفرّق الآراء والمذاهب هو متابعة خطوات الشيطان في شبهاته الأوّليّة، وهي استقلاله بالرأي في مقابلة النصّ واختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالمادّة التي خلق منها وهي النار على مادّة آدم عليه السلام وهي الطين.

وانشعبت هذه إلى سبع شبه حتّى ارتكزت في أذهان الناس وسارت فيهم وزيّنها في أعينهم حتّى صارت مذاهب مبتدعة؛ وتلك الشبهات مسطورة في الأناجيل الأربعة ومذكورة في التوراة متفرّقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع عنه كما نقل عنه: إنّي سلّمت أنّ الباري تعالى إلهي وإله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته فإنّه مهما أراد شيئاً قال له كن فيكون وهو عليم حكيم إلّا أنّه يتوجّه على علمه وحكمته أسئلة سبع قالت الملائكة وما هنّ قال: أوّلها أنّه علم قبل خلقي أيّ شيء يصدر منّي فلم خلقني أوّلاً وما الحكمة في خلقه إيّاي، ثانيها إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلّفني بمعرفته وطاعته، وما الحكمة في التكليف بعد أن لا ينتفع هو بطاعة ولا يتضرّر بمعصية.

ثالثها إذ خلقني وكلّفني فالتزمت تكليفه بالطاعة والمعرفة فعرفت وأطعت فلم

كلّفني بطاعة آدم والسجود له؟ وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي؟ رابعها إذ خلقني وكلّفني على الإطلاق وكلّفني بهذا التكليف على الخصوص فإذا لم أسجد فلم لعنني وأخرجني من الجنّة وما الحكمة في ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحاً إلّا قولي لا أسجد إلّا لك؟ خامسها إذ خلقني وكلّفني مطلقاً وخصوصاً فلم أُطع فلعنني وطردني فلم أدخلني إلى آدم الجنّة ثانياً حتّى غررته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجه من الجنّة معي وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني دخول الجنّة استراح عنّي آدم وبقي خالداً فيها.

سادسها إذ خلقني وكلّفني عموماً وخصوصاً ولعنني ثمَّ أدخلني الجنّة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلّطني على أولاده حتّى أراهم من حيث لا يرونني ويؤثّر فيهم وسوستي ولا يؤثّر فيّ حولهم وقوّتهم وقدرتهم واستطاعتهم؛ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة فبعث سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة؟ سابعها سلّمت هذا كلّه خلقني وكلّفني مطلقاً ومقيّداً وإذ لم أطع لعنني وطردني، وإذ أردت دخول الجنّة مكّنني؛ وإذ عملت عملتي أخرجني؛ ثمَّ سلّطني على بني آدم حتّى إذا استمهلته أمهلني فقلت أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح خلق منّي وما بقي شرّ في العالم أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشرّ؟ قال لعنه الله فهذه حجّتي على ما ادّعيته في كلّ مسألة.

قال شارح الإنجيل فأوحى الله تعالى إلى الملائكة عليهم السلام قولوا له إنّك في تسليمك الأوّل أنّي إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص إذ لو صدقت إلى إله العالمين لما احتكمت عليّ بلمَ، فأنا الله الذي لا إله إلّا أنا لا أسأل عمّا أفعل والخلق مسؤولون؛ فهذه أصول الشبه والخلق كلهم قديماً وحديثاً قد أخذوا بها في جدال الأنبياء عليهم السلام لأنّ قولهم: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦] مثل قوله: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]؛ فبيّن أنّ المانع من الإيمان هو هذا المعنى، كما قال في الأوّل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

والمتقدّمون والمتأخرون على طريقة واحدة، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]، ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن

قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٠١]، فاللعين الأوّل لما حكّم العقل على من لا يحكم عليه العقول لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق وحكم الخلق في الخالق الأوّل غلوّ والثاني تقصير؛ فبان من الشبهة الأولى مذاهب الحلوليّة والتناسخيّة والمشبّهة والغلاة حيث غلوا في شخص من الأشخاص حتّى وصفوه بصفات الجلال وصار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسّمة حيث قصّروا في وصفه تعالى بصفات المخلوقين والمعتزلة مشبّهة الأفعال والمشبّهة حلولية الصفات، ومذهب القدرية طلب العلّة في كلّ شيء؛ وذلك من فعل اللعين الأوّل إذ طلب العلّة في الخلق أوّلاً والحكمة في التكليف ثانياً والفائدة في تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثاً وعنه نشأ مذهب الخوارج إذ لا فرق بين قولهم لا حكم إلّا لله فلا يحكم الرجال وبين قوله لا أسجد إلّا لك؛ ﴿لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ [الحجر: ٣٣]؛ وقد أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه يقع في هذه الأُمّة ما وقع في الأمم السالفة كما قال لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه، وذلك أنّ الشبهات التي نشأت زمن النبيّ صلى الله عليه وآله مأخوذة من الشبهات الأولى بدليل أنّهم ما كانوا يرضون بحكمه في الأمر والنهي، سألوا عمّا منعوا عنه وجادلوا بالباطل واعتمدوا على العقل في مقابلة النصّ، ألا ترى إلى قول التميمي إعدل يا محمّد فإنّك لم تعدل حتّى قال له إن لم أعدل فمن يعدل، فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله وذلك خروج على النبيّ صلى الله عليه وآله وأخذ بجادّة العقل الناقص في مقابلة النصّ الجليّ.

وانظر إلى قول المنافقين يوم أُحد: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقولهم: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فهل ذلك إلّا تصريح بالقدر وقول طائفة من المشركين ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]، وقول طائفة ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]؛ فهذا تصريح بالجبر؛ فهذه أحوالهم في صحّة بدنه فاعتراضهم على حركاته وسكناته نشأت منها الشبهات.

وانظر إلى اختلافاتهم التي وقعت زمن مرضه صلى الله عليه وآله، روى محمّد بن إسماعيل البخاري في مسنده عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه قال لمّا اشتدّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه قال ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي أبداً؛ فقال عمر إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد غلب عليه الوجع؛ وفي أكثر الأحاديث بهذا اللفظ: إنّ

الرجل ليهجر، أي يتكلّم من غير شعور، وهو الهذيان؛ فكثر اللغط، فقال رسول الله ﷺ قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع.

قال ابن عبّاس الرزيّة كل الرزيّة ما حال بيننا وبين رسول الله. وقوله ﷺ: في مرضه جهّزوا جيش أسامة لعن الله من تخلّف عنه، فقال قوم يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة، وقال الأعرابيّان قد اشتدّ مرض النبيّ ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته، وكانا كاذبين في هذا القول، وإنّما الذي دعاهما إلى التخلّف عن جيش أسامة هو إرادة الوثوب على الخلافة التي تعاقدوا عليها زمن حياة النبيّ ﷺ، وقد فهما أنّ غرضه من تأمير أسامة عليهما وإخراجهما من المدينة في ذلك الوقت أن تخلو المدينة حتّى لا ينازع أحد عليّاً عليه السلام في أمر الخلافة، فلمّا فهما هذا رجعا من خارج المدينة ودخلاها، واتفق أنّهما لمّا دخلاها كان النبيّ ﷺ قد غشي عليه فلمّا أفاق قال كلاماً معناه أنّه طرق المدينة طارق في هذه الساعة عليه لعنة الله، وسيكون هلاك أمتي أعلى يديه.

وأمّا بعد موته فقد اختلفوا أيضاً فنقل العامّة والخاصّة عن عمر أنّه قال من قال إنّ محمّداً قد مات قتلته بسيفي هذا؛ وإنّما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام؛ فقال له بعض الصحابة من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد إله محمّد فإنّه حيّ لا يموت وقرأ هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ فرجع القوم إلى قوله، فقال عمر كأنّي ما سمعت بهذه الآية حتّى قرأها بعضهم. فانظر إلى جهل هذا الرجل بأحوال الأنبياء وقد كان ﷺ أكثر ما يحدّث أصحابه في حياته عن الموت وأهواله وموت الأنبياء وموته هو ﷺ فلعمرك لقد كان هذا الرجل أصمّ أذن الرأس كما كان أصمّ أذن القلب، وقد وقع الخلاف أيضاً في موضع دفنه؛ فأراد أهل مكّة من المهاجرين ردّه إلى مكة ودفنه بها لأنّها موطنه وأراد أهل المدينة دفنه في المدينة لأنها دار هجرته وأراد جماعة نقله إلى بيت المقدّس لأنّها مدفن الأنبياء ومنه معراجه إلى السماء، فقال عليّ عليه السلام إنّ الله لم يقبض روح نبيّه إلّا في أشرف البقاع فرجعوا إلى قوله وهذا يدلّ على أنّهم وقت مرضه ﷺ ما كانوا ملازمين له حتّى يسمعوا منه موضع الدفن.

وأمّا الخلاف العظيم وهو الخلاف في الإمامة الذي عمّت بليّته الخاصّ والعامّ وأهلك الأُمة بعد نبيّها فهو مشهور وفي الكتب مسطور، وقد ظهر في زمان

عليّ عليه السلام الخوارج مثل الأشعث بن قيس ومسعود بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقّه مثل عبيد بن سبأ[١] وجماعة معه ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبيّ صلى الله عليه وآله يهلك فيك اثنان: محبّ غالٍ ومبغض قال؛ وانقسمت الاختلافات بعده إلى قسمين، أحدهما الاختلاف في الإمامة، والثاني الاختلاف في الأصول، والاختلاف في الإمامة على وجهين، أحدهما القول بأنّ الإمامة ثبتت بالنصّ والتعيين؛ والثاني بأنّ الإمامة ثبتت بالاتّفاق والاختيار، فمن قال إنّ الإمامة ثبتت بالاتّفاق قال بإمامة كلّ من اتّفقت عليه الأمّة أو جماعة معتبرة من الأمّة، إمّا مطلقاً أو بشرط أن يكون قرشيّاً على مذهب قوم أو بشرط أن يكون هاشميّاً على مذهب قوم إلى شرائط أُخر كما سيأتي؛ ومن قال بالأوّل قال بإمامة معاوية وأولاده عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ومن قال إنّ الإمامة ثبتت بالنصّ اختلفوا بعد عليّ عليه السلام، فمنهم من قال إنّه إنّما نصّ على ابنه محمّد بن الحنفيّة وهؤلاء هم الكيسانيّة، ثمّ اختلفوا بعده فمنهم من قال إنّه لم يمت ويرجع فيملأ الأرض عدلاً؛ ومنهم من قال مات وانتقلت بعده إلى ابنه أبي هاشم؛ وافترقوا هؤلاء، فمنهم من قال الإمامة بقيت في عقبه وصية بعد وصية، ومنهم من قال انتقلت إلى غيره، واختلفوا في ذلك الغير؛ فمنهم من قال هو بنان بن سمعان الهدى ومنهم من قال هو عليّ بن عبد الله بن عبّاس، ومنهم من قال هو عبد الله بن حرب الكندي ومنهم من قال هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء كلّهم يقولون إنّ الدين طاعة رجل، وأمّا من لم يقل بالنصّ على محمّد بن الحنفيّة قال بالنصّ على الحسن والحسين عليهما السلام وقال لا إمامة إلّا في الأخوين الحسن والحسين عليهما السلام ثمّ هؤلاء اختلفوا، فمنهم من أجرى الإمامة في أولاد الحسن عليه السلام، وقال بعده بإمامة ابنه الحسن[٢] ثمّ ابنه عبد الله ثمّ ابنه

---

(١) كذا في النسخ التي وقفنا عليها والظاهر أن فيها تصحيفاً والصحيح هو (عبد الله بن سبأ) الذي يقال أنه أظهر الغلو في أمير المؤمنين عليه السلام ولكن تحقق في هذا العصر بالبحوث والدراسات التحليلية أن عبد الله بن سبأ من الأساطير كما سنشير إليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

(٢) غير خفي على القارىء العزيز أن الكلمات التي سطرها المصنف رحمه الله في هذا المقام والمطالب التي ادعاها لا تخلو من المناقشات والإشكالات التي يطول الكلام بذكرها منها أن الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام لم يدع الإمامة ولا ادعاها في حقه مدع ويكفي لنا في ذلك تصريح الشيخ المفيد قدس سره في الإرشاد بما ادعيناه وهو أعرف وأبصر بأحواله من غيره قال رحمه الله ما هذا لفظه الشريف: (وأما الحسن بن الحسن عليه السلام فكان جليلاً رئيساً =

محمّد ثم أخيه إبراهيم الإمامين، وقد خرجا أيّام المنصور فقتلا، ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الإمام ومنهم من أجرى الوصيّة في أولاد الحسين عليه السلام وقال بعده بإمامة ابنه زين العابدين عليه السلام؛ ثم اختلفوا بعده فقال الزيديّة بإمامة ابنه زيد؛ ومذهبهم أنّ كلّ فاطميّ خرج وهو عالم زاهد شجاع سخيّ كان إماماً واجب الأتباع؛ وجوّزوا رجوع الإمامة إلى أولاد الحسن؛ ثمّ منهم من وقف وقال بالرجعة؛ ومنهم من ساق وقال بإمامة من هذا حاله في كلّ زمان.

وأمّا الإماميّة فقالوا بإمامة الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام نصّاً عليه؛ ثمّ بإمامة جعفر بن محمّد عليه السلام، ثمّ اختلفوا بعده في أولاده من المنصوص عليه، وهم خمسة محمّد وإسماعيل وعبد الله وعليّ والإمام موسى الكاظم عليه السلام؛ فمنهم من قال بإمامة محمّد وهم العماريّة ومنهم من قال بإمامة إسماعيل وأنكر موته وهم المباركية ومن هؤلاء من وقف عليه وقال برجعته ومنهم من ساق الإمامة في أولاده نصّاً بعد نصّ إلى هذا اليوم وهم الإسماعيليّة، ومنهم من قال بإمامة عبد الله الأفطح وقال برجعته بعد موته لأنّه مات ولم يعقب[1] ومنهم من قال بإمامة موسى عليه السلام نصاً عليه فقال والده فيه ونصّ عليه، ثمّ هؤلاء اختلفوا؛ فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته إذ قال لم يمت هو ومنهم من توقّف في موته وهم الممطوريّة، ومنهم من قطع بموته وساق

= فاضلاً ورعاً وكان يلي صدقات أمير المؤمنين عليه السلام في وقته إلخ. . . إلى أن يقول ومضى الحسن بن الحسن عليه السلام ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدع كما وصفناه عن حال أخيه زيد رحمه الله) ص ٢٠١ ط تبريز وما ذكره بعض أن عبد الرحمٰن بن الأشعث كان قد دعا إليه وبايعه فلما قتل عبد الرحمٰن توارى الحسن حتى دس إليه الوليد بن عبد الملك من سقاه سما وعمره إذ ذاك خمس وثلاثون سنة إلخ فهو مما لم يثبت ويكذبه تصريح الشيخ المفيد كما سمعت والوليد مات سنة ست وتسعين والحسن المثنى توفي سنة سبع وتسعين وله خمس وثمانون سنة لا خمس وثلاثون.

(١) الفطحية لم يقولوا برجعة عبد الله الأفطح فإنهم قالوا بإمامة الأئمة الأثني عشر وأدخلوا عبد الله بين الصادق والكاظم عليهما السلام لشبهة عرضت لهم ولذا يقال أن الفطحية أقرب الفرق إلى الحق ومنهم من رجع عن القول بإمامته في حياته لما امتحنه بمسائل من الحلال والحرام ووجده صفر اليد ومنهم من قال بإمامته في حياته إلى وفاته ولما مات عبد الله بعد أبيه بسبعين يوماً رجع عن القول بإمامته إلى القول بإمامة الكاظم عليه السلام وبقي شذاذ منهم على القول بإمامته بعد وفاته أيضاً وقالوا بإمامة الكاظم عليه السلام بعده والحاصل أن من ثبت في القول بإمامة عبد الله في حياته وبعد مماته قال بعد موته بإمامة الكاظم ومن بعده من الأئمة عليهم السلام ولم يقل برجعة عبد الله الأفطح فما ذكره المصنف رحمه الله كلام خالٍ عن التحقيق.

الإمامة إلى ابنه عليّ الرضا عليه السلام وهم القطعيّة؛ ثمَّ هؤلاء اختلفوا في كلّ ولد بعده فالاثنا عشريّة ساقوا الإمامة من علي الرضا إلى ابنه محمّد، ثمَّ إلى ابنه عليّ؛ ثمَّ إلى ابنه الحسن؛ ثمَّ إلى ابنه المهديّ وغيرهم ساقوا الإمامة إلى الحسن العسكري، ثمَّ قالوا بإمامة أخيه جعفر الكذّاب هذا حاصل الاختلاف في الإمامة.

وأمّا الاختلافات في الأصول فحدثت في آخر أيّام الصحابة مقالة معبد الجهني وغيلان الدمشقيّ ويونس الأسواري القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشرّ إلى المقدّر، ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال، وكان تلميذ الحسن البصري وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر والوعيديّة من الخوارج والمرجئة من الجبريّة والقدرية ابتداء بدعهم في زمان الحسن؛ واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول بالمنزلة بين المنزلتين فسمّي هو وأصحابه معتزلة، وقد تلمّذ عنده زيد بن عليّ كما قيل وأخذ الأصول منه فلذلك صارت الزيديّة كلّهم معتزلة، ثمَّ طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسّرت أيّام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وأفردتها فنّاً من فنون العلم وسمّتها باسم الكلام إمّا لأن أظهر مسألة تكلّموا فيها وتقابلوا عليها هي مسألة الكلام فسمّي النوع باسمها، وإمّا لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنّاً من فنون العلم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان.

إذا عرفت هذا كلّه فلنشرع الآن في بيان الفرق فنقول من كبار الفرق الإسلاميّة المعتزلة ويسمّون أهل العدل والتوحيد، وهم أصحاب واصل بن عطاء اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وذلك أنّه دخل على الحسن رجل فقال يا إمام الدين ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة؛ يعني وعيديّة الخوارج، وجماعة أُخرى يرجئون الكبائر ويقولون لا يضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك فتفكّر الحسن وقبل أن يجيب قال واصل أنا أقول إنّ صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق ولا كافر مطلق؛ ثمَّ قام إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد وأخذ يقرّر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به من أنّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر؛ ويثبت له المنزلة بين المنزلتين قائلاً إنّ المؤمن استحقّ المدح والفاسق لا يستحقّ المدح فلا يكون مؤمناً وليس بكافر أيضاً لإقراره بالشهادتين ولوجود سائر أعمال الخير فيه؛ فإذا مات بلا توبة خلّد في النار إذ ليس في الآخرة إلّا فريقان فريق في الجنّة وفريق في السعير لكن يخفّف عليه وتكون دركته فوق دركات الكفّار، فقال الحسن قد اعتزل عنّا واصل؛ فلذلك سمّي هو وأصحابه

معتزلة؛ ويلقّبون بالقدريّة لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، قالوا إنّ من يقول بالقدر خيره وشرّه من الله تعالى أولى باسم القدريّة منّا لأنّ مثبت القدر أحقّ بأن ينسب إليه من نافيه.

وأمّا في أخبار أهل البيت عليهم السلام فيطلق هذا الاسم تارة على المعتزلة وأُخرى على الأشاعرة؛ ووجه المناسبة ظاهر؛ وقوله صلى الله عليه وآله القدريّة مجوس هذه الأمّة أشدّ انطباقاً على المعتزلة لأنّهم أثبتوا خالقين كالمجوس، وقد لقّب المعتزلة أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد؛ وذلك لقولهم بوجوب الأصلح ونفي الصفات القديمة؛ وقالوا إنّ القدم أخصّ أوصاف الله لا يشاركه فيها ذات ولا صفة؛ وقالوا بنفي الصفات الزائدة على الذات وأنّ كلامه سبحانه محدث مركّب من الحروف والأصوات، وأنّه غير مرئي في الآخرة بالأبصار، وبأنّ الحسن والقبح عقليّان، ويجب عليه تعالى رعاية الحكمةِ والمصلحة في أفعاله وثواب المطيع والتائب وعقاب صاحب الكبيرة.

ثمّ إنّهم بعد اتفاقهم على هذه الأمور المذكورة افترقوا عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضاً وكلّهم على صدق في هذا الحكم، منهم الواصليّة أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء واعتزالهم يدور على أربع مسائل:

أوّلها نفي الصفات قال الشهرستاني شرعت أصحابه في هذه المسألة بعدما طالعوا كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم إلى أن ردّوا جميع الصفات إلى كونه عالماً قادراً ثمَّ حكموا بأنّهما صفتان ذاتيّتان اعتباريّتان للذات القديمة كما قاله الجبائي أو حالان كما قاله أبو هاشم؛ وثانيها قولهم بأن أفعال العباد مستندة إلى قدرتهم وامتناع إضافة الشرّ إلى الله وثالثها قولهم بالمنزلة بين المنزلتين على ما مرّ تفصيله؛ ورابعها تخطئة أحد الفريقين من عثمان وقاتليه؛ وجوّزوا أن يكون عثمان لا مؤمناً ولا كافراً وأن يخلد في النار، وكذا عليّ عليه السلام ومتابعوه، وحكموا بأنّ عليّاً وطلحة والزبير بعد وقعة الجمل لو شهدوا على باقة بقل لم تقبل شهادتهم؛ كشهادة المتلاعنين أي الزوج والزوجة؛ فإنّ أحدهما فاسق لا بعينه.

ومنهم الهذيليّة أصحاب أبي الهذيل حمدان العلاّف شيخ المعتزلة ومقرّر طريقهم أخذ العلم والاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل، عن واصل وقد انفرد أصحابه بعشر قواعد الأولى قوله بفناء مقدورات الله سبحانه؛ وهذا قريب من مذهب جهم حيث ذهب إلى أنّ الجنّة والنار يفنيان؛ وقالوا إنّ حركات أهل الجنّة والنار ضروريّة

مخلوقة لله، إذ لو كانت مخلوقة لهم لكانوا مكلّفين ولا تكليف لهم في الآخرة، الثانية أنّ أهل الخلدين تنقطع حركاتهم ويصيرون إلى سكون دائم ويجتمع في ذلك السكون اللذّات لأهل الجنّة والآلام لأهل النار، وإنّما ارتكب أبو الهذيل هذا القول لأنّه التزم في مسألة حدوث العالم أنّه لا فرق بين حوادث لا أوّل لها وبين حوادث لا آخر لها، فقال لا أقول أيضاً بحركات لا آخر لها بل تصير إلى سكون وتوهّم أنّ ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون، ولذلك سمّى المعتزلة أبا الهذيل جهمي الآخرة وقيل إنّه قدريّ الأولى جهمي الآخرة.

الثالثة قوله إنّ الباري عالم بعلم وعلمه ذاته؛ وقادر بقدرة وقدرته ذاته؛ وحيّ بحياة وحياته ذاته؛ قال الشهرستاني وقد اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا أنّ ذاته واحدة من جميع الجهات لا تعدّد فيه أصلاً بل جميع صفاته راجعة إلى السلوب والإضافات.

الرابعة قوله إنّه مريد بإرادة حادثة لا في محلّ، وأوّل من أحدث هذه المقالة هو العلاّف. الخامسة قوله إنّ بعض كلامه تعالى لا في محلّ مثل قوله «كن» لأنّها التي كوّن بها الأشياء وبعضه في محلّ كالأمر والنهي والخبر والاستخبار. السادسة قوله إن إرادته غير المراد، وذلك لأنّ إرادته عبارة عن خلقه لشيء وخلقه للشيء مغاير لذلك الشيء بل الخلق عندهم قول لا في محلّ أعني كلمة كن.

السابعة قوله إنّ الحجّة بالتواتر فيما غاب لا تقوم إلّا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنّة أو أكثر وقالوا لا تخلو الأرض عن أولياء الله تعالى فهم معصومون لا يكذبون ولا يركبون شيئاً من المعاصي فالحجّة قولهم لا التواتر. الثامنة قوله في الآجال والأرزاق إنّ الرجل إذا لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يجوز أن يزاد في العمر أو ينقص منه، وأمّا الأرزاق فقال إنّ كل ما أكل منها فهو رزقه وما حرم عليه فليس رزقاً له أي ليس مأموراً بتناوله.

التاسعة قوله في الفكر قبل ورود السمع يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر، وإن قصّر في المعرفة استوجب العقوبة أبداً؛ وقال أيضاً بطاعات لا يقصد بها التقرّب إلى الله سبحانه كالقصد إلى النظر الأوّل فإنّه لم يعرف الله بعد والفعل عبادة. العاشرة قوله في الاستطاعة إنّها عرض من الأعراض غير السلامة والصحة؛ والفرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح؛ فقال لا يصحّ وجود أفعال القلوب منه مع عدم القدرة والاستطاعة معها في حال الفعل؛ وجوّز ذلك في أفعال

الجوارح وقال بتقدّمها فيفعل بها في الحال الأولى وإن لم يوجد الفعل إلّا في الحالة الثانية، قال فحال يفعل غير حال فعل، وقال في الإدراك والعلم الحادثين في غيره عند استماعه وتعليمه إنّ الله يبدعهما فيه وليسا من أفعال العباد.

ومنهم النظاميّة أصحاب إبراهيم بن سيّار النظام وهو من شياطين القدريّة طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وقد انفرد بثلاثة عشر مسألة منها قوله لا يقدر الله أن يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح لهم فيه، ولا يقدر أن يزيد في الآخرة أو ينقص من ثواب وعقاب لأهل الجنّة والنار، وتوهّموا أنّ غاية تنزيهه تعالى عن الشرور والقبائح لا يكون إلّا بسبب قدرته عليها؛ فهم في ذلك كمن هرب من المطر إلى الميزاب.

ومنها قوله في الإرادة إنّ الباري تعالى ليس موصوفاً بها على الحقيقة، فإذا وصفت بذلك شرعاً في أفعاله فالمراد بذلك أنه خالقها ومنشئها على حسب ما علم، وإذا وصف بكونه مريداً لأفعال العبد فالمعنى أنّه آمر بها، وعنه أخذ الكعبي مذهبه في الإرادة ومنها قوله إنّ الإنسان هو الروح والبدن آلتها، وقد أخذه النظام من الفلاسفة إلّا أنّه مال إلى الطبيعيين منهم فقالوا الروح جسم لطيف سارٍ في البدن سريان ماء الورد والدهن ومنها قولهم (له) إنّ الأعراض كالألوان والطعوم والروائح وغيرها أجسام، فهم تارة يحكمون بأنّ الأعراض أجسام وأُخرى بأنّ الأجسام أعراض.

ومنها قولهم (له) إنّ الجوهر مؤلّف من الأعراض المجتمعة والعلم مثل الجهل المركّب والإيمان مثل الكفر في تمام الماهيّة؛ وأخذوا هذه المقالة من الفلاسفة حيث حكموا بأنّ حقيقتها حصول الصورة في القوّة العاقلة، والامتياز بينهما بأمر خارج هو مطابقة تلك الصورة لمتعلّقها وعدم مطابقتها له ومنها قولهم (له خ) إنّ الله خلق المخلوقات دفعه واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً وغير ذلك فلم يكن خلق آدم متقدّماً على خلق أولاده إلّا أنّه تعالى كمّن بعض المخلوقات في بعض والتقدّم والتأخّر في الكمون والظهور؛ وهذه المقالة مأخوذة من كلام الفلاسفة القائلين بالخليط والكون والبروز، ومنها قولهم (له) نظم القرآن ليس بمعجز إنّما المعجز إخباره بالغيب من الأمور السالفة والآتية صرف الله العرب عن الاهتمام بمعارضته حتّى لو خلاهم لأمكنهم الإتيان بمثله بل بأفصح منه.

ومنها قولهم (له) المتواتر الذي لا يحصى عدده يحتمل الكذب؛ والإجماع

والقياس ليس شيء منها بحجّة؛ ومنها قولهم (له) بالطفرة وذلك أنّه لمّا وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزّأ لما ألزم مشي نملة على صخرة من طرف إلى طرف أنّها قطعت ما لا يتناهى وكيف يقطع ما يتناهى ما لا يتناهى قال يقطع بعضها بالمشي وبعضها بالطفرة؛ ومنها أنّهم مالوا إلى وجوب النصّ على الإمام وثبوت النصّ من النبيّ ﷺ على عليّ عليه السلام لكن كتمه عمر وهم محقّون في هذا، ومنها قولهم (له) إن من خان بالسرقة فيما دون نصاب الزكاة كمائة وتسعة وتسعين درهماً وأربعة من الإبل مثلاً لو ظلم به على غيره بالغصب والتعدّي لا يفسق[1].

ومنهم الأسوارية أصحاب الأسواري وافقوا النظاميّة فيما ذهبوا إليه وزادوا عليه أنّ الله تعالى لا يقدر على ما أخبر بعدمه أو علم عدمه والإنسان قادر عليه لأنّ قدرة العبد صالحة للضدين على سواء فإن قدر على أحدهما قدر على الآخر فتعلّق العلم أو الإخبار من الله بأحد الطرفين لا يمنع مقدريّة الآخر للعبد.

ومنهم الإسكافيّة أصحاب أبي جعفر الإسكاف قالوا الله لا يقدر على ظلم العقلاء بخلاف ظلم الصبيان والمجانين فإنّه يقدر عليه.

ومنهم الجعفريّة أصحاب جعفر بن جعفر بن مبشّر وافقوا الإسكافيّة وزادوا عليهم متابعة ابن المبشر أنّ فسّاق الأمّة من هو شرّ من الزنادقة والمجوس، والإجماع من

---

(١) ونظراً إلى أن إبراهيم بن سيار النظام رئيس الفرقة النظامية من معتزلية أهل السنة تفوه بالقول الصراح وأشاد ببعض الحقائق ورفض التعصب البغيض في بيان بعض الأعمال الصادرة عن بعض الصحابة أراد مخالفوه أن يتهموه بالرفض والوقيعة في الصحابة مع أنه صادع بالحق غير مكترث بالهمج الرعاع ولا يعبأ بهم وبأقوالهم. ومن آرائه ما ذكره الشهرستاني في كتابه الملل والنحل وهذا نصه: (الحادية عشر) ميله إلى الرفض ووقيعته في كبار الصحابة قال أولاً لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفاً وقد نص النبي ﷺ على علي كرم الله وجهه في مواضع وأظهره إظهاراً لم يشتبه على الجماعة إلا أن عمر كتم ذلك وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة ونسبه إلى الشك يوم الحديبية في سؤاله عن الرسول عليه السلام حين قال ألسنا على الحق أليسوا على الباطل قال نعم قال عمر فلم نعطي الدنية في ديننا قال هذا شك في الدين ووجدان خرج في النفس مما قضى وحكم وزاد في الفرية فقال إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح أحرقوا الدار بمن فيها وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين وقال تغريبه نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة وإبداعه التراويح ونهيه عن متعة الحج ومصادرته العمال كل ذلك إحداث (اهـ) انظر الملل والنحل ج ١ ص ٧٧ طبع مصر سنة (١٣٦٨هـ).

الأمّة على حد الشرب خطأ لأنّ المعتبر في الحدّ هو النصّ وسارق الحبّة فاسق منخلع عن الإيمان.

ومنهم البشريّة هو بشر بن المعتبر كان من أفضل علماء المعتزلة وهو الذي أحدث القول بالتوليد، قالوا الأعراض من الألوان والطعوم والروائح وغيرها كالإدراكات من السمع والرؤية تقع متولّدة في الجسم من فعل الغير كما إذا كان أسبابها من فعله، وقالوا القدرة والاستطاعة سلامة البنية والجوارح عن الآفات، وقالوا الله قادر على تعذيب الطفل ولو عذّبه لكان ظالماً؛ لكنّه لا يستحسن أن يقال في حقّه ذلك؛ بل يجب أن يقال ولو عذّبه لكان الطفل بالغاً عاقلاً عاصياً مستحقّاً للعقاب؛ وفيه تناقض كما قيل إذ حاصله أنّ الله يقدر أن يظلم ولو ظلم لكان عادلاً.

ومنهم المزدارية هو أبو موسى عيسى بن صبيح المزدار هذا لقبه؛ وهو من باب الافتعال من الزيارة وهو تلميذ بشر أخذ العلم عنه وتزهّد حتّى سمّي راهب المعتزلة قال: الله قادر على أن يظلم ويكذب ولو فعل كان إلٰهاً ظالماً كاذباً تعالى الله عمّا قاله الظالمون علوّاً كبيراً، وقال إنّ الناس قادرون على مثل القرآن وأحسن منه نظماً وبلاغة، وقال إنّ من لابس السلطان كافر لا يوارث أي لا يرث ولا يورث منه وكذا من قال بخلق الأعمال وبالرؤية كافر.

ومنهم الهشامية أصحاب هشام بن عمرو الغوطي الذي كان مبالغاً في القدر أكثر من مبالغة سائر المعتزلة، قالوا لا يطلق اسم الوكيل على الله تعالى مع وروده في القرآن لاستدعائه موكّلاً، ولم يعلموا أنّ الوكيل في أسمائه بمعنى الحفيظ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧]؛ ولا يقال ألّف الله بين القلوب مع أنّه مخالف لقوله: ﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وقالوا إنّ الأعراض لا تدلّ على كونه تعالى خالقاً لها ولا تصلح دلالة على صدق مدّعي الرسالة إنّما الدالّ هو الأجسام، ويلزمهم على ذلك أنّ فلق البحر وقلب العصا حيّة وإحياء الموتى لا يكون دليلاً على صدق من ظهر على يده، وقالوا لا دلالة في القرآن على حرام وحلال، والإمامة لا تنعقد مع الاختلافات بل لا بدّ من اتّفاق الكلّ؛ قال شارح المواقف قيل ومقصودهم الطعن في إمامة أبي بكر إذ كانت بيعته بلا اتّفاق من جميع الصحابة لأنّه بقي في كلّ طرف طائفة على خلافه وقالوا أيضاً إنّ الجنّة والنار لم يخلقا بعد إذ لا فائدة في وجودهما الآن، وقالوا لم يحاصر عثمان ولم يقتل مع كونه متواتراً، وقالوا إنّ من أفسد صلاة في آخرها وقد افتتحها أولاً بشروطها فأوّل صلاته معصية ومنهيّ عنه مع كونه مخالفاً للإجماع.

ومنهم الصالحيّة أصحاب الصالحيّ ومن مذهبهم أنّهم جوّزوا قيام العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر بالميّت، ويلزمهم جواز أن يكون الناس مع اتّصافهم بهذه الصفات أمواتاً؛ وأن لا يكون الباري تعالى حيّاً وجوّزوا خلوّ الجوهر من الأعراض كلّها.

ومنهم الحابطيّة وهو أحمد بن حابط نسب أتباعه إلى أبيه وهو من أصحاب النظام قالوا للعالم إلهان قديم هو الله تعالى، ومحدث هو المسيح والمسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة؛ وهو المراد بقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام، وهو المعني بقوله إنّ الله خلق آدم على صورته؛ وبقوله يضع الجبّار قدمه في النار، وإنّما سمّي المسيح لأنّه زرع الأجسام وأحدثها؛ قال الآمدي وهؤلاء كفّار مشركون.

ومنهم الحربيّة وهم أصحاب فضل الحربيّ ومذهبهم مذهب الحابطيّة إلّا أنهم زادوا التناسخ، وأنّ كلّ حيوان مكلّف، وذلك أنّهم قالوا إنّ الله سبحانه أبدع الحيوانات عقلاء بالغين في دار سوى هذه الدار وخلق فيهم معرفته والعلم به؛ وأسبغ عليهم نعمه؛ ثمَّ ابتلاهم وكلّفهم بشكر نعمه فأطاعه بعض فأقرهم في دار النعيم التي ابتدأهم فيها؛ وعصاه بعض في الجميع فأخرجهم من تلك الدار إلى دار العذاب وهي النار وأطاعه بعض في البعض دون البعض فأخرجهم إلى دار الدنيا وكساهم هذه الأجساد الكثيفة على صور مختلفة كصورة الإنسان وسائر الحيوانات؛ وابتلاهم بالبأساء والضرّاء والآلام واللذّات على مقادير ذنوبهم؛ فمن كانت معاصيه أقلّ وطاعته أكثر كانت صورته أحسن وآلامه أقلّ ومن كان بالعكس فبالعكس ولا يزال يكون الحيوان في الدنيا في صورة بعد صورة ما دامت معه ذنوبه وهذا عين القول بالتناسخ.

ومنهم المعمريّة هم أصحاب معمر بن عباد السلمي، قالوا إنّ الله لم يخلق شيئاً غير الأجسام أمّا الأعراض فتخترعها الأجسام، إمّا طبعاً كالنار للإحراق والشمس للحرارة، وإمّا اختياراً كالحيوان للألوان؛ قيل ومن العجب أنّ حدوث الأجسام وفنائها عند معمر من الأعراض فكيف يقول أنّها من فعل الأجسام، وقالوا لا يوصف الله بالقدم لأنّه يدلّ على التقادم الزمانيّ والله سبحانه ليس بزماني، وقالوا أيضاً أنّ الله لا يعلم نفسه وإلاّ اتّحد العالم والمعلوم وهو ممتنع؛ وقالوا أنّ الإنسان لا فعل له غير الإرادة مباشرة كانت أو توليداً بناءً على ما ذهبوا إليه من مذهب الفلاسفة في حقيقة الإنسان.

ومنهم الثماميّة هو ثمامة بن أشرس النميري كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس، قالوا الأفعال المتولّدة لا فاعل لها إذ لا يمكن إسنادها إلى فاعل السبب لاستلزامه استناد الفعل إلى الميّت فيما إذا رمى سهماً إلى شخص ومات قبل وصوله إليه، ولا إلى الله تعالى لاستلزامه صدور القبيح عنه تعالى، وقالوا أنّ اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة يصيرون في الآخرة تراباً لا يدخلون جنّة ولا ناراً وكذا البهائم والأطفال وقالوا أنّ من لا يعلم خالقه من الكفّار معذور، والمعارف كلّها ضروريّة ولا فعل للإنسان غير الإرادة وما عداها حادث بلا محدث؛ وكان يقول أنّ العالم فعل الله بطبعه وأراد به ما يقوله الفلاسفة من الإيجاب.

ومنهم الخياطيّة أصحاب أبي الحسن بن أبي عمر الخيّاط؛ قالوا بإسناد الأفعال إلى العباد وتسمية المعدوم شيئاً أي ثابتاً متقرّراً في حال العدم؛ وسمّوا المعدوم أيضاً جوهراً وعرضاً، وقالوا أنّ إرادة الله كونه قادراً غير مكره ولا كاره، وإرادته في أفعال نفسه الخلق أي كونه خالقاً لها، وفي أفعال عباده الأمر بها، وكونه سميعاً بصيراً معناه أنّه عالم بمتعلّقهما.

ومنهم الجاحظيّة هو عمرو بن بحر الجاحظ كان من الفضلاء البلغاء في أيّام المعتصم والمتوكّل، وقد طالع كتب الفلاسفة وروّج كثيراً من مقالاتهم بعباراته البليغة اللطيفة قالوا المعارف كلّها ضروريّة، وقالوا أنّه يمتنع انعدام الجواهر وإنّما تتبدّل الجواهر والأعراض باقية على حالها كما قيل في الهيولى، وقالوا أنّ النار تجذب إليها أهلها لا أنّ الله يدخلهم فيها؛ وقالوا أنّ الخير والشرّ من فعل العبد والقرآن جسد ينقلب تارة رجلاً وأُخرى امرأة.

ومنهم الكعبيّة هو أبو القاسم بن محمّد الكعبي كان من معتزلة بغداد وتلميذ الخيّاط قالوا فعل الربّ واقع بغير إرادته فإذا قيل أنّه تعالى مريد لأفعاله أريد أنّه خالق لها وإذا قيل مريد لأفعال غيره أنّه آمر بها.

ومنهم الجبّائيّة هو أبو عليّ محمّد بن عبد الوهاب الجبّائي من معتزلة البصرة قالوا إرادة الربّ حادثة لا في محلّ والله تعالى مريد بتلك الإرادة موصوف بها والله متكلّم بكلام مركّب من حروف وأصوات يخلقه في جسم، والتكلّم بذلك الكلام من فعل الكلام وخلقه لا من قام به وحلّ فيه؛ ولا يرى الله في الآخرة، والعبد خالق لفعله؛ ومرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، وإذا مات بلا توبة يخلد في النار، ولا كرامات للأولياء، ويجب على الله رعاية ما هو الأصلح؛ والأنبياء معصومون،

وشارك أبو علي في هذا كلّه أبا هاشم ثمَّ انفرد عنه بأنّ الله تعالى عالم بذاته بلا إيجاب صفة هي علم ولا حالة توجب العالميّة، وكونه تعالى سميعاً بصيراً معناه أنّه حيّ لا آفة به ويجوز الإيلام للعوض.

ومنهم البهشميّة انفرد أبو هاشم عن أبيه بإمكان استحقاق الذمّ والعقاب بلا معصية مع كونه مخالفاً للإجماع والحكمة؛ وبأنّه لا توبة عن كبيرة مع الإصرار على غيرها عالماً بقبحه؛ ويلزمه أن لا يصلح إسلام الكافر مع أدنى ذنب أصرّ عليه؛ ولا توبة مع عدم القدرة فلا يصحّ توبة الكاذب عن كذبه بعدما صار أخرس؛ ولا توبة الزاني عن زناه بعدما جبّ، ولا يتعلّق علم واحد بمعلومين على التفصيل؛ ولله أحوال لا معلومة ولا مجهولة ولا قديمة ولا حادثة، قال الآمدي هذا تناقض إذ لا معنى لكون الشيء حادثاً إلّا أنّه ليس قديماً ولا لكونه مجهولاً إلّا أنّه ليس معلوماً.

الفرقة الثانية من الفرق الإسلاميّة الشيعة، وهم الذين شايعوا عليّاً عليه السلام وقالوا أنّه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالنصّ، إمّا جليّاً وإمّا خفيّاً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده؛ فإن خرجت فإمّا بظلم يكون من غيرهم، وإمّا ببيعة منه أو من أولاده، وهم اثنان وعشرون فرقة أصولهم ثلاث فرق: غلاة، وزيدية، وإماميّة. أمّا الغلاة فثمانية عشر:

السبئيّة قال عبد الله بن سبأ لعليّ عليه السلام أنت الإله حقّاً فنفاه عليّ عليه السلام إلى المدائن، وقيل أنّه كان يهوديّاً فأسلم، وكان في اليهوديّة يقول في يوشع بن نون وفي موسى مثل ما قال في عليّ، وقيل أنّه أوّل من أظهر القول بوجوب إمامة عليّ، ومنه تشعبت أصناف الغلاة؛ وقال ابن سبأ أنّ عليّاً عليه السلام لم يمت ولم يقتل؛ وإنّما قتل ابن ملجم شيطاناً تصوّر بصورة عليّ وعليّ عليه السلام في السحاب؛ والرعد صوته، والبرق ضوؤه؛ وأنّه ينزل بعد هذا إلى الأرض ويملأها عدلاً؛ وهؤلاء يقولون عند سماع الرعد عليك السلام يا أمير المؤمنين(١).

---

(١) هذه الأقوال التي نقلها المصنف رحمه الله كلها أحاديث خرافة وأساطير مختلقة لا أصل لها أصلاً وأساساً قال أستاذنا الأكبر الإمام كاشف الغطاء قدس سره في كتابه القيم النفيس (أصل الشيعة وأصولها): إنه ليس من البعيد رأي القائل: إن عبد الله بن سبأ ومجنون بني عامر وأبي هلال وأمثال هؤلاء الرجال أو الأبطال كلها أحاديث خرافة وضعها القصاصون وأرباب السمر والمجون فإن الترف والنعيم قد بلغ أقصاه في أواسط الدولتين الأموية والعباسية وكلما اتسع العيش وتوفرت دواعي اللهو اتسع المجال للوضع، وراج سوق الخيال وجعل القصص =

الكامليّة قال أبو كامل بكفر الصحابة بترك بيعة عليّ وبكفر عليّ بترك طلب الحقّ، وقال بالتناسخ في الأرواح عند الموت؛ وأنّ الإمامة نور يتناسخ أي ينتقل من شخص إلى آخر؛ وقد يصير في شخص نبوّة بعدما كان في شخص آخر إمامة.

البيانيّة قال بيان بن سمعان التميمي النهدي اليمني: الله على صورة إنسان ويهلك كلّه إلّا وجهه، وروح الله حلّت في عليّ ثمَّ في ابنه محمّد بن الحنفيّة، ثمَّ في ابنه هاشم ثمَّ في بيان ابنه.

المغيريّة قال مغيرة بن سعيد العجلي: الله على صورة رجل من نور على رأسه تاج وقلبه منبع الحكمة ولمّا أراد أن يخلق الخلق تكلّم بالاسم الأعظم فطار فوقع تاجاً على رأسه وذلك قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞﴾ [الأعلى: ١-٢]؛ ثمَّ إنّه كتب على كفه عمل العباد فغضب من المعاصي فعرق فحصل من عرقه بحران أحدهما ملح مظلم، والآخر حلو نيّر ثمَّ اطّلع في البحر النيّر وأبصر فيه ظلّه فانتزعه فخلق منه الشمس والقمر وأفنى الباقي من الظلّ نفياً للشريك، وقال لا ينبغي أن يكون معي إلٰهاً (شريكاً خ) آخر ثمَّ خلق الخلق من البحرين فالكفّار من

= والأمثال كي تأنس بها ربات الحجال وأبناء الترف والنعمة المنغمرين في بلهنية العيش اهـ).
وقال أحمد أمين المصري في فجر الإسلام في هامش ص ٢٣٠ (يذهب بعض الباحثين إلى أن عبد الله بن سبأ رجل خرافي ليس له وجود تاريخي محقق ولكنا لم نر لهم من الأدلة ما يثبت مدعاهم (اهـ).
والقارىء الكريم جد خبير أنه هل يحتاج الشاك في أمر والمنكر له إلى دليل؟ ومن يدعي وجود هذا الرجل وأن له وجوداً تاريخياً محققاً فعليه بيان الدليل على ما يدعيه.
ولو تنازلنا من هذه المراحل وأنك شئت الحجة القاطعة والأدلة الساطعة على أن قصة عبد الله بن سبأ وتجوله في البلاد وإيثاره الفتن في الحواضر الإسلامية أسطورة كاذبة وقصة مختلقة فعليك بالرجوع إلى كتاب (عبد الله بن سبأ) للعلامة المحقق البحاثة مرتضى العسكري (المدخل) المطبوع في النجف الأشرف سنة (١٣٧٥هـ) فإن فيه البحوث القيمة في كشف الحقائق الراهنة وتجد في ذلك الأثر الخالد بحثاً تحليلياً وتمحيصاً تاريخياً يوقف القارىء العزيز على أن قصة عبد الله بن سبأ من الأقاصيص التي وضعها سيف بن عمر التميمي البرجمي الكوفي المتوفى (١٧٠هـ) ذلك الرجل المشهور بوضع القصص والأحاديث والمتهم بالزندقة ونقل الموضوعات والسبب الحقيقي لاشتهار أقاصيصه وموضوعاته هو المؤرخ الطبري صاحب التاريخ الكبير المشهور ومنه تسربت تلك القصص المختلقة والموضوعات إلى الكتب والمؤلفات فراجع.

المظلم والمؤمنين من النيّر ثمّ أرسل محمّداً والناس في ضلال وعرض الأمانة وهي منع عليّ عن الإمامة على السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان وهو أبو بكر حملها بأمر عمر حين ضمن أن يعينه على ذلك بشرط أن يجعل أبو بكر الخلافة بعده له، وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الحشر: ١٦] الآية؛ نزلت في حقّ أبي بكر وعمر وهؤلاء يقولون الإمام المنتظر هو زكريا بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهما السلام وهو حيّ مقيم في جبل حاجز إلى أن يؤمر بالخروج.

الجناحيّة قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين الأرواح تتناسخ وكان روح الله في آدم ثمّ شيث ثمّ الأنبياء والأئمّة حتّى انتهت إلى عليّ وأولاده الثلاثة ثمّ إلى عبد الله هذا، وقالت الجناحيّة هو أي عبد الله حيّ مقيم في جبل بأصفهان وسيخرج وأنكروا القيامة واستحلّوا المحرّمات، كذا نقل عنهم الشهرستاني والله العالم.

المنصوريّة هو أبو منصور العجلي عزا نفسه إلى الباقر عليه السلام فتبرّأ منه وطرده وادّعى الإمامة لنفسه قالوا الإمامة لمحمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام ثمّ انتقلت عنه إلى أبي منصور، وزعموا أنّ أبا منصور عرج إلى السماء ومسح الله رأسه بيده، وقال يا بنيّ اذهب فبلّغ عنّي، ثمّ أنزله إلى الأرض وهو الكسف المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤]؛ وكان قبل ادّعائه الإمامة لنفسه يقول الكسف عليّ بن أبي طالب؛ وقالوا الرسل لا تنقطع أبداً، والجنّة رجل أُمرنا بموالاته وهو الإمام، والنار بالضدّ أي رجل أُمرنا ببغضه وهو ضدّ الإمام كأبي بكر وعمر؛ وكذا الفرائض والمحرّمات فإنّ الفرائض أسماء رجال أُمرنا بموالاتهم؛ والمحرّمات أسماء رجال أُمرنا بمعاداتهم ومقصودهم بذلك أنّ من ظفر برجل منهم فقد ارتفع عنه التكليف والخطاب لوصوله إلى الجنّة.

الخطابيّة هو أبو خطاب الأسدي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فلمّا علم منه غلوّه في حقّه تبرّأ منه فلمّا اعتزل عنه ادّعى الأمر لنفسه؛ قالوا الأئمّة أنبياء وأبو الخطّاب نبيّ؛ وزعموا أنّ الأنبياء فرضوا على الناس طاعة أبي الخطّاب بل زادوا على ذلك وقالوا الأئمّة آلهة والحسنان أبناء الله؛ وجعفر الصادق إله لكن أبو الخطّاب أفضل منه ومن عليّ؛ وهؤلاء يستحلّون شهادة الزور

لموافقيهم على مخالفيهم، وزعموا أنّ الإمام بعد قتل أبي الخطّاب هو معمر فعبدوا معمراً بعدما كانوا يعبدون أبا الخطّاب؛ وقالوا الجنّة نعيم الدنيا والنار آلامها، والدنيا لا تفنى واستباحوا المحرّمات وتركوا الفرائض وقال جماعة منهم أنّ كلّ مؤمن يوحى إليه استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]؛ أي بوحي من الله إليهم؛ وفيهم من هو خير من جبرائيل وميكائيل وهم لا يموتون أبداً بل إذا بلغوا النهاية يرفعون إلى الملكوت، وقال بعضهم الإمام بعد أبي الخطّاب عمر بن بيان العجلي إلّا أنّهم يموتون.

الغرابيّة قالوا محمّد بعليّ أشبه من الغراب بالغراب والذباب بالذباب فبعث الله جبرائيل إلى عليّ عليه السلام فغلط جبرائيل في تبليغ الرسالة من عليّ إلى محمّد، قال شاعرهم:

غلط الأمين عن حيدرة

فيلعنون صاحب الريش يعني جبرائيل.

الذميّة لقّبوا به لأنّهم ذمّوا محمّداً لأنّ عليّاً هو الإلٰه وقد بعثه ليدعو الناس إليه فدعاهم إلى نفسه وقال طائفة منهم بإلٰهيّة محمّد وعليّ، ولهم في التقديم خلاف؛ فبعضهم يقدّم محمّداً؛ وقال طائفة منهم بإلٰهيّة أهل العباء الخمسة: محمّد وعليّ وفاطمة والحسنان، وهؤلاء زعموا أنّ هذه الخمسة شيء واحد وأنّ الروح حالّة فيهم بالسويّة لا مزيّة لواحد منهم على الآخر ولا يقولون فاطمة تحاشياً عن وصمة التأنيث.

الهشاميّة أصحاب الهشامين ابن الحكم وابن سالم الجواليقي؛ اتّفقوا على أنّ الله جسد ثمّ اختلفوا فقال ابن الحكم هو طويل عريض متساوٍ طوله وعرضه وعمقه، وهو السبيكة البيضاء الصافية يتلألأ من كلّ جانب، وله لون وطعم ورائحة ونبض؛ وقالوا أنّ الله يقوم ويقعد؛ ويتحرّك ويسكن؛ وله مشابهة بالأجسام لولاها لم يدلّ عليه ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه إليه؛ وهو سبعة أشبار بأشبار نفسه مماسّ للعرش بلا تفاوت بينهما، وقالوا إنّه يعلم الأشياء بعلم لا قديم ولا حادث لأنّه صفة والصفة لا توصف وكلامه صفة له لا مخلوق ولا غيره، والأعراض لا تدلّ على الباري إنّما الدالّ عليه هو الأجسام لما عرفت من مشابهته إيّاها، والأئمّة معصومون دون الأنبياء لأنّ النبيّ يوحى إليه فيقرّب إلى الله بخلاف الإمام فإنّه لا يوحى إليه

فوجب أن يكون معصوماً وقال ابن سالم هو على صورة إنسان له يد ورجل وحواسّ خمس وأنف وأذن وعين وفم وله مرّة[١] سوداء؛ ونصفه الأعلى مجوَّف والأسفل مصمت إلّا أنه ليس لحماً ودماً.

أقول: هذا ما نقله عنهما الشهرستاني وأمّا الذي تواتر من أحوالهم عن أهل البيت عليهم السلام فهو علوّ الشأن وارتفاع المحلّ والتوحيد الحقيقي؛ نعم ربّما روي في أخبارنا مثل هذا المنقول، وقد تأوّله أصحابنا تارة بالحمل على التقيّة، وأُخرى على حالهما قبل الاستبصار فإنّهما كانا قبل من جمهور المخالفين ثمَّ استبصرا.

الزراريّة هو زرارة بن أعين قالوا بحدوث الصفات لله تعالى وقبل حدوثها له لا حياة فلا يكون حينئذ حيّاً ولا عالماً ولا قادراً ولا سميعاً ولا بصيراً؛ أقول هذا النقل عن زرارة كالنقل عن الهشامين في كونه كذباً محضاً، فإنّ زرارة رجل من أعاظم الشيعة ونحن نعرف أقواله واعتقاداته أكثر من الشهرستاني وغيره[٢].

اليونسيّة وهو يونس بن عبد الرحمٰن القميّ؛ قال أنّ الله تعالى على العرش تحمله الملائكة وهو أقوى من الملائكة مع كونه محمولاً لهم كالكرسي يحمله رجلان وهو أقوى منهما، وهذا النقل أيضاً كذب محض على يونس.

الشيطانيّة محمّد بن النعمان الملقّب بشيطان الطاق قال أنّه تعالى نور غير جسماني ومع ذلك هو على صورة إنسان، وإنّما يعلم الأشياء بعد كونها؛ وهذا النقل أيضاً افتراء ومحمّد بن النعمان هذا هو الملقّب عند الشيعة بمؤمن الطاق، وقد مدحه الأئمّة عليهم السلام وأثنوا عليه؛ وكأنّ الشهرستاني أراد تكميل الفرق فأخذ في هذه الأباطيل.

---

(١) كذا في بعض النسخ المطبوعة والمرة الحالة التي يستمر عليها الشيء وقوة الخلق وشدته وأصالة العقل وخلط من أخلاط البدن وهو الصفراء والسوداء وفي النسخة المخطوطة: (وفرة) الوفرة الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين وتطابقها عبارة الشهرستاني في كتابه الملل والنحل انظر ص ٣٠٩ ج ١ ط مصر وما ذكره المصنف رحمه الله هنا هو مختصر ما ذكره الشهرستاني من الآراء السخيفة التي نسبها إلى الهشامين وكلها خرافات وافتراءات من الأعداء والخصماء في حقهما لا يعبأ بها أصلاً.

(٢) وإنما جعلوا هذه الفرق باسم جمع من أكابر الشيعة كهشام بن الحكم وهشام بن سالم وزرارة ونظرائهم وألصقوها بالشيعة تكثيراً لفرقهم وتفريقاً لكلمتهم وتثبيتاً بأن أغلب الفرق المتشتتة منهم وكلها كذب واختلاق لا واقع لها والعجب من حسن ظن بعض الشيعة بما سطروه ولفقوه في تلك الكتب المؤلفة في بيان عقائد الفرق وآرائهم ونقلها في كتبهم ومصنفاتهم من دون رد وانتقاد ومن غير لفت نظر إلى أغراضهم الفاسدة.

الرزاميّة أتباع الرزام؛ قالوا الإمامة بعد عليّ لمحمّد بن الحنفيّة ثمَّ ابنه عبد الله ثمَّ أولاده إلى المنصور ثمَّ حلّ الإله في أبي مسلم وأنّه لم يقتل، وأستحلّوا المحارم وتركوا الفرائض، ومنهم من ادّعى الإلٰهيّة في المقنع(١).

المفوضة قالوا أنّ الله تعالى فوّض خلق الخلائق إليه(٢) وقيل فوّض خلق ذلك إلى عليّ عليه السلام ولقد وقع بين شيعيّ وسنيّ مجادلة في أيّه الأفضل أهو أبو بكر أم عليّ؟ فتراضيا على أن يتحاكما إلى أوّل طالع عليهما، فطلع عليهما رجل فتحاكما إليه فقال الشيعي أنا أقول عليّ أفضل، وقال السنيّ أنا أقول أبو بكر أفضل؛ فقال ذلك الرجل أنّ عليّاً لو لم يخلق أبا بكر وعمر لما قيل فيه مثل هذا فاتّفق أنّ ذلك الرجل كان من المفوّضة(٣) أو الغلاة.

البدائيّة جوّزوا البداء على الله تعالى وأن يريد الله شيئاً ثمَّ يبدو له أي يظهر له ما لم يكن ظاهراً له، ويلزمه أن لا يكون الربّ تعالى عالماً بعواقب الأمور هذا قول

---

(١) وقعت الكلمة في النسخ التي وقفنا عليها من الكتاب المطبوعة والمخطوطة تارة (المقفع) وأخرى (المسع) وثالثة (المنع) وكلها تصحيف والصحيح (المقنع) وهو المقنع الخراساني اسمه عطاء الساحر كان في مبدأ أمره قصاراً من أهل مرو وكان يعرف شيئاً من السحر والنيرنجات فادعى الربوبية من طريق التناسخ وكان مشوه الخلق أعور ألكن قصيراً وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذ وجهاً من ذهب فتقنع به فلذلك قيل له المقنع وقد غلب على العقول بتمويهاته وسحره ومن جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهر من موضعه ثم يغيب فعظم اعتقادهم فيه وقد ذكر المعري هذا القمر في قوله:

أفق إنما البدر المقنع رأسه ... ضلال وغيّ مثل بدر المقنع

وإليه أشار ابن سناء الملك في قوله:

إليك فما بدر المقنع طالعاً ... بأسحر من ألحاظ بدر المعمم

ولما اشتهر أمره ثار عليه الناس وقصدوه في قلعته التي كان اعتصم بها وحصروه فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سماً فمتن منه ثم تناول شربة من ذلك السم فمات ودخل المسلمون قلعته فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة (ابن خلكان أول ص ٤٠٢).

ويقال أن الرزامية يقولون بإمامة أبي مسلم الخراساني بعد المنصور ومنهم من يدعي الإلٰهية منهم المقنع الذي أظهر لهم القمر انظر تاج العروس ثامن ص ٣١٢.

(٢) كذا في النسخ.

(٣) للتفويض معانٍ كثيرة انظر مقباس الهداية في علم الدراية لآية الله المامقاني رحمه الله ص ٨٧ ط ٢ النجف.

الشهرستاني[١] والأصحّ هو القول بالبداء كما قال أصحابنا رضوان الله عليهم وفي أخبارنا عن الأئمّة عليهم السلام أنّه ما عُبد الله بشيء مثل البداء وأنّ الله تعالى لم يرسل نبيّاً حتّى أقرّ لله بالبداء؛ ولكن ليس معنى البداء ما ذكروه؛ بل معناه ظهور شيء للخلائق لم يكن ظاهراً لهم قبل ذلك وإلاّ فهو ظاهر عنده سبحانه، والنسخ فرد من أفراد البداء وقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] محقّق ودالّ عليه.

النصيريّة والإسحاقيّة قالوا حلّ الله في عليّ، فإنّ ظهور الروحاني في الجسد الجسماني ممّا لا ينكر؛ أمّا في جانب الخير فكظهور جبرائيل عليه السلام بصورة البشر وأمّا في جانب الشرّ فكظهور الشيطان في صورة الإنسان. قالوا ولمّا كان عليّ وأولاده أفضل من غيرهم؛ وكانوا مؤيّدين بتأييدات متعلقة بباطن الأسرار قلنا ظهر الحقّ تعالى بصورتهم ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم؛ ومن ههنا أطلقنا الآلهة على الأئمّة ألا ترى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قاتل المشركين وعليّاً قاتل المنافقين. فإنّ النبي يحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر.

الإسماعيلية لقّبوا بسبعة ألقاب؛ بالباطنيّة لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره؛ فإنّهم قالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم من اللغة؛ والمتمسّك بظاهره معذّب بالمشقّة في الاكتساب وباطنه مؤدّ إلى ترك العمل بظاهره وتمسّكوا في ذلك بقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، وهذا القول ظهوره (أخذوه خ) من المنصوريّة، ولقّبوا أيضاً بالقرامطة لأنّ الذي دعا الناس إلى مذهبهم رجل يقال له حمدان قرمط؛ وهي إحدى قرى واسط، ولقّبوا أيضاً بالحرميّة لإباحتهم المحرّمات والمحارم، ولقّبوا أيضاً بالسبعيّة لأنّهم زعموا أنّ الذين نطقوا بالشرائع سبعة: آدم، ونوح؛ وإبراهيم، وموسى؛ وعيسى، ومحمّد، والمهديّ سابع النطقاء وبين كلّ اثنين من النطقاء سبعة أئمّة يتمّمون شريعة؛ ولا بدّ في كلّ عصر من سبعة بهم يقتدون وبهم يؤمنون وبهم يهتدون؛ وهم متفاوتون في الرتب إمام يؤدّي عن الله وهو غاية الأدلّة إلى دين الله، وحجّة يؤدّي عن الإمام ويحمل علمه، وذو مصّة يمصّ العلم من الحجّة أي يأخذه منه؛ فهذه ثلاثة؛ وأبواب وهم الدعاة فداع أكبر هو رابعهم يرفع درجات المؤمنين،

---

(١) الإمامية كلهم قالوا بالبداء بالمعنى الذي ذكره المصنف رحمه الله ولم تكن في الشيعة فرقة مستقلة موسومة بالبدائية وهذا شاهد على أن نظرهم إلى تكثير الفرق وإلصاقها بالشيعة.

وداع مأذون يأخذ العهود على الطالبين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمّة الإمام ويفتح لهم باب العلم والمعرفة وهو خامسهم؛ ومكلّب قد ارتفعت درجته في الدين ولكن لم يؤذن له في الدعوة بل في الاحتجاج على الناس، فهو يحتج ويرغب إلى الداعي ككلب الصائد حتّى إذا احتجّ من أحد على أهل الظاهر وكسر عليه مذهبه بحيث رغب عنه وطلب الحقّ أدّاه المكلّب إلى الداعي المأذون ليأخذ عليه العهود، قال الآمدي وإنّما سمّوا مثل هذا مكلّباً لأنّ مثله مثل الجارح يحبس الصيد على كلب الصائد على ما قاله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]؛ وهو سادسهم؛ ومؤمن يتبع الداعي، وهو الذي أخذ عليه العهد وآمن وأيقن بالعهد ودخل في ذمّة الإمام وحزبه وهو سابعهم قالوا ذلك الذي ذكرناه كالسمٰوات والأرضين والبحار وأيام الأسبوع والكواكب السيّارة فإنّ كلاً منها سبعة.

ومن ألقابهم البابكيّة، وذلك أنّ طائفة منهم تبعت بابك الخرمي في الخروج بآذربيجان، ولقّبوا بالمحمّرة للبسهم الحمرة في أيّام بابك؛ ويلقّبون بالإسماعيليّة لإثباتهم الإمامة لإسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو أكبر أولاده، وقيل لانتساب زعيمهم إلى محمّد بن إسماعيل، وأصل دعواهم إلى إبطال الشرائع أنّ العبادية وهم طائفة من المجوس راموا عند قوّة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم؛ وذلك أنّهم اجتمعوا فتذاكروا ماكان عليه أسلافهم من الملك وقالوا لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم على الممالك لكنّا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فإنّ ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم؛ ورأسهم في ذلك حمدان قرمط فأخذوا في تأويل الشرائع كقولهم الوضوء عبارة عن موالاة الإمام؛ والتيمّم هو الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجّة، والصلاة هي عبارة عن الناطق الذي هو الرسول، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والإحتلام عبارة عن إفشاء سرّ من أسرارهم إلى من ليس من أهله بغير قصد منه، والغسل تجديد العهد والزكاة تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين والكعبة النبيّ، والباب عليّ والصفا هو النبيّ، والمروة هو عليّ والميقات والتلبية إجابة المدعوّ والطواف بالبيت سبعاً موالاة الأئمّة السبعة، والجنّة راحة الأبدان عن التكاليف والنار مشقّتها بمزاولة التكاليف إلى غير ذلك من مزخرفاتهم.

ومن مذهبهم أنّ الله لا موجود ولا معدوم؛ ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا

عاجز وكذلك في جميع الصفات وذلك لأنّ الإثبات الحقيقي يقتضي المشاركة بينه وبين الموجودات وهو تشبيه؛ والنفي المطلق يقتضي المشاركة للمعدومات وهو تعطيل؛ بل هو واهب هذه الصفات وربّ المتضادّات، وقد خلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة؛ فقالوا أنّه تعالى أبدع بالأمر العقل التامّ، وبتوسّطه أبدع النفس التي ليست تامّة فاشتاقت النفس إلى العقل التامّ مستفيضة منه، فاحتاجت إلى الحركة من النقصان إلى الكمال، ولن تتمّ الحركة إلّا بآلتها فحدثت الأجرام الفلكيّة وتحرّكت دوريّة بتدبير النفس فحدثت بتوسّط الطبائع البسيطة العنصريّة؛ وبتوسّط البسائط حدثت المركّبات من المعادن والنبات وأنواع الحيوانات، وأفضلها الإنسان لاستعداده لفيض الأنوار القدسيّة عليه واتّصاله بالعالم، وحيث كان العالم العلوي مشتملاً على عقل كامل كلّي؛ ونفس ناقصة كلّية، تكون مصدراً للكائنات وجب في العالم السفلي عقل كامل يكون وسيلة إلى النجاة وهو الرسول الناطق، ونفس ناقصة تكون نسبتها إلى الناطق في تعريف طرق النجاة نسبة النفس الأولى إلى العقل الأوّل فيما يرجع إلى إيجاد الكائنات وهي الإمام الذي هو وحي ناطق. وكما أن تحرّك الأفلاك بتحريك العقل والنفس كذلك تحرّك النفوس إلى النجاة بتحريك الناطق والوحي، وعلى هذا في كلّ عصر وزمان؛ قال الآمدي هذا ما كان عليه قدماؤهم وحين ظهر الحسن بن محمّد الصباح جدّد الدعوة على أنّه الحجّة الذي يؤدّي عن الإمام الذي لا يجوز خلوّ الزمان عنه؛ وقد منع العوام عن الخواص في العلوم والخواصّ عن النظر في الكتب المتقدّمة كيلا يطّلع على فضائحهم، فلم يزالوا يستهزئون بالأمور الشرعيّة؛ وقد تحصنوا بالحصون وكثرت شوكتهم وخافت الملوك منهم، فأظهروا إسقاط التكاليف وإباحة المحرّمات وصاروا كالحيوانات العجماوات.

الزيديّة وهم المنسوبون إلى زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام؛ وهم ثلاث فرق: الجاروديّة أصحاب أبي الجارود وهو الذي سمّاه الباقر سرحوباً، وفسّره بأنّه شيطان يسكن البحر؛ قالوا بالنصّ من النبيّ في الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام وصفاً لا تسمية؛ والصحابة كفروا بمخالفته وتركهم الإقتداء بعلي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمامة بعد الحسن والحسين شورى في أولادهما فمن خرج منهم بالسيف وهو عالم شجاع؛ فهو إمام، واختلفوا في الإمام المنتظر، فقال بعضهم هو محمّد بن عبد الله بن الحسين بن عليّ الذي قتل بالمدينة في أيّام المنصور؛ وزعموا أنّه لم يقتل، وذهب آخرون إلى أنّه محمّد بن القاسم بن عليّ بن الحسين صاحب طالقان الذي أُسر في

أيّام المعتصم وحمل عليه وحبسوه (حبسه خ) في داره حتّى مات، وقد أنكروا موته، وذهب طائفة إلى أنّه يحيى بن عمير صاحب الكوفة من أجناد زيد بن عليّ دعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في أيّام المستعين بالله، وقد أنكروا قتله.

السليمانيّة وهو سليمان بن جرير قالوا الإمامة شورى فيما بين الخلق؛ وإنّما تنعقد برجلين من خيار المسلمين؛ ويصح إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وأبو بكر وعمر إمامان وإن أخطأت الأمّة في البيعة لهما مع وجود عليّ لكنّه خطأ لم ينته إلى درجة الفسق، وكفّروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة.

البتريّة هو بتر القرمي وافقوا السليمانيّة إلّا أنّهم توقّفوا في عثمان، وأكثرهم مقلّدون يرجعون في الأصول إلى الاعتزال وفي الفروع إلى أبي حنيفة إلّا في مسائل قليلة.

الإماميّة قالوا بالنصّ الجليّ على إمامة عليّ وكفّروا الصحابة ووقعوا فيهم[1]

---

(١) الإمامية لم يكفروا الصحابة قاطبة ومن نسب إليهم أنهم يقولون بذلك فهو كاذب وما ادعاه حديث خرافة بل الإمامية قالوا أن من الصحابة من هو عادل مضى على منهاج نبيه وآمن بلسانه وقلبه وثبت على الإيمان حتى فاز بلقاء الله تعالى ومنهم من هو فاسق ومنافق بنص القرآن الكريم والسنة النبوية وانغمس في ظلمات المعاصي وارتد القهقرى أو حارب من حربه حرب الله ورسوله ﷺ وهم جمع كثير بل أكثر.

والأدلة على ما ذكرناه متظافرة ولكن لا وسع في المقام لذكرها انظر إلى كتاب (دلائل الصدق) للعلامة الأكبر الشيخ محمد حسن المظفر النجفي قدس سره ذلك الكتاب القيم القسم الثاني من الجزء الثالث المطبوع بطهران سنة (١٣٧٣هـ) وإلى تنقيح المقال لآية الله العلامة االمامقاني قدس سره ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٦ ط النجف وغيرها من مؤلفات علمائنا رحمهم الله.

وأما قول المصنف رحمه الله أن الإمامية (كفروا الصحابة ووقعوا فيهم) الظاهر في جميعهم فهو إما عقيدة خاصة له وهذا بعيد أو ليس المراد كلهم أو أخذ بقول بعض من صنف في بيان عقائد الفرق وآرائهم ونقله من دون تثبت وتحقيق.

وقد نسب تكفير الصحابة إلى الإمامية الإمام فخر الدين الرازي في كتابه: (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) المطبوع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر سنة (١٣٥٦هـ) انظر ص ٥٦ وهو كذب محض وادعاء بغير دليل كسائر الافتراءات التي سطروها في كتبهم وألصقوها بالشيعة وليس منبع ذلك إلا العصبية الممقوتة والضغائن الخبيثة في صدور من صنف في عقائد الفرق الإسلامية كما أن كتبة العصر من أهل السنة يرجعون في معرفة الشيعة وعقائدهم إلى كتب الغربيين الذين لهم الأغراض الكثيرة والاشتباهات الغريبة في كتبهم مع أن في نقل عقائد كل فرقة ومذهب وإثبات آرائهم لا بد من الرجوع إلى الكتب المعتمدة عندهم =

وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق عليه السلام وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام، ومؤلّف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله، وقد تتبّعنا كتب الفرق الإسلاميّة ورأينا أنّ الحقّ مع الإماميّة بالبراهين العقليّة والنقلية، وسيأتي إن شاء الله تعالى في النور الآتي.

الفرقة الثالثة من كبار الفرق الإسلامية: الخوارج وهم سبع فرق: المحكّمة وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام عند التحكيم وكفّروه وهم اثنا عشر ألف رجل كانوا أهل صلاة وصيام وفيهم قال النبيّ صلى الله عليه وآله يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم، وصومه في جنب صومهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم؛ قالوا من نصب من قريش وغيرهم وعدل فيما بين الناس فهو إمام وإن غيّر السيرة وجار وجب أن يعزل أو يقتل، ولم يوجبوا نصب الإمام بل جوّزوا أن لا يكون في العالم إمام، وكفّروا عثمان وأكثر الصحابة ومرتكب الكبيرة.

البيهسية هو أبي بيهس بن الهيصم بن جابر قالوا الإيمان هو الإقرار والعلم بالله وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله، فمن وقع فيما لا يعرف أحلال هو أم حرام فهو كافر لوجود النحص عليه حتّى يعلم الحقّ وقيل لا يكفر حتّى يرجع أمره إلى الإمام فيحدّه، وكلّ ما ليس فيه حد فهو مغفور، وقيل لا حرام إلّا في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية، وقالوا إذا كفر الإمام كفرت الرعيّة حاضراً أو غائباً، وهذه الأقوال لطوائف من الحكماء وقال بعضهم السكر من شراب حلال لا يؤاخذ صاحبه.

الأزارقة هو نافع بن الأزرق قالوا كفر عليّ بالتحكيم وهو الذي أُنزل في شأنه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] وابن ملجم محقّ في قتله وهو الذي أُنزل فيه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] وفيه قال شاعرهم عليه لعنة الله:

يا ضربة من تقيٍّ ما أراد بها ... إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
أني لأذكره يوماً فأحسبه ... أوفى البريّة عند الله ميزانا

= وإلى المصادر المعتبرة لديهم لا الرجوع إلى الأعداء وخصماء الإسلام وكتب الإمامية اليوم منتشرة في الأقطار والبلاد ولا بد لكل باحث منقب والذي يمشي وراء الحقائق وفي ضوء الدليل من الرجوع إليها والنقل منها وإلا لا قيمة لنقلياته أصلاً والله الهادي.

وكذب عليه ألف ألف لعنة من الله والملائكة والناس أجمعين، وقالوا أيضاً بكفر عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عبّاس وسائر المسلمين معهم وقضوا تخليدهم في النار؛ وكفّروا الذين قعدوا عن القتال وإن كانوا موافقين لهم في الدين، وقالوا تحرم (بتحريم خ) التقيّة في القول والعمل، ويجوز قتل أولاد المخالفين ونسائهم ولا رجم على الزاني المحصن إذ هو غير مذكور في القرآن والمرأة إذا قذفت أحداً لا تحدّ لأنّ المذكور في القرآن هو صيغة «الذين»، وجوّزوا أن يكون النبيّ كافراً وإن كان بعد النبوّة وقالوا إنّ مرتكب الكبيرة كافر. النجدات هو نجدة بن عامر النخعي وهم فرق ثلاث:

منهم العاذريّة الذين عذروا الناس في الجهالات بالفروع، وذلك أن نجدة وجّه ابنه بجيش إلى أهل القطيف فقتلوهم وأسروا نساءهم ونكحوهنّ قبل القسمة وأكلوا من الغنيمة قبلها أيضاً فلمّا رجعوا إلى نجدة وأخبروه بما فعلوا قال لم يسعكم ما فعلتم فقالوا لم نعلم أنّه لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم فاختلف أصحابه بعد ذلك فمنهم من تابعه. وقال النجدات كلّهم لا حاجة للناس إلى الإمام بل الواجب عليهم رعاية النصفة فيما بينهم، ويجوز لهم نصبه إذا توقفت عليه الأمور وخالفوا الأزارقة في غير التكفير.

ومنهم الأصفريّة أصحاب زياد بن الأصفر يخالفون الأزارقة في تكفير من قعد عن القتال إذا كانوا موافقين لهم في الدين، وفي إسقاط الرجم فإنّهم لم يسقطوه؛ وجوّزوا التقيّة في القول دون العمل، وقالوا المعصية الموجبة للحدّ لا يسمّى صاحبها إلّا بها فيقال سارق مثلاً، ولا يقال كافر، وما لا حدّ فيه لعظمته كترك الصلاة والصوم يقال لصاحبه كافر.

ومنهم الاباضية هو عبد الله بن اباض؛ قالوا مخالفونا من أهل القبلة كفّار غير مشركين يجوز مناكحتهم، وغنيمة أموالهم من سلاحهم وكراعهم حلال عند الحرب دون غيره، ودارهم دار الإسلام إلّا معسكر سلطانهم، وقالوا تقبل شهادة مخالفيهم عليهم؛ ومرتكب الكبيرة موحّد غير مؤمن بناءً على أنّ الأعمال داخلة في الإيمان، وفعل العبد مخلوق لله تعالى، ومرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملّة؛ وتوقّفوا في النفاق أهو شرك أم لا وكفّروا عليّاً وأكثر الصحابة وافترقوا فرقاً أربعاً:

الأولى الخفضيّة هو أبو خفض بن أبي المقدام زادوا على الأباضية أنّ بين الإيمان والشرك معرفة الله تعالى فإنّها خصلة متوسّطة بينهما فمن عرف الله وكفر بما

سواه من رسول أو جنّة أو نار أو بارتكاب كبيرة فكافر لا مشرك؛ الثانية اليزيدية أصحاب يزيد بن أنيسة زادوا على الأباضية أن قالوا سيبعث نبي من العجم بكتاب يكتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة محمّد ﷺ إلى ملّة الصابئية المذكورة في القرآن وقالوا أنّ أصحاب الحدود مشركون وكلّ ذنب شرك كبيرة أو صغيرة. الثالثة الحارثية أصحاب أبي الحارث الاباضي خالفوا الأباضية في القدر أي كون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وفي كون الاستطاعة قبل الفعل.

الرابعة العجاردة زعموا أنّ العبد إذا أتى بما أُمر به ولم يقصد الله كان ذلك طاعة العجاردة هو عبد الرحمٰن بن عجردة وهو آخر السبع من فرق الخوارج؛ زادوا على النجدات بعد أن وافقوهم في المذهب وجوب البراءة عن الطفل يعني أنّه يجب أن يتبرّأعن الطفل حتّى يدعى إلى الإسلام بعد البلوغ ويجب دعاؤه إلى الإسلام إذا بلغ وهم عشر فرق:

الأولى الميمونيّة وهو ميمون بن عمران قالوا بإسناد الأفعال إلى قدر العباد وتكون الاستطاعة قبل الفعل وأنّ الله يريد الخير دون الشرّ ولا يريد المعاصي كما هو مذهب المعتزلة قالوا وأطفال الكفّار في الجنّة، ويروى عنهم تجويز نكاح البنات للبنين والبنين للبنات؛ وجوّزوا أيضاً نكاح بنات البنين وبنات أولاد الأخوة والأخوات ونقل عنهم إنكار سورة يوسف فإنّهم زعموا أنّها قصّة من القصص، ولا يجوز أن تكون قصّة العشق قرآناً.

الثانية من فرق العجاردة الحمزيّة هو حمزة بن أدرك وافقوا الميمونيّة إلّا أنّهم قالوا أطفال الكفّار في النار؛ الثالثة منهم الشعيبيّة هو شعيب بن محمّد وهم كالميمونية في بدعتهم إلّا في القدر، الرابعة الحازمية هو حازم بن عاصم وافقوا الشعيبية؛ ويحكى عنهم أنّهم يتوقّفون في أمر عليّ ولا يصرّحون بالبراءة منه كما يصرّحون بالبراءة منه غيره، الخامسة الخلفية أصحاب خلف الخارجي وهم خوارج كرمان أضافوا القدر خيره وشرّه إلى الله؛ وحكموا أنّ أطفال المشركين في النار بلا عمل وشرك، السادسة الأطرافية وهم على مذهب حمزة ورئيسهم رجل من سجستان يقال له غالب إلّا أنّهم عذروا أهل الأطراف فيما لم يعرفوه من الشريعة إذا أتوا بما يعرف لزومه من جهة العقل ووافقوا أهل السنّة في أصولهم.

السابعة المعلومية هم كالحازمية إلّا أنّ المؤمن عندهم من عرف الله بجميع أسمائه وصفاته ومن لم يعرفه كذلك فهو جاهل لا مؤمن؛ وفعل العبد مخلوق لله تعالى.

الثامنة المجهولية مذهبهم كمذهب الحازمية أيضاً إلّا أنّهم قالوا يكفي معرفته ببعض أسمائه فمن علمه كذلك فهو عارف ربه، وفعل العبد مخلوق له، التاسعة الصلتية هو عثمان بن أبي الصلت هم كالعجاردة لكن قالوا من أسلم واستجار بنا تولّيناه، وتبرّأنا من أطفاله حتّى يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقبلوا.

العاشرة من فرق العجاردة الثعالبة هو ثعلب بن عامر قالوا بولاية الأطفال صغاراً كانوا أو كباراً حتّى يظهر منهم إنكار الحقّ بعد البلوغ ونقل عنهم أنّهم يرون أخذ الزكاة من العبيد إذا استغنوا وإعطاءها لهم إذا افتقروا؛ وتفرّق الثعالبة أربع فرق: الأولى الأخنسية أصحاب أخنس بن قيس كالثعالبة إلّا أنّهم امتازوا عنهم بأن توقّفوا فيمن هو في دار التقية من أهل القبلة فلم يحكموا عليه بإيمان ولا كفر ونقل عنهم تجويز نكاح المسلمات من مشركي قومهم.

الثانية المعبدية هو معبد بن عبد الرحمٰن خالفوا الأخنسيّة في تزويج المسلمات من المشركين وخالفوا الثعالبة في زكاة العبيد أي أخذها منهم ودفعها إليهم، الثالثة الشيبانيّة هو شيبان بن سامة قالوا بالجبر ونفي القدرة الحادثة، الرابعة المكرميّة هو مكرم العجلي قالوا تارك الصلاة كافر لا لترك الصلاة بل لجهله بالله فإنّ من علم أنّه مطّلع على سرّه وعلنه ومجازيه على طاعته ومعصيته لا يتصوّر منه الإقدام على ترك الصلاة، وكذا كلّ كبيرة فإنّ مرتكبها كافر لجهله بالله تعالى، فإذاً فرق الخوارج تسع عشرة.

الفرقة الرابعة من كبار الفرق الإسلاميّة المرجئة لقّبوا به لأنّهم يرجئون العمل عن النية أي يؤخّرونه في الرتبة عنها وعن الاعتقاد أو لأنهم يقولون لا يضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهم يعطون الرجاء؛ فعلى هذا ينبغي أن لا يهمز لفظ المرجئة وفرقهم خمس: اليونسية هو يونس النحوي قالوا الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع والمحبّة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولا يضرّ معها ترك الطاعات وارتكاب المعاصي ولا يعاقب عليها؛ وإبليس كان عارفاً بالله وإنّما كفر لاستكباره وترك الخضوع لله كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

العبيدية أصحاب عبيد المكذّب زادوا على اليونسيّة أنّ علم الله لم يزل شيئاً غيره أي غير ذاته وكذا باقي صفاته؛ وأنّه تعالى على صورة الإنسان لما ورد في الحديث أنّ الله خلق آدم على صورة الرحمٰن.

الغسّانية أصحاب غسان الكوفي قالوا أنّ الإيمان هو المعرفة بالله وبرسوله وبما جاء من عندهما إجمالاً لا تفصيلاً؛ وهو أي الإيمان يزيد ولا ينقص ولا لك الإجمال مثل أن تقول قد فرض الله الحجّ ولا أدري أين الكعبة ولعلّها بغير مكة؛ وبعث محمّداً ولا أدري أهو الذي بالمدينة أو غيره، وحرّم الخنزير ولا أدري أهو هذه الشاة أم غيرها؛ فإنّ القائل بهذه المقالات مؤمن، ومقصودهم بما ذكروه أنّ هذه الأمور ليست داخلة في حقيقة الإيمان وإلاّ فلا شبهة في أنّ عاقلاً لا يشكّ فيها؛ وغسّان كان يحكي ما ذهب إليه عن أبي حنيفة وبعده من المرجئة وقد كان المعتزلة في الصدر الأوّل يلقّبون من خالفهم في القدر مرجئاً.

الثوبانيّة أصحاب ثوبان المرجئي قالوا الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله وبرسله وبكلّ ما لا يجوز في العقل أن يفعله؛ وأمّا ما جاز في العقل أن يفعله فليس الاعتقاد به في الإيمان وأخروا العمل كلّه عن الإيمان؛ قالوا لو عفا في القيامة عن عاصٍ لعفا عن كلّ من هو مثله، وكذا لو أخرج واحداً من النار لأخرج كلّ من هو مثله.

التومنية أصحاب أبي معاذ التومن قالوا الإيمان هو المعرفة والتصديق والمحبّة والإخلاص والإقرار بما جاء به الرسول؛ وترك كلّه أو بعضه كفر ليس بعضه إيماناً ولا بعض إيمان، ومن قتل نبيّاً أو لطمه كفر لا لأجل القتل أو اللطمة بل لأنّه دليل لتكذيبه له وبغضه.

الفرقة الخامسة من كبار الفرق الإسلاميّة النجّارية أصحاب محمّد بن الحسن النجار وهم موافقون لأهل السنّة في خلق الأفعال وأنّ الاستطاعة مع الفعل وأنّ العبد يكتسب فعله وموافقون للمعتزلة في نفي الصفات الوجوديّة وحدوث الكلام ونفي الرؤية بالأبصار وفرقهم ثلاث: الأولى البرغوثيّة قالوا كلام الله إذا قرئ عرض؛ وإذا كتب بأيّ شيء كان فهو جسم الثانية الزعفرانيّة قالوا كلامه غيره وكلّ ما هو غيره مخلوق ومن قال كلام الله مخلوق فهو كافر.

الثالثة المستدركة استدركوا على الزعفرانيّة وقالوا كلام الله مخلوق مطلقاً لكنّا وافقنا السنّة الواردة بأنّ كلام الله غير مخلوق؛ والإجماع المنعقد عليه في نفيه وحملنا قولهم غير مخلوق على أنّه غير مخلوق على هذا الترتيب والنظم من هذه الحروف والأصوات بل هو غير مخلوق على غير هذه الحروف، وهذه حكاية عنها، وقالوا أقوال مخالفينا كلّها كذب حتّى قولهم لا إله إلّا الله.

الفرقة السادسة من تلك الفرق الكبار الجبرية والجبر إسناد فعل العبد إلى الله والجبرية متوسّطة أي غير خالصة في القول بالجبر المحض بل هي متوسّطة بين الجبر والتفويض تثبت للعبد كسباً في الفعل بلا تأثير فيه كالأشعريّة والنجارية وخالصة لا تثبته كالجهمية وهم أصحاب جهم بن صفوان الترمذي؛ قالوا لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثّرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها، وقالوا إنّ الله لا يعلم الشيء قبل وقوعه وعلمه حادث لا في محلّ ولا يتّصف الله بما يتّصف به غيره كالعلم والحياة لأنّه يلزم منه التشبيه، والجنّة والنار يفنيان بعد دخول أهلهما فيهما حتّى لا يبقى موجود سوى الله سبحانه.

الفرقة السابعة المشبّهة شبهوا الله بالمخلوقات ومثّلوه بالحادثات؛ ولأجل ذلك جعلوا فرقة واحدة وإن اختلفوا في طريق التشبيه فمنهم مشبّهة غلاة الشيعة كالسبئيّة والبيانية وغيرهم القائلين بالتجسّم والحركة والانتقال والحلول في الأجسام، ومنهم مشبّهة الحشوية قالوا هو جسم لا كالأجسام مركّب من لحم ودم لا كاللحوم والدماء، وله الأعضاء والجوارح، ويجوز عليه الملامسة والمصافحة والمعانقة للمخلصين الذين يزورونه في الدنيا ويزورهم، حتّى نقل أنّه قال بعضهم إعفوني عن اللحية والفرج واسألوني عمّا سواه.

ومنهم مشبّهة الكرامية أصحاب أبي عبد الله محمّد بن كرام وأقوالهم في التشبيه متعدّدة غير أنّها لا تنتمي إلى من يعبأ به، قال زعيمهم أنّ الله على العرش من جهة العلوّ مماسّ له من الصفحة العليا ويجوز عليه الحركة والنزول؛ واختلفوا في أنّه هل يملأ العرش أو لا بل هو على بعضه، وقال بعضهم ليس هو على العرش بل هو محاذٍ للعرش واختلف أببُعد متناهٍ أم غير متناهٍ؛ ومنهم من أطلق عليه لفظ الجسم؛ ثمَّ اختلفوا هل هو متناه من الجهات كلّها أو متناه من جهة التحت فقط أو لا أي ليس متناهياً بل هو غير متناه من جميع الجهات، وقالوا تحلّ الحوادث في ذاته وزعموا أنّه إنّما يقدر على الحوادث الحالّة فيه دون الخارجة عن ذاته، وجوّزوا إمامين في عصر واحد كعليّ ومعاوية إلّا أنّ إمامة عليّ عليه السلام على وفق السنّة بخلاف إمامة معاوية؛ لكن يجب طاعة رعيّته له وقالوا إنّ الإيمان قول الذرّفي الأزل «بلى» أي الإيمان والإقرار الذي وجد من الذرّ حين قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]وهو باقٍ في الكل على السوية إلا المرتدين، وإيمان المنافق مع كفره كإيمان الأنبياء لاستواء الجميع في ذلك الإيمان، والكلمتان ليستا بإيمان إلّا بعد الذرّ.

هذا ترتيب الفرق الإسلامية على نحو ما ذكره العضدي والشريف وغيرهما وقالا بعد تعداد هذه الفرق[1]:

---

(١) هنا ملحوظة يجدر بنا التنبيه عليها وهي أن الفرق وآراءهم التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب كلها مأخوذة كما صرح به عن العضدي والسيد الشريف والشهرستاني في كتابه الملل والنحل وأمثالهم ولكن ينبغي لفت النظر إلى أنه هل يمكن الاعتماد على هذه الكتب المؤلفة في عقائد الفرق وبيان آرائهم الدينية واعتقاداتهم المذهبية؟ وهل يسيغ وجدان عاقل وعقل باحث أن يركن في أخذ عقائد الفرق المختلفة إلى هذه الكتب التي كتبها مؤلفوها على التعصب البغيض والبهت والاختلاق؟.

فإنا نرى المؤلفين لهذه الكتب مقتفون في نقلياتهم داعي الهوى لا الهدى ونفثات العداء لا الولاء ولا نجد تلك الكتب من صحف الصدق وأسفار الحقيقة بل لا نرى عليها مسحة من الواقع ومنحة من الحق فإنّا كل واحد من المؤلفين لها يحكي عقائد خصمه على وفق هوى نفسه ويجري قلمه على حسب زعمه وتخيلاته فإنهم لم يقولوا فيها شيئاً إلا بلسان الخصومة والعصبية ولم يخطّوها إلا بيراع الهوى وهما من الأمراض المهلكة والجراثيم المزمنة التي تستر بها الحقائق وتسود منها صفحات التواريخ وقد سودوا وجه الحقيقة في سرد عقائد الفرق وآرائهم وركبوا في أمرهم مركب العشواء.

وأنى يسوغ للباحث المنقب والمتحري في الآراء والمعتقدات أن يعتمد على هذه الكتب المشحونة بزخرف القول والتي نسب أربابها إلى من خالفوهم في العقيدة والرأي كل ما اشتهت أنفسهم من الخرافات والأباطيل وتحامل مؤلفوها على الفرق المخالفة لهم في المذهب بكل عصبية ممقوتة وصدرت من أقلامهم في حق أرباب الملل والنحل الجنايات الفظيعة وألصقوا بهم كل شنعاء.

ألا ترى أن نظرهم عند ذكر الشيعة إلى تكثير فرقهم ونسبة المذاهب المتشتتة إليهم ولذا نرى أنهم ذكروا فرقاً ونحتوا نحلاً مثل الهشامية والزرارية والبدائية واليونسية وأمثالها وألصقوها بالشيعة وتجاوزوا عن الحد حتى قال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٦) أن بعض الروافض قد صنف كتاباً وذكر فيه ثلاثاً وسبعين فرقة من الإمامية، وقريب منه ذكر الشهرستاني في الملل والنحل ص ٢٧٠ ج ١ وليت الإمام الرازي ذكر اسم ذلك الرافضي الذي صنف كتاباً في ذلك حتى نقف عليه ويظهر صدق الإمام في دعواه فإن كان صادقاً فما الباعث له على ذكره بالإشارة واكتفائه بالكناية من غير تصريح باسم ذلك المصنف الرافضي.

وأغلب تلك الفرق البائدة التي ألصقوها بالشيعة أكثرها خرافات وأكاذيب وفرق منحوتة لا واقع لها ولا حقيقة والعجب أن جمعاً من بسطاء الشيعة ومقلديهم أخذوا تلك المفتريات وأسامي تلك الفرق المختلفة عن كتبهم ونقلوها في تأليفاتهم من دون لفت نظر إلى تلك المقاصد المشؤومة. =

وأمّا الفرقة الناجية المستثناة الذين قال فيهم النبيّ ﷺ هم الذين على ما أنا

= ومن تلك الكتب المؤلفة على نزعة التعصب والاختلاق التي لا يعتمد عليها: كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي والملل والنحل للشهرستاني والفصل لابن حزم الظاهري ومؤلفات ابن تيمية التي كتبها على نزعة الجمود والخمول مع قصور في الفهم والاستعداد وهو الجامد المحض العجيب.

وكتاب فرق الشيعة الموضوع المنسوب للنوبختي نشره أولاً بعض المستشرقين سنة ١٩٣١م باسم الحسن ابن موسى النوبختي المتكلم الشهير واغتر بمقاله بعض الشيعة والسنة وأجاد الأستاذ عباس اقبال الآشتياني المتوفى (١٣٧٥هـ ق) في كتابه (خاندان نوبختى) ط طهران - في تحقيق نفي هذا الكتاب عن النوبختي ولكن وقع في ورطة أخرى ونسبه إلى سعد بن عبد الله الأشعري وتبعه في ذلك الكاتب الفارسي سعيد النفيسي في تصدير ترجمة فرق الشيعة طبعة طهران وهو زعم فاسد وحدس غير صائب كسائر هفواته وزلاته الواقعة في كتابه (خاندان نوبختى) ولا سيما اجتهاداته الموهومة وأقواله السخيفة الشائنة التي أدرجها في مقدمته.

ومن العجب طبع هذا الكتاب الموضوع المختلق أعني فرق الشيعة في النجف الأشرف ثانياً سنة (١٣٥٥هـ) وليس ذلك إلا ذهولاً من بعض المطابع عن الحقيقة واغتراراً بعمل ذلك المستشرق مع أن زلات المستشرقين لا تحصى انظر إلى اعداد مجلة (رسالة الإسلام) الصادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة تلك المقالات النفيسة بعنوان (زلات المستشرقين) أعداد السنة التاسعة والعاشرة وتلك المقالات بقلم الأستاذ عبد الوهاب حمودة ومن تلك الكتب كتاب (دبستان مذاهب) بالفارسية المجهول المؤلف المطبوع بهند نسبه سرجان ملكم الإنكليزي في تاريخ إيران الذي كتبه على نزعة التعصب وأدرج فيه من الأكاذيب شيئاً كثيراً إلى محسن الفاني وعن بعض المجوس وغيره نسبته إلى رجل يسمى (ذو الفقار) وفي ذيل كشف الظنون ص ٤٢ أنه من تأليف مؤيد شاه الهندي وكل هذه الأقوال احتمالات وتوهمات لا يمكن الركون إليها وهو كتاب لا يعتمد عليه أصلاً ومؤلفه وإن ادعى عدم التعصب ولكن كتابه مؤلف على نزعة العصبية الشوهاء وفيه من الإفك والمفتريات والشطحات ما لا يحصى وقد صرح صاحب طرائق الحقائق أن مؤلفه من المجوس كما يظهر من كلماته انظر ج ٢ ص ١١٢ ط طهران وهو غير بعيد فإنه يظهر من تضاعيف عباراته وكلماته أن مؤلفه في عقيدة الزردشتية الخرافية البائدة ومن خصماء الإسلام ولا يزعم القارىء الكريم أن أكابر السلف من علماء الإسلام لم يمعنوا النظر في هذه الكتب ولم يتفطنوا إلى ما صنع مؤلفوها في نقل العقائد والآراء من التعصب والعناد وقول الزور.

وقد تفطن بذلك الإمام فخر الدين الرازي الشهير المتوفى سنة (٦٠٦هـ) في كتاب (مناظراته) فإنك تراه صادعاً بالحقيقة غير مكترث من إظهار الواقع وصرح بأن كتاب (الفرق بين الفرق) للبغدادي مؤلف على شدة التعصب على المخالفين ولا ينقل مذهبهم على الوجه وهو كتاب غير معتمد عليه والشهرستاني في كتابه الملل والنحل نقل المذاهب الإسلامية من ذلك =

عليه وأصحابي فهم الأشاعرة والسلف من المحدّثين وأهل السنّة والجماعة؛ ويرد على هذا النقل أمور:

الأوّل أنّهم أهملوا كثيراً من فرق الشيعة من الفرق العظيمة وذكروا فرقاً شاذّة لا يعبأ بمن قال بها، فمن الفرق التي أهملوا ذكرها من فرق الشيعة الناووسيّة أصحاب رجل يقال له ناووس، وقيل آل قرية ناووسان قالت أنّ الصادق عليه السلام حيّ بعد ولن يموت حتّى يظهر فيظهر أمره، وهو القائم المهديّ، وحكى أبو حامد الزوزني أنّ الناووسيّة زعمت أنّ عليّاً عليه السلام مات وستنشق عنه الأرض يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً أقول المراد بالقيامة هنا القيامة الصغرى وهي زمن رجعة النبيّ صلى الله عليه وآله ورجعة أهل بيته في وقت ظهور المهديّ كما تقدّم الكلام فيه مفصّلاً.

ومنها الأفطحية قالوا بانتقال الإمامة من الصادق عليه السلام إلى ابنه عبد الله الأفطح، وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمّه، وكان أسنّ أولاد الصادق عليه السلام ونقلوا عنه أنّ الإمامة لا تكون إلّا في الولد الأكبر لكنّهم لم ينقلوا آخر الحديث وهو قوله إلّا أن يكون به عاهة؛ وعبد الله كان أفطح القدمين والإمام يجب أن يكون أكمل الناس خَلقاً وخُلقاً، وأمّا حكاية عمى يعقوب وشعيب وكسر ثنية النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحد فلا يخلّ باستواء الخلقة الأصلية إذ هذه الأمور قد عرضت لما طعنوا في السن، وكذا ما روي من سقوط أسنان بعض الأئمّة عليهم السلام.

ومنها الواقفية وهم الذين قد وقفوا على موسى بن جعفر عليه السلام وأنكروا موته وقالوا أنّه حيّ وهؤلاء هم خواصّ شيعته، وذلك أنّهم كانوا وكلاءه عليه السلام على جمع أموال الصدقات والأخماس من شيعته وكان بعضهم في قم وبعض في بغداد إلى غير ذلك من البلدان، ولمّا اتّصل بهم خبر فوت الكاظم عليه السلام طمعوا في الأموال فأنكروا موته؛ وقالوا أنّه حيّ ولم يدفعوا الأموال إلى الرضا عليه السلام فأنكروا إمامته،

= الكتاب ولهذا السبب وقع الخلل في نقل المذاهب ولذا لا يعتمد على كتاب الشهرستاني أيضاً انظر إلى كتاب (المناظرات) ص ٢٥ ط حيدرآباد سنة (١٣٥٥هـ) ونقلنا عين عباراته في مقالنا الذي نشر في مجلة (العرفان) ص ٨٦٨ ج٨ المجلد ٤٣ فراجع.

ولكن العجب أن الإمام فخر الدين الرازي مع اعترافه وعلمه بما في تلك الكتب وأنها مؤلفة على العصبية والعناد وانتقاده على كتب الفرق بين الفرق وغيره فقد صنف كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) على العصبية الممقوتة وسلك في تأليفه على طريقتهم المنحوسة وعلى مبهرج آرائهم واجتهاداتهم الباطلة وأقوالهم الزائفة الفاسدة فراجع.

ولكن من قال من الشيعة بإمامة الرضا عليه السلام قال بإمامة باقي الأئمّة عليهم السلام ومن هذا جاء في الحديث أنّه لا يزور الرضا عليه السلام إلّا الخالص من الشيعة، وقد رأيت في الكتب المعتبرة أنّ من الواقفيّة من وقف على الباقر عليه السلام؛ ومنهم من وقف على الصادق عليه السلام وفي بعض الأخبار دلالة عليه.

الأمر الثاني أنّه جعل الأشاعرة وهم المنسوبون إلى عليّ بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري فرقة واحدة وجعلهم هم الفرقة الناجية؛ مع أنّهم فرق أربع وهم الحنفيّة، والشافعيّة، والمالكيّة، والحنبلية، وكلّ فرقة من هذه الأربع تخالف الفرقة الأُخرى في كثير من مسائل الأصول والفروع فكيف صارت هذه الفرق الأربع على اختلاف أقاويلها فرقة واحدة، وقد عدّ سابقاً الخمرية والشعيبية فرقتين مع أنّهما لم يختلفا إلّا في مسألة واحدة نعم وجه الجمع بين هذه الفرق الأربع هو الاتّفاق بينهم على تأخير أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن درجته ووضع غيره فيها فصاروا فرقة واحدة لقوله عليه السلام الكفر ملّة واحدة.

الثالث جزمه بأنّ الفرقة الناجية هم الأشاعرة، ما نعلم من أين أخذه، أمن قولهم أنّ الخير والشرّ من الله وأنّ العبد ليس له اختيار في أفعاله وأقواله وأنّه مجبور على كلّ ما يصدر منه، أم من قولهم بتعدّد القدماء وهي صفاته الزائدة على ذاته وقد نهى الله سبحانه النصارى عن القول بالتثليث وهي الاقانيم الثلاثة، قال الشهرستاني ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم، أو الأب والابن وروح القدس؛ وقال في موضع آخر أنّ المراد بروح القدس أقنوم الحياة، وقال شيخنا البهائي طاب ثراه في الكشكول النصارى مجمعون على أنّ الله تعالى واحد بالذات ويريدون بالأقانيم الصفات مع الذات ويعبّرون عن الاقانيم بالأب والابن وروح القدس، يريدون بالأب الذات مع الوجود، وبالابن الذات مع العلم، ويطلقون عليه اسم الكلمة؛ ويريدون بروح القدس الذات مع الحياة، وأجمعوا على أنّ المسيح ولد من مريم وصلب، والإنجيل الذي بأيديهم إنّما هو سيرة المسيح جمعه أربعة من الصحابة وهم متّى، ولوقا وماريوس ويوحنّا؛ ولفظة إنجيل معناها البشارة ولهم كتب تعرف بالقوانين وضعها أكابرهم يرجعون إليها في الأحكام والعبادات والمشهور من فرقهم ثلاثة:

الأولى الملكانيّة يقولون قد حلّ جزء من اللاهوت في الناسوت واتّحد بجسد المسيح وتدرع به؛ ولا يسمّون العلم قبل تدرّعه ابناً، وهؤلاء قد صرّحوا بالتثليث

وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]؛ وهؤلاء قالوا أنّ القتل والصلب وقع على الناسوت لا اللاهوت.

الثانية اليعقوبية قالوا أنّ الكلمة إنقلبت لحماً ودماً فصار المسيح هو الإلٰه وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]. الثالثة النسطورية قالوا أنّ اللاهوت أشرق على الناسوت كإشراق الشمس على البلورة، والقتل والصلب إنّما وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته؛ والمراد بالناسوت الجسد وباللاهوت الروح. وقال سبحانه: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، والأشاعرة كأنّهم قد فهموا أنّ النهي إنّما ورد عن الإلٰهين لا عن السبعة أو الثمانية. وحيث انتهى الكلام إلى هنا فلا بأس بالإشارة إلى بعض ما يرد على اعتقادهم الفاسد في شأن خلق الأعمال فنقول:

أمّا أصحاب مالك وأصحاب الشافعي وأصحاب أحمد بن حنبل ومن وافقهم على اعتقاد المجبّرة فإنّهم اتّفقوا جميعاً على أنّ جميع ما في العالم من حركات وسكنات ومكروهات ومحبوبات ومستحسنات ومستكرهات ومستقبحات فإنّها من فضل الله على العباد.

وذكروا أنّ الله سبحانه قهرهم ومنعهم عن الاختيار في كلّ مكروه أو مراد، ويلحق بهؤلاء من كان منهم يقول أنّ الله يخلق الأعمال والعبد مكتسبها منه لأنّ الكسب عندهم لا يوجبها ولا يوجدها وإنّما يوجبها ويوجدها على قولهم الله وأنّها صادرة عنه، ولأنّه يقال لهم هل يقدر العبد على ترك الكسب؟ فإن قالوا نعم، فقد قالوا بالاختيار وحصل الوفاق؛ وإن قالوا لا يقدر على ترك الكسب فقد ساووا المجبرة في تصريحهم بأنّ العباد مجبورون مقهورون ثمّ قيل لمن قال أن العباد مجبورون ما معنى هذا؟ لأنّ معنى الجبر أن يكون العبد مختاراً فيجبره غيره ويمنعه عن اختياره؛ وأنتم تزعمون أنّ العبد ما كان مختاراً قطّ ولا كان له فعل على الحقيقة، فما معنى قولكم أنّ العباد مجبورون.

وقد زاد على هذا أصحاب أحمد بن حنبل أنّ الله جسم مستقرّ على عرشه بجوارح بشريّة؛ وبعضهم قال أنّ الله ينزل إلى الأرض في صورة شابّ؛ ورووا في ذلك أخباراً كثيرة يكذبها العقل والنقل، ولم يتعرّض الشهرستاني ولا غيره من علمائهم لنسبة هذا القول السخيف إلّا إلى فرقة من فرق الشيعة لأجل التشنيع بها عليهم؛ وقد كان الواجب عليهم نسبة هذا القول أيضاً إلى أصحاب الحنبلي، وإلاّ

فنحن نبرأ من تلك الفرقة من الشيعة الذين يقولون بالجسم ونكفّرهم ونلعنهم، وأنتم لا تكفرون أصحاب الحنبلي ولا تبرأون منهم بل أدرجتموهم في الفرقة الناجية وهم الأشاعرة بزعمكم.

وممّا يستدلّ على بطلان مقالتهم من أنّه لا فاعل في العالم سوى الله أنّه يلزم أن يكون الله تعالى قد أرسل الرسل إلى نفسه وأنزل الكتب على نفسه وكان كلّ وعد ووعيد وتهديد صدر على لسان الملائكة والأنبياء والرسل فإنّه يلزم أن يكون قد وعد نفسه وتوعّدها وهدّدها ولم يذهب إلى هذا عاقل، وأيضاً إذا جاز على زعمكم أنّ الله يضلّ العباد ويجبرهم على الفساد ويصدّق بالمعجزات الكذّابين كيف يبقى لهم طريق إلى إثبات نبوّة نبيّهم وغيره من الأنبياء، ومن أين يعرفون صحّة شريعته؟ ومن أجل لزوم هذا عليهم قال صاحب الكشّاف في كتاب الفائق فأمّا المجبّرة فإنّ شيوخنا كفّروهم، وحكى قاضي القضاة عن الشيخ أبي عليّ أنّه قال المجبر كافر ومن شكّ في كفره فهو كافر، ومع هذا أتزعمون أن صاحب الكشاف والشيخ أبا عليّ من أهل الجنّة ومن أهل السنّة والجماعة وكلّ منكم يكفّر الآخر، ولكن هذا القول هنا لكم فيه مطمح نظر في محلّ آخر وهو حروب الصحابة وتكفير بعضهم بعضاً وقتله له مع أنّهم كلّهم محقّون ومن أهل الجنّة.

والعجب أنّهم صرّحوا بأنّه يجوز من الله في عدله وحكمته أن يجمع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين فيخلّدهم في النار ويجمع الكفّار والملاحدة والمنافقين وإبليس وجنوده فيخلّدهم في الجنّة والنعيم، وقالوا أنّ هذا إنصاف منه وعدل؛ وقد بنوا هذا على ذلك الأصل الفاسد وهو أنّ أفعالهم من فعل الله فيهم وأنّهم بريئون منها بحيث لا يلامون على ما فعلوا فإذا كان الحال هكذا وجب على الأنبياء أن يعذروهم في ترك قبول أقوالهم، وأعجب من هذا أنّهم قالوا متى اعتقدنا أنّ أفعال العباد منهم صار العباد شركاء لله فاقتضى التعظيم لله أن تكون الأفعال كلّها التي من بني آدم وغيرها من الله؛ فهذا إجلالهم لربّهم وهو أن يصدر منه ما صدر من أخسّ عبيده من أقبح الأفعال؛ ولعمرك إنّهم ما قدروا الله حقّ قدره؛ مع أنّ حكاية الشركة لله سبحانه لازم لمن قال منكم وهو أخياركم بالكسب فقد ادّعيتم الشركة بين العبد وبين الله.

ومن عجيب ما ذكروه قولهم متى اعتقدنا أنّ العباد يقدرون أن يفعلوا شيئاً باختيارهم كان ذلك دليلاً على عجز الله تعالى حيث يقع منهم ما لا يريده من

المعاصي؛ ولم يعلموا أنّه لا عجز يلحق المالك إذا جعل عبده مختاراً لأفعاله سوى فعل العبد ما يكره المولى أم يحبّ ولو أراد قهر عبده وموته؛ فأيّ عجز هنا للمولى؟ ويزيده إيضاحاً أنّ السلطان إذا أقطع مملوكاً له أقطاعاً، وقال له قد مكّنتك والرعيّة مدّة معلومة عندي فإن أحسنت جازيتك بالإحسان، وإن أسأت إليهم عاقبتك؛ فمضى المملوك إلى أقطاعه وظلم الرعية وسار فيهم بخلاف ما يريد السلطان أفيكون دليلاً على عجز السلطان لو صبر حتّى يأتي وقت المدّة التي عيّنها للمجازاة على الإحسان أو المؤاخذة على العصيان.

ومن الدلائل على بطلان قولهم أنّهم يدّعون الاعتراف بصدق نبيّهم وثبوت كتابهم وقد تضمن حكاية اعتذار الكفّار والظالمين إلى الله يوم القيامة بأنّهم ظلمهم غير الله وما تضمن الكتاب أنّ أحداً منهم اعتذر إلى الله وقال له أنت يا رب قضيت علينا معصيتك وأنت منعتنا من طاعتك فإنّ يوم القيامة تنكشف الأمور انكشافاً واضحاً، فأقرّوا تارة أنّ المعاصي منهم فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] وما قالوا تعمل أنت غير الذي كنت تعمل، وقالوا وهم في النار ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] وما قالوا فإن عدت. وقال بعضهم: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] وما قال لعلّك تعمل صالحاً؛ وقال: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]؛ وما قال ما فرّطت في جنبي، وإذا كان العباد ما فعلوا شيئاً فما هذا التحسّر والتفريط وعلى ماذا ندم النادمون وبكى الباكون؛ ومن العجب أنّ الشيطان اعترف لهم أنّه هو الذي أضلّهم وشهد الله عليه بذلك فينزهون الشيطان عن اعترافه ولا يقبلون شهادة الله عليه؛ أمّا اعتراف الشيطان فهو في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وأمّا شهادته سبحانه ففي مواضع أيضاً منها قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، فردّوا على الله شهادته ونزّهوا الشيطان عن الله وقالوا ما أضلّهم إلّا الله.

ويدلّ أيضاً على تنزيه الله من أفعال عباده قولهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨] فلو كان هؤلاء قد وجدوا في القيامة أنّ الذي أضلّهم هو الله وحده ما كانوا قد اعترفوا به على أنفسهم ولا ادّعوه على ساداتهم وكبرائهم، وأوضح من هذا

قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]، فإذا كان الله سبحانه هو الذي فعل بهم لقالوا له أنت الذي فعلت بنا فكيف تعذّبنا كيف لا وبعضهم يكابره في القيامة ويجاحده حتّى يقول: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فيقول تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ فمن أقدم على هذه المكابرة بالكذب لو كان يعلم أنّ الله فعل ذلك ما كان يحتاج إلى هذه المكابرة وكان يقدر أن يقول يا ربّ أنت فعلت ونحن ما فعلنا شيئاً، وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٤] يدل على تعجب منهم كيف أنكروا أنهم أشركوا فلو كان هو الذي فعل فيهم الشرك فممن كان يتعجب، ولو كان هو الذي قهرهم يوم القيامة على هذا الجحود والإنكار فهل كان يقع من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين أن يتعجّب منهم وهو الذي فعل فيهم وهل يكون التعجّب على قولهم إلّا من نفسه.

ومن الدلائل أيضاً قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فإذا كان هو الذي قتل المؤمن فعلى من يغضب ولمن يتهدّد ولعمرك قد افتضح هؤلاء الجماعة وضحكت عليهم أرباب الملل فإنّ الذي يقول أنّ الله منعني من الدخول في دينكم ولو جبرني (خيّرني خ) على الدخول لدخلت وأنا أردت وهو يمنعني.

ومن أقوى دلائلهم على هذا المذهب الباطل قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وهو بالدلالة على بطلان مذهبهم أوضح، وذلك أنّ أقصى ما يدلّ عليه هو أنّه ليس لأحد أن يسأل الله سبحانه عن أفعاله ولكنّ الله يسأل الناس عن أفعالهم فلو كانت الأفعال كلّها منه لكانت متساوية فما كانت تحتاج إلى التقسيم إلى قسمين.

ومن الدلائل على بطلان مقالتهم ما روي أنّ أبا حنيفة اجتاز يوماً على موسى بن جعفر عليه السلام وهو طفل في المكتب فأراد أبو حنيفة امتحانه فقال له المعصية ممّن؟ فقال عليه السلام: جلس حتّى أخبرك، فجلس أبو حنيفة بين يديه فقال موسى عليه السلام لا بدّ أن يكون المعصية من العبد أو من ربّه أو منهما جميعاً فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده الضعيف ويأخذه بما لم يفعل؛ وإن كانت المعصية منهما فهو شريكه والقويّ أولى بإنصاف عبده الضعيف وإن كانت المعصية من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجّه النهي وله حقّ الثواب وحقّ العقاب ووجبت له الجنّة والنار، فقال أبو حنيفة ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم.

ومن الدلائل على قولنا قول أمير المؤمنين عليه السلام: كلّ ما استغفرت الله منه فهو منك وكلّ ما حمدت الله تعالى عليه فهو منه؛ وسئل الصادق عليه السلام عن القدر فقال ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو فعله وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو فعل الله تعالى يقول الله للعبد لمَ عصيت لم فسقت فهذا فعل العبد ولا يقول له لم مرضت لم طلت لم قصرت لم ابيضضت لم اسوددت؛ لأنه فعل الله.

وروي أنّ الفضل بن سهل سئل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون فقال يا أبا الحسن الخلق مجبورون فقال الله أعدل من أن يجبر ثمَّ يعذّب، قال فمطلقون قال قال الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه.

ومن الدلائل على بطلان مذهبهم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: ٨٩-٩٠] فإنه تعالى قد استعظم في القرآن مقالة المشركين هذه فإذا كان (الفعل خ) فعله فكيف يستعظمه على وجه الإنكار؛ وقيل للمجبّرة أنّ الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩-١٠]، من هذا الذي قد خاب؟ فلم يكن لهم عن ذلك جواب. وحكي أنّ بعض الجبرية اجتاز بعدليّ راكب فقال له انزل حتى أسألك مسألة فقال له العدلي أفتقدر أن تسألني؟ قال لا قال: أفأقدر أن أنزل إليك أو أُجيبك؟ قال لا فقال للجبري. كيف أطلب نزول من لا يقدر على سؤالي ولا أقدر على نزولي إليه ولا جوابي فانقطع الجبري. وروي أنّ عدليّاً قال لمجبّر ممّن الحقّ قال من الله قال فمن هو المحقّ؟ قال الله قال له فممّن الباطل؟ قال من الله فقال له فمن هو المبطل؟ فانقطع المجبّر ولم يقدر على أن يقول الله المبطل وهو لازم له على مذهبه وروي أيضاً أنّ جماعة من اليهود اجتمعوا إلى أبي بحر الخاقاني فقالوا له أنت سلطان عادل ومنصف وفي المسلمين في بلدك المجبرة وهم الذين تعتمدون عليهم في الأفعال والأقوال وهم يشهدون لنا أنّنا لا نقدر على الإسلام ولا على الإيمان فجمع المجبّرة وقال لهم ما تقولون فيما قد ذكره اليهود من احتجاجهم عليكم؟ فقالوا كذا نقول وإنّهم ما يقدرون على الإسلام والإيمان فطالبهم بالدليل على قولهم فلم يقدروا عليه فنفاهم عن بلده.

ومن الدلائل على بطلان مقالتهم أنّ العدليّ يقول للجبريّ عند المناظرة هذه المناظرة بيني وبينك في التحقيق أو بين الله وبين نفسه فإن كانت بيني وبينك فقد بطل ما تدّعونه من أنّه لا فاعل سوى الله وإن كانت المناظرة بين الله وبين نفسه فهل تقبل

العقول أنّ الله سبحانه يناظر نفسه لأنّ المناظرين إذا كان أحدهما محقّاً كان الآخر مبطلاً أو أحدهما عالماً كان الآخر جاهلاً وكانت المناظرة كما زعموا بين الله وبين نفسه فكيف يتصوّر أنّ الله تعالى من جانب مبطل ومن جانب محق ومن جانب يوصف بجهل ومن جانب عالم (يوصف بعلم خ) تعالى عمّا يقول الكافرون علوّاً كبيراً.

ومن الدلائل التي يفحم بها أهل الجبر الذين يقولون لا فاعل سوى الله تعالى وإنّ كلّ فعل يظهر على العباد فهو فعل الله على التحقيق أن يقال لهم أنّ كلّ إنسان يعلم من نفسه أنّه يكون جاهلاً ثمّ يصير عالماً؛ ثمّ يكون شاكّاً فيصير متيقّنا ثمّ يكون ظانّاً فيصير عالماً ولا شبهة عند العقلاء أنّ الجهل والعلم والشكّ واليقين والظنّ والعلم أفعال، فمن هذا الجاهل ومن هذا الشاكّ ومن هذا الظانّ؟ فإن قلتم أنّه ربّكم فقد كفرتم تحقيقاً وصار كلّ واحد منكم زنديقاً؛ وإن قلتم أنّه العبد وهو الحقّ فقد تركتم مذهبكم ورجعتم إلى الحق.

فإن قال قائل إنّ الأشاعرة ما صرّحوا بمثل هذا فمن أين نسبت مثله إليهم؟ قلت نعم قد صرّح به علماؤهم والمحقّقون منهم، قال الرازي في كتاب الأربعين المسألة الرابعة والعشرون في بيان أنّ الله تعالى مريد لجميع الكائنات مذهب المعتزلة أنّ الإرادة توافق الأمر فكلّ ما أمر الله تعالى به فقد أراده، وكلّ ما نهى عنه فقد كرهه، مذهبنا أنّ الإرادة توافق العلم وكلّ ما علم وقوعه فهو مراد الوقوع وكلّ ما علم عدمه فهو مراد العدم فعلى هذا إيمان أبي جهل مأمور به وغير مراد وكفره منهيّ عنه وهو مراد هذا لفظه، ويلزم عليه أن يكون أبو جهل قد غلب النبيّ ﷺ بالاحتجاج بأن يقول له ربّك ما يريد منّا الإسلام وأنت تريده وإيقاع إرادة ربّك أوجب من إيقاع إرادتك فكان قد انقطع محمّد ﷺ وبانقطاعه ينقطع حجّة من أرسله، وإن كان الرازي يزعم أنّ محمّداً ﷺ ما يريد أيضاً من الكفّار الإيمان فتكون حجّتهم قد ازدادت قوّة ويقولون له إذا كان الله تعالى قد أرسلك ما يريد الإيمان منّا وأنت ما تريده منّا فنحن أيضاً ما نريد خلاف إرادتكم فعلام تحاربنا وتعادينا وقد وافقت إرادتنا إرادتك وإرادة من أرسلك وكان أبلغ في ظهور حجّة الكفّار عليه؛ ولقد كانت الجاهليّة أقلّ كفراً من هذا الاعتقاد والجاهلون بالله ما بلغوا إلى هذه الغاية من الكفر والفساد لأنّ أولئك ما عرفوه فما نسبوا إليه خيراً أو ولا شراً وهؤلاء المجبّرة ادّعوا معرفته ونسبوا كلّ شرّ وكفر وضرّ إليه فيعزّ على الله وعلى رسوله ما جنى هؤلاء عليه.

وما أحسن قول بعض المحقّقين أنّه يلزم على قول الرازي ومن تابعه أن يكون

قولهم نحو قول النصارى في عيسى ابن مريم والنصيرية في عليّ بن أبي طالب لأنّ عقلاء النصارى والنصيرية ما كان يخفى عليهم أنّ الله سبحانه غير هيكل عيسى وعليّ عليه السلام نعم رأوا أنّ الأفعال الصادرة منهما خارجة عن طوق البشر فنسبوها إلى أنّها من فعل الله وعبدوا فاعل تلك الأفعال وغلطوا في التسمية؛ وهذا هو قول الرازي ومن وافقه في أنّه لا فاعل سوى الله جلّ جلاله فإنّهم يلزمهم تصديق النصارى والنصيرية في أنّ أفعال عيسى وأفعال عليّ عليه السلام فعل الله والفاعل لها هو الله جلّ جلاله الذي يستحقّ العبادة.

وأمّا الغزاليّ فهو أزهدهم وأورعهم وأعلمهم وقد قال في كتاب إحياء العلوم: ولا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر إلّا بقضاء الله وقدره وبارادته ومشيئته فمنه الخير والشرّ والنفع والضرّ والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والإيمان، ونحو هذا قال في كتاب منهاج العابدين وهو آخر كتاب صنّفه وما خصّ به إلّا خواصّه كما قاله صاحب الطرائف.

ومن عجيب ما يقال لهم أنّ الأفعال إذا كانت كلّها فعل الله عندكم على التحقيق فقد صار كلامكم وأمركم ونهيكم كالقرآن والوحي وككلام الله لموسى من الشجرة وككلام الله للأنبياء عن الله فما بقي بينكم وبينهم فرق وحصل القدح في الرسل والطعن عليهم.

وأمّا الآيات الدالّة على بطلان مقالتهم فهي متكثّرة؛ منها قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ولا شكّ أنّ الطاغوت غير الله تعالى؛ ومنها قوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ومن عجيب جواب بعض أهل العدل لبعض المجبّرة أنّ المجبّر قال ما ترضى أن يكون من خلق المعاصي لك ربّاً؟ فقال لا والله ولا عبداً يعني لو كان عبد يخلق المعاصي ما رضيته أن يكون عبدي. وروي أنّ ثمامة كان في مجلس المأمون وأبو العتاهية حاضر فسأل أبو العتاهية المأمون أن يأذن له في مناظرة ثمامة والاحتجاج عليه وكان أبو العتاهية من الجبريّة؛ فحرّك أبو العتاهية يده وقال من حرّك هذه فقال

له ثمامة وكان من أهل العدل حرّكها من أمّه زانية فقال أبو العتاهية شتمني يا أمير المؤمنين في مجلسك فقال ثمامة ترك مذهبه يا أمير المؤمنين لأنه يزعم أنّ الله حرّكها فلأيّ سبب غضب أبو العتاهية وليس لله أمّ فانقطع أبو العتاهية.

ويعجبني نقل حكاية غريبة وهي أنّ البهلول قد اجتاز يوماً على مسجد أبي حنيفة وكان يعظ الناس على المنبر فوقف على باب المسجد فإذا أبو حنيفة يقول أنّ جعفر بن محمّد يزعم أنّ للعباد أفعالاً تصدر منهم بالاختيار وهذا كذب لأنّه لا فعل في أفعال العباد إلّا من الله؛ وزعم أيضاً أنّ الشيطان يعذّب في النار وهذا كذب أيضاً لأنّه مخلوق من النار والجنس لا يعذّب بجنسه وزعم أيضاً أنّ الله موجود لا يجوز عليه الرؤية وهذا أيضاً كذب لأنّ كلّ موجود مرئيّ؛ فلمّا سمع البهلول كلامه عمد إلى مدرة كبيرة فرمى بها إلى رأس أبي حنيفة وشجّه في رأسه وجرى الدم على وجهه فركب البهلول قصبته ومضى مع الأطفال فخرج أبو حنيفة وأتى شاكياً إلى الخليفة هارون الرشيد فلمّا رآه غضب غضباً شديداً وأمر بإحضار البهلول؛ فلمّا حضر سأله لم فعلت بإمام المسلمين هذا الفعل؟ فقال سله عن هذا أما قال أنّ جعفر بن محمّد كذب في قوله أنّ للعبد فعلاً بل الأفعال كلّها من الله؛ فإذا كان هذا مذهبه فالله سبحانه الذي شجّه بهذا المدر فما يكون تقصيري أنا؛ وقال أيضاً أنّ الجنس لا يتعذّب من جنسه فهذا أبو حنيفة مخلوق من التراب وهذا المدر من التراب فلم تعذّب أبو حنيفة به؟ وأيضاً قال أنّ كل ما هو موجود مرئيّ فسله عن هذا الألم الذي حصل له من هذه الشجّة أهو مرئيّ أم لا؟ فأفحم أبا حنيفة ثمّ مضى البهلول وتركه.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعنت القدريّة على لسان سبعين نبيّاً قيل ومن القدريّة يا رسول الله؟ فقال قوم يزعمون أنّ الله قدّر المعاصي وعذّبهم عليها؛ وروى الخوارزمي وغيره عن محمّد بن عليّ الملكي بإسناده قال إنّ رجلاً قدم على النبيّ ﷺ فقال له رسول الله ﷺ أخبرني بأعجب شيء رأيت؛ قال رأيت قوماً ينكحون أمّهاتهم وبناتهم وأخواتهم، فإذا قيل لهم لم تفعلون هذا قالوا قضاه الله علينا وقدّره، فقال النبيّ ﷺ سيكون في أُمّتي أقوام يقولون بمثل مقالتهم أولئك مجوس أمتي. وعن جابر عن النبيّ ﷺ أنّه قال يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ويقولون أنّ الله تعالى قدّرها عليهم؛ الراد عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله.

وأمّا الحنابلة منهم فقد تحقّقت أنّ مذهبهم كون الله جسماً، وذكر إسماعيل الهروي في كتاب الاعتقادات أنّ اعتقادهم كون الله تعالى له جوارح كالبشر، فقال أنّ الله عاب الأصنام فقال: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٥]؛ وقال حكاية عن الخليل لمّا حاجّه قومه ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء: ٧٢]، وقال لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، وقال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، وقال إبراهيم لقومه: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]؛ وعاب العجل ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩] فلمّا عاب الطواغيت لعدم تلك الصفات علم وتبيّن أنّه تمدّح بها وأنّها حقائق فيه هذا لفظه؛ ولا يخفى ما فيه من الكفر والزندقة، ومراد الله سبحانه من هذه الآيات ظاهر وهو استعظام ما اتّخذوه ربّاً لأنّ من لا يقدر على نفع نفسه ولا على دفع الضرر عنها كيف يليق به مقام الربوبيّة.

ومن مضحك الحنابلة قولهم أنّ اسمه عين مسمّاه؛ وأنّ من قال الاسم غير المسمّى فهو ملحد ورووا في أفراد مسلم والبخاري عن النبيّ ﷺ قال إنّ الأمم تدعى يوم القيامة وما كانت تعبد؛ ثمّ يأتينا ربّنا بعد ذلك فيقول من تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربّنا؛ فيقول أنا ربّكم فيقولون حتّى ننظر إليك فيتجلّى لهم يضحك قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كلّ إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثمّ يتّبعونه وعلى جسر جهنّم كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله، ثمّ يطفى نور المنافقين، ثمّ ينجو المؤمنون، انظروا إلى هذا الحديث الباطل المكذوب به على الله وعلى جابر.

ومن عجائب ما نقلوه ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند أبي سعيد الخدري من المتّفق عليه عن النبيّ ﷺ يذكر فيه كيف تساقط الكفّار في النار؛ ثمّ قال ما هذا لفظه حتّى إذا لم يبق إلّا من كان يعبد الله من برّ وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها فيقول لهم ما تنتظرون؟ قالوا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنّا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربّكم الأعلى، فيقولون نعوذ بالله منها لا نشرك بالله شيئاً مرّتين أو ثلاثاً، فيقول هل بينكم وبينه علامة فتعرفونه بها؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساقه فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلّا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتّقاءً وأدباً إلّا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلّما أراد أن

يسجد خرّ على قفاه، ثمَّ يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في الصورة التي رأوه فيها أوّل مرّة، فيقول أنا ربّكم فيقولون أنت ربّنا.

أقول: قوله فيكشف عن ساقه الظاهر أنّه إشارة إلى خرافة أُخرى رووها في كتبهم وهي أنّهم رووا بالأسانيد الكثيرة أنّ فاطمة عليها السلام تأتي يوم القيامة فتقف تحت العرش تشكو ممّن قتل ولدها وظلمها؛ فترجف الخلائق رجفة عظيمة، ثمَّ إنّ الله سبحانه يقول لها يا فاطمة إعفي واصفحي عمّن قتل ولدك وظلمك، كما عفوت أنا عن نمرود لمّا صعد إلى جانب السماء ورماني بسهم وقع في ساقي فجرحه وإلى الآن لم تندمل تلك الجراحة ثمَّ يكشف عن ساقه فتنظر إليه فاطمة وهو معصبها بعصابة فتقول يا ربّ إذا عفوت أنت عن النمرود وقد فعل بك كلّ هذا فأنا قد عفوت عمنّ قتل ولدي ثمَّ يدخلون كلّهم إلى الجنّة؛ فانظر رحمك الله إلى هذه الأكاذيب والأباطيل التي تضحك الثكلى عند سماعها.

ومن ذلك أيضاً ما رواه محمّد بن عمر الرازيّ حيث قال أنّهم رووا أنّ الله ينزل كل ليلة جمعة لأهل الجنّة على كثيب من كافور، وقد روي الحميدي في الجمع بين الصحيحين بطرق متعدّدة عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال فأمّا النار فلا تمتلئ حتّى يضع الله تعالى رجله فيها فتقول قط قط وعزّتك فهنالك تمتلئ ويزوّي (يتزوّى خ) بعضها إلى بعض ورووا في الجمع بين الصحيحين أنّ رجلاً يقول في القيامة ربّ لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله منه ثمَّ يأذن له في دخول الجنّة، وروى الرازي فيما زعم عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لمّا فرغ الله من من خلقه استلقى على قفاه، ثمَّ وضع إحدى رجليه على الأُخرى، ثمَّ قال لا ينبغي لأحد أن يفعل مثل هذا.

ومن خرافاتهم ما رواه ابن مقاتل في كتاب الأسماء رفعه وأسنده قال قيل يا رسول الله ممّ ربّنا؟ فقال لا من ماء الأرض ولا من ماء السماء خلق خيلاً فأجراها فعرقت الخيل فخلق نفسه من عرقها، وإنّ الله ينزل في كلّ ليلة إلى سماء الدنيا؛ وإنّه رمدت عيناه فعادته الملائكة وإنّ البحر من بزاقه وإنّ على رأسه شعراً جعداً قططاً.

ومن ذلك ما رووه في الجمع بين الصحيحين من مسند أبي هريرة يرويه عن النبيّ صلى الله عليه وآله في صفة حال الخلق يوم القيامة؛ وأنّهم يأتون آدم يسألونه الشفاعة فيعتذر إليهم فيأتون نوحاً فيعتذر فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبيّ الله وخليله من أهل الأرض إشفع لنا إلى ربّك؛ فيقول إنّ ربّي قد غضب عليّ غضباً لن يغضب قبله ولا يغضب بعده، وإنّي كنت كذبت ثلاث كذبات اذهبوا إلى غيري، فانظر إلى هؤلاء

المسلمين كيف وقعوا في الله وفي أنبيائه، ومع هذا يتوقّعون ويجزمون بأنّهم هم الفرقة الناجية.

ومنه أيضاً ما رواه في الجمع بين الصحيحين في الحديث الرابع والأربعين من المتفق عليه من مسند أبي هريرة قال بينما الحبشة يلعبون عند النبيّ ﷺ بحرابهم إذ دخل عمر فأهوى إلى الحصى يحصبهم بها، فقال له رسول الله ﷺ دعهم يا عمر وروى الغزالي في كتاب الإحياء أنّ النبيّ ﷺ كان جالساً وعنده جوار يتغنّين ويلعبن فجاء عمر فاستأذن فقال النبيّ ﷺ للجواري اسكتن فسكتن، فدخل عمر فقضى حاجته ثمّ خرج، فقال لهنّ محمّد نبيّهم عدن إلى الغناء؛ فقلن يا رسول الله من هذا الذي كلّما جاء قلت اسكتن وكلّما خرج قلت عدن إلى الغناء؟ فقالوا عن النبيّ أنّه قال أنّ هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل أو نحو ذلك.

ورووا في صحاحهم عدّة أحاديث تتضمّن أمثال ذلك، فانظر إلى هذا الحديث وتعجب من نقله وتصديقهم له، وما تضمّنه من أنّ عمر كان أرشد وأهدى من نبيّهم؛ ومثل ذلك ما رواه في الجمع بين الصحيحين في الحديث السادس من المتفق عليه من مسند حذيفة اليمان قال كنت مع النبيّ ﷺ فانتهى إلى سباطة؛ فقام فبال قائماً فتنحّيت، فقال له أدنه فدنوت حتّى قمت عند عقبيه، فتوضّأ ومسح على خفّيه؛ فانظر إلى هؤلاء الأقوام الذين رووا في كتبهم أنّ النبيّ ﷺ علّم الناس الآداب في البول والخلاء وسائر الأمور الدينيّة وأنّه لا يبول أحدهم قائماً ويتباعد عن الناس وقت بوله، ثمّ يصدّقون ويصحّحون أنّه بال قائماً، وأنّه أمر حذيفة بأن يقرب منه ويطلع عليه في ذلك الحال.

ومن ذلك ما روي في ذلك الكتاب من المتفق عليه من مسند عائشة قالت رأيت النبيّ ﷺ يسرّني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر؛ فقال النبيّ ﷺ آمنّا يا بني رفدة، يعني من الأمن، ومن الحديث المذكور عن عائشة أنّ أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيّام منى تلعبان بالدف وتضربان به، والنبيّ يتغشى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف النبيّ ﷺ وجهه فقال دعهما يا أبا بكر فإنّها أيّام عيد وتلك الأيّام أيّام منى.

ومن الحديث المذكور عن عائشة قالت دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنّيان فاضطجع على الفراش فدخل أبو بكر فانتهرني فقال من هؤلاء الشياطين عند النبي؟ فأقبل إليه رسول الله ﷺ فقال دعهما، فلمّا غفل غمزتهما

فخرجتا؛ فانظر إلى هؤلاء الأخيار كيف صدّقوا أنّ نبيّهم كان يفرّج زوجته على الذين يلعبون وينبسط لهم في مثل هذه الرذائل مع ما رووه من غيرة النبيّ ﷺ وكونه أغير من كلّ أحد مع أنّهم رووا عنه ﷺ أنّه قال من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل لا أدّاها إليك؛ فإنّ المساجد لم تبنَ لهذا، فإذا لم يرضَ بإنشاد الضالة في المسجد فكيف يرضى بأن يكون محلاّ للّعب واللهو، ثمَّ كيف يجوز أن يكون عمر وأبو بكر يستقبحان هذا الأمر والنبيّ ﷺ يمنعهما من استقباحهما وكيف استحسن هذا الأمر لنفسه وزوجته ثمَّ كيف يكون أبو بكر وعمر أعرف بالآداب حيث أنكرا المغنيات والحبشة، وهلاّ اقتديا به، وكان لهما فيه أسوة حسنة وكيف لا يسكتان كما سكت وحيث لم يسكتا فهلاّ قالا يا رسول الله ما سبب سكوتك عن الإنكار.

ومن ذلك ما رواه الغزالي في كِتاب الإحياء في كتاب النكاح في الباب الثالث في ذكر حسن صحبة النبي ﷺ لعائشة؛ قال وروي أنّه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوماً وسبقها رسول الله ﷺ في بعض الأيّام، فقال عليه السلام لها هذا بتلك؛ قال بعض المسلمين سبحان الله كيف يحسن من هذا الشيخ الغزالي وغيره نقل هذا الحديث على وجه التصديق به، وقد عرف أهل العقول والتجارب أنّ وقار النبوّة وحرمة الرسالة والسكينة الإلهيّة على ما تضمّنه كتابهم يمنع محمّداً ﷺ أن يعدو مع عائشة برجله مثل الأطفال والجهّال وإنّ العقل يشهد أنّ هذه الحكاية من جملة المحال؛ ولو فعل هذا من هو دونه من العقلاء سقطت منزلته بين الفضلاء.

ويعجبني نقل نبذة من كتاب يوحنّا الذمي قال بعد أن ذكر الاختلافات في المذاهب والأديان، وأوّل الشبهة، وأنّ واضعها الشيطان كما قدّمناه، وآخر الشبهة وأنّ واضعها عمر بن الخطّاب وأضرا به ما هذا لفظه: قال يوحنّا: فلما رأيت هذه الاختلافات من كبار الصحابة الذين يذكرون مع رسول الله ﷺ فوق المنابر عظم عليّ الأمر وغمّ عليّ الحال وكدت أن أُفتن في ديني؛ فقصدت بغداد وهي إذ ذاك قبّة الإسلام لأُخاوض فيها علماء الإسلام (المسلمين خ) لأنظر الحق وأتبعه؛ فلمّا اجتمعت بعلماء المذاهب الأربعة قلت لهم أنا رجل ذمّيّ وقد هداني الله تبارك وتعالى للإسلام فأسلمت، وقد أتيتكم لأتقبّل عنكم معالم الدين وشرائع الإسلام؛ فقال كبيرهم وهو الحنفي يا يوحنّا مذاهب الإسلام أربعة فاختر لنفسك واحداً منها، ثمَّ اشرع في قول ما تريد، فقلت لهم إنّي رأيت تخالف المذاهب وعلمت أنّ الحقّ منها واحد فاختاروا لي ما تعلمون أنّه الحقّ الذي كان عليه نبيّكم، ثمَّ قال الحنفي إنّا

لا نعلم الحقّ الذي كان عليه نبيّنا، بل نعلم أنّ طريقته غير خارجة عن الفرق الإسلاميّة وكلّ من أربعتنا يقول أنّه محقّ لكن يمكن أن يكون مبطلاً ويقول إنّ غيره مبطل لكن يمكن أن يكون غيره محقّاً.

وبالجملة إنّ مذهب أبي حنيفة أنسب المذاهب كلّها، وأقيسها للحقّ، وأطبقها للسنّة وأرفعها عزّاً عند الناس، إذ مذهبه مختار أكثر الأمّة وسلاطينها فعليك به تنجُ.

قال يوحنّا فصاح به إمام الشافعيّة وأظنّ أنّه كان بين الشافعيّ والحنفيّ منازعات فقال له اسكت لا نطقت والله لقد كذبت وتقوّلت ومن أين أنت والتميز بين المذاهب وترجيح المجتهدين ويلك ثكلتك أمّك ألك وقوف على ما قاله أبو حنيفة وما قاس برأيه فإنّ المسمّى بصاحب الرأي يجتهد في مقابلة النصّ ويستحسن في دين الله تعالى ويعمل به حتّى أوقعه رأيه في الوهن في أن قال لو عقد رجل في أقصى الهند على امرأة بكر وهي في الروم عقداً شرعيّاً، ثمّ أتاها بعد سنين متعدّدة فوجدها حاملة وبين يديها أولاد يمشون فيقول لها ما هؤلاء فتقول له أولادك، فيرافعها في ذلك إلى القاضي الحنفي فيحكم أنّ الأولاد لصلبه يلحقون به ظاهراً وباطناً يرثهم ويرثونه، فيقول ذلك المحارف وكيف ذلك ولم أقربها قطّ. فيقول القاضي يحتمل أن يكون قد احتلمت وأطارت الريح منيّك في قطنة فوقعت في فرج هذه المرأة فحملت، فهل يا حنفي هذا مطابق للكتاب والسنّة؟ قال نعم إنّما يلحق بها لأنّها فراشه، وقال النبيّ ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر؛ والفراش يتحقّق بالعقد ولا يشترط فيه الوطء فمنع الشافعي أنّه لا يصير فراشاً بدون الوطء فغلب الشافعيُّ الحنفي بالحجّة.

ثمّ قال الشافعي قال أبو حنيفة لو أنّ امرأة تزفّ إلى بيت زوجها فعشقها رجل فادّعى عند قاضي الحنفيّة أنّه عقد عليها قبل الرجل الذي زفّت إليه، وأرشى المدّعي فاسقين حتّى شهدا له كذباً بدعواه؛ فحكم القاضي بزوجيّة تلك المرأة فإنّها تحلّ عليه ظاهراً وباطناً عند أبي حنيفة؛ وتحرم على الرجل الأوّل ظاهراً وباطناً، وتحلّ على الشهود الذين تعمّدوا الكذب في شهاداتهم؛ فانظروا أيّها الناس هل هذا يصدر ممّن عرف قواعد الإسلام، قال الحنفي لا اعتراض لك عندنا إنّ حكم القاضي ينفذ ظاهراً وباطناً وهذا متفرّع عليه.

وخصمه الشافعي ومنع من أن ينفذ حكم القاضي ظاهراً وباطناً بقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] ولم ينزل الله تعالى ذلك.

ثمّ قال الشافعي قال أبو حنيفة لو أنّ امرأة غاب عنها زوجها وانقطع خبره فجاء

رجل وقال زوجك قد مات فاعتدّت وبعد العدّة عقد عليها رجل آخر ودخل بها وجاءت منه بأولاد؛ ثمَّ غاب الرجل الثاني عنها وظهر حياة الأوّل وحضر عندها، فإنّ جميع أولاد الرجل الثاني يكونون أولاد الرجل الأوّل يرثهم ويرثونه؛ فيا أُولي العقول الباهرة هل يذهب إلى هذا القول من له دراية أو نظر، فقال الحنفي إنّما أخذ أبو حنيفة هذا من قول: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فاحتجّ عليه الشافعي بكون الفراش مشروطاً بالدخول وغلبه.

ثمَّ قال الشافعي وإمامك أبو حنيفة قال لو عشق رجل امرأة مسلم وادّعى عند القاضي كذباً أنّ زوجها طلّقها وجاء بشاهدين فشهدا له كذباً، فحكم القاضي بطلاقها حرمت على زوجها الأوّل وجاز للمدّعي نكاحها وللشهود أيضاً وزعم أنّ حكم القاضي ينفذ باطناً وظاهراً وقد عرفت ما فيه.

فقال الشافعي وإمامك أبوحنيفة قال إذا شهد أربعة رجال على رجل بالزنا فإن صدقهم سقط الحدّ وإن كذّبهم لزم فاعتبروا يا أُولي الأبصار؛ وقال أبو حنيفة لو لاط رجل بصبيّ ويوقبه (لم يمنى) فلا حدّ عليه يعزّر؛ ورسول الله ﷺ يقول من عمل عمل قوم لوط اقتلوا الفاعل والمفعول.

وقال أبو حنيفة إنّ من لفّ على ذكره خرقة وزنى بأُمّه وبنته جاز، وقال أبو حنيفة لو غصب أحد حنطة من مسلم فطحنها ملكها، فلو أراد صاحب الحنطة أن يأخذ حنطة ويعطي الغاصب الأجرة لم يجب على الغاصب إجابته وله منعه، فلو قاتله فقتل صاحب الحنطة كان دمه هدراً، ولو قتل الغاصب قتل صاحب الحنطة به، وقال أبو حنيفة لو سرق سارق ألف دينار وسرق ألفاً أُخرى من آخر ومزجهما ملك الجميع ولزمه البدل وقال أبو حنيفة لو قتل المسلم التقيّ العالم كافراً جاهلاً قتل المسلم به والله تعالى يقول في محكم كتابه ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وقال أبو حنيفة لو قتل حرّ عبداً قيمته عشرة دراهم قتل الحرّ به؛ والله تعالى يقول الحرّ بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى.

وقال أبو حنيفة لو اشترى أحد أمة وأختها ونكحهما لم يكن عليه حدّ وإن علم وتعمّد وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]، وقال أبو حنيفة لو عقد على أمّه أو أخته عالماً بأنّها أمّه وأخته ودخل بها لم يكن عليه حدّ لأنّ العقد شبهة، وقال لو نام رجل على طرف حوض من نبيذ فانقلب في نومه ووقع في الحوض ارتفعت جنابته وطهر؛ وقال أبو حنيفة لا تجب

النيّة في الوضوء ولا في الغسل؛ وفي الصحيح إنّما الأعمال بالنيات. وقال لا تجب البسملة في الفاتحة وأخرجها عنها؛ مع أنّ الخلفاء كتبوها في المصاحف بعد تجويد القرآن.

وقال لو سلخ جلد الكلب الميّت ودبغ طهر وحلّ له شرب الماء فيه ولبسه في الصلاة، وهذا مخالف لنصّ تنجيسه المقتضي لتحريم الانتفاع به، بل يا حنفي في مذهبك أنّه يجوز للمسلم إذا أراد الصلاة أن يتوضأ بنبيذ ويلبس جلد كلب مدبوغ ويفرش تحته مثل ذلك، ويسجد على عذرة يابسة ويكبّر بالهندية ويقرأ بالعبرانيّة أو الفارسية ويقول بعد الفاتحة (دوبرك سبز) يعني ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٤]، ثمَّ يركع ولا يرفع رأسه ثمَّ يسجد ويفصل بين السجدتين بمثل حدّ السيف وقبل التسليم يتعمّد خروج الريح؛ فإنّ صلاته صحيحة وإن أخرج الريح ناسياً بطلت صلاته، فاعتبروا يا أولي الأبصار، أيجوز لنبيّ أن يأمر أُمّته بمثل هذه الصلاة فأُفحم الحنفي وامتلأ غيظاً.

وقال يا شافعي أقصر فضَّ الله فاك وأين أنت والأخذ على أبي حنيفة، أين مذهبك من مذهبه فإنّما مذهبك بمذهب المجوس أليق لأنّ في مذهبك أنّه يجوز للرجل أن ينكح ابنته من الزنا بل يجمع بين أختيه من الزنا وكذا عمّته وخالته من الزنا والله تعالى يقول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]؛ وهذه صفات حقيقيّة لا تتغير بتغير الشرائع والأديان ولا تظنّن يا شافعي يا أحمق أنّ منعهم من التوريث يخرجهم من الصفات الذاتية ولذلك يضاف فيقال بنته وأخته من الزنا.

قال يوحنّا فانظروا يا أولي الأبصار هل هذا إلّا مذهب المجوس؛ ويا شافعي أمّا إمامك فأباح للناس لعب الشطرنج مع أنّ النبيّ ﷺ قال لاعب النرد والشطرنج كعابد الوثن؛ وإمامك الشافعي أباح الرقص والدف والقصب. قال يوحنّا فطال بينهما الجدال فاحتمى الحنبلي للشافعي واحتمى المالكي للحنفي ووقع المالكي والحنبلي؛ وكان ممّا وقع بينهم إن قال الحنبلي للمالكي أنّ مالكاً أبدع في الدين بدعاً أهلك الله تعالى عليها أُمماً؛ وهو أباحها وأباح وطء المملوك، وقد صحّ عن النبيّ ﷺ من لاط بغلام فاقتلوا الفاعل والمفعول، ومالك يقول في المنظومة:

وجائز نيك الغلام الأمرد وجوّزوا للرجل المجرّد
هذا إذا كان وحيداً في السفر ولم يجد أنثى تفي إلّا الذكر

وأنا رأيت مالكيّاً ادّعى عند القاضي على آخر أنّه باعه مملوكاً والمملوك لا يمكّنه من وطئه، فأثبت القاضي أنّه عيب في المملوك يجوز له ردّه به؛ وأيضاً إمامك أباح لحم الكلب فرجع المالكي عليه وصاح به، وقال اسكت يا مجسّم يا حلولي مذهبك أولى بالقبح لأنّ عند إمامك أحمد بن حنبل أنّ الله تبارك وتعالى جسم يجلس على العرش ويفضل عن العرش بأربع أصابع؛ وأنّه ينزل كلّ ليلة جمعة من سماء الدنيا على سطوح المساجد في صورة أمرد قطط الشعر؛ له نعلان شراكهما من اللؤلؤ الرطب على حمار له ذوائب، وعلماء الحنابلة يبنون على سطوح المساجد معالف ويضعون فيها تبناً وشعيراً ليأكل منه حمار الله تعالى.

ومن المشهور أنّه في ليلة جمعة صعد أحد زهّاد الحنبليّة سطح مسجد الجامع يرتجي أن ينزل الله تعالى إليه واتّفق أنّه كان على سطح الجامع غلام نفّاط وكان قطط الشعر؛ فلمّا وقع بصر الشيخ الحنبلي عليه ظنّه ربّه فوقع على قدميه يقبّلهما ويقول سيّدي إرحمني ولا تعذّبني ويشتكي ويتضرّع؛ فبهت الغلام وظنّ أنه يريد منه فعلاً قبيحاً، فصاح بالناس وقال هذا الرجل يريد أن يفسق بي في سطح المسجد، وأتى إليه جماعة النفّاطين فأوجعوه ضرباً ومضوا به إلى الحاكم فحبسه إلى الغد لينظر في حاله فسمع في ذلك علماء الحنابلة فأتوا إلى الحاكم وأقسموا بالله أنّ هذا الرجل ممّا لا يظنّ فيه هذا الأمر وإنّما ظنّ أنّه ربّه فأراد أن يقبّل قدميه، فقبّح الله مذهبك يا حنبلي، فرفع الحنبلي والحنفي والمالكي والشافعي رؤوسهم؛ وعلت أصواتهم وأظهروا قبائحهم حتّى سئم كلّ من حضر من كلامهم فعاب العامّة عليهم.

قال يوحنّا فقلت لهم على رسلكم والله إنّي نفرت من اعتقادكم فإن كان الإسلام هذا فيا ويلاه ووا سوأتاه، لكنّي أقسم عليكم بالله الذي لا إله إلّا هو أن تقطعوا هذا البحث وتذهبوا، فإنّ القوم قد أنكروا عليكم؛ وقاموا وتفرّقوا وبقوا أسبوعاً لا يخرجون من بيوتهم؛ وإذا خرجوا أنكر الناس عليهم؛ ثمَّ اصطلحوا واجتمعوا في المستنصريّة فجلست إليهم وخاوضتهم، وقلت لهم كنت أريد عالماً من علماء الرافضة لتناظروه في مذهبه فهل يمكنكم أن تأتوني أحداً منهم؟ فقال العلماء يا يوحنّا الرافضة شرذمة قليلة ولا يستطيعون المناظرة بين المسلمين لقلّتهم وكثرة مخالفيهم؛

ولا يتظاهرون فضلاً عن أن يستطيعوا المحاجّة على مذهبهم فهم الأقلّون عدداً الأرذلون قدراً.

قال يوحنّا أمّا قولكم أنّهم الأقلّون ومخالفيهم الأكثرون فهذا مدح لهم لأنّ الله تبارك وتعالى مدح القليل وذمّ الكثير بقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]؛ ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]؛ ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

قال العلماء يا يوحنّا حالهم أعظم من أن يوصف لأنّا لو علمنا بأحد منهم فلا نزال نتربص بهم الدوائر حتّى نقتلهم لأنّهم عندنا كفرة يحلّ علينا دماؤهم وأموالهم؛ فقال يوحنّا الله أكبر هذا أمر عظيم أفتراهم بمَ استحقّوا هذا، أهم ينكرون الشهادتين قالوا لا، قال أهم لا يتوجّهون إلى قبلة الإسلام؟ قالوا بلى، قال أفهم ينكرون شيئاً من الأحكام؟ قالوا لا، قال يوحنّا ياالله العجب قوم يشهدون الشهادتين ويقرّون بالأحكام كيف تحلّ دماؤهم وأموالهم؛ والنبيّ ﷺ يقول أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله فإذا قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّ وحسابهم على الله قال العلماء يا يوحنّا إنّهم أبدعوا في الدين، فمنها أنّهم يدّعون أنّ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ويفضّلونه على الخلفاء الثلاثة، والصدر الأوّل من الأمّة اجتمعوا على أنّ فضل الخلفاء كترتيبهم.

قال يوحنّا أفتراكم إذا قال أحد عليّ بن أبي طالب خير من أبي بكر تكفرونه قالوا نعم لأنّه خلاف الإجماع.

قال يوحنّا فما تقولون في محدّثكم الحافظ أبي نعيم؟ قال العلماء أنّه مقبول الرواية صحيح النقل، قال يوحنّا هذا كتابه المسمّى بكتاب الثاقب روي فيه أنّ رسول الله ﷺ قال عليّ خير البشر من أبى فقد كفر؛ وقال أيضاً عليّ خير هذه الأمّة بعد نبيّها، ولا يشكّ في ذلك إلّا منافق. وفي ذلك الكتاب أيضاً أنّه قال عليّ خير من أُخلفه بعدي. وروى أحمد بن حنبل في مسنده أنّ النبيّ ﷺ قال لفاطمة أوما ترضين أنّي زوّجتك أقدم أُمّتي سلماً؛ وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً؛ وفيه أيضاً أنّه قال اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فجاء عليّ بن أبي طالب.

قال يوحنّا فيا أمّة الإسلام لا تقولوا هذا إذ من الجائز أن يكون هذا المدح لهم في زمنه ﷺ وبعده حصل لبعضهم الارتداد، فإنّ إمامكم ومحدّثكم الحميدي روي

في الجمع بين الصحيحين في المتّفق عليه أنّه ﷺ قال سيؤتى برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا ربّ أصحابي أصحابي، فيقال لي إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك؛ فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨]، قال فيقال لي إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم.

قال العلماء يا يوحنّا هذا الذي ذكرته يدلّ على ارتداد بعض الصحابة لا أنّه يدلّ على أنّ ذلك البعض هو أبو بكر وعمر وأتباعهم، وما ندري ما الذي جرأهم على ذلك ومن أين جاز لهم ذلك؛ قال يوحنا جرّأهم على ذلك أئمّتكم وعلماؤكم كالبخاري ومسلم، فإنّهم رووا أنّه لمّا مات رسول الله ﷺ أرسلت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها من فدك وما بقي من خمس خيبر؛ فأبى أبو بكر أن يردّ عليها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر وجداً شديداً وهجرته ولم تكلّمه حتّى ماتت وهي غضبانة عليه ورووا أئمّتكم أيضاً في الجمع بين الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها؛ وأخذ الرافضة هذان الحديثان وركّبوا منه مقدّمتين؛ وهما: أبو بكر آذى فاطمة ومن آذى فاطمة آذى رسول الله، وقال الله تعالى في كتابه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ولو احتجّ أحد عليكم بهذه الجملة لم يسعكم منع مقدّمة من مقدّماته؛ ثمّ أطال الكلام معهم وألزمهم بإلزامات كثيرة؛ فظهر من هذا كلّه فساد هذه المذاهب العاطلة والأديان الباردة الباطلة.

نور في حقّية دين الإمامية وأنه يجب اتباعه دون غيره

اعلم أنّه بعد موت النبيّ ﷺ قد عمّت البليّة كافّة المسلمين وذلك أنّه تعدّدت آراؤهم بحسب تعدّد أهوائهم وصارت إلى ثلاث وسبعين فرقة أصولها وإلاّ فهي أكثر من مائتي فرقة والذي يدلّ على أنّ مذهب الإماميّة هو الحقّ وجوه.

منها أنّه أخلصها من شوائب الباطل وأعظمها تنزيهاً لله تعالى وأنبيائه وحججه، وأحسنها في مسائل الأصول والفروع، ولم يلتفتوا إلى القول بالرأي والقياس؛ أمّا باقي المسلمين فقد ذهبوا إلى كلّ مذهب. أمّا الأشاعرة فقالوا أنّ مع الله تعالى معاني قديمة موجودة في الخارج كالقدرة وغير ذلك؛ فجعلوه تعالى مفتقراً في كونه عالماً إلى ثبوت معنى هو العلم، وفي كونه قادراً إلى ثبوت معنى هو القدرة، وغير

ذلك من الثمانية. ولم يجعلوه قادراً لذاته ولا عالماً لذاته ولا حيّاً لذاته ولا مدركاً لذاته؛ بل لمعان قديمة يفتقر في هذه الصفات إليها، فجعلوه محتاجاً ناقصاً في ذاته كاملاً بغيره تعالى الله عن ذلك؛ ولا يقولون هذه الصفات ذاتيّة واعترض شيخهم فخر الدين الرازي عليهم بأنّه قال أنّ النصارى كفروا لأنّهم قالوا أنّ القدماء ثلاثة والأشاعرة أثبتوا قدماء تسعة.

أقول: فالأشاعرة لم يعرفوا ربّهم بوجه صحيح بل عرفوه بوجه غير صحيح فلا فرق بين معرفتهم هذه وبين معرفة باقي الكفّار لأنّه ما من قوم ولا ملّة إلّا وهم يدينون بالله سبحانه ويثبتونه وأنّه الخالق سوى شرذمة شاذّة وهم الدهريّة القائلون وما يهلكنا إلّا الدهر؛ وأسوأ الناس حالاً المشركون أهل عبادة الأوثان ومع هذا فهم إنّما يعبدون الأصنام لتقرّبهم إلى الله سبحانه زلفى كما حكاه عنهم في محكم الكتاب بطريق الحصر فتكون الأصنام وسائل لهم إلى ربّهم، فقد عرفوا الله سبحانه بهذا الباطل وهو كون الأصنام مقرّبة إليه وكذلك اليهود حيث قالوا عزير ابن الله، والنصارى حيث قالوا المسيح ابن الله، فهما قد عرفاه سبحانه بأنّه ربّ ذو ولد فقد عرفاه بهذا العنوان؛ وكذلك من قال بالجسم والصورة والتخطيط؛ وذلك لما عرفت في أوّل الكتاب من أنّ الكل قد طلبوا معرفته وخاضوا بحار وحدانيّته، وكانت مضائق وعرة وسبلاً مظلمة، فمن كان له دليل عارف عرف الله سبحانه، ومن كان دليله أعمى مثله خاض معه بحار الظلمات؛ وما زاده كثرة السير إلّا بعداً. فالأشاعرة ومتابعوهم أسوأ حالاً في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارى، وذلك أنّ من قال بالولد أو الشريك لم يقل أنّه تعالى محتاج إليهما في إيجاد أفعاله وبدائع محكماته؛ فمعرفتهم له سبحانه على هذا الوجه الباطل من جملة الأسباب التي أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم من الكفّار، وأفادتهم الكلمة الإسلاميّة حقن الدماء والأموال في الدنيا؛ فقد تباينّا وانفصلنا عنهم في باب الربوبيّة؛ فربّنا من تفرّد بالقدم والأزل وربّهم من كان شركاؤه في القدم ثمانية.

ووجه آخر لهذا لا أعلم إلّا أني رأيته في بعض الأخبار، وحاصله أنّا لم نجتمع معهم على إله ولا على نبيّ ولا على إمام، وذلك أنّهم يقولون أنّ ربّهم هو الذي كان محمّد ﷺ نبيّه وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الربّ ولا بذلك النبيّ، بل نقول أنّ الربّ الذي خليفة نبيّه أبو بكر ليس ربّنا ولا ذلك النبيّ نبيّنا ووجه آخر لكنّه جواب عن جواز لعن المتخلّفين بل هو دالّ على وجوب اللّعن؛ وذلك أنّ

الإمامة كالنبوّة والإلٰهية مركبة من إيجاب وسلب أمّا الإلٰه فمن قال الله إلٰه ولم ينف عنه الشركاء والأضداد فهو ليس بموحّد بإجماع المسلمين ولا مسلم أيضاً، أمّا النبوّة فمن قال أنّ محمّداً نبيّ ولم ينفِ نبوّة من ادّعاها كمسيلمة ونحوه فهو ليس بمسلم أيضاً، فالسلب واجب فيها كالإيجاب؛ وأمّا الإمامة فهي كذلك أيضاً فمن قال أنّ عليّاً إمام ولم ينفِ إمامة من ادّعاها ونازعه عليها وغصبها فليس بمؤمن عند أهل البيت عليهم السلام؛ فظهر من هذا أنّ البراءة من أولئك الأقوام من أعظم أركان الإيمان؛ ومخالفونا قد خالفونا في هذا أيضاً ومن هذا التحقيق ظهر أنّ المراد بالقدرية في قوله صلى الله عليه وآله القدرية مجوس هذه الأمّة هم الأشاعرة، وذلك أنّ نسبتهم إليهم قويّة جدّاً كما لا يخفى.

ومنها ما نقله العلاّمة الحلّي عن شيخه نصير الدين الطوسيّ قدّس الله روحيهما قال سألته عن المذاهب، فقال بحثنا عنها وعن قول رسول الله صلى الله عليه وآله ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها ناجية والباقي في النار، وقد عيّن صلى الله عليه وآله الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر صحيح متّفق عليه وهو قوله صلى الله عليه وآله مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى، فوجدنا الفرقة الناجية هي الفرقة الإماميّة، لأنّهم باينوا جميع المذاهب، وجميع المذاهب قد اشتركوا في أصول العقائد، وهذا تحقيق متين؛ وحاصله أنّه لو كان الفرقة الناجية غير الإمامية لكان الناجي كلّهم لا فرقة واحدة وذلك لأنّهم متشاركون في الأصول والعقائد الموجبة لدخول الجنّة ولا يخالفهم أحد سوى الإمامية، فإنّهم اشترطوا في دخول الجنّة ولاية الأئمّة الاثني عشر والقول بإمامتهم.

ومنها أنّهم أخذوا دينهم عن الأئمّة المعصومين المشهورين عند العدو والولي بالفضل والورع والعبادة؛ الذين نزلت في شأنهم سورة هل أتى وآية الطهارة، وإيجاب المودّة لهم؛ وآية الابتهال وغير ذلك؛ فهم جازمون بصحّة دينهم ونجاتهم كجزم أئمّتهم عليهم السلام، وأمّا غيرهم من الفرق فهم وأئمّتهم شاكّون في النجاة؛ ومتابعة الجازم أولى من متابعة الشاكّ.

ومنها أنّ الإمامية لم يذهبوا إلى التعصّب في غير الحقّ بخلاف غيرهم فقد ذكر الغزالي والمتوكل وكانا إمامين للشافعيّة أن تسطيح القبور هو المشروع لكن لمّا جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسنيم؛ وذكر الزمخشري وكان من أئمة الحنفية في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، أنّه

يجوز بمقتضى هذه الآية أن يصلّى على آحاد المسلمين، لكن لمّا اتّخذته الرافضة في أئمّتهم منعنا عن غير النبيّ ﷺ، وقال مصنّف الهداية من الحنفية المشروع التختم في اليمين لكن لمّا اتّخذته الرافضة عادة جعلنا التختّم في اليسار، وأمثال ذلك كثير فانظر بعين البصيرة إلى من يغيّر الشرع ويبدّل الأحكام التي ورد بهاالشرع مع أنّهم ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنّها بدعة؛ كقول عمر متعتان كانتا محلّلتين في عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، وكخروج طلحة والزبير بعائشة ولا نعلم بأيّ وجه يلقون رسول الله ﷺ مع أنّ الواحد منّا لو تحدّث مع امرأة غيره وأخرجها من منزله وسافر بها كان أشدّ الناس عداوة له وكيف أطاعها على ذلك آلاف من المسلمين.

وبالجملة فاستقصاء الأخبار الدالّة على حقّية مذهب الإمامية والدلائل العقلية ممّا يوجب تطويل الكتاب.

تذييل في تفصيل بعض الكتب السماوية

أمّا التوراة فهي خمسة أسفار، السفر الأوّل يذكر فيه بدء الخلق والتاريخ من آدم إلى يوسف عليه السلام؛ السفر الثاني فيه استخدام المصريّين لبني إسرائيل وظهور موسى عليه السلام وهلاك فرعون وإمامة هارون، ونزول الكلمات العشر وسماع القوم كلام الله، السفر الثالث يذكر فيه تعليم القرابين بالإجمال؛ السفر الرابع يذكر فيه عدد القوم وتقسيم الأرض عليهم وأحوال الرسل التي بعثها موسى عليه السلام إلى الشام، وأخبار المنّ والسلوى والغمام، السفر الخامس يذكر فيه بعض الأحكام ووفاة هارون وخلافة يوشع عليه السلام والربّانيون. وقد بقي من الفرق الإسلامية فرقتان: الصوفية والنواصب فلا بأس بعقد ظلمة في بيان أحوالهما.

ظلمة حالكة في بيان أحوال الصوفية والنواصب

اعلم أنّ هذا الاسم وهو التصوّف كان مستعملاً في فرقة من الحكماء الزايغين عن طريق الحقّ، ثمَّ قد استعمل بعدهم في جماعة من الزنادقة؛ وبعد مجيء الإسلام استعمل في جماعة من أهل الخلاف كالحسن البصري وسفيان الثوري وأبي هاشم الكوفي ونحوهم وقد كانوا في طرف من الخلاف مع الأئمّة عليهم السلام، فإنّ هؤلاء المذكورين قد عارضوا الأئمّة عليهم السلام في أعصارهم وباحثوهم وأرادوا إطفاء نور الله، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون، والذي وجد منهم في أعصار علمائنا رضوان الله

عليهم قد عارضهم وردّ عليهم وصنّف علماؤنا رحمهم الله كتباً في ذمّهم والردّ عليهم خصوصاً شيخنا المفيد رحمه الله فإنّه قد أكثر من الردّ على حسين بن منصور الحلاّج ومتابعيه وله قصص وحكايات مذكورة في كتب أصحابنا مثل كتاب الغيبة والاقتصاد للشيخ الطوسي رحمه الله؛ وأنّهم ادّعوا الإلٰهية له وورود التوقيع من صاحب الأمر عليه السلام بلعنه وهو الذي كان يقول ليس في جبّتي سوى الله وكان يمنع أصحابه من السفر إلى مكة للحجّ، ويقول طوفوا حولي فمكة بيت الله وأنا الله؛ إلى غير ذلك من أباطيله.

وقد استمرّ الحال إلى هذه الأعصار وما قاربها، ثمَّ أنّ جماعة من علماء الشيعة طالعوا كتبهم واطّلعوا على مذاهبهم فرأوا فيها بعض الرخص والمسامحات مثل قولهم بأنّ الغناء المحرَّم هو الذي يستعمل في مجالس الشرب وأهل الفسوق كما صرّح به الغزالي وأضرابه، فأباحوا أفراد الغناء وأنواعه لمتابعيهم وكانوا من أهل العلم؛ والناس يميلون إلى من يسهل عليهم مثل هذه الأمور التي يحصل للنفس منها التذاذ؛ وكتركهم التزويج والإقبال على الغلمان الحسان؛ فإنّ كلّ من كان عنده غلام مقبول أو ولد حسن الصورة أتى به إلى شيخ الصوفية والتمس منه أن يجعله خادماً عنده؛ ثمَّ لم يظهر له حاله إلّا عندما يفتك بالولد ويفسق به؛ فيأخذه أبوه منه لكن بعد خراب البصرة.

والعجب من بعض الشيعة كيف مال إلى هذه الطريقة مع اطّلاعه على أنّها مخالفة لطريقة أهل البيت عليهم السلام اعتقاداً وأعمالاً، أمّا الاعتقاد فقد قالوا بالحلول وهو أنّ الله سبحانه قد حلّ بكلّ مخلوقاته حتّى بالقاذورات تعالى الله عمّا يقول الكافرون؛ وقد مثّلوا حلول الله بهذه المخلوقات بالبحر وقت اضطراب أمواجه؛ فإنّ ماء الأمواج وإن كان متعدّداً إلّا أنّه كلّه ماء واحد في بحر واحد قد كثّره التموّج، فهي واحدة بالحقيقة متعدّدة بالاعتبار، فالمخلوقات كلّها عين الله سبحانه، وهو عينها والتعدّد إنّما جاء من هذه العوارض الخارجية والتشخّصات العارضة للمادّة.

وكان من أعظم مشايخهم عندهم الشيخ العطّار، ولمّا سمع سلطان ذلك الزمان بكفره وإغوائه المسلمين أرسل إليه جلّاداً يأخذ رأسه فلمّا أتى إليه الجلّاد وأخبره بما أتى به، فقال الشيخ العطّار أنت ربّي بأي صورة شئت فتصور فإن أردت قتلي فها أنذا ثمَّ قتله؛ ومن ذلك اعتقادهم أنّ السالك إذا عبد الله تعالى بلغ إلى مرتبة اليقين حتّى لا يحتاج إلى العبادة بعد لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:

٩٩]، واليقين عندهم هو العلم والمعرفة بالله سبحانه، وعند أهل البيت عليهم السلام اليقين هو الموت.

وقد حكى العلامة الحلّي قدّس الله روحه في كتاب نهج الحقّ قال شاهدت جماعة من الصوفية في حضرة مولانا الحسين عليه السلام وقد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالساً ولم يصلّ؛ ثمّ صلّوا بعد ساعة العشاء سوى ذلك الشخص، فسألت بعضهم عن ترك ذلك الشخص لصلاته؛ فقال وما حاجة هذا إلى الصلاة وقد وصل، أيجوز أن يجعل بينه وبين الله تعالى حاجباً؟ فقلت لا فقال الصلاة حاجب بين العبد والربّ، وفرّعوا على هذا الأصل جواز أن يكون بعض السالكين منهم أعلى درجة وأفضل مرتبة من مراتب الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وذلك أنّ السالك بزعمهم إذا فاق عبادة الأنبياء فاق درجاتهم.

وقد وقع مثل هذا التجاوز لمراتب الأنبياء لكثير من مشايخ الصوفيّة بزعمهم؛ وهذا الفرع مبنيّ على ذلك الأصل، وهذا وهم باطل إذ لو استغنى عنها أحد لاستغنى عنها سيّد المرسلين وأشرف الواصلين؛ وقد كان صلى الله عليه وآله يقوم في الصلاة إلى أن ورمت قدماه؛ وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام الذي تنتهي إليه سلسلة أهل العرفان يصلّي كلّ ليلة ألف ركعة إلى آخر عمره الشريف وكذا شأن جميع الأولياء والعارفين كما هو في التواريخ مسطور وعلى الألسنة مشهور.

ومن اعتقاداتهم وأعمالهم الفاسدة أنّهم تركوا العبادات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام ودوّنها الشيعة في كتبهم، وأقبلوا على اختراع عبادات وأذكار لم تذكر في الشريعة، وليس هذا إلّا لقصد الخلاف على علماء أهل البيت حتّى يكونوا في طرف النقيض، فلا يقال لهم أنّهم مقلّدو العلماء فيزدادون بذلك اعتباراً من عوامّ الناس وغثائهم وما علموا أنّ الله سبحانه لا يقبل من العبادات إلّا ما أرسل به حججه وقال على ألسنتهم. وإلاّ فقد عرفت سابقاً أنّ الشيطان لم يتكبّر على السجود لله تعالى لكنّه قال أنا أسجد لك يا ربّ ولا أسجد لآدم، وذلك أنّ الله سبحانه يحب أن يطاع من حيث أمر كما قال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقد كان في زماننا رجل من الصوفيّة ويزعم أنّه من علماء الشيعة، كان يخطب أصحابه يوماً فقال وهو على المنبر إنّي كتبت الأصول الأربعة يعني الكليني؛ والتهذيب والاستبصار، والفقيه وقرأتها وصحّحتها ولمّا رأيتها عديمة الفائدة بعتها بدرهم واحد ورميت ذلك الدرهم في الماء، فانظر إلى إيمان هذا الرجل عليه لعنة

الله والملائكة والناس أجمعين وقد كان مع أصحابه في حضرة مولانا الرضا عليه السلام مشغولين بذكرهم الجلي وهو ما اشتمل على الغناء والرقص والترنّم والوجد، فهوى بعضهم على محجّر القبر الشريف فشجّ رأسه وسال دمه وبلغ إلى المحجّر فاحتال الخدمة في إزالة ذلك الدم؛ فقال شيخ الصوفية لا تحتالوا بهذه الحيل لإزالة هذا الدم فإنّ هذا من دم العشّاق ودم العشاق طاهر؛ ثمَّ لمّا لم يسمع الناس هذا منه موّه عليهم كلاماً آخر، وقال أنّ الشمس ذكروا أنّها من المطهّرات فكيف لا تكون شمس الرضا عليه السلام مطهّرة لهذا الدم فقبل هذا الكلام منه بعض البهائم من أتباعه، ثمَّ بعد زمان قليل خذله الله سبحانه وسقط عن درجته واعتباره وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

ورأيت في شيراز رجلاً صوفياً وكان صاحب ذكر وحلقة وأتباع، وكان كلّ ليلة جمعة يأتي إلى قبّة السيّد الأجلّ السيد أحمد ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام [1] فيصنع الذكر المعهود وقد كان عزباً لم يتزوّج نعم كان عنده ولد مقبول من أولاد شيراز وكان ذلك الرجل صاحب تحصيل لحطام الدنيا وكلّ ما يحصّل في نهاره يعطيه ذلك الولد؛ ويبقي لنفسه شيئاً يسع قوت الشعير، وكان إذا خرج من البلاد ثمَّ دخل إليها يسأله بعض خواصّه أين كنت؟ فيقول كنت أزرع الآدميين، وقد استمرّ على هذا الحال برهة من الزمان؛ فظهر عليه وعلى أصحابه أنّهم أرادوا الخروج وادّعى واحد منهم أنّه الربّ، وآخر أنّه النبيّ، وثالث أنّه الإمام إلى غير ذلك؛ فأخذهم حاكم تلك البلاد وأمر بقتلهم وكنت من الحاضرين ذلك الوقت فلمّا أتوا بشيخهم إلى الميدان ليقتلوه كانت أخته فوق سطح جدار تنظر إلى ما يصنع بأخيها وتضحك؛ فقيل لها لم تضحكين؟ فقالت إنّ أخي هذا رجل شايب فإذا قتلوه يجيء بعد أربعين يوماً بصورة شابّ حسن الوجه قويّ البدن؛ فظهر أنّهم كانوا قائلين بالتناسخ أيضاً.

وقد رأينا منهم في شيراز وقائع غريبة وأطوار عجيبة لا توافق إلّا مذاهب الملاحدة والزنادقة وقد كان صاحب الكشاف شديد الإنكار على الصوفية وقد أكثر في الكشاف من التشنيع عليهم في مواضع عديدة، وقال في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن

---

(١) هو أحمد بن موسى المعروف عند الفرس بـ (شاه چراغ) له قبة بشيراز وقد ذكرنا سابقاً (ج ١ ص ٣٨٠ - ٣٨١ من هذا الكتاب) اختلاف الأقوال في مدفنه وأن المدفون بشيراز هل هو أحمد بن موسى الكاظم عليه السلام أو غيره؟ فراجع.

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية: وإذا رأيت من يذكر محبّة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشكّ في أنّه لا يعرف الله ولا يدري ما محبّة الله وما تصفيقه وطربه ونعيره وصعقته إلّا تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستجلبة (مستملحة خ) معشقة، فسمّاها الله بجهله ودعا إلى ربّه ثمّ صفق وطرب ونعر وصعق على تصوّرها، وربّما رأيت المنيّ قد ملأ إزار ذلك المحبّ عند صعقته وحمقاء العامّة حواليه قد ملأوا أردانهم بالدموع لما رقّهم من حاله.

ومن ذلك الاعتقاد أنّ أفضلهم الغزالي وقد ادّعى في إحيائه أنّه من أهل الكشف وأنّه قد انكشف له فضل أبي بكر على أمير المؤمنين عليه السلام؛ وادّعى أنّه انكشف له أيضاً عدم جواز سبّ يزيد لأنّه رجل مسلم[1] ولو كان قاتلاً للحسين عليه السلام لم يجز سبّه أيضاً لأنّ غاية هذا أنّه فعل كبيرة وذلك لا يجوّز سبّه.

وانكشف له بطلان مذهب الإمامية بعد أن ترك التدريس وانقطع في دمشق ومكة

---

(١) يقول الشيخ الغزالي حجة الإسلام عند أهل السنة أن يزيد مسلم ويقول علي جلال وزير معارف مصر سابقاً في كتابه (الحسين) ص ١٩٢ ط مصر سنة (١٣٤٩هـ) (أنه مسلم بن مسلم صحابي ابن مسلم صحابي) وإنّا نقول: أن يزيد كافر ابن زنديق كافر صحابي ابن زنديق منافق صحابي. إنّا نقول ذلك تبعاً لإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه فإنه يقول كما في كتاب له إلى معاوية مخاطباً له بقوله: دخلت في الإسلام كرهاً وخرجت منه طوعاً.
وأيضاً يقول عليه السلام من كلام له كما نقل ابن الأثير: لم يرعني إلا انشقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام طليق ابن طليق حزب من الأحزاب لم يزل حرباً لله ولرسوله هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين.
وقال عليه السلام: إن معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إلخ، وقال عليه السلام لما نزل الأنبار وخطب الناس وحرضهم على الجهاد: سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار قد طال ما سعوا في إطفاء نور الله وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله ومن معه ألا إن رسول الله أمرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فسيروا إلى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أرباباً ويتخذون عباد الله خولاً ومالهم دولاً. ولعمري إن الأمر في كفر بني أمية قاطبة ولا سيما في زندقة يزيد ومعاوية وأبيه صخر في الوضوح كالشمس على أرجاء الغبراء ولكن العصبيات الممقوتة والضغائن الخبيثة تقود بعض أرباب الأقلام المسمومة إلى التكلم والإشادة على خلاف الحق والحقيقة، ألا قاتل الله هذه التعصبات الجاهلية التي أبادت الأمة إلى اليوم وأدت إلى انحطاطهم وتخاذلهم إلى هذا العصر.

المشرّفة نحواً من عشرين سنة ملازماً للخلوة في آخر عمره؛ وصنّف كتاباً سمّاه المنقذ من الضلال يتضمّن الردّ على من يدّعي العصمة وإبطال مذهبهم، وسمّاهم أهل التعليم؛ وضرب لهم مثلاً بأخذهم عن المعصوم بمن تلوّث بجميع النجاسات ثمَّ طلب ماءً يستطهر (يتطهّر خ) منها وسعى في طلب ذلك الماء فلم يجد ماءً يطهّره ويزيل عنه الأخباث فبقي مرتكساً في النجاسات طول عمره.

وتكرّر منه في الإحياء وغيره: قالت الروافض خذلهم الله، وقال فيه أنّه لو جاء إلينا رافضيّ وادّعى أنّ له طلب دم عند أحد قلنا له أنّ دمك هدر لأنّ استيفاءه مشروط بحضور إمامك فأحضره حتّى يستوفي لك؛ وقد تقدّم الجواب عن هذا وقد صرّح في كتابه المنقذ أنّه كان يستفيد من الأنبياء والملائكة مع مشاهدتهم على وجه القطع كلّما يريد نعم ربّما نسب إليه كتاب يسمّى سرّ العالمين فيه مقالة يظهر منها ميله إلى الحقّ، ونطقه به ليكون حجّة عليه وبعضهم أنكر كون الكتاب له أو أنّ المقالة ملحقة بالكتاب.

وأمّا الشيخ محيي الدين الأعرابي وهو من أعاظم أجلاّئهم فقد حكى في فتوحاته أنّه أُسري به إلى السماء مراراً متعدّدة والظاهر أنّه قال أنّها تسع وذكر هناك أنّه رأى أبا بكر الصديق لمّا بلغ إلى العرش، وقد كان رأى في كلّ سماء واحداً من الأنبياء فكان درجته ودرجة أبي بكر أعلى من درجات أُولي العزم، وادّعى في أوّل فصوص الحكم أنّه من إملاء رسول الله ﷺ، وأمره له بعين ما كتب وسمّى نفسه خاتم الولاية لمنام رآه وغير ذلك من المكاشفات.

والعجب العجيب أنّهم كيف يصدّقون بدعوى الكشف مع اختلاف آرائهم ومذاهبم فمنهم الملحد ومنهم السنّي ومنهم الشيعي إلى غير ذلك فإذا كانت هذه المكاشفات كلّها صحيحة صحّت مذاهب الفرق فلا يكون الناجي فرقة واحدة بل جميع هذه الفرق ما هذا إلّا سفه وجنون.

وأمّا الأعمال ومخالفتهم بها فمن جملتها ترك التزويج، ومن جملتها عبادات مبتدعة وأذكار مخترعة ومن جملتها جلوسهم في بيت مظلم أربعين يوماً لا يأكلون إلّا القليل من الغذاء، ويرتاضون في تلك المدّة غاية الرياضة ويحرّمون على أنفسهم محلّلات الشرع، ويقولون هذا لأجل صفاء القلب ومن هذا زعموا أنّهم لقّبوا بالصوفية لاشتقاقه من صفاء القلب، وقد وهموا في هذا الاشتقاق.

والصحيح أنّهم إنّما لقبوا به لأنّهم يلبسون الصوف كما سيأتي إن شاء الله تعالى

في الأخبار الواردة في ذمّهم والطعن عليهم؛ ومن ذلك تركهم لطلب العلم وإقبالهم على تلك الرياضات زعماً منهم أنّ معرفة الله من جهة طلب العلم كسبيّة؛ ومن تلك الرياضات إلهامية؛ ومن هنا سلك مذهب التصوف عوام الناس وصار الصوفي من غيّر ثيابه ولبس ثياب الصوف، أو كشف رأسه شتاءً وصيفاً كما هو عادة بعض الصوفيّة وإلاّ فهم بمعزل عن العلم حتّى عن معرفة قواعد التصوف.

روى شيخنا الكليني في كتاب المعيشة من الكافي بإسناده إلى مسعدة بن صدقة قال دخل سفيان الثوري على أبي عبدالله عليه السلام فرأى عليه ثياباً بيضاً كأنّها غرقئ البيض فقال أنّ هذا اللباس ليس من لباسك، فقال له اسمع منّي وعِ ما أقول لك فإنّه خير لك عاجلاً وآجلاً إن أنت متّ على السنّة والحقّ ولم تمت على بدعة، أخبرني أبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمن مقفر جدب، فأمّا إذا أقبلت الدنيا فأحقّ أهلها بها أبرارها لا فجّارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارها فما أنكرت يا ثوري؛ فوالله إنّني لمع ما ترى ما أتى عليّ مذ عقلت صباح ولا مساء ولله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعاً إلّا وضعته. قال وأتاه قوم ممّن يظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشّف فقالوا له إنّ صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حججه قال فقال لهم فهاتوا حججكم، فقالوا أنّ حججنا من كتاب الله فقال لهم فادلوا بها أحقّ ما اتّبع وعمل به، فقالوا يقول الله تعالى مخبراً عن قوم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، فمدح فعلهم وقال في موضع آخر ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] فنحن نكتفي بهذا.

فقال رجل من الجلساء إذا رأيناكم تزهدون في الأطعمة الطيّبة ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتّى تتمتّعوا أنتم منها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام دعوا عنكم ما لا ينتفع به، أخبروني أيّها النفر ألكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه؛ ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضل من ضلّ وهلك من هلك من هذه الأمّة؟ فقالوا له أو بعضه (ببعضه ظ) فأمّا كلّه فلا.

فقال لهم فمن ههنا أُتيتم وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمّا ما ذكرتم من إخبار الله تعالى إيّانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعالهم فقد كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منه على الله تعالى، وذلك أنّ الله تعالى أمر

بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخاً لفعلهم؛ وكان نهى الله رحمة للمؤمنين ونظراً لكيلا يضرّوا بأنفسهم وعيالاتهم منهم الضعفة الصغار والولدان، والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع، فإن تصدّقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً؛ فمن ثمَّ قال رسول الله ﷺ خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان وهو يريد أن ينفقها فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه، ثمَّ الثانية على نفسه وعياله، ثمَّ الثالثة على قرابته الفقراء، ثمَّ الرابعة على جيرانه الفقراء، ثمَّ الخامسة في سبيل الله وهو أخسّها أجراً.

ويقول ﷺ للأنصاري حين أعتق عند موته خمسة أو ستّة من الرقيق ولم يملك غيرهم؛ وله أولاد صغار: لو أعلمتموني في أمره ما تركتكم تدفنوه مع المسلمين يعول صبية صغاراً يتكفّفون الناس. ثمَّ قال حدّثني أبي أنّ رسول الله ﷺ قال ابدأ بمن تعول الأدنى فالأدنى، ثمَّ هذا ما نطق به الكتاب ردّاً لقولكم قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، أفلا ترون أنّ الله تعالى قال غير ما أراكم تدعون الناس إليه من الأثرة على أنفسهم وسمّى من فعل ما تدعون الناس إليه مسرفاً؛ وفي غير آية من كتاب الله يقول أنّه لا يحبّ المسرفين؛ فنهاهم عن الإسراف ونهاهم عن التقتير لكن أمر بين أمرين، لا يعطي جميع ما عنده ثمَّ يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له، للحديث الذي جاء عن النبيّ ﷺ: إنّ أصنافاً من أُمّتي لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو على والديه، ورجل يدعو على غريم، ذهب له بمال فلم يكتب له ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تعالى تخلية سبيلها بيده؛ ورجل يقعد في بيته ويقول ربّ ارزقني ولا يخرج في طلب الرزق؛ فيقول الله تعالى له عبدي ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب والتصرّف في الأرض بجوارح صحيحة؛ فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتّباع أمري، ولكيلا تكون كلّاً على أهلك فإن شئت رزقتك وإن شئت قترت عليك، وأنت غير معذور عندي، ورجل رزقه الله تعالى مالاً كثيراً فأنفقه ثمَّ أقبل يدعو يا ربّ ارزقني، فيقول الله تعالى: ألم أرزقك رزقاً واسعاً فهلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف وقد نهيتك عن الإسراف ورجل يدعو في قطيعة رحم.

ثمَّ علّم الله تعالى اسمه نبيّه ﷺ كيف ينفق وذلك أنّه كانت عنده أوقية من الذهب فكره أن تبيت عنده فصدّق بها، فأصبح وليس عنده شيء وجاء من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السائل واغتمّ هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه، وكان

رحيماً رقيقاً ﷺ فأدّب الله تعالى نبيّه، فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، يقول أنّ الناس قد يسألونك ولا يعذرونك؛ فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال قد حسرت من المال؛ فهذه أحاديث رسول الله ﷺ يصدّقها الكتاب والكتاب يصدّقه أهله من المؤمنين.

ثمَّ قد علمتم فضل سلمان وأبي ذرّ وزهدهما، فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوت سنة حتّى يحضر عطاؤه من قابل؛ وقيل له يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا وأنت لا تدري لعلّك تموت اليوم أو غداً؛ فكان جوابه أن قال: ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم الفناء، أما علمتم يا جهلة أنّ النفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنّت.

وأمّا أبو ذر رضي الله عنه فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم، أو نزل به ضيف، أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشاء على قدر ما يذهب عنهم، يقوّم اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضّل عليهم، ومن أزهد من هؤلاء، وقد قال فيهم رسول الله ﷺ ما قال؟ ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئاً البتة كما تأمرون الناس بإلقاء أمتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على أنفسهم وعيالاتهم.

واعلموا أيّها النفر أنّه سمعت أبي يروي عن آبائه أنّ رسول الله ﷺ قال يوماً ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن إنّه إن قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له وإن ملك ما بين مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له، وكلّ ما يصنع الله تعالى به فهو خير له، فليت شعري هل يحيق بكم ما قد شرحت لكم منذ اليوم أم أزيدكم؛ أما علمتم أن الله تعالى قد فرض على المؤمنين في أوّل الأمر أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ليس له أن يولّي وجهه عنهم، من ولاّهم يومئذ دبره فقد تبوّأ مقعده من النار، ثمَّ حوّلهم عن حالهم رحمة منه لهم فصار الرجل منهم عليه أن يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله تعالى للمؤمنين فنسخ الرجلان العشرة، وأخبروني أيضاً عن القضاة أجورة هم حيث يقضون على الرجل منكم نفقة امرأته إذا قال أنّي زاهد وأنّي لا شيء لي؛ فإن قلتم جورة ظلمكم أهل الإسلام، وإن قلتم بل عدل خصمتم أنفسكم.

أخبروني لو كان الناس كلّهم كالذين تريدون زهّاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم

فعلى من كان يتصدّق بكفّارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة من الذهب والفضة؛ والتمر، والزبيب، وسائر ما وجب فيه الزكاة من الإبل والبقر؛ والغنم وغير ذلك ولو كان الأمر كما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدنيا إلّا قدمه وإن كان بهم خصاصة؛ فبئس ما ذهبتم فيه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وأحاديثه التي يصدّقها الكتاب المنزل، وردّكم إيّاها بجهالتكم، وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه والأمر والنهي.

وأخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود حين سئل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله ذلك، وكان يقول الحقّ ويعمل به ثمَّ لم نجد الله تعالى عاب عليه ذلك ولا أحداً من المؤمنين؛ وداود النبيّ عليه السلام قبله في ملكه وشدّة سلطانه؛ ثمَّ يوسف النبيّ عليه السلام حيث قال لملك مصر ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، فكان من أمره الذي كان أن اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن؛ وكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم، وكان يقول الحقّ ويعمل به فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه ثمَّ ذو القرنين عبد أحبَّ الله فأحبّه الله طوى له الأسباب وملّكه مشارق الأرض ومغاربها وكان يقول الحقّ ويعمل به؛ ثمَّ لم نجد أحداً عاب ذلك عليه فتأدّبوا أيّها النفر بآداب الله تعالى للمؤمنين؛ اقتصروا على أمر الله ونهيه ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به وردّوا العلم إلى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله تعالى، وكونوا في طلب علم ناسخ القرآن من منسوخه؛ ومحكمه من متشابهه وما أحلّ الله فيه ممّا حرّم؛ فإنّه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل، ودعوا الجهالة لأهلها فإنّ أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] (١).

وفي حديث آخر أنّهم لمّا دخلوا عليه وسفيان الثوري لابس الصوف الخشن والصادق عليه السلام لابس الثياب الرقاق؛ فقال له سفيان إنّ جدّك أمير المؤمنين كان يلبس ما خشن من الثياب فلم لا تقتدي به؟ فقال له الصادق عليه السلام إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان في زمان ضيق ولم تتسع الدنيا على المسلمين كاتّساعها في هذا الوقت، ونحن قوم إذا وسع الله علينا وسّعنا على أنفسنا؛ وإذا ضيّق الله علينا ضيّقنا على أنفسنا، وإنّ الله تعالى إنّما خلق الدنيا وما فيها من الملاذّ للمؤمن لا للكافر،

(١) الكافي ج ٥ ص ٦٩ باب دخول الصوفية على أبي عبد الله عليه السلام.

لأنّه لا قدر له عنده ولو كان عليّ عليه السلام في هذا العصر لما وسعه إلّا أن يسلك مثل ما سلك أهله لئلا يقال له أنّه مراءٍ ولئلا يشهر (يشتهر خ) بثيابه ومآكله، مع أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان والياً وينبغي لوالي المسلمين أن يكون في المعايش كواحد من فقراء المسلمين؛ وقد قيل له يا أمير المؤمنين إنّك تبيت جائعاً ولك الملك؟ فقال أخاف أن أشبع وواحد في اليمامة يبيت جائعاً، وحتّى يسهل الفقر على أهله إذا نظروا إلى الوالي مع ما هو عليه وأمّا أنا فلست بوالٍ والملك قد غصب منّا فلو كنت والياً لاقتديت به.

ثم قال عليه السلام لسفيان الثوري أدن منّي؛ فدنا منه فمدّ عليه السلام يده إلى تحت ثياب سفيان فأخرج ثوباً حريراً كان سفيان لابسه تحت ثياب الصوف لرفاهية بدنه؛ والثياب الصوف فوقه لخدع الناس ثمَّ أخذ عليه السلام يد سفيان، فقال انظر يا سفيان ما تحت ثيابي هذه الرقاق؟ فنظر فإذا هو عليه السلام لابس ثوباً خشناً؛ فقال يا سفيان هذا تواضعاً لله، وهذه الثياب الرقاق إظهاراً لنعمة الله إلى نحو ذلك من المعارضات. كما روي أنّ رئيسهم وهو الحسن البصري كان مع أمير المؤمنين عليه السلام على شطّ الفرات، فملأ قدحاً من الماء وشرب منه وصبّ باقيه خارج الماء؛ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام قد أسرفت في ماء الفرات حيث لم تصبّ الماء فيه؛ فعارضه وقال أنت أهرقت دماء المسلمين ولم تسرف، فكيف أسرفت أنا في هذا الماء.

فقال عليّ عليه السلام إذا عرفت أنّي أسرفت في إراقة تلك الدماء فلم لا خرجت معهم إلى جهادي؟ فقال البصري إنّي لبست سلاحي وخرجت لمعونة أهل الشام؛ فلمّا خرجت من المنزل سمعت هاتفاً يقول القاتل والمقتول في النار فرجعت؛ فقال عليه السلام صدقت ذاك أخوك الشيطان.

ومن جملة أعمالهم الفاسدة الذكر الذي يسمّونه ذكراً وهو مشتمل على محرّمات كثيرة؛ ولقد أحسن شيخنا الكاشي أدام الله أيّامه حيث قال ومنهم قوم يسمّون بأهل الذكر والتصوّف يدّعون البراءة من التصنّع والتكلّف؛ يلبسون خرقاً ويجلسون حلقاً يخترعون الأذكار ويتغنّون بالأشعار يعلنون بالتهليل، وليس لهم إلى العلم والمعرفة سبيل، إبتدعوا شهيقاً ونهيقاً، واخترعوا رقصاً وتصفيقاً، قد خاضوا في الفتن وأخذوا بالبدع دون السنن. رفعوا أصواتهم بالنداء، وصاحوا صيحة الشقاء أمن الضرب يتألّمون أم من الطعن يتظلّمون أم مع أكفائهم يتكلّمون؟ إنّ الله لا يسمع بالسماخ فاقصروا من الصراخ، أتنادون باعداً أم توقظون راقداً، تعالى الله لا تأخذه

السنة ولا تحيط به الألسنة سبّحوه تسبيح الحيتان في البحر وادعوا ربّكم تضرّعاً وخيفة ودون الجهر إنّه ليس منكم ببعيد بل هو أقرب إليكم من حبل الوريد.

وأمّا الداعي لهم اختراع هذا المذهب وشهرته فأمور: الأوّل ما نقل أنّ خلفاء بني أمية وبني العبّاس كانوا يحبّون أن يحصّلوا رجالاً من أهل العبادة والزهادة والتكلم ببعض المغيّبات وإن لم يقع لأجل معارضة الأئمّة الطاهرين وعلمهم وزهدهم وكمالاتهم حتّى يصغروا في أعين الناس أهل البيت وأطوارهم فلم يجدوا أحداً يقدم على هذا سوى هذه الفرقة الضالّة، فمن هذا مال إليهم سلاطين الجور وبنوا لهم البقاع وحملوا إليهم الأموال، وطلبوا منهم الدعاء في مطالب دنياهم؛ وقاسوهم بأهل البيت عليهم السلام؛ وأين الثريّا من يد المتناول.

الثاني سهولة هذا المسلك وصعوبة طريق العلم، فإنّ العامي منهم قد يجلس في بيت ضيّق مظلم أربعين يوماً، وربّما تراءى له إخوانه من الجن والشياطين، فإذا خرج صار من رؤسائهم وحصّل درجة العالم التي يحصّلها في خمسين سنة وأكثر بل ربّما كان اعتبار هذا بين رعاع الناس أزيد من اعتبار ذلك العالم. الثالث أنّ هذا المذهب شرك[1] لصيد الأولاد وجمع الأموال والجاه والاعتبار ونحو ذلك.

وأمّا الأخبار الواردة في ذمّهم فهي كثيرة جدّاً منها ما رواه البزنطي في الصحيح عن الرضا عليه السلام قال: من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه أو قلبه فليس منّا، ومن أنكرهم فكأنّما جاهد الكفّار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وفي الصحيح أيضاً عن البزنطي قال قال رجل للصادق عليه السلام قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفيّة فما تقول فيهم؟ فقال عليه السلام إنّهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم؛ وسيكون أقوام يدّعون حبّنا ويميلون إليهم ويتشبّهون بهم، ويلقّبون أنفسهم بلقبهم يؤوّلون أقوالهم؛ ألا فمن مال إليهم فليس منّا وإنّا منهم برآء ومن أنكرهم وردّ عليهم كان كمن جاهد الكفّار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروي مسنداً عن العسكري عليه السلام أنّه خاطب أبا هاشم الجعفري فقال يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة؛ وقلوبهم مظلمة منكدرة، السنّة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنّة؛ المؤمن بينهم محقّر؛ والفاسق بينهم موقّر أمراؤهم جاهلون جائرون، وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون؛ أغنياؤهم يسرقون

(١) الشرك حبائل الصيد جمع شرُك وأشراك.

زاد الفقراء وأصاغرهم يتقدّمون على الكبراء كلّ جاهل عندهم خبير، وكلّ محيل عندهم فقير، لا يميزون بين المخلص والمرتاب ولا يعرفون الضأن من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض لأنّهم يميلون إلى الفلسفة والتصوّف، وأيم الله إنّهم من أهل العدول والتحرّف يبالغون في حبّ مخالفينا ويضلّون شيعتنا وموالينا فإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشا وإن خذلوا عبدوا الله على الرياء، ألا إنّهم قطّاع طريق المؤمنين والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه. ثمّ قال يا أبا هاشم هذا ما حدّثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمّد عليهم السلام وهو من أسرارنا فاكتمه إلّا عن أهله. وفي كتاب قرب الإسناد روي مسنداً عن الصادق عليه السلام في حال أبي هاشم الكوفي، أنّه كان فاسد العقيدة جدّاً، وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف، وجعله مفرّاً لعقيدته الخبيثة وأكثر الملاحدة وجنّة لعقائدهم.

وروى مسنداً في ذلك الكتاب[1] عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب قال كنت مع الهادي عليّ بن محمّد عليه السلام في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري وكان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عظيمة عنده عليه السلام، ثمّ دخل المسجد جماعة من الصوفيّة وجلسوا في جانبه مستديراً وأخذوا بالتهليل؛ فقال عليه السلام لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين فإنّهم خلفاء الشياطين، ومخرّبو قواعد الدين؛ يتزهّدون لإراحة الأجسام ويتهجّدون لتصييد الأنعام، يتجوّعون عمراً حتّى يذبحوا للإيكاف[2] حمراً لا يتهلّلون إلّا لغرور الناس، ولا يقلّلون الغذاء إلّا لملء العساس[3] واختلاس قلب الدفناس[4] يكلّمون الناس بإملائهم في الحبّ ويطرحونهم بإدلائهم في الجبّ، أورادهم الرقص والتصدية وأذكارهم الترنّم والتغنية، فلا يتبعهم إلّا السفهاء ولا يعتقدهم إلّا الحمقاء فمن ذهب إلى زيارة أحد منهم حيّاً أو ميّتاً فكأنّما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبادة الأوثان، ومن أعان أحداً منهم فكأنّما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان فقال رجل من أصحابه: وإن كان معترفاً

---

(١) أي كتاب قرب الإسناد.

(٢) أكف وآكف إيكافاً الحمار: شد عليه الإكاف أي البرذعة وفي كنز اللغة: إيكاف بهمزه فاء الفعل وباعتلال آن پالان كردن.

(٣) العس القدح أو الإناء الكبير.

(٤) الدفناس الأحمق.

بحقوقكم؛ قال فنظر إليه شبه المغضب، وقال دع ذا عنك؛ من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنّهم أخسّ طوائف الصوفيّة والصوفيّة كلّهم من مخالفينا وطريقهم مخالفة (مغايرة خ) لطريقتنا وإن هم إلّا نصارى ومجوس هذه الأمّة أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله والله متّم نوره ولو كره الكافرون.

وروى مسنداً عن الرضا عليه السلام أنّه لا يقول بالتصوف أحد إلّا لخدعة أو ضلالة أو حماقة، وأمّا من سمّى نفسه صوفيّاً للتقيّة فلا إثم عليه؛ وعلامته أن يكتفي بالتسمية فلا يقول بشيء من عقائدهم الباطلة؛ وفي وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ رحمه الله يا أبا ذرّ يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم، يرون الفضل بذلك على غيرهم؛ أولئك تلعنهم ملائكة السمٰوات والأرض. وفي مواعظ عيسى عليه السلام يقول في كلام له فاحتفظوا من العلماء الكذّابة الذين عليهم ثياب الصوف - الحديث. والأخبار الواردة بهذا المعنى كثيرة جداً.

فإن قلت بناءً على ما ذكرت من ذمّ هذه الفرقة وإنّ أكثرهم من أهل الخلاف كيف رآهم الناس بعض الأحيان يخبرون عن الأمر فيكون كما أخبروا، وربّما استجيب دعاؤهم وقد يصدر منهم الأفعال العجيبة والأمور الغريبة.

قلت قد ذهب جماعة من علمائنا رضوان الله عليهم إلى أنّ وقوع تلك الأمور اتّفاقي لا مدخل لدعائهم ولا إخبارهم فيها بوجه من الوجوه؛ وأمّا نحن فقد ظهر لنا من الأخبار غير هذا؛ وحاصله أنّ الله سبحانه أخبر في كتابه فقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وفي الحديث أنّ الله تعالى لا يضيع عمل عامل برّاً كان أو فاجراً، وقد تقدّم أنّ الشيطان لمّا صعد مع الملائكة إلى السمٰوات وقرأ في الألواح أنّ من عمل عملاً جوزي عليه سواء كان للدين أو الدنيا ورأى أنّ الدنيا عاجلة عبد الله تعالى ستّة آلاف سنة مضمراً في قلبه أنّ هذه العبادة لأجل طلب الدنيا، وبعدما عصى طالب الله بثواب عبادته فأعطاه ما أضمر، فهذه الحالة لرئيس الصوفية وعبّاد المخالفين أعني الشيطان فهؤلاء يعبدون الله ويريدون ما أراده الشيطان من الأمور الدنيوية، فلو أعطاهم الله سبحانه بعض مطالبهم المقصودة لهم حالة العبادة من الجاه والاعتبار الدنيويّ ويكون ذلك جزاءً لأعمالهم وليس لهم في الآخرة من خلاق لم يكن بعيداً؛ ألا ترى إلى كفّار الهند فإنّهم يريضون أنفسهم رياضات شاقّة ويزعمون أنّها عبادة له سبحانه؛ وكثيراً من الإخبارات والحوادث يخبرون بها قبل

وقوعها، وربّما جرت على أيديهم الأفعال العجيبة والأمور الغريبة، وليس هذا إلّا جزاءً لأفعالهم التي زعموا أنّها عبادة.

وقد شاهدت في أصفهان في عشر السبعين بعد الألف رجلاً من كفّار الهند رافعاً يديه إلى السماء وقد يبستا وصارت أظفاره كالمناجل فرأيت الكفّار يعظّمونه ويسجدون له فسألتهم عن أحواله فقالوا سبع سنين على هذه الحالة؛ وبقي له خمس سنين حتّى يكون المجموع اثنتي عشرة سنة، فإذا بلغ إلى هذا العدد وهو على هذا الحال صار شيخاً في العبادة يخبر بالأخبار الغائبة وتنكشف له الأمور، ورأيت إنساناً جالساً في جانبه والكفّار تعظّمه أيضاً؛ فقيل لي أنّ هذا وقف على رجليه اثنتي عشرة سنة لم يجلس على الأرض، إلى غير ذلك من الرياضات.

وقد روي أنّ رجلاً من الشيعة أتى موسى بن جعفر عليه السلام وهو في بغداد، فقال يابن رسول الله رأيت هذا اليوم في ميدان بغداد رجلاً كافراً والناس مجتمعون حوله، وهو يخبر كلّ إنسان بما أضمره فهو يعلم الأسرار، فقال عليه السلام فغدوا عليه، فأتى عليه السلام إلى الميدان ورأى الناس حوله وهو يخبرهم عمّا في ضمائرهم، فطلبه الإمام عليه السلام فقال له يا فلان أنت رجل كافر والاطّلاع على ما في الضمائر مرتبة جليلة، فما السبب في أن رزقك الله هذه المرتبة؟ فقال يا عبد الله ما أُوتيت هذا إلّا بأنّي أعمل خلاف ما تشتهيه نفسي وخلاف مطلوبها فقال عليه السلام يا فلان أعرض الإيمان على نفسك وانظر هل تقبله أم لا؟ فتغشّى في منديل وتفكّر فلمّا رفع المنديل قال إنّي عرضت الإسلام عليها فأبت؛ فقال له اعمل على خلاف إرادتها كما هو عادتك التي أوتيت عليها هذه المرتبة فأسلم وحسن إسلامه وعلّمه عليه السلام شرائع الأحكام فكان من جملة أصحاب الإمام عليه السلام؛ فقال له يوماً يا فلان أضمرت أنا شيئاً فقل ما هو فلمّا رجع وتفكّر لم يدر ما يقول، فتعجّب فقال يابن رسول الله كنت أعرف الضمائر وأنا كافر فكيف لا أعرفها اليوم وأنا مسلم؟ فقال عليه السلام إنّ ذلك كان جزاءً لأعمالك واليوم قد ذخر الله لك أعمالك ليوم القيامة فجزاؤها ذلك اليوم.

وقد سبق في تضاعيف هذا الكتاب حكاية الملكين اللذين أرسلهما الله تعالى في أمره فتلاقيا في الهواء فتساءلا فقال أحدهما أنّي كنت في أمر عجيب وهو أنّ سلطاناً كافراً يعبد الأصنام قد مرض واشتدّ مرضه فطلب الأطبّاء فقالوا له أنّ علاجك في سمكة وفي هذه الأيّام ما توجد إلّا في البحر السابع فأنت ميّت على كلّ حال، فقال لبعض خدمه اذهبوا إلى هذا البحر لعلّكم تجدون هذه السمكة. فأمرني الله سبحانه

أن أزجر تلك السمكة من ذلك البحر حتّى تأتي إلى ذلك البحر الذي هو قرب ذلك السلطان فاصطادوها وأكلها فبرئ من مرضه.

فقال له الآخر وأنا كنت في أمر أعجب من هذا وهو أنّ رجلاً صالحاً عابداً في البلد الفلاني كان صائماً نهاره وكان قد هيّأ شيئاً من بقول الأرض لأجل الإفطار، وجعله في القدر وهو يغلي عليه، فبعثني الله سبحانه إلى ذلك القدر أن أكفئه حتّى يبقى هذه الليلة بلا إفطار، ويصوم اليوم الثاني على ذلك الحال، فلمّا عرجا إلى محلّهما قالا يا ربّ ما الحكمة في هذا؟ فقال سبحانه إنّ ذلك الكافر لا يخلو من بعض العدل مع الرعيّة وأعمال الخير، فأردت أن أُكمل جزاء أعماله في الدنيا حتّى إذا أتاني ليس له عندي حجّة يحتجّ بها عليّ وأمّا ذلك المؤمن فأردت أن أُكفّر ذنوبه حتّى إذا أتاني أتاني نقيّاً من الذنوب فأُسكنه في جواري.

أقول: وربّما أخّر الله سبحانه جزاء بعض أعمال الكفّار ليوم القيامة فيكون تخفيفاً في عذابهم[1] روي أنّ رجلاً مؤمناً قد أخافه سلطان بلاده فلحق ببلاد الكفّار،

(١) هذا الكلام محل تأمل وإشكال وقد توهمه غير المصنف رحمه الله أيضاً فإن من القواعد الكلية في مذهب الإمامية أن من شروط استحقاق الجزاء والثواب في الآخرة هو الموت على الإيمان والموافاة عليه والكفار ليسوا كذلك وقد نص القرآن الكريم والسنة الثابتة ببطلان أعمال الكفار وأنهم لم يستحقوا شيئاً من الثواب والجزاء على أعمالهم الحسنة لعدم إتيانهم بشرط استحقاق الثواب الذي هو الموافاة قال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٢١ - ٢٢] وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [التوبة: ١٧] وقال سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤] قال في مجمع البيان: أي وما يمنع هؤلاء المنافقين أن يثابوا على نفقاتهم إلا كفرهم بالله وبرسوله وذلك مما يحبط الأعمال ويمنع من استحقاق الثواب عليها.

والعقل يدل على أن الكافر قد قطع رابطة المولوية والعبودية بينه وبين ربه بكفره وأضف إلى ذلك ما ورد في الروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام أنه لا ينفع مع الكفر عمل واستشهد الإمام عليه السلام بقوله هذا بالآية الأخيرة التي ذكرناها وعن يعقوب بن شعيب قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام هل لأحد على ما عمل ثواب على الله موجوب إلا المؤمنين قال لا. انظر إلى آخر باب الكفر والإيمان من الكافي.

وفي حديث عن الصادق عليه السلام (أن الثواب على الإيمان) ويدل قوله عليه السلام هذا أن غير المؤمن =

فأضافه رجل كافر، قال عليه السلام فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى لذلك الكافر لو

= من فرق الإسلام لا يستحق الثواب الأُخروي فضلاً عن الكفار انظر الكافي باب أن الإسلام يحقن به الدم وأن الثواب على الإيمان وأضف إلى ذلك أيضاً ما ثبت ضرورة من مذهب الإمامية أن من لم يكن قائلاً بالولاية لأهل البيت سلام الله عليهم لم يقبل له عمل أصلاً وفي أحاديثهم عليهم السلام: إن من لم يعرف حقنا وحرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئاً أبداً وإن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أن رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً. والأحاديث الصحيحة بذلك المضمون كثيرة انظر إلى باب بطلان العبادة بدون ولاية الأئمة عليهم السلام واعتقاد إمامتهم من الجامع الكبير الوسائل ج ١ ص ٩٠ ط طهران.

وأما المؤمن فالإحباط في حقه باطل فإن المؤمن المطيع إن فعل ما يستحق به عقاباً فيستحقه ويجتمع في حقه استحقاق الثواب واستحقاق العقاب معاً ولا إحباط كما برهن عليه في محله وأما إذا مات شخص على الكفر فقد زال شرط استحقاقه الثواب وكذا المؤمن المطيع إذا كفر زال استحقاق ثوابه إجماعاً كما أن الكافر إذا آمن زال استحقاق عقابه إجماعاً كما هو مصرح به في الكلام.

فكيف يستحق من مات على الكفر شيئاً من جزاء بعض أعماله في الآخرة وكيف يثاب على عمل خير ولو بتخفيف عذابه فإن التخفيف جزاء له على عمله. وهذه القاعدة الكلية التي ذكرنا لا تنافي قواعد العدل كما تخيله بعض المعاصرين ولا تنافي بينها وبين آية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] حتى يقال أن العدل من أصول مذهب الشيعة وهو يقضي أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً فإنك عرفت أن الثواب والجزاء على عمل خير وحسن مشروط بالموافاة ومن لم يكن واجداً لشرط استحقاق الثواب فقاعدة العدل تقضي في حقه على عدم الجزاء لأنه السبب بكونه فاقداً لشرط استحقاقه للجزاء والثواب ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] ومعنى بطلان العمل بالشرك عدم الإتيان بشرط الاستحقاق الذي هو الموافاة.

هذا كله بالنسبة إلى ثوابه الأخروي وأما الجزاء الدنيوي بالنسبة إلى عمل خير للكافر فيمكن ذلك في حقه فإن الموافات شرط في استحقاق الثواب في الآخرة وأما الجزاء في الدنيا فلا مانع أن يجزي الله تعالى للكافر في مقابل عمل خير له كما يستفاد ذلك من بعض الأخبار أيضاً.

وما ورد في بعض الأخبار من جزاء عمل خير الكافر بعد موته وأن العذاب يدفع عن كسرى أنوشروان لعدله وفلان اليهودي وصل إليه جزاء عمل خير كان له ونظائر هذه الأخبار كالخبر المرسل الذي نقله المصنف رحمه الله في المتن بقوله روي أن رجلاً مؤمناً إلخ.

فهي أخبار آحاد لا تقاوم القاعدة الثابتة بنص القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة المسلمة فلا بد من توجيه تلك الأخبار الآحاد الضعيفة بأن يقال أن ما ورد في تلك الأخبار من وصول =

كان في الجنّة موضع لكافر لأدخلتك الجنّة، فيأمر به إلى النار، ويقول لمالك يا مالك قل للنار هيديه ولا تؤذيه فتكون النار حوله من غير أن يصل حرّها إليه؛ ويؤتى له بطعام طرفي النهار وأمثال هذا كثيرة.

وبالجملة فالأخبار الواردة بهذا المضمون متكثّرة جدّاً ويتفرّع عليها ما يفعله جمهور أهل الخلاف في أذكارهم وأوقاتهم من قبض الأفاعي والحيّات؛ بل وأكلها ودخول النار من غير حصول ضرر، فإنّها أيضاً جزاء أعمالهم؛ فهم قد حرموا لذّات الجنان بمعانقة هذه الولدان، وجريان هذه الأمور على أيديهم، نعم ربّما أشكل في هذا المقام أمران.

الأوّل أنّ دخول النار قد ورد أنّه من معجزات الإمام ودلائلها فكيف جاز إجراؤه على يدي غيره، روي المفضل بن عمر قال لمّا مضى الصادق عليه السلام كانت وصيّته إلى موسى الكاظم عليه السلام فادّعى أخوه عبد الله الإمامة وكان أكبر ولد جعفر عليه السلام في وقته ذلك وهو المعروف بالأفطح، فأمر موسى عليه السلام فجمع حطب كثير في وسط داره، وأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه. ومع موسى عليه السلام جماعة من الإماميّة؛ فلمّا جلس أمر موسى بطرح النار في الحطب فاحترق، ولا يعلم الناس السبب فيه حتّى صار الحطب كلّه ناراً حمراء، ثمّ قام موسى وجلس بثيابه في وسط النار وأقبل يحدّث الناس ساعة ثمّ قام ينفض ثوبه ورجع إلى المجلس فقال لأخيه عبد الله إن كنت تزعم أنّك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس؛ قالوا فرأينا عبد الله تغيّر لونه وقام يجرّ رداءه حتّى خرج من دار موسى عليه السلام.

قلت دخول النار إذا قارن التحدّي بالإمامة ونحوها لم يجز أن يجري على يدي غير المعصوم؛ بل قد نقل لي صحيحاً أنّ أهل الخلاف مع شهرتهم بدخول النار وقبض الحيّات والعقارب ربّما عارضوا بعض عوام الشيعة وفخروا عليهم بالقدرة

= جزاء عمل خير لكافر بعد موته من تخفيف عذابه أو أن النار لا تؤذيه وأمثال ذلك لعله كان ذلك الكافر من المستضعفين وحكم المستضعف غير حكم غيره والناس على ست فرق ومنهم المستضعفون ولا نطيل الكلام بذكر تلك الفرق وأحكامها انظر الجامع الكبير النفيس (الوافي) للعلامة الفيض الكاشاني قدس سره الجزء الثالث من المجلد الأول ص ٤٤ باب أصناف الناس فإن لم نجد محملاً صحيحاً وتوجيهاً لتلك الأخبار فلا بد من رد علمها إلى أهلها فإن الكتاب الكريم والسنة الثابتة الدالة على قاعدة الموافاة لا يمكن تأويلها فلا بد من تأويل ما ينافيها والله العالم.

على مثل تلك الأفعال، وعدم قدرة الشيعة عليها، فيدخل الشيعي والسنيّ إلى النار فيحترق السنّي ويخرج الشيعي سالماً مع أنّ دخول النار كان عمله.

الأمر الثاني في أنّ شيعتنا في هذه الأعصار قد أقدروا على تلك الأفعال التي قد خصّ بها جمهور المخالفين، مثل دخول النار وغيرها، وقد ظهر في عشر السبعين بعد الألف في قرب الأهواز رجل قال أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام قد ظهر عليه إمّا يقظة وإمّا نوماً؛ وأقدره على تلك الأفعال، وكان يعطي الناس الرخص في صنع تلك الأفعال، وذلك بأن يبصق في فم من أراد تعليمه فيصير قادراً على تلك الأفعال، ولمّا وردت في حوالي تلك الأوقات إلى بلادنا الجزائر اجتمع جماعة أهل نحلتنا وأوقدوا ناراً ودخلوها، فلمّا خمدت خرجوا وثيابهم سالمين؛ فكيف يكون مثل هذا.

قلت إنّ هذا وأمثاله ممّا لا مدخل له في علم السحر والشعبذة، نعم يجوز أن يكون السبب في صدوره من شيعتنا وإقدار الله لهم عليه كسر شوكة مخالفينا؛ فإنّهم كانوا يفتخرون بهذا على أهل مذهبنا زماناً طويلاً، وبها ضعف اعتقاد بعض عوام مذهبنا من أنّ مذهب الجمهور إذا كان باطلاً كيف أجرى الله هذه الأفعال على أيديهم؛ ويعلمون أنّ جريان مثل هذا على يدي كفّار الهند ونحوهم أشدّ وأكثر من هذا؛ فلمّا كان سبباً لافتخار مخالفينا ولضعف اعتقاد بعض عوامنا أجراه الله على يد بعض شيعتنا لأجل ذلك ومن ثمّ لم يجره إلّا على يد عوام مذهبنا الذين لا يعرفون علماً ولا عملاً كاملاً؛ ليعلم أنّ هذا وأضرابه ممّا لا مدخل له في حقيقة الأديان وبطلانها، وقد بقي في هذا المقام كلام طويل الذيل حرّرناه في المجلّد الثاني من كتاب نوادر الأخبار.

وبالجملة فالتصوّف ليس في لبس ثياب الصوف واجتناب الثياب الفاخرة، ولا في أكل الشعير وترك ما أنعم الله به من اللذّات، وإنّما التصوّف العمل بأوامر الشريعة ونواهيها وترك شبهاتها والزهد فيها، قال الصادق عليه السلام ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله تعالى وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كلّ نعمة والورع عن كلّ ما حرّم الله تعالى؛ وإن أردت العالم الورع فهم علماء شيعتنا في جميع الأعصار، ومن ثمّ لم ينقم عليهم المخالفون إلّا بسبّ المتخلّفين، وقد شكروا لهم عباداتهم وأعمالهم.

وقد كان في قريب من عصرنا مولانا الورع العالم المولى أحمد الأردبيلي[١] وقد كان من سكّان النجف الأشرف، ومن جملة ورعه أنّه كان يستأجر دابّة من النجف ويأخذها من صاحبها ويمضي إلى زيارة الكاظميّين والعسكريّين عليهم السلام فإذا أراد الرجوع ربّما أعطاه بعض أهل بغداد من الشيعة كتابة ليوصلها إلى بعض أهل النجف فيضع الكتابة في جيبه ويسوق الدابة وهو يمشي من بغداد إلى النجف؛ ويقول أنّ صاحب الدابّة لم يأذن لي في حمل هذه الكتابة على دابّته؛ وكان إذا خرج من منزله يضع على رأسه عمامة كبيرة لأجل كلّ من طلب منه عمامة أو مقنعة قطع له من تلك العمامة؛ فإذا رجع إلى المنزل ربّما بقي على رأسه منها ذراع أو أقل، وكان عام الغلاء يقاسم الفقراء في ما عنده من الأطعمة ويبقي لنفسه مثل سهم واحد منهم.

وقد اتّفق أنّه فعل في بعض السنين الغالية هكذا فغضبت عليه زوجته وقالت تركت أولادنا في مثل هذه السنة يتكفّفون الناس؛ فتركها ومضى عنها إلى مسجد الكوفة للإعتكاف فلمّا كان اليوم الثاني جاء رجل مع دوابّ حملها الطعام الطيّب من الحنطة الصافية والطحين الناعم؛ فقال هذا بعثه إليكم صاحب المنزل وهو معتكف في مسجد الكوفة، فلمّا جاء المولى من اعتكافه أخبرته زوجته بأنّ الطعام الذي أرسلته مع الأعرابي طعام حسن فحمد الله تعالى وما كان له خبر فيه.

وقد حدّثني أوثق مشايخي علماً وعملاً أنّ لهذا الرجل وهو المولى الأردبيلي تلميذاً من أهل تفريش اسمه مير علاّم (فيض الله خ) وقد كان بمكان من الفضل والورع قال ذلك التلميذ أنّه قد كانت لي حجرة في المدرسة المحيطة بالقبّة الشريفة، فاتّفق أنّي فرغت من مطالعتي وقد مضى جانب كثير من الليل؛ فخرجت من الحجرة أنظر في حوش الحضرة وكانت الليلة شديدة الظلام فرأيت رجلاً مقبلاً على الحضرة الشريفة، فقلت لعلّ هذا سارق جاء ليسرق شيئاً من القناديل، فنزلت وأتيت إلى قربه فرأيته وهو لا يراني فمضى إلى الباب ووقف، فرأيت القفل قد سقط وفتح له الباب الثاني، والثالث على هذا الحال، فأشرف على القبر فسلّم وأتى من جانب القبر ردّ السلام؛ فعرفت صوته فإذا هو يتكلّم مع الإمام عليه السلام في مسألة علميّة، ثمّ خرج من البلد متوجّهاً إلى مسجد الكوفة فخرجت خلفه وهو لا يراني؛ فلمّا وصل إلى

---

(١) توفي قدس سره سنة (٩٩٣هـ ق) ودفن في جوار القبة العلوية البيضاء في مدينة العلم (النجف الأشرف) قال العلامة المجلسي رحمه الله: (لم أسمع بمثله في المتقدمين والمتأخرين).

محراب المسجد سمعته يتكلّم مع رجل آخر بتلك المسألة؛ فرجع ورجعت خلفه فلمّا بلغ إلى باب البلد أضاء الصبح فأعلنت نفسي له وقلت له يا مولانا كنت معك من الأوّل إلى الآخر؛ فأعلمني من كان الرجل الأوّل الذي كلّمته في القبة ومن الرجل الآخر الذي كلّمك في مسجد الكوفة؟ فأخذ عليّ المواثيق أنّي لا أخبر أحداً بسرّه حتى يموت.

فقال لي يا ولدي إنّ بعض المسائل تشتبه عليّ فربّما خرجت في بعض الليل إلى قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وكلمته في المسألة وسمعت الجواب، وفي هذه الليلة أحالني على مولانا صاحب الزمان وقال لي إنّ ولدنا المهديّ هذه الليلة في مسجد الكوفة فامض إليه وسله عن هذه المسألة، وكان ذلك الرجل هو المهدّي عليه السلام؛ وهذه نبذة من بعض أحواله فاعتبر أحواله الباقية.

وقد روي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، قال عليه السلام ليس التحديث بالقول وإنّما هو بالفعل حتّى يرى الله أثر نعمته فوق عبده، وحتّى لا يكون العبد من ربّه بمنزلة الشاكي منه؛ بمعنى أنّه ما أعطاني شيئاً أتحلّى به بين الناس نعم قد ورد في الأخبار الأمر بالتواضع لله تعالى في الثياب، قال النبيّ صلى الله عليه وآله يا أبا ذرّ من ترك لبس الجمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله فقد كساه الله حلل الكرامة وأيّ شيء أحسن منه وهو شعار الأنبياء والأوصياء.

وفي الرواية أنّه أُوحي إلى موسى عليه السلام: يا موسى إرض بكسرة من شعير تسدّ بها جوعتك؛ وبخرقة تواري بها عورتك واصبر على المصائب، وإذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فقل إنّا لله وإنا إليه راجعون عقوبة عجّلت في الدنيا وإذا رأيت الدنيا مدبرة عنك فقل مرحباً بشعار الصالحين.

وأمّا عيسى روح الله فإنّه كان يقول: خادمي يداي ودابّتي رجلاي؛ وفراشي الأرض، ووسادي الحجر، ودفئي في الشتاء مشارق الأرض؛ وسراجي في الليل القمر وإدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وفاكهتي وريحاني ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام؛ أبيت وليس لي شيء؛ وأُصبح وليس على وجه الأرض أحد أغنى منّي.

وأمّا نوح عليه السلام ففي بعض الروايات أنّه عمّر ألفي سنة وخمسمائة عام، ومضى من الدنيا ولم يبنِ فيها بيتاً؛ وروي أنّه كان يسكن هو وعياله تحت ظلّ الشجر، فلمّا كبر سنّه قال يا ربّ ائذن لي ببناء بيت يقيني الحرّ والبرد؛ فأذن له أن يبني بيتاً إذا نام

فيه يكون نصفه في الظلّ ونصفه في الشمس؛ فبناه فقد كان يوماً جالساً خارج ذلك البيت، فأتاه ملك الموت وقال يا نوح انتهى عمرك، فقال نوح يا ملك الموت ائذن لي حتّى أنتقل من الشمس إلى الظلّ؛ فلمّا انتقل قال يا ملك الموت ما أرى عمري هذا الذي مضى إلّا هذه الساعة التي انتقلت فيها من الشمس إلى الظلّ.

وفي الروايات أنّ نبيّاً من بني إسرائيل مرّ على عابد يعبد الله على رأس جبل في وهج الشمس، فقال له يا عبد الله لم لا تصنع لك ظلّاً يقيك من الشمس؟ فقال نعم يا أخي قد مرّ قبلك نبيّ فطلبت منه أن يسأل ربّه عن قدر بقيّة عمري؛ وأخبرني أنّه قد بقي منه سبعمائة عام، فقلت لهذا العمر القليل أصنع ظلالاً وأشتغل تلك الساعة عن عبادة ربّي فتركته؛ فقال له النبي يا عابد كيف لو ترى أُناساً في آخر الزمان أعمارهم لا تزيد على المائة، ومع هذا يبنون البيوت بالجصّ والصخر، فقال يا رسول الله لو أتيت في زمانهم لقطعت ذلك العمر القليل بسجدة واحدة.

وأمّا نبيّنا ﷺ فقد خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة، ورأى ﷺ رجلاً من أصحابه يبني بيتاً بجصّ وآجر فقال عليه السلام: الأمر أعجل من هذا. وأمّا إبراهيم عليه السلام فقد كان لباسه الصوف وأكله الشعير؛ وأمّا يحيى بن زكريّا عليه السلام فقد كان لباسه الليف وأكله ورق الشجر، وأمّا سليمان عليه السلام فقد كان مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر؛ وإذا جنّه الليل شدّ يديه إلى عنقه فلا يزال قائماً باكياً حتّى يصبح، وكان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده.

وأمّا نبيّنا ﷺ فروي أنّه أصابه يوماً الجوع فوضع على بطنه حجراً ثمّ قال ألا ربّ مكرم لنفسه وهو لها مهين؛ ألا ربّ مهين لنفسه وهو لها مكرم؛ ألا ربّ نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة في الآخرة، ناعمة يوم القيامة، ألا ربّ نفس كاسية ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة؛ ألا ربّ متنعّم متخوّض في ما أفاء الله على رسوله ما له في الآخرة من خلاق.

وأمّا سيّد الموحّدين عليه السلام فحاله في الزهد أشهر من أن يذكر؛ قال سويد بن غفلة دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره، فقلت يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال وليس أرى في بيتك شيئاً ممّا يحتاج إليه البيت، فقال يابن غفلة إنّ اللبيب لا يتأثّث في دار النقلة؛ ولنا دار أمن قد نقلنا خير متاعنا إليها، وإنّا عن قليل إليها صائرون؛ وكان عليه السلام إذا أراد أن يكتسي دخل السوق فيشتري الثوبين فيخيّر قنبراً بأجودهما ويلبس آخر، ثمّ يأتي النجار فيمدّ

له إحدى كمّيه ويقول خذها بقدومك تخرج في مصلحة أُخرى، ويبقي الكم الأُخرى بحالها ويقول هذه نأخذ فيها من السوق للحسن والحسين عليهما السلام.

ومن هذا جمع بعض المحقّقين بين الأخبار بحمل الأخبار الدالّة على استحباب لبس الخشن وأكل الجشب على من يعرف من نفسه النخوة والعجب وجماحة[1] النفس فيكون ذلك المأكل والملبس سوطاً تخوّفها به وتسوقها إلى موافاة الأخيار؛ وأمّا من عرف من نفسه عكس هذا فيكون الأولى له استعمال نعم الله عليه من الملابس والملاذّ ونحوهما؛ فإنّ حالات النفس عجيبة فهي كحمار السوء إن جاع نهق وإن شبع زقط، فإن أردت أن تعرفها فانظرها وقت إرادتها شهوتها فإنّك لو توسّلت إليها بالأنبياء والمرسلين وعرضت عليها الجنّة والنار، وقلت لها هذه الجنّة إن تركت هذا الذنب فهي مهيّأة لك وإن فعلتها فأنت من الداخلين إلى هذه النار كانت حريصة على الإتيان بذلك الذنب وتركت كلّ تلك الوسائل، ولو كانت جائعة وعوضتها عن تلك الوسائل رغيفاً من خبز الشعير أقلعت عن ذلك الذنب ورضيت بذلك الرغيف، فانظر كيف صار عندها رغيف الشعير أحسن من وسيلة الأنبياء والجنّة والنار والحور العين، ما هذا إلّا عجب عجيب وأمر غريب.

وأمّا الناصبي وأحواله وأحكامه فهو ممّا يتمّ ببيان أمرين:

الأوّل: في بيان معنى الناصب الذي ورد في الأخبار أنّه نجس وأنّه شرّ من اليهودي والنصراني والمجوسيّ وأنّه كافر نجس بإجماع علماء الإماميّة رضوان الله عليهم؛ فالذي ذهب إليه أكثر الأصحاب هو أنّ المراد به من نصب العداوة لآل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وتظاهر ببغضهم كما هو الموجود في الخوارج وبعض ما وراء النهر؛ ورتّبوا الأحكام في باب الطهارة والنجاسة والكفر والإيمان وجواز النكاح وعدمه على الناصبي بهذا المعنى.

وقد تفطّن شيخنا الشهيد الثاني قدّس الله روحه من الاطّلاع على غرائب الأخبار فذهب إلى أنّ الناصبي هو الذي نصب العداوة لشيعة أهل البيت عليهم السلام وتظاهر بالوقوع فيهم؛ كما هو حال أكثر المخالفين لنا في هذه الأعصار في كلّ الأمصار،

(١) جمع جمحاً وجماحاً وجموحاً الفرس: تغلب على راكبه وذهب به لا ينثني استعصى فهو جامح بلفظ واحد للمذكر والمؤنث جمع جوامح ومنه جمحت المرأة زوجها إذا تركته وغادرت بيتها إلى أهلها.

وعلى هذا فلا يخرج من النصب سوى المستضعفين منهم والمقلّدين والبله والنساء ونحو ذلك وهذا المعنى هو الأولى؛ ويدلّ عليه ما رواه الصدوق قدّس الله روحه في كتاب علل الشرائع بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام قال ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت؛ لأنّك لا تجد رجلاً يقول أنا أبغض محمّداً وآل محمّد؛ ولكنّ الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنّكم تتولّونا وأنّكم من شيعتنا؛ وفي معناه أخبار كثيرة.

وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ علامة النواصب تقديم غير عليّ عليه؛ وهذه خاصّة شاملة لا خاصّة، ويمكن إرجاعها أيضاً إلى الأوّل بأن يكون المراد تقديم غيره عليه على وجه الاعتقاد والجزم، ليخرج المقلّدون والمستضعفون؛ فإنّ تقديمهم غيره عليه إنّما نشأ من تقليد علمائهم وآبائهم وأسلافهم؛ وإلاّ فليس لهم إلى الاطّلاع والجزم بهذا سبيل.

ويؤيّد هذا المعنى أنّ الأئمّة عليهم السلام وخواصّهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله، مع أنّ أبا حنيفة لم يكن ممّن نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام بل كان له انقطاع إليهم؛ وكان يظهر لهم التودّد، نعم كان يخالف آراءهم ويقول قال عليّ وأنا أقول، ومن هذا يقوى قول السيّد المرتضى وابن إدريس قدّس الله روحيهما وبعض مشايخنا المعاصرين بنجاسة المخالفين كلّهم، نظراً إلى إطلاق الكفر والشرك عليهم في الكتاب والسنّة فيتناولهم هذا اللفظ حيث يطلق، ولأنّك قد تحقّقت أنّ أكثرهم نواصب بهذا المعنى.

الثاني: في جواز قتلهم واستباحة أموالهم؛ قد عرفت أنّ أكثر الأصحاب ذكروا للناصبي ذلك المعنى الخاصّ في باب الطهارات والنجاسات، وحكمه عندهم كالكافر الحربيّ في أكثر الأحكام؛ وأمّا على ما ذكرناه له من التفسير فيكون الحكم شاملاً كما عرفت؛ روى الصدوق طاب ثراه في العلل مسنداً إلى داود بن فرقد قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في قتل الناصب؟ قال حلال الدم لكنّي أتّقي عليك؛ فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكي لا يشهد به عليك فافعل، فقلت فما ترى في ماله؟ قال خذه ما قدرت.

وروى شيخ الطائفة نوّر الله مرقده في باب الخمس والغنائم من كتاب التهذيب بسند صحيح عن مولانا الصادق عليه السلام قال خذ مال الناصب حيث ما وجدت وابعث إلينا بالخمس. وروى بعده بطريق حسن عن المعلّى قال خذ مال الناصب حيث وجدت وابعث إلينا بالخمس. قال ابن إدريس رحمه الله الناصب المعنيّ في هذين

الخبرين أهل الحرب لأنّهم ينصبون الحرب للمسلمين؛ وإلاّ فلا يجوز أخذ مال مسلم ولا ذمّي على وجه من الوجوه انتهى، وللنظر فيه مجال:

أمّا أوّلاً فلأنّ الناصبي قد صار في الإطلاقات حقيقة في غير أهل الحرب، ولو كانوا هم المراد لكان الأولى التعبير عنهم بلفظهم من جهة ملاحظة التقيّة لكن لمّا أراد عليه السلام بيان الحكم الواقعي عبّر بما ترى؛ وأمّا قوله لا يجوز أخذ مال مسلم ولا ذمّي فهو مسلّم، ولكن أنّى لهم والإسلام وقد هجروا أهل بيت نبيّهم المأمور بودادهم في محكم الكتاب بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، فهم قد أنكروا ما علم من الدين ضرورة وأمّا إطلاق الإسلام عليهم في بعض الروايات فلضرب من التشبيه والمجاز والتفاتاً إلى جانب التقيّة التي هي مناط هذه الأحكام.

وفي الروايات أنّ عليّ بن يقطين وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين وكان من خواصّ الشيعة، فأمر غلمانه وهدموا سقف المحبس على المحبوسين فماتوا كلّهم، وكانوا خمسمائة رجل تقريباً؛ فأراد الخلاص من تبعات دمائهم، فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم عليه السلام فكتب عليه السلام إليه جواب كتابه بأنّك لو كنت تقدّمت إليّ قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم، وحيث إنّك لم تتقدّم إليّ فكفّر عن كلّ رجل قتلته منهم بتيس والتيس[1] خير منه، فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد؛ فإنّ ديته عشرون درهماً، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي فإنّها ثمانمائة درهم وحالهم في الآخرة أخسّ وأبخس.

بقي الكلام في أحوال جماعة يسمّون القلندريّة؛ وحالهم أنّهم يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، كما قال عليه السلام في بيان أحوالهم، فأبدانهم ووجوههم مسودّة وقلوبهم أشدّ سواداً، وقد تركوا الكسب وطلب المعايش المأمور بهما وأقبلوا على الأدبار وصاروا كلاًّ على الناس أينما كانوا يتكفّفون الأرزاق من جماعة ضعيفي الأبدان؛ وقوّتهم وأبدانهم أشدّ من أغلب الناس، وحالهم في ترك العبادات خصوصاً الصلاة مشهور، حتّى أنّه ورد في أمثال العوام أنّ شيئين لا يطرقان أبواب السمٰوات صعوداً: خبز الملاّ وصلاة القلندر. ومن أقبح أعمالهم اللواط وإضلال

(١) التيس من المعز والجمع تيوس وأتياس.

أولاد الناس من أهاليهم ليصحبوهم معهم؛ فهؤلاء كالصوفيّة بل هم أقبح أفعالاً منهم.

وقد صنّف بعض العلماء ممّن قارب عصرنا رسالة شبّه فيها الدنيا برجل له رأس وقلب ويدان ورجلان إلى غير ذلك من الأعضاء، فشبّه الملوك بأنّهم رأسه؛ والعلماء بأنّهم قلبه، وجعل أهل كلّ صنعة عضواً من أعضائه لأنّ كلّ أحد تراه فله دخل في الجملة في تمشية هذا العالم، ولمّا أتى إلى جماعة القلندريّة وأشباههم شبّههم بشعر العانة والإبطين بجامع أنّهم لا يدخلون في تمشية هذا العالم بوجه من الوجوه، وأنّ الذي يصدر منهم هو الإضرار بالناس؛ فهم كالشعر المذكور إذا طال، فكما أنّ علاج ضرر الشعر في إزالته بالنورة وغيرها نحوها فكذا ينبغي إزالة هؤلاء من وجه الأرض حسماً لمادة فسادهم وكثيراً ما رأوهم يشربون الخمر بدل الماء والإنسان يحسب أنّه ماء، وكثيراً ما يكلّفون الناس بالتكاليف الشاقّة بأن يصعدوا على مرتفع أو يقفوا في ميدان فيطلبون (فيطلبوا خ) أشياء كثيرة من الدراهم والأقمشة والمأكولات ونحوها، ويريدون كلّ ما طلبوا من شخص واحد؛ وربّما بقوا على هذه الحالة سنين وأعوام خذلهم الله وأخزاهم، وأكثرهم يتعمّد رواية قصيدة أو نحوها في مدح أمير المؤمنين أو أحد الأئمّة عليهم السلام ليجعلها وسيلة إلى تكفّفه الناس وسؤالهم وإيصالهم الضرر إليهم.

فإن قلت قد ورد في الأخبار أنّ من تبسّم في وجه تارك الصلاة فكأنّما هدم البيت المعمور سبع مرّات وكأنّما قتل ألف ملك من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين، ولا إيمان لمن لا صلاة له؛ ولا حظّ في الإسلام لمن لا صلاة له؛ ومن أحرق سبعين مصحفاً وقتل سبعين نبيّاً، وزنا مع أمّه سبعين مرّة، وافتضّ سبعين بكراً بطريق الزنا فهو أقرب إلى رحمة الله من تارك الصلاة متعمّداً، ومن أعان تارك الصلاة بلقمة أو كسوة فكأنّما قتل سبعين نبيّاً، ومن أخّر الصلاة عن وقتها أو تركها حبس على الصراط ثمانين حقباً كلّ حقب ثلاثمائة وستّون يوماً كلّ يوم كعمر الدنيا؛ فمن أقامها أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين، فإذا قد روي مثل هذا فهل يباح إعطاء السائل الذي يظنّ أو يعلم بالعادات تركه للصلاة؟

قلت هذه المسألة مشكلة والكلام فيها يحتاج إلى تأمل وتفكّر؛ والذي يقتضيه ظاهر النظر هو أنّ الأصحاب رضوان الله عليهم قيّدوا الأخبار الدالّة على تكفير تارك الصلاة بتاركها عمداً مستحلاً لذلك الترك؛ ومن ثمّ ترتبت هذه العقوبات على ذلك

الترك، ولكنّ الأحاديث الواردة بكون تارك الصلاة كافراً خالية من هذا القيد؛ بل ربّما دلّت على خلافه، كما رواه الصدوق قدّس الله روحه عن مسعدة بن صدقة قال سئل أبو عبد الله عليه السلام ما بال الزاني لا تسميه كافراً وتارك الصلاة تسميّه كافراً وما الحجّة في ذلك؟ فقال لأنّ الزاني وما أشبهه إنّما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنّها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلّا استخفافاً بها، وذلك لأنّك لا تجد الزاني يأتي المرأة إلّا وهو مستلذّ لإتيانه إيّاها قاصداً إليها، وكلّ من ترك الصلاة قاصداً لتركها فليس يكون قصده لتركها اللذّة، فإذا نفيت اللّذة وقع الاستخفاف وإذا وقع الاستخفاف وقع الكفر؛ فإنّه لو كان المراد الاستحلال لم يبق فرق بين الزاني وبين تارك الصلاة.

وأيضاً فإنّه من البعيد أن يدخل إنسان في دين الإسلام وينشأ عليه ويكون مستحلاً لترك الصلاة، وذلك لأنّها من أضرّ ضروريّات الدين، فمن استحل تركها فمن أين له الدخول في الإسلام، نعم ينبغي أن يقيّد الترك المحكوم بكفر صاحبه بكونه على وجه الاستخفاف بها والرغبة عنها لأنّ تركها كما يمكن أن يكون على هذا الوجه يمكن أن يكون على وجه آخر مثل تركها للأشغال الدنيويّة، أو للسأمة والملال فيكون الترك على هذا فسقاً وعلى ذاك كفراً، وأمّا معنى الكفر فليس المراد به المعنى المصطلح الذي يعقبه ترتّب الأحكام عليه كالنجاسة ونحوها.

بل روي في الأحاديث المعتبرة أنّ الإيمان درجات والكفر درجات؛ روي شيخنا الكليني قدّس الله روحه عن عبد العزيز القراطيسي قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا عبد العزيز إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم[1] يصعدونه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتّى تنتهي إلى العاشرة، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك؛ وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره فإنّ من كسر مؤمناً فعليه جبره.

وفي حديث آخر رواه عن الصادق عليه السلام قال إنّ من المسلمين من له سهم من الإيمان ومنهم من له ثلاثة أسهم، ومنهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستّة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم؛ فلا ينبغي أن يحمل

(١) يصعد منه خ ل.

صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة؛ ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستّة، ولا صاحب الستّة على ما عليه صاحب السبعة.

وسأضرب لك مثلاً؛ إنّ رجلاً كان له جار وكان نصرانيّاً فدعاه إلى الإسلام وزيّنه له فأجابه فأتاه سحراً فقرع عليه الباب فقال له من هذا؟ قال أنا فلان، قال وما حاجتك؟ قال توضّأ والبس ثوبيك ومرّ بنا إلى الصلاة؛ قال فتوضّأ ولبس ثوبيه وخرج معه قال فصلّيا ما شاء الله ثمَّ صلّيا الفجر، ثمَّ مكثا حتّى أصبحا فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله، فقال له الرجل إلى أين تذهب النهار قصير والذي بينك وبين الظهر قليل؛ قال فجلس معه إلى صلاة الظهر، ثمَّ قال وما بين الظهر والعصر قليل؛ قال فاحتبسه حتّى صلّى العصر، قال ثمَّ قام وأراد أن ينصرف إلى منزله، فقال له هذا آخر النهار وأقلّ من أوّله؛ فاحتبسه حتّى صلّى المغرب؛ ثمَّ أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له إنّما بقيت صلاة واحدة، قال فمكث حتّى صلّى العشاء الآخرة، ثمَّ تفرّقا فلمّا كان سحيراً غدا عليه فضرب عليه الباب؛ فقال من هذا؟ قال أنا فلان، قال وما حاجتك؟ قال توضّأ والبس ثوبيك واخرج فصلّ؛ قال أطلب لهذا الدين من هو أفرغ منّي وأنا إنسان مسكين وعليّ عيال، قال فقال أبو عبد الله عليه السلام أدخله في شيء أخرجه منه، أو قال أدخله من هذا وأخرجه من مثل هذا. والأخبار الواردة بهذا المعنى كثيرة جدّاً.

وكذلك مراتب الكفر مقابلة لمراتب الإيمان، فالمؤمن إذا كان في المرتبة العاشرة مثلاً من مراتب الإيمان التي هي منتهاه وسقط منها بترك ما يوجب الترقّي إليها دخل في المرتبة الأولى من مراتب الكفر، وهكذا يخرج من عالي الإيمان ويدخل في أوّل الكفر، ويتّضح على هذا معنى قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، حيث سمّى تارك الحجّ كافراً فإنّه ليس المراد به الكفر المصطلح الذي هو آخر مراتب الكفر، بل المراد إحدى درجاته الأوّليّة التي دخل بها بسبب ترك مثل هذا الواجب؛ وكذلك ما ورد في الكتاب والسنّة من إطلاق الكفر على من ترك شكر نعمته سبحانه وتعالى. ونحو ذلك من الأخبار المتضمنة لإطلاق الكفر على من أتى بذنب خاصّ من الذنوب.

وقد أشكل مثل هذا الإطلاق على بعض علمائنا حتّى ألجأته الضرورة إلى ارتكاب التأويل في ألفاظ الكفر أينما وردت؛ وحينئذ فقوله تارك الصلاة كافر المراد بالترك تركها استخفافاً كما سبق في رواية الصدوق، والمراد بالكفر إحدى درجاته ومراتبه، وحينئذ فقوله ومن أعان تارك الصلاة بلقمة أو كسوة المراد به تاركها استخفافاً بشرط أن يعلم منه تركها.

وأمّا من تناله الألسن بتركها أو من ظنّ به الترك في مجاري العادات فالظاهر أنّه غير داخل في هذا الحكم؛ لأنّ الأصل في المؤمن حسن الحال والعدالة مع ما ورد من النهي عن التجسّس عن أحوال المسلمين وأوضاعهم، وأمّا قوله ومن تبسّم في وجه تارك الصلاة (اه) فهو على ظاهره؛ وذلك أنّ من درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أن تلقى أهل المعاصي بوجه مكفهرّ، كما جاء في الرواية فإذا لقيته متبسّماً فقد ضيّعت واجباً وأتيت بحرام لأنّ لازم التبسّم التودّد والمحبّة.

بقي الكلام في جواز إطلاق الكافر على تارك الصلاة استخفافاً وتهاوناً، وعلى تارك الحجّ أو نحوهما ممّا ورد في الروايات إطلاق هذا اللفظ عليه وهو لا يخلو من إشكال؛ وذلك أنّ كثيراً من الأحكام ورد في الروايات لها حكم؛ ولا نقدر نحن على إطلاق ذلك الحكم أو اللفظ على من أُطلق عليه، مثلاً ورد من بات وحده في بيت فهو ملعون ومن سافر وحده فهو ملعون ومن أكل زاده وحده فهو ملعون، إلى غير ذلك ولا يجوز لنا لعن من أتى شيئاً من هذه الأمور، وذلك أنّه يجوز أن يكون الشارع أطلق عليه مثل هذه الألفاظ وتلك تغليظاً عليه حتّى لا يقدم على ارتكاب تلك الأمور المنهيّ عنها.

كما ورد عنه ﷺ أنّه قال لو شهدت جنازة شارب الخمر لما صلّيت عليه، مع وجوبها علينا إجماعاً؛ ولمّا مات رجل من الصحابة مديوناً وحضر النبي ﷺ جنازته ما صلّى عليه حتّى ضمن دينه أمير المؤمنين عليه السلام. وروي أنّه ﷺ همّ بإحراق جماعة ما كانوا يحضرون الجماعة معه وقد كانوا يصلّون في بيوتهم إلى غير ذلك؛ وذلك أنّ صاحب الشرع يجوز له السياسات في الأفعال والأقوال حتّى ترتدع الخلائق من أوّل الأمر عن ذلك القبيح.

خاتمة هذا الكلام

قد عرفت أنّ للإيمان درجات وأحوالاً؛ وينبغي أن تعلم أيضاً أنّه قد ورد الخلاف بين علماء الإسلام في حقيقة الإيمان، والمذاهب فيه ثمانية:

الأوّل أنّه التصديق القلبي بما علم ثبوته من الدين ضرورة كالتوحيد والنبوّة والبعث وهذا هو مذهب جمهور الأشاعرة، الثاني ضمّ التصديق اللساني إليه وهو مذهب الحنفيّة وعليه أكثر أصحابنا رضوان الله عليهم؛ الثالث ما ذهب إليه الكراميّة من أنّه التصديق اللساني وحده.

الرابع إضافة الأعمال إلى ما تقدّم وهو قول المعتزلة والخوارج وبعض علمائنا، الخامس ما ذهب إليه جهم بن صفوان من أنّه المعرفة بالله تعالى؛ السادس أنّه معرفة الله سبحانه وما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً وإليه صار بعض علماء (فقهاء خ) الجمهور، السابع أنّه الطاعات المفترضة من الأفعال والتروك دون النوافل وعليه الجبائيان؛ الثامن أنّه الطاعات كلّها فرائضها ونوافلها.

والذي يفهم من تتبع كلام الطاهرين عليهم السلام أنّ النزاع الواقع بين الملل لفظي وذلك أنّه قد ورد في الأخبار إطلاق الإيمان على أمور متفاوتة ودرجات متباينة، وكلّ واحد من تلك الأقوال الثمانية يندرج في إطلاق من تلك الإطلاقات.

منها إطلاقه على ما يرادف الإسلام فيتناول بهذا الإطلاق جميع المسلمين وهو بهذا المعنى كثير الوقوع في الكتاب والسنّة، ولا فائدة له سوى حقن الدماء وحفظ الأموال في الدنيا، وأمّا في الآخرة فصاحبه مخلّد في النيران بالإجماع، ومنها إطلاقه على التصديق القلبي والإقرار اللساني كما يكون في فسّاق المؤمنين الذين أصرّوا على ترك الأعمال، وفائدته في الأُخرى أن لا يخلّد في النار، وأمّا أصل الدخول فقد اختلف فيه لاختلاف الأخبار ومدلول الكثير منها أنّ مثل هذا المؤمن يدخل النار لكنّه لا يخلد فيها.

ومنها إطلاقه على ما ذكر مع ترك الكبائر وفعل الفرائض التي يكون تركها كبيرة كالصلاة والزكاة والحجّ، وعلى هذا قد دلّت الأخبار الكثيرة وغايته دخول الجنّة، وقد عرفت أنّ ما روي من أنّ تارك الصلاة والحجّ كافر فالمراد بكفره خروجه عن هذه المرتبة.

ومنها إطلاقه على جميع الاعتقادات مع الإتيان بالواجبات وترك المحرّمات، ويترتّب عليه مع ما سبق رفع الدرجات والإقبال عليه بالكرامات؛ وقد تحقّقت أيضاً أنّ ما ورد من أنّ من فعل محرّماً من المحرّمات خرج من الإيمان، يكون المراد به خروجه عن هذه المرتبة. ومنها إطلاقه على ما ذكر مع الإتيان بالمستحبّات وترك سائر المكروهات وفائدته تضاعف الدرجات وما روي من أنّ من كان يؤمن بالله فلا

ينامنّ وحده، أو فلا يأكلنّ وحده، أو فلا يبعث بحليلته إلى الحمّام، منزّل على هذه الدرجة من الإيمان.

ومنها إطلاقه على ما ذكر مع التوجّه بكلّه إلى عالم الملكوت وصرف الوقت في الإقبال على جنابه سبحانه وتعالى وهذا هو الإيمان الكامل الذي لمّا وصفه أمير المؤمنين عليه السلام لهمام لم يطق سماعه بل غشي عليه، وهذه المرتبة ينافيها فعل المباحات؛ ومن هذا تاب الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ممّا ينافيها من هذه الأفعال وعدّوها ذنوباً، كما قال عليه السلام حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين، ويدلّ على تنوّع الإيمان ما رواه شيخنا الكليني قدّس الله روحه بإسناده إلى الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له أيّها العالم أخبرني أيّ الأعمال أفضل عند الله، قال ما لا يقبل الله شيئاً إلّا به، قلت وما هو؟ قال الإيمان بالله الذي لا إله إلّا هو أعلى الإيمان درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظّاً قال قلت ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال الإيمان عمل والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيّن في كتابه واضح نوره ثابتة حجّته يشهد له الكتاب ويدعوه إليه قال قلت صفه لي جعلت فداك، قال الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل؛ فمنه التامّ المنتهي تمامه؛ ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه، قلت إنّ الإيمان ليتمّ ويزيد وينقص؟ قال نعم، قلت كيف ذلك؟ قال إنّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرّقه فيها فليس من جوارحه جارحة إلّا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها؛ فمنها قلبه الذي يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه وأمره، وساق الحديث وذكر فيه تكاليف الأعضاء كلّها والحديث طويل.

ويفيد ما تقدّم توضيحاً أنّه قد وقع في كلام الطاهرين عليهم السلام تشبيه الإيمان بشخص مشتمل على جميع ما في غيره من الأعضاء والجوارح والمزيّنات والمحسّنات فمن تلك الأعضاء أعضاء يكون قوام ذلك الشخص ووجوده به كالرأس والقلب، وبإزائها من الإيمان التصديق القلبي والإقرار اللساني، ومنها ما يكون به جلب منافعه ودفع مضارّه لا أصل وجوده كاليدين والرجلين ونحوهما؛ وبإزائها من الإيمان فعل الواجبات وترك المحرّمات؛ ومنها ما يكون له مدخل في تحسين صورة الشخص وتزيينها كالحاجبين وأهداب العينين، ونحوهما، وبإزائه من الإيمان فعل المستحبّات وترك المكروهات وإلى هذا ينظر قول سيّد الساجدين عليه السلام في دعائه: وحلّني بحلية المتّقين.

وأمّا تزايده ونقصانه كما جاء في ذلك الحديث فإنّما يجيء من تزايد الأعمال ونقصانها؛ وذلك أنّه قد ورد في الأحاديث تشبيه الإيمان بالعين النابعة، ولا ريب أنّ زيادة ماء العين ونقصانه إنّما يكون بتشريع الأنهار وشقّها منه حتّى يجري منها الماء على وجه الأرض فلا تعفّنها الرياح، وكذلك عين الإيمان النابعة من القلب تحتاج إلى تشريع أنهار تجري منها على الجوارح والأعضاء، فإنّ كلّ عضو من الأعضاء بمنزلة نهر من أنهار العين. وأيضاً العين تحتاج في كلّ زمان إلى تنقيتها من الحمأة المفسدة وممّا يعرض لها بتطاول الأيّام؛ وكذلك عين الإيمان تحتاج إلى التنقية ممّا يفسدها من حمأة الحسد والنفاق والرياء والكبر والعجب حتّى يصفو ماؤها فيبلغ به الصفاء إلى قوله لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً.

واعلم أنّه قد ظهر من التحقيق السابق أنّ النزاع لفظي[١] وذلك أنّ للإيمان مراتب

---

(١) إن كان محل النزاع في المقام في الإيمان الذي هو السبب في خلود المؤمنين في الجنان وعدم خلودهم في النار فلا يكون النزاع لفظياً ومحل النزاع إنما هو في ذلك لأن محل الكلام أن حقيقة الإيمان التي يتصف بها المؤمن عند الله تعالى بالإيمان وبها يثبت له الخلود في الجنة وبدونها الخلود في النار هل هو التصديق القلبي فقط كما عليه الأكثر وإليه ذهب المحقق الطوسي رَحِمَهُ اللهُ في الفصول، أو أن الإقرار اللساني جزء منه كما إليه ذهب المحقق الطوسي رَحِمَهُ اللهُ في التجريد؟ أو أن الإيمان هو التصديق بالجنان والعمل بالأركان والإقرار باللسان كما ذهب إليه المحدثون ونسب من الإمامية إلى الشيخ المفيد قدس سره؛ وعلى مذهب من قال بالقول الثالث لا يكفي القول الأول أعني التصديق القلبي فقط في كونه سبباً للخلود والذاهب إلى الأول يقول بكفايته في ذلك وكذا الأمر بالنسبة إلى القول الثاني مع الأول أو الثالث مع الثاني وغير خفي أن هذا نزاع معنوي.

وتفاوت درجات الإيمان ومراتبه إنما هو في الكمال بالنسبة إلى أفراد تلك الحقيقة الواحدة ومن مشخصاتها وليست داخلة في الحقيقة المذكورة أعني التصديق والإذعان القلبي والاعتقاد العلمي ولهذه الجهة نقول إن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان كما هو مشروح في محله حتى على القول بكون الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان وجزءاً لها كما صرح به الشهيد الثاني رَحِمَهُ اللهُ وقال ما هذا لفظه الشريف: وقد ذكر بعض العلماء أن هذا النزاع (أعني قبول الإيمان الزيادة والنقصان) إنما يتمشى على قول من جعل الطاعات من الإيمان وأقول الذي يقتضيه النظر أنه لا يتمشى على قولهم أيضاً وذلك أن ما اعتبروه في الإيمان من الطاعات إما أن يريدوا به توقف حصول الإيمان على جميع ما اعتبروه أو عليه في الجملة وعلى الأول يلزم كون حقيقته واحدة فإذا ترك فرضاً من تلك الطاعات يخرج من الإيمان وعلى الثاني يلزم كون ما يتحقق به الإيمان من تلك الطاعات داخلاً في حقيقته وما زاد عليه خارجاً فتكون واحدة على التقديرين فليست الزيادة والنقصان إلا في الكمال على جميع الأقوال (اهـ) انظر إلى =

فكلّ واحد من الأقوال الثمانية عبارة عن درجة من درجات الإيمان، نعم يمكن أن يكون النزاع معنوياً في صورة من الصور، وهي ما روي في قضاء حوائج المؤمن ومواساته وإعانته وزيارته ونحو ذلك في أنّ المراد بهذا المؤمن صاحب أيّ درجة من الدرجات الإيمانيّة؛ قال شيخنا المعاصر أدام الله أيّامه المراد من انضمّت أعماله وتركه الكبائر إلى حسن اعتقاده، وذلك لأنّ الفاسق لا حرمة له عند الله سبحانه حتّى يرغب في قضاء حوائجه كلّ ذلك الترغيب وهو كما قال.

لكن يبقى الكلام في أنّ من علم منه الفسق أمس أيحكم عليه اليوم بأنّه فاسق أم لا؟ ذهب أكثر الأصوليين إلى الأوّل عملاً بالاستصحاب؛ والمستفاد من تتبّع الأخبار عدم جواز الحكم عليه بالفسق الماضي، وذلك أنّ التوبة قائمة الاحتمال في كل ساعة فيجوز أن يكون قد تاب عن ذلك الذنب؛ ويؤيّد هذا ما ورد في دعاء صلاة الأموات من قوله عليه السلام: اللهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً[1] وذلك أنّ الفاسق قد علم منه غير الخير فما وجه هذا الدعاء حينئذ؟ وأجاب عنه المحقّقون بما ذكرنا وهو أنّ احتمال التوبة قائم فلعلّه قد تاب عن ذلك القبيح، والإيمان منه معلوم فخيره معلوم وشرّه غير معلوم لأنّ أدنى الحال أن يشكّ في توبته، وإذا قام الشكّ بطل العلم؛

= كتابه حقائق الإيمان ص ١٣٣.

وخلاصة المقال أن الذي يتفاوت فيه المكلفون وتختلف درجاتهم في الإيمان إنما هو في مراتب كماله بعد تحقق أصل حقيقته التي يخاطب بتحصيلها كل مكلف ويصير بها مؤمناً عند الله تعالى ويستحق الثواب الدائم وبدونها العقاب الدائم.

ويظهر من العلامة الطالقاني رحمه الله في كتابه كاشف الأسرار أن للإمامية قولان في المقام، الأول أن الإيمان هو التصديق القلبي وعدم الإنكار باللسان والثاني هو التصديق مع الإقرار باللسان (اهـ) والحق هو القول الأول الذي ذكره وبه يجمع بين الآيات والروايات وما ورد في الأخبار ما يدل ظاهره على جزئية الأعمال للإيمان يحمل على الإيمان الكامل كما فصلنا القول في ذلك في رسالة مستقلة وبتعبير آخر أن الأعمال ليست جزءاً من حقيقة الإيمان الحقيقي بل هي جزء من الإيمان الكمالي فإن من كمل إيمانه واستكمل درجاته لا يترك شيئاً من الأعمال الواجبة ولا يرتكب بشيء من المحرمات لا أن الأعمال داخلة في أصل حقيقة الإيمان وبذلك يحصل الجمع بين الآيات والأخبار التي يطول الكلام بشرحها وبيانها في المقام.

(١) فيه ما لا يخفى لأن المراد بالخير في «لا نعلم منه إلا خيراً» كونه موالياً اثني عشرياً أو المراد كون الميت في دين الإسلام ظاهراً وليس المراد به ما ذكره رحمه الله تعالى وما ذكره من المعنى غير مفهوم من الأخبار ولا من كلام أحد من المحققين.

وحيث إنّك عرفت الفرقة الناجية فلا بدّ لك من الدخول في أعمالها وأشرف الأعمال هو الطهارة والصلاة، فلنعقد لهما نوراً بانفرادهما.

نور في الطهارة والصلاة

اعلم أنّ الطهارة الشرعيّة وضوء وغسل وتيمّم في عرف الشرع وفي اللغة هي النظافة وإزالة القذر؛ ويجب أن تتفكّر وتعرف أنّك إنّما أُمرت بتطهير ظاهر الجلد والثياب مع أنّهما أبعد عن ذاتك، لأجل تطهير ما هو أشرف أعضائك ورئيسها هو القلب فاجتهد في طهارته بالتوبة من نجاسات المعاصي والنفاق والحسد وغيرها؛ فإنّ نجاسة الذنوب تؤثّر في القلب أزيد ممّا تؤثره النجاسات الظاهرة بالثوب والبدن وذلك أنّ هذه النجاسة تقع على الأعضاء التي يطّلع عليها المخلوقات فإذا صلّيت بهذه النجاسة الظاهرة مقتك المخلوق الذي هو مثلك ومنعك من نظر الأخوّة والصداقة إن كان من أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وأمّا إذا صلّيت مع نجاسة القلب مقتك الخالق ومنعك من نظر الرحمة التي يترتّب عليها سعادة الدارين، وأيضاً إنّ نجاسة القلب ممّا تحدث فيه ريناً ووسخاً فيعلو القلب حتّى يصير منه أسود.

وفي الروايات أنّ ذلك السواد ربّما غلب عليه حتّى ينتكس ذلك القلب فيصير أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، ويسمّى القلب المنكوس فتكون البدعة في نظره سنّة والسنّة بدعة، فيطبع الله على قلبه بخواتيم منع الألطاف، فيكون ذلك القلب عرشاً للشيطان ومناماً وموضع استراحة؛ يأمره إذا أراد وينهاه إذا شاء؛ وهذه الروايات تقلّل التعجّب من جماعة ينحتون أصناماً فيظلّون عاكفين على عبادتها، وقد كان في زمن الفترة جماعة يعبدون صنماً وكان موضوعاً في ساحة بينهم فأتاه ثعلبان فبالا عليه؛ ثمّ إنّهم عبدوه بعد هذا وما استنكفوا عن عبادته سوى رجل واحد منهم حيث قال:

أربّ يبول الثعلبان برأسه   لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

وقال الخوارزمي ما انتفع كافر بمعبوده كانتفاع بني حضرمة، فإنّهم كانوا يصنعون أصناماً من التمر فيعبدونها أوّل النهار فإذا ارتفع النهار وجاعوا أكلوها.

وفي كفّار الهند من يعبد الثور ورأيناهم يأخذون من روثه ويمزجونه بالزعفران ويلطخون به جباههم لقصد التيمّن والتبرّك، وكذلك ما جرى في الإسلام من عبادتهم

الثور والعجل والبقرة أعني المتخلّفين الثلاثة، حيث قدّموهم مع فرط جهلهم في الدين وأخذوا أقوالهم التي أقرّوا بأنّها خلاف قول رسول الله ﷺ، كما قال الثاني متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا محرّمهما ومعاقب عليهما، بكسر القاف من معاقب والفتح هو الأوجه.

ويعجبني جواب رجل من الجمهور لمّا تمتّع بامرأة فقال له أهل مذهبه كيف تمتّعت وقد نهى عنها الخليفة عمر؟ فقال ما تمتّعت إلّا بقوله؛ وذلك أنّه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله محلّلتين، فقد أخذت بهذا الجزء من حديثه، وأمّا قوله فأنا أُحرّمهما وأُعاقب عليهما فلم أعمل عليه؛ وذلك لأنّ الأحكام الشرعيّة قد كملت عند موت النبيّ ﷺ ولم ينزل الوحي لا على عمر ولا على غيره فمن أين جاء التحريم.

ويحكى في[1] سبب تحريم عمر لمتعة النساء أنّه قد طلب أمير المؤمنين عليه السلام إلى منزله ليلة، فلمّا مضى من الليل جانب طلب منه أن ينام عنده فنام؛ فلمّا أصبح الصبح خرج عمر من داخل بيته معترضاً على أمير المؤمنين عليه السلام بأنّك قلت أنّه لا ينبغي للمؤمن أن يبيت ليلة عزباً إذا كان في البلد، وها أنت هذه الليلة بتّ عزباً؛ فقال أمير المؤمنين عليه السلام وما يدريك أنّني بتّ عزباً، وأنا هذه الليلة قد تمتّعت بأختك فلانة، فأسرّها في قلبه حتّى تمكّن من التحريم فحرّمها، فمن أطاعه في تحريمها أو تحريم غيرها فقد عبده؛ وذلك أنّ العبادة هي إطاعة المتكلّم كما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال والله ما صاموا لهم ولا صلّوا، ولو دعوهم إلى هذا لما قبلوا منهم، لكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فقبلوا أقوالهم فمن ثمَّ قال أرباباً من دون

---

(١) لم يذكر المصنف رحمه الله مصدر هذه الحكاية التي نقلها حتى يلاحظ هل هو مما يطمئن به النفس ويعتمد عليه أو لا؟ وقد روى المفضل كما حكى عن البحار في أحوال القائم عليه السلام عن الصادق عليه السلام أن سبب تحريم عمر متعة النساء أن عمر رأى عند أخته عفراء طفلاً رضيعاً ترضعه حين دخل عمر بيتها وغضب وقال لها من أين لك الولد وليس عندك زوج فقالت من المتعة فحرم المتعة (اهـ).

ومن أحسن ما ألف في مسألة المتعة بالخصوص هو كتاب (المتعة) للكاتب الضليع الأستاذ (توفيق الفكيكي) المطبوع سنة (١٣٥٦هـ) في النجف الأشرف وعليه مقدمة بقلم أستاذنا الإمام كاشف العطاء قدس سره وتقريظ للعلامة المجتهد الكبير الشيخ هادي آل كاشف الغطاء قدس سره صاحب مستدرك نهج البلاغة فراجع.

الله؛ وبيان قلّة العجب أنّ قلوبهم التي هي موضع الفيوض الربانيّة والتوفيقات السبحانيّة قد اسودّت بنجاسات الذنوب فانتكست؛ فمن هذا تراهم يعجبون منّا ومن حبّنا لأهل البيت والتمسّك بشرائعهم ويستحسنون أفعالهم القبيحة.

وقد نازعتني نفسي في نقل بعض ما رأيت من علمائهم، فمنه أنّني في عشر الستّين بعد الألف سافرت مع سلطان البصرة إلى موضع من شطّ بغداد لإرادة التنزّه، فكنت يوماً أُعقب بعد صلاة الصبح إلى أن طلعت الشمس؛ فأتاني الخبر أنّ السلطان لم يصلّ إلى هذا الوقت؛ فسألت خواصّه عن السبب، فقالوا أنّ إمام جماعته كان مشغولاً في الغسل من الجنابة وكان اسمه الشيخ يحيى وكان فسطاطه قريباً من فسطاطنا، وكان رجلاً قد طعن في السنّ حتّى تجاوز الثمانين؛ فتعجبت وقلت أنّ الإمام رجل كبير السن فكيف يحتلم؟ فضحك من كان حاضراً من خواصّه وقالوا ليس اغتساله من الاحتلام؛ وإنّما هو من ولد يخدمه اسمه قدار وقد لاط فيه البارحة، وما سخن له الماء إلى هذا الوقت. فلمّا فرغ من الغسل مضى إلى السلطان وصفّت الصفوف خلفه فكبّر وأقام وصلّى تلك الصلاة المقبولة بذلك الغسل المشروع، أعاذنا الله من ثوابها؛ وكان ذلك الشيخ شافعيّاً لا مالكياً حتّى يحلّل هذا وأمثاله.

ومن ذلك أيضاً أنّ رجلاً من علمائهم وهو الآن في تاريخ تأليف الكتاب موجود في مشهد الحسين عليه السلام [(١)] وهو إمام الجماعة في المشهد المقدّس واسمه ملاّ حسين؛ وعنده أولاد موجودون رأيناهم ورأينا أباهم، وقد حكى لي رجل عابد زاهد أثق بنقله وصلاحه عن ذلك الإمام، فقال أنّ هؤلاء أولاده؛ ولمّا كان وقتهم قبل البلوغ كان الفسّاق كثيراً ما يأخذونهم إلى منازلهم ويلوطون بهم وكان إذا قدم إلى ذلك المشهد الشريف جماعة من أروام بغداد أرسلوا إلى أولاد ذلك الإمام، فبقوا عندهم ليلاً حتّى يخرجوا من المشهد، فأتى جماعة من خواصّ ذلك الإمام؛ وقالوا له أنّ أولادك يفعلون هذا الفعل وأنت غير عالم به فانهاهم عنه. فقال لهم قولوا لي الصدق أنّ أحدهم إذا بات ليلة عند من يفعل به ذلك الفعل كم يعطيه درهماً؟ فقال يعطيه درهمين، فقال لهم ويل لكم والله أنّ أباهم يعني نفسه الشريفة لمّا كان في

---

(١) وفي عصرنا هذا ليس في مشهد الحسين عليه السلام (كربلاء) أحد من أهل السنة ولا من علمائهم وكذا في (النجف الأشرف) مدينة العلم ومشهد أمير المؤمنين سلام الله عليه وجمهرة أهل العراق من الشيعة ونسأل الله تعالى أن يؤيدهم في هذه التحولات التي حدثت في العراق.

سنّهم كان يرضى طول ليلته بنصف درهم فإذا أُعطي أحدهم درهمين وما يريد فسكتوا عنه، فهذا حال أئمّتهم أهل العبادة والزهادة والجمعة والجماعة.

وأمّا علماؤهم من أرباب المعقول فأفضلهم الملاّ ميرزا جان صاحب الحواشي والتحقيقات، وقد كان عنده ولد يلوطون به، فأخبره بعض تلاميذه عن حال ابنه، فأجاب بأنّ هذا الفعل لا ينقص من قوّته الدراكة شيئاً، والأصل في الإنسان تلك القوّة، وقد خلق لحراستها وإعمالها في العلوم والمعارف، وأمّا هذه الأعضاء اللحميّة فلا يبالي العاقل بما يجري عليها.

ومن ذلك أنّ الشيخ عبد السلام الذي كان في البصرة وبلغ في الزهد وعلوّ الدرجة حتّى كتب سلاطينهم اسمه على الأعلام التي تنشر في الحروب، فكتبوا عليها لا إلٰه إلّا الله محمّد رسول الله الشيخ عبد السلام وليّ الله قد صعد المنبر ذات يوم؛ فقال من أراد أن يشتري مكاناً من الجنّة فليقبل، فأقبلت البهائم إليه فباع مواضع الجنّة ومساكنها كلّاً على قدر حاله حتّى أخذ منهم أموالاً كثيرة؛ فلمّا فرغ من بيعها أقبل إليه رجل لم يكن حاضراً في البلد، فقال يا شيخ أريد أن أشتري مكاناً في الجنّة وعندي أموال جزيلة أبذلها كلّها على مكان فيها، فأجابه ذلك الشيخ بأنّه لم يبق من الجنّة سوى مكاني ومكان دابّتي، فقال بعني مكانك واكتفِ أنت بمكان الدابّة، فباعه مكانه وبقي ولا مكان له في الجنّة.

وقد كان هذا الشيخ يصلّي ذات يوم في المسجد فقال في أثناء الصلاة كخ كخ، فلمّا فرغ سأله أصحابه عن ذلك القول في الصلاة، فقال أنّي رأيت وأنا في الصلاة كلباً قد دخل المسجد الحرام وانتهى إلى باب الكعبة فزبرته حتّى خرج، فتعجّب الحاضرون من هذا الكشف العظيم، حيث رأى وهو في البصرة كلباً في الكعبة؛ فأتى رجل من الحاضرين إلى زوجته وكانت شيعيّة وذلك الرجل سنّي، وحكى لها كرامة الشيخ وحثّها على متابعة دينه، فقالت له إن كنت تريد لتحوّلني إلى دينك فاطلب هذا الشيخ إلى الضيافة يوماً حتّى أتحوّل إلى مذهبك في حضوره، ففرح الرجل فواعد الشيخ يوماً؛ فقال للمرأة اصنعي هذا اليوم طعاماً للشيخ وأصحابه؛ فلمّا جلسوا وضعت الصحون بين أيديهم؛ وعلى رأس كلّ صحن دجاجة ودجاجة صحن الشيخ وضعتها تحت الطعام، فلمّا نظر الشيخ إلى صحنه غضب غضباً شديداً وامتنع عن الأكل، وقال كيف ما وضعتم لي دجاجة؟ فكانت المرأة واقفة تنظر إلى ما يصنع الشيخ؛ فلمّا رأت منه حالة الغضب أتت إلى صحنه وأخرجت الدجاجة من

تحت الطعام، وقالت يا شيخ إنّك في البصرة ورأيت الكلب وهو في مكّة حتّى قطعت الصلاة لأجله، فكيف لا ترى الدجاجة التي هي أمامك وما بينك وبينها حائل سوى لقمة من الطعام؟ فقال ذلك الشيخ هذه رافضيّة خبيثة؛ فقام وخرج ورجع زوج المرأة إلى دين زوجته.

ومن ذلك أنّ الشيخ حبيب الكهمري قد كان في البصرة وكان من أعاظم عبّادهم وزهّادهم، وقد كان فيه حصر البول فكان يوماً من الأيّام جالساً مع الناس فأخذه حصر البول؛ فتعصّر وتشنّجت عروقه وبقي ساعة على ذلك الحال حتّى خرج منه من البول ما ابتلّ منه ثيابه؛ فقالوا له لم جرى عليك هذا الحال؟ فقال إنّ مركباً من مراكب البحر كان قد أشرف على الغرق فرأيته وهو في البحر فتناولت حبال ذلك المركب حتّى نجّيتهم من الغرق، وقد ابتلّ ثوبي من ماء ذلك البحر؛ فأتوا إلى ثوبه ومسحوا ذلك الماء الذي في الثوب على وجوههم ولحاهم تبرّكاً به.

وإنّه يعجبني نقل حكاية فعلها رجل بحرانيّ مع هذا الشيخ وهي أنّ ذلك الرجل البحراني قال لأصحابه يوماً إمضوا بنا إلى الشيخ حبيب حتّى نضحك على لحيته ونأخذ منه مبلغاً من الدراهم، فقالوا له ما نقدر على هذا الحال، فقال لهم لكنّي أنا أقدر، فأتوا إلى الشيخ وهو جالس بين تلاميذه فسلّم عليه، وقال يا شيخ أنا رجل من الشيعة وقد أمنتك أمانة وأريدها الآن؛ فقال وما هي؟ قال إنّني كنت في البحر في اليوم الفلاني وقد أشرفت السفينة على الغرق فرمت التجّار أموالهم في الماء وقالوا يا ماء هذا أمانة الشيخ حبيب؛ فلمّا رأيتهم صنعت أنا مثلهم وكان مالي ألف درهم؛ وأظنّ الماء لا يخونك في الأمانة بل قد أدّاها إليك؛ فتفكّر الشيخ في نفسه وبهائمه جالسة حوله؛ فقال نعم يا بحراني صدقت في كلامك هذا، لأنّ البحر في ذلك اليوم قد دفع إليّ أمانات كثيرة من أهل تلك السفينة فعلّم علائم أمانتك، فقال إنّها مصرورة في خرقة خضراء، صفتها كذا وكذا؛ فقال صدقت يا بحراني عندنا هذه الأمانة. فدخل البيت ووضع دراهم من ماله في خرقة خضراء فأتى بها إلى البحراني ودفعها إليه؛ فقال البحراني نعم هذه أمانتنا.

وأمّا الكرامات التي ظهرت من قبور أئمّتهم الأربعة فهي أكثر من أن تحصى، وأعظمها الكرامات التي شاهدها الناس من قبر أبي حنيفة؛ وذلك أنّ السلطان الأعظم شاه عبّاس الأول لمّا فتح بغداد أمر بأن يجعل قبر أبي حنيفة كنيفاً؛ وقد

أوقف وقفاً شرعيّاً بغلتين وأمر بربطهما على رأس السوق، حتّى أنّ كلّ من يريد الغائط يركبهما ويمضي إلى قبر أبي حنيفة لقضاء الحاجة.

وقد طلب خادم قبره يوماً فقال له ما تخدم في هذا القبر وأبو حنيفة الآن في أسفل درك الجحيم؟ فقال إنّ في هذا القبر كلباً أسود دفنه جدّك المرحوم الشاه إسماعيل لمّا فتح بغداد قبلك فأخرج عظام أبي حنيفة وجعل موضعها كلباً أسود، فأنا أخدم ذلك الكلب، وكان صادقاً في مقالته لأن المرحوم شاه إسماعيل فعل مثل هذا.

ومن كراماته أنّ حاكم بغداد طلب علماء أهل السنّة وعبّادهم؛ وقال لهم كيف الرجل الأعمى إذا بات تحت قبّة موسى بن جعفر عليه السلام يرتدّ إليه بصره، وأبو حنيفة مع أنّه الإمام الأعظم لم يسمع له بمثل هذه الكرامة؟ فأجابوه بأنّ هذا يصدر أيضاً من بركات أبي حنيفة؛ فقال لهم أحبّ أن أرى مثل هذا لأكون على بصيرة من ديني؛ فأتوا رجلاً فقيراً وقالوا له إنّا نعطيك كذا وكذا من الدراهم والدنانير وقل إني أعمى وامش متّكئاً على العصا يومين أو ثلاثة، ثمّ تبيت ليلة الجمعة عند قبر الإمام أبي حنيفة؛ فإذا أصبحت فقل الحمد لله الذي ردّ عليَّ بصري ببركات صاحب هذا القبر، فقبل كلامهم ثمّ لمّا بات تلك الليلة تحت قبّته أصبح بحمد الله وهو أعمى لا يبصر شيئاً؛ فصاح وقال أيّها الناس حكايتي كذا وكذا وأنا رجل صاحب عيال وحرفة. فاتّصل خبره بحاكم البلد فأرسل إليه فقصّ عليه قصّته واحتيالهم عليه فألزمهم بما يحتاج إليه من المعايش مدّة حياته، ونحو ذلك من الكرامات التي لا يحتمل هذا الكتاب نقلها، وبالجملة فتصديق مثل هذه الخرافات والأخذ بأقوال هؤلاء الجماعة الحمقى إنّما نشأ من القلب المنكوس.

وينبغي أن تذكر بتخلّيك لقضاء الحاجة نقصك وحاجتك وما تشتمل عليه من الأقذار وما في باطنك؛ كما قال سيّد الموحّدين عليه السلام: ابن آدم أنّى لك والفخر فإنّ أوّلك جيفة، وآخرك جيفة، وفي دار الدنيا حامل الجيف والنجاسات، وقال عليه السلام ما من عبد إلّا وبه ملك موكّل يلوي عنقه حتّى ينظر إلى حدثه، ثمّ يقول له الملك يابن آدم هذا رزقك فانظر من أين أخذته وإلى ما صار، فينبغي أن يقول عند ذلك اللهمّ ارزقني الحلال وجنّبني الحرام.

وقد أمر أيضاً بقناع الرأس فوق العمامة لإظهار الحياء منه سبحانه، فإنّه على حالة خسيسة كأنّه لا يحبّ أن ينظر إليه أحد مثل قاطع الطريق فإنّه يتنقّب ويتلثّم كي

لا يعرف في ذلك الحال، فإذا كان على هذه الطريقة في الحياء من النجاسات الظاهرة فكيف لا يكون كذلك مع النجاسات الباطنة ودفعها، وكما أنّ من أخرج هذه النجاسات الظاهرة ودفعها يحصل له الاستراحة بدفعها ويحصل له الحالة القابلة لدخوله في الصلاة، قال الصادق عليه السلام سمّي المستراح مستراحاً، لاستراحة النفوس من أثقال النجاسات، واستفراغ الكثيفات والقذر فيها؛ فكذلك إذا أخرج النجاسات الباطنة عن باطنه يحصل له الاستراحة المعنوية ويسكن قلبه من دنسها ويخفّ لبّه من ثقلها، ويصلح للوقوف على بساط الخدمة والتأهل للمناجاة.

وأيضاً قد أمرنا الشارع بالانحراف عن القبلة وتجنّبها عن الحالتين إشارة إلى أنّ الكعبة لمّا نسبت إليه سبحانه بأنّها بيته وجب تعظيمها وتنزيهها حتّى عن المواجهة بالبول والغائط؛ حتّى أنّه روي عن الرضا عليه السلام من بال حذاء القبلة ثم ذكر فانحرف عنها إجلالاً للقبلة وتعظيماً لها لم يقم من مقعده ذلك حتّى يغفر له، فإذا لم يرض سبحانه بمواجهة بيته الحسّيّ المركّب من الأحجار والأخشاب بأن يواجه بالنجاسات مع أنّ بينه وبينه المسافات البعيدة، فكيف يرضى بأن يكون بيته المعنوي ومحل معرفته ومحبّته ملطّخاً بنجاسات المعاصي؛ كما قال سبحانه في الحديث: لم تسعني سمائي ولا أرضي ولا عرشي ولا كرسيّي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن فجعل قلب المؤمن أجلّ وأوسع من العرش والكرسي مع ما تقدّم من أحوالهما، فينبغي لمن أراد الوقوف بين يديه تعالى أن يصبّ على قلبه ماء التوبة حتّى يطهر ما نجس منه.

وكذا كره الشارع له الأكل على الخلاء إشارة إلى أنّ المأكول ينبغي أن يعظّمه وأن يقبل عليه وأن يجلس له على أحسن الأحوال لأنّه من أعظم نعمه تعالى، روي أنّ الباقر عليه السلام دخل الخلاء فوجد لقمة خبز في القذر، فأخذها وغسلها ودفعها إلى مملوك كان معه فقال تكون معك لآكلها إذا خرجت؛ فلمّا خرج عليه السلام قال للمملوك أين اللقمة قال أكلتها يابن رسول الله، قال إنّها ما استقرّت في جوف أحد إلّا وجبت له الجنّة فاذهب فأنت حرّ، فإنّي أكره أن استخدم رجلاً من أهل الجنّة. وهذا حال كلّ لقمة توجد في القذر فتغسل وتؤكل، فقد نزّه الأكل عن بيت الخلاء. إذا تحقّقت هذا كلّه فاعلم أنّه قد بقي الكلام في مواضع:

الأوّل في تحقيق معنى القلب الذي قد أُمرت بطهارته من الرذائل والأوساخ؛ وأمرت أيضاً بإحضاره في أوقات العبادات، وبسببه تتفاوت مراتب الدرجات؛ قال

شخينا الشهيد الثاني طاب ثراه[1] اعلم أنّ القلب يطلق على معنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر؛ وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود، وهو منبع الروح ومعدنه وهذا المعنى من القلب موجود للبهائم بل للميّت؛ وليس هو المراد في هذا الباب ونظائره.

والمعنى الثاني لطيفة ربّانيّة روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلّق، وتلك اللطيفة هي المعبّر عنها بالقلب تارة، وبالنفس أُخرى؛ وبالروح أُخرى، وبالإنسان أيضاً، وهي المدرك العالم العارف، وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسداني، وقد تحيّر عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته وأنّ تعلّقه به يضاهي لتعلّق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات، أو تعلّق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلّق المتمكّن بالمكان؛ وحيث يطلق القلب في الكتاب والسنّة فالمراد منه هذا المعنى الذي يفقه ويعلم.

وقد يكنّى عنه بالقلب في الصدر، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]؛ وذلك لما عرفت من العلاقة الواقعة بينه وبين جسم القلب فإنّها وإن كانت متعلّقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنّها تتعلّق به بواسطة القلب فتعلّقها الأوّل بالقلب وكأنّه محلّه ومملكته والمجرى الأوّل لتدبيره وتصرّفه، فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسيّ بالنسبة إلى الله تعالى، ولا يستقيم هذا التشبيه إلّا من بعض الوجوه كما لا يخفى؛ وهذا المعنى من القلب في الجسد بمنزلة الملك، وله فيه جنود وأعوان وأضداد وأوصاف؛ وله قبول للإشراق والظلمة كالمرآة الصافية التي تقبل انطباع الصور والأشكال المقابلة لها، وتقبل الظلمة والفساد والبعد عن الأعداد لذلك بسبب العوارض الخارجة المنافية لجوهرها؛ وربّما وصل إشراقه واستنارته إلى حدّ يحصل فيه جليّة الحقّ وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله ﷺ إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه.

ومثال الآثار المذمومة الواصلة إليه المانعة له من الاستنارة وقبول الأسرار مثال دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة ولا يزال يتراكم عليه مرّة بعد أخرى إلى أن يسودّ ويظلم، ويصير بالكلّية محجوباً عن الله تعالى، وهو الطبع والرين اللذين أُشير إليهما

(١) قاله في كتابه (أسرار الصلاة) المطبوع تكراراً.

في القرآن في قوله: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، ربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ [المائدة: ١٠٨] وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]؛ فمهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى عن إدراك الحقّ وصلاح الدين، ويتهاون بالآخرة ويقصر همّه على الدنيا وإذا قرع سمعه أمر الآخرة دخل من أُذن وخرج من أُخرى؛ ولم يستقرّ في القلب ولم يحرّكه إلى التوبة والتدارك.

وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنّة كما في قوله ﷺ قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس[١] وقول الباقر عليه السلام إنّ القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يختلجان، فأيّهما كانت منه غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره إلى يوم القيامة، فانظر إلى قوله لا يطفى نوره إلى يوم القيامة، فإنّ هذا حكم نور القلب بالمعنى الثاني لأنّه باقٍ وإن خرب البدن بخلاف الأوّل.

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء فإن تاب ذهب السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطّي البياض فإذا غطّي البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]؛ فأخبر أنّ جلاء القلب يحصل بالذكر وأنّ المتّقين هم المتذكّرون فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف؛ والكشف باب الفوز الأكبر.

واعلم أنّ القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدوّ يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه؛ ولا يقدر على حفظ الحصن من العدوّ إلّا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواقع تهمه؛ فينبغي الاهتمام بمعرفة ذلك، والأمر الجامع له الإقبال على الله وتخيّل أنّه واقف بين يديه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك كما في الخبر، فإذا شعرت بذلك وتحقّقته وعملت به إنسدّت الأبواب دون وساوس اللعين، وأقبل القلب على الله تعالى وتفرّغ للعبادة.

---

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٥٩ باب ٤٤.

وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّ العبد إذا اشتغل بالصلاة جاء الشيطان؛ وقال له اذكر كذا اذكر كذا حتّى يضلّ الرجل أن يدرك (يدري خ) كم صلّى ومن ههنا ظهر لك أنّ مجرّد التلفّظ بالذكر باللسان ليس هو الزاجر للشيطان بل لا بدّ معه من عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة التي هي أعوان إبليس وجنده، وإلاّ فالذكر من أقوى مداخل الشيطان وكذلك غيره من العبادات، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. فخصّص ذلك بالمتّقي؛ وتأمّل أنت في منتهى ذكرك وعبادتك وأفضل أعمالك وهو الصلاة فليس الخبر كالعيان. فراقب قلبك إذا كنت في الصلاة كيف يتجاذبك الشيطان في الأسواق والبساتين؛ وحساب العاملين وجواب المعاندين وغيرهم، وكيف يمرّ بك في أودية الدنيا ومهالكها حتّى أنّك لا تتذكّر ما نسيته من فضول الدنيا إلّا في صلاتك، ولا يزدهم الشيطان على قلبك إلّا إذا صلّيت، فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بصورة العبادة وإن تأدّي بها الواجب عليك وخرجت من عهدة الأمر الإلهي، بل لا بدّ في دفعه مع ذلك من أُصول أُخرى وإصلاح الباطن من الرذائل التي هي أعوانه وجنده، وإلاّ لم يزد إلّا ضرراً كما أنّ الدواء قبل الاحتماء لا يزيد المريض إلّا مرضاً وألماً، ثمَّ بعد ذلك يتّصف بالفضائل وحينئذ يصير قلبه قابلاً للإقبال مشفقاً من التفريط والإهمال، قال الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] فاجعل هذه العلامة بينك وبين استقامة قلبك وإقباله؛ أوقفنا الله وإيّاك على بساط الاستقامة بمحمّد وآله انتهى.

أقول: ما ذكره طاب ثراه من تجاذب الشيطان في الأسواق مشاهد بالوجدان؛ ويعجبني نقل حكاية حكاها رجل ثقة عادل وهو أنّه قال إنّي فكّرت في قلبي أنّه قد جاء في الحديث أنّ من قبلت منه صلاة ركعتين لا يعذّبه بعده؛ فقلت إنّي أمضي إلى مسجد الكوفة وأنفرد بصلاة ركعتين بحضور القلب واستجماع الشرائط؛ فمضيت إليه وشرعت في صلاة الركعتين وفرّغت قلبي من وساوس الشيطان، فعنّ على خاطري أنّ مسجد الكوفة ليس فيه منارة ولو أراد أحد أن يبني فيه منارة فمن أين يأتي بالصخرة والجصّ؟

فقلت لعلّه يستقيم من الموضع الفلاني فإذا بناها البنّاء يتمّها في كم يوم وكيف يصنع رأسها، فلمّا فرغت من صلاة الركعتين؛ قارن فراغي من بناء المنارة؛ فظهر لي أنّما أتيت إلى مسجد الكوفة لبناء المنارة لا لصلاة ركعتين.

الموضع الثاني في الاستشهاد على ما ينبغي من إحضار القلب في حال العبادة سيّما الصلاة التي هي عمود الدين ورأس الأعمال؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤-٥]، ذمّهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين لا لأنّهم سهوا عنها وتركوها، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أي يفعلونه في حال وجل قلوبهم، والاتّصاف بالوجل حالة العمل مستلزم لحضور القلب على أتمّ وجه، وقال النبيّ ﷺ: الصلاة ميزان من وفى استوفى.

وقال ﷺ اعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، وقال ﷺ أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار، وقال ﷺ من صلّى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر الله له ذنوبه، وعنه ﷺ من حبس نفسه في صلاة فريضة فأتمّ ركوعها وسجودها وخشوعها ثمَّ مجّد الله عزّ وجلّ وعظّمه وحمده حتّى يدخل وقت صلاة أُخرى لم يبغ بينهما كتب الله له كأجر الحاجّ المعتمر وكان من أهل عليّين وعنه ﷺ: إنّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر، وإنّ منها لما يلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك.

وعن أبي حمزة الثمالي قال رأيت عليّ بن الحسين عليه السلام يصلّي فسقط رداؤه عن منكبيه فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته؛ قال فسألته عن ذلك؛ فقال ويحك أتدري بين يدي من كنت إنّ العبد لا يقبل منه صلاة إلّا ما أقبل فيها، فقلت جعلت فداك هلكنا فقال كلاّ إنّ الله يتمّ ذلك بالنوافل. وعن أبي جعفر عليه السلام قال إنّ أوّل ما يحاسب به العبد عن الصلاة فإذا قبلت قبل ما سواها؛ إنّ الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة؛ تقول حفظتني حفظك الله، وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة، تقول ضيّعتني ضيّعك الله؛ وعن سفيان قال سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٩] الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه.

الموضع الثالث في الدواء النافع لحضور القلب، اعلم أنّ المؤمن لا بدّ أن يكون معظّماً لله وخائفاً له وراجياً ومستحياً من تقصيره، فلا ينفك عن هذه الأقوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها عنده بقدر قوّة يقينه؛ فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلّا

تفرّق الفكر وتقسّم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة، ولا يلهي عن الصلاة إلّا الخواطر الواردة الشاغلة.

فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء إلّا بدفع سببه. وسبب توارد الخاطر إمّا أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً. أمّا الخارج فما يقرع السمع ويظهر للبصر فإنّ ذلك قد يخطف الهّم حتّى يتبعه ويتصرّف فيه ثمَّ ينجرّ منه الفكر إلى غيره ويتسلسل ويكون الإبصار سبباً للافتكار؛ ثمَّ يصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض الآخر؛ ومن قويت رتبته وعلت همّته لم يلهه ما يجري على حواسّه؛ ولكنّ الضعيف لا بدّ وأن يتفرّق به فكره، فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغضّ بصره ويصلّي في بيت مظلم، ولا يترك بين يديه ما يشغل حسّه ويقرب من حائط عند صلاته حتّى لا تتّسع مسافة بصره، ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المزيّنة، ولذلك كان المتعبّدون يتعبّدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر ما يمكن الصلاة فيه ليكون ذلك أجمع للهمّ.

وينبغي أن لا يعدل إلى غمض العينين ما وجد السبيل إلى القيام بوظيفة النظر وهي جعله قائماً إلى موضع سجوده وغيره من الأمور المعلومة شرعاً، فإن تعذّر القيام بها مع فتحهما فالغمض أولى لأنّ الفائت من وظيفة الصلاة وصفتها بتقسّم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النظر.

وليخطر بباله عند نظره إلى موضع سجوده أنّه واقف بين يدي ملك عظيم يراه ويطّلع على سريرته وباطن قلبه وإن كان هو لا يراه، فإنّ التوجّه إليه لا يكون إلّا بوجه القلب، ووجه الرأس مثال ومضاف بالتبع وأنّه يخاف إن ولاّه ظهر قلبه أن يطرده عن باب كرمه ويسلبه عن مقام خدمته؛ ويبعده عن جناب قدسه ومقدّس حضرته؛ وكيف يليق بالعبد أن يقف بين يدي سيّده ويولّي ظهره ويجعل فكره في غير ما يطلبه منه؛ ولا ريب في أنّ هذا العبد مستحقّ للخذلان مستوجب للحرمان في الشاهد الخسيس والقياس البعيد؛ فكيف في المقصد الأصلي والملك الحقيقي؛ وقد ورد في الحديث: أنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم؛ فبهذا ونظائره تجتمع الهمّة ويصفو القلب وينحصر بالنظر إلى الأمور الخارجيّة.

وأمّا الأسباب الباطنة فإنّه أشدّ، فإنّ من تشعبت به الأمور في أودية الدنيا لم يحضر فكره في فنّ واحد، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغضّ البصر لا يعينه فإنّ ما وقع في القلب كافٍ في المشغل؛ فهذا طريقه أن يردّ النفس قهراً إلى فهم

ما يقرأه في الصلاة ويشغلها به عن غيره؛ ويعينه على ذلك أن يستعدّ قبل التحريم بأن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة، وخطر المقام بين يدي الله تعالى؛ وهول المطلع، ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عمّا يهمّه فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره، فهذا طريق تسكين الأفكار.

فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلّا المسهل الذي يقمع مادّة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب، ولا شكّ أنّها تعود إلى مهمّاته، وأنّها إنّما صارت مهمّات بشهواته؛ فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق، وكلّ ما يشغله عن صلاته فهو ضدّ دينه، وجند إبليس عدوّه؛ فإمساكه أضّر عليه من إخراجه فيتخلّص عنه بإخراجه. وقد روي أنّ بعضهم صلّى في حائط له فيه شجر؛ فأعجبه ريش طائر في الشجر يلتمس مخرجاً فأتبعه نظره ساعة لم يذكر كم صلّى، فجعل حائطه صدقة ندماً ورجاءً للعوض عمّا فاته وهكذا كانوا يفعلون قطعاً لمادّة الفكر وكفّارة لما جرى من نقصان الصلاة، فهذا هو الدواء القامع لمادّة العلّة لا يغني غيره فإنّ ما ذكرناه من التلطّف بالتسكين والردّ إلى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلّا حواشي القلب.

فأمّا الشهوة القويّة المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثمّ تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة، ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره، فكانت أصوات العصافير تشوّش عليه فلم يزل يطيّرها بخشبة هي في يده ويعود إلى فكره؛ فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة، فقيل له إن أردت الخلاص فاقلع الشجرة. فكذلك شجرة الشهوة إذا تفرّقت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وإنجذاب الذباب إلى الأقذار؛ والشغل يطول في دفعهما فإنّ الذباب كلّما ذبّ آب ولأجله سمّي ذباباً، فكذا الخواطر، فهذه الشهوات كثيرة وقلّما يخلو العبد عنها، ويجمعها أصل واحد وهو حبّ الدنيا وذلك رأس كلّ خطيئة، ومنبع كلّ فساد. ومن انطوى باطنه على حبّ الدنيا حتّى مال إلى شيء لا ليتزوّد منها ويستعين بها على الآخرة فلا يطمعنّ في أن يصفو له لذّة المناجاة في الصلاة؛ فإنّ من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته، وأمّا من كانت الدنيا معه وليس هو معها وإنّما يصرفها حيث أمره الله؛ ويستعين بها على طاعة الله فلا بأس عليه؛ فقد قال صلى الله عليه وآله: نعم العون على تقوى الله الغنى، إلّا أنّ ذلك موضع تلبيس

إبليس ومحلّ الغرور فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعته أكثر الطباع؛ وبقيت العلّة مزمنة وصار الداء عضالاً؛ حتّى أنّ الأبكار اجتهدوا أن يصلّوا ركعتين لا يحدّثون أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك؛ فإذن لا مطمع فيها لأمثالنا وليت سلم من الصلاة شطرها أو ثلثها عن الوسواس فنكون ممّن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، هذا محصّل ما حرّره شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله.

ولنشرع الآن في أسرار الطهارة فنقول إذا توضّأ الإنسان للصلاة ينبغي أن يستحضر في قلبه أنّ الله سبحانه أمره بغسل هذه الأطراف الظاهرة وتنظيفها لاطّلاع الناس عليها ولمباشرتها الأمور الدنيويّة فلأن يطهر قلبه الذي هو محلّ اطّلاع الخالق بالطريق الأولى؛ قال عليه السلام: إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم. ولأنّه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح؛ والمستخدم لها في الأمور المقرّبة إلى جانب القدس فيكون في الأمر بغسل الظاهر برهاناً على الأمر بغسل الباطن؛ فأُمر في الوضوء بغسل الوجه لأنّ التوجّه في الإقبال بوجه القلب على الله تعالى به؛ وفيه أكثر الحواسّ الظاهرة التي هي أعظم الأسباب، فأُمر بغسله ليتوجّه به وهو خالٍ من تلك الأدناس، ويترقى بذلك إلى تطهير ما هو الركن الأعظم في القياس، ثمَّ أُمر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر أحوال الدنيا الدنيّة، ثمَّ بمسح الرأس لأنّ فيه القوّة المفكّرة التي يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات ثمَّ بمسح الرجلين لأنّ بهما يتوصّل إلى مطالبه ويتوسّل إلى تحصيل مآربه.

وأمر في الغسل بغسل جميع البشرة لأنّ أدنى حالات الإنسان وأشدّها تعلّقاً بالشهوات حالة الجماع وموجبات الغسل، ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة، ولهذا قال صلى الله عليه وآله: إنّ تحت كلّ شعرة جنابة، فكان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العليّة منغمساً في اللذات الدنيّة كان غسله أجمع من أهمّ المطالب الشرعيّة، ليتأهّل لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة؛ ولمّا كان للقلب من ذلك الحظّ الأوفر والنصيب الأكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجّهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير تلك الأعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل؛ قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: لا تجوز صلاة امرئ حتّى يطهر خمس جوارحه الوجه واليدين، والرأس والرجلين بالماء، والقلب بالتوبة. وكان الحسين عليه السلام إذا توضّأ تغيّر لونه وارتعدت مفاصله، فقيل له في ذلك فقال حقّ لمن وقف بين يدي الملك الجبّار أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله.

وأُمر في التيمّم بمسح تلك الأعضاء بالتراب عند تعذّر غسلها بالماء الطهور وضعاً لتلك الأعضاء الرئيسة وهضماً لها بتلقيها بأثر التربة الخسيسة، وهكذا يخطر أنّ القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيلة وتحليته بالأوصاف الجميلة فليقمه في مقام الهضم والإزراء؛ ويُسقه بسياط الذلّ والإغضاء عسى يرحمه مولاه، وفي الروايات أنّ جماعة من اليهود سألوا النبيّ ﷺ لأيّ علّة توضّأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟ قال النبيّ ﷺ لمّا أن وسوس الشيطان إلى آدم عليه السلام دنا من الشجرة فنظر إليها فذهب ماء وجهه؛ ثمّ قام ومشى إليها وهي أوّل قدم مشت إلى الخطيئة؛ ثمّ تناول بيده منها ما عليها فأكل فطار الحليّ والحلل عن جسده؛ فوضع آدم يده على أمّ رأسه وبكى، فلمّا تاب الله عزّ وجلّ عليه فرض عليه وعلى ذرّيّته تطهير هذه الجوارح الأربع فأمره الله عزّ وجلّ بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة، وأمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما؛ وأمره بمسح الرأس لما وضع يده على أمّ رأسه؛ وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة، وكما أنّ غسل الجوارح ومسحها كان كفّارة ذنب أبينا آدم عليه السلام فكذلك كفّارة لنا أيضاً.

والوضوء واجب لغيره على المشهور فلا يجوز إيقاعه قبل دخول وقت الصلاة لتلك الصلاة[1] نعم لو قصد به استباحة الصلاة ولو كنت نافلة كصلاة الليل أو

---

(١) قوله فلا يجوز إيقاعه قبل دخول وقت الصلاة إلخ في هامش بعض النسخ المطبوعة من الكتاب نقل هنا عن شرح التهذيب للمصنف رحمه الله ما هذا لفظه: قد حكى بعض أهل الشروح أن شيخنا العلامة وولده فخر المحققين كانا رحمهما الله مع السلطان خدا بنده مصاحبين له في الأسفار والأحضار وكان ذلك السلطان يتوضأ للصلاة قبل وقتها ومضى عليه زمان على هذه الحالة ودخل عليه العلامة طاب ثراه يوماً فسأله فقال له أعد كل صلاة صليتها على ذلك المنوال فخرج من عنده ودخل عليه فخر المحققين فسأل أيضاً عن تلك المسألة فقال له أعد صلاة واحدة وهي أول صلاتك على ذلك الحال وذلك أنك لما توضأت قبل دخول وقتها وصليتها بعد دخوله كانت فاسدة فصارت ذمتك مشغولة بتلك الصلاة فكلما توضأت بعد تلك الصلاة كان وضوؤك صحيحاً بقصد استباحة الصلاة لأن ذمتك مشغولة بحسب نفس الأمر ففرح ذلك السلطان فأخبر العلامة رحمه الله بقول ولده فاستحسنه ورجع عن قوله إلى قول فخر المحققين فلما وصلت النوبة إلى من بعده من المحققين عاب عليه رجوعه عن قوله وذلك لأن الوضوء الذي وقع عن السلطان قبل دخول الوقت إنما وقع منه بقصد استباحة الصلاة المستقبلة لا الفائتة وإنما الأعمال بالنيات فلا يكون ذلك الوضوء منصرفاً إلى ما في ذمته بل إلى ما سيفعله من الصلوات أقول وفي بعض من الأخبار دلالة على صحة ما قاله فخر المحققين ورجوع والده إليه كما روي في ناسي غسل الجنابة أنه يعيد كل صلاة صلاها إلى =

قضائها أو تحيّة المسجد أو نحو ذلك جاز الدخول بذلك الوضوء في صلاة الفريضة، ولو قارب وقت الصلاة وأراد أن يتهيّأ لها بتقديم الوضوء ونحوه فالظاهر الجواز، وذهب بعض مشايخنا إلى أن الوضوء واجب لنفسه لقوله عليه السلام في غير حديث: إذا أحدثت فتوضّأ، فهو يوقعه بنيّة رفع الحدث ويصلّي إذا جاء الوقت بذلك الوضوء؛ وهو قريب إلّا في القول بوجوبه لنفسه، نعم هو واجب لغيره مستحبّ في نفسه؛ وكذلك الغسل أيضاً فيجوز تقديم غسل الجنابة على وقت الصلاة.

ومنهم من قال أنّه واجب لنفسه؛ ومنهم من قال أنّه واجب لغيره؛ وثمرة الخلاف بينهم إنّما تظهر في نيّة الوجوب وعدمه، والذي أسقط الوجه وهو الوجه واكتفى بنيّة القربة في كلّ العبادات كان خارجاً من هذا الخلاف ومع هذا فالأولى له إذا أراد غسلاً واجباً قبل وقت الصلاة أن يقصد صلاة قضاء في ذمته أو قضاء صلاة نافلة أو نحوها حتّى يوقع الغسل بقصد تلك الصلاة؛ وليأت منها ولو بركعتين لا أن يجعل القصد مجرّد احتيال لإيقاع الغسل؛ وإن شاء نذر صلاة ركعتين فيوقع الغسل بقصدهما كأن يقول لله عليّ إن وفّقت للصلاة على محمّد وآله لأُصلّي ركعتين، ثمَّ يصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله حذراً من الخلاف في وقوع النذر المطلق.

وأمّا كيفيّته فهو أمران الأوّل الترتيب وهو الأصل في غسل الجنابة، والارتماس إنّما شرع للتخفيف، وكيفيّته الكاملة أن يبول إن قدر عليه؛ وأن يغسل يديه ثلاثاً إلى المرفقين قبل أن يدخلهما الإناء؛ وأن يتمضمض ويستنشق ثلاثاً، ويغسل فرجه من خبث الجنابة؛ وينوي أغتسل لاستباحة الصلاة قربة إلى الله؛ ثمَّ يصبّ على رأسه ثلاث أكفّ ثمَّ على جانبه الأيمن كفّين، والأيسر كفّين. وتقديم جانب الأيمن على

= وقت اغتساله غسل الجمعة فإنه دال على أن الحدث الذي لم يقصد رفعه يرتفع بالقصد إلى غيره وليس ذلك إلا لشغل الذمة بحسب الواقع ونفس الأمر وكانصراف الصلاة المعادة إلى ما في ذمته من الصلوات الفائتة وإن لم يقصده وله نظائر كثيرة وحينئذ فيكون الوضوء الذي أوقعه قبل الوقت باستباحة الصلاة منصرفاً إلى ما في ذمته من الصلاة (اهـ).

وكتب لي في هذه الآونة الأخيرة بعض الأصدقاء من النجف الأشرف أن شرح التهذيب للعلامة المصنف رحمه الله موجود فيها في ثماني مجلدات وذكر شيخنا دام ظله أن شرح التهذيب للمصنف رحمه الله اسمه (مقصود الأنام) في اثني عشر مجلداً وشرح آخر له مختصر من الأول واسمه (غاية المرام) في ثماني مجلدات انظر الذريعة ج ٤ ص ٥٠٦ وذكرنا في مقدمة هذا الكتاب ج ١ من تأليفاته البحور الزاخرة في شرح التهذيب فراجع وتأمل.

الأيسر مشهور؛ وقد استدلّوا عليه بقوله عليه السلام في غير حديث: ثمّ يغسل جانبه الأيمن والأيسر.

واعترض على هذا الاستدلال بأنّ الواو لا تفيد الترتيب، والأولى هو الاستدلال عليه بما ورد في الأخبار من تشبيه غسل الجنابة بغسل الميّت وكذا العكس، والترتيب هناك وارد في الأخبار الصحيحة مجمع عليه فيكون الترتيب داخلاً هنا أيضاً، بل قد تحقّقت سابقاً أنّ غسل الأموات هو غسل الجنابة أيضاً؛ وذلك أنّ النطفة التي خلق منها تخرج منه عند الموت فهو أيضاً غسل جنابة، فلو كان واقفاً في الماء إلى وسطه وأراد غسل الترتيب أمكن أيضاً؛ ولكنّ الأولى له أن يخرج بقيّة بدنه الذي يكون تحت الماء أو يمرّ يديه عليها وهو في الماء أيضاً؛ ولا يكلّف الخروج عن الماء كما ذهب إليه بعض المعاصرين، فإنّه زيادة تكليف منفيّ بالأصل والحديث.

الثاني غسل الارتماس وهو جائز أيضاً ولو كان ناقعاً في الماء إلى وسطه ولا يحتاج إلى الخروج خارج الماء ثمّ يعود إليه كما قاله ذلك الفاضل لما عرفت.

وأمّا التيمّم فقد شرع لرفع الحرج؛ ويجزئ فيه ضربة واحدة وإن كان بدلاً عن الغسل، والعمل بالتفصيل جائز أيضاً؛ وعلوق شيء من التراب بكفّيه ليمسح به وجهه هو الأولى بل القول بوجوبه غير بعيد، واعلم أنّ الوضوء كما يشرع للصلاة فكذا شرع لغيره أيضاً، قال هشام بن سالم لأبي عبد الله عليه السلام إنّي أخرج وأُحب أن أكون معقباً، فقال إن كنت على وضوء فأنت معقّب؛ ومنها السعي في الحاجة فإنّ الصادق عليه السلام ضمن قضاء تلك الحاجة؛ ومنها الوضوء للنوم فإنّ من بات على وضوء كان كمن بات في المسجد مصلّياً.

نور فيما يختص بالصلاة

قد عرفت أنّها أفضل الأعمال؛ وأنّ مدار قبول الأعمال على قبولها، ومناط ردّ الأعمال على ردّها؛ فمن قبلت صلاته قبلت سائر أعماله وإن كانت مردودة، ومن ردّت عليه صلاته ردّ عليه سائر أعماله وإن كانت مقبولة؛ هكذا جاء في الخبر عن الطاهرين عليهم السلام.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ كلّ محلّة يكون فيها تارك صلاة تنزل عليها كلّ يوم سبعون لعنة؛ وقال صلى الله عليه وآله بني الإسلام على أربع: الصوم والصلاة؛ والحجّ

والزكاة، قال بعض المحقّقين هذه الأحكام هي المصفية لأصول العناصر في الإنسان المشتمل على البواطن والظواهر، أنزل الصوم من العنصر الناري لمناسبة بين الصوم والنار ولمعنى مشترك بينهما في رفع الأغيار وتنوير مكان الأبصار؛ والصلاة من العنصر المائي لمناسبة بينهما في إثبات الآثار والأثمار، والحجّ من العنصر الريحي لمناسبة بينهما في قمّ البيوت وإخراج السكينة من التابوت؛ ولمعنى مشترك في كشف الأستار وتبيين المقدار؛ والزكاة من العنصر الترابي المشترك بينهما في الإمساك والتحصين ودفع الظنّ والتخمين ولمعنى رفع رذائل البخل.

فالإنسان إذا صام ظاهراً وباطناً صار عنصره الناري ظاهراً وباطناً، فيتبيّن فيه واحد من حملة العرش وهو جبرائيل عليه السلام النازل إلى العرش؛ وصار قلباً له على النفس؛ وإذا صلى صلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر صار عنصره المائي رقيقاً يطهر المطهر ويتبيّن فيه واحد من حملة العرش وهو ميكائيل عليه السلام وصار عقلاً له، وإذا حجّ البيت فرضاً ووقف المواقف عرضاً صار عنصره الريحي طويلاً وعريضاً ويتبيّن فيه واحد من حملة العرش وهو إسرافيل عليه السلام؛ وصار روحاً له في الحياة؛ وإذا زكّى ماله لقطع الرذائل صار عنصره الترابي صافياً ويتبيّن فيه واحد من حملة العرش وهو عزرائيل عليه السلام وصار نفساً له في دار السلام، فإذا جاء الوقت فينبغي له أن يبادر إلى الصلاة لأنّ الله سبحانه أرسل إليه من يطلبه لخدمته ذلك الوقت الخاص، وهم المؤذّنون ومن هذا كان الحسن عليه السلام إذا سمع المؤذن تغيّر وجهه واصفرّ لونه فقيل له في ذلك؟ فقال إنّ الله تعالى أرسل إليّ من يطلبني لخدمة خاصّة، ولا أدري أيقبلها منّي أم لا فكيف لا يتغيّر لوني؛ وفي المبادرة إلى الصلاة أوّل وقتها فوائد.

الأولى أنّها على ما روي تصعد بيضاء نقيّة تقول حفظتني حفظك الله إذا فعلت أوّل وقتها؛ الثانية أنّ صلاة الإمام عليه السلام تقع أوّل الوقت وتصعدها الحفظة وكذلك صلاة الأولياء والصلحاء فإذا أتى بها أوّل وقتها صعدت مع صلاة الإمام عليه السلام في وقت واحد، فلعلّ الله سبحانه أن يمنّ عليه بقبول تلك الصلاة المردودة بسبب صعودها مع الصلوات المقبولات؛ لأنّها كأنّها صارت صفقة واحدة، فلا بدّ من قبول الكلّ بسبب الاتّفاق في الصعود؛ ولتحصيل مثل هذه الفائدة شرعت صلاة الجماعة؛ وذلك أنّ صلوات المؤمنين إذا اجتمعت كلّها وصعدت إلى جناب الحقّ تعالى فإمّا أن يقبلها كلّها أو لا يقبل شيئاً منها، ولكن لا بدّ من القبول لأنّ الجماعة

الكثيرة إذا تعاونوا على العبادة كان بينهم من هو مقبول الصلاة غالباً فهذه إحدى فوائد الجماعة.

والفائدة الثانية أنّه قد روي في الأخبار أنّ صلاة المتزوّج تعدل صلاة العزب بسبعين مرّة وكذلك صلاة المتطيّب تفضل على غيره سبعين مرّة ومن قدّم شيئاً من الصدقة قبل صلاته كانت صلاته أفضل من غيرها إلى غير ذلك من الأمور الباعثة لمزيد الثواب وقلّ أن يكون واحد من المصلّين مستجمعاً لهذه المقدّمات كلّها، أمّا إذا اجتمع جماعة كثيرة على عبادة واحدة كان واحد متطيّباً والآخر متزوّجاً والثالث متصدّقاً إلى غير ذلك فتكون صلواتهم كلّها كأنّها صلاة واحدة مستجمعة لتلك الأمور والمقدّمات كلّها فيكون لكلّ واحد منهم ثواب الصلاة الكاملة.

والأُخرى من فوائد صلاة الجماعة أنّ المصلّي إذا أخذ في الصلاة تقدّمت إليه الشياطين ووقفت أمامه ليلقوه في الوسواس والغفلة عن الصلاة، فيقوم بين المصلّي والشيطان الجهاد العظيم، ومن هذا سمّي محراب الصلاة به لأنّه مكان الحرب مع الشياطين، أمّا إذا كان المؤمنون مجتمعين متعاضدين متعاونين ظفروا على الشياطين وأبعدوهم عن أمكنة العبادة؛ ولهذا أمر سبحانه بالاستعاذة حال قراءة القرآن وأكّده في قراءة الصلاة، وذلك لأنّ الشيطان كالكلب العقور الجاثي على باب صاحبه يمنع الداخلين من دخول ذلك البيت، فمن أراد الوصول إلى منزل ذلك الرجل والدخول إلى بيته فلا بدّ له من أن يلجأ إلى صاحب الكلب ويدعوه ويناديه حتّى يخرج هو أو أحد خدّامه ليمنع الكلب، فكذا ههنا فإنّ الشيطان كلب والصلاة باب من أعظم أبواب الله تعالى وأكثر حضور الشيطان إنّما يكون عندها.

لهذا، فلا بدّ أن يلجأ المصلّي ويناديه تعالى ويقول يا ربّ أستعيذ بك من شرّ هذا الكلب العقور. وقد بقي تحقيق آخر ذكرناه في شرحنا على الصحيفة.

وفي الرواية عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ قال أتاني جبرائيل عليه السلام ومعه سبعون ألف ملك بعد صلاة الظهر، فقال يا محمّد إنّ الله جلّ جلاله يقرئك السلام وأهدى إليك هديتين لم يهدهما إلى نبيّ قبلك، قال يا جبرائيل وما الهديّتان؟ قال الصلوات الخمس في الجماعات، قلت يا جبرائيل وما لأمّتي في الجماعة؟ قال يا محمّد إذا كانا اثنين كتب الله تعالى لكلّ واحد منهما بكلّ ركعة مائة وخمسين صلاة، وإذا كانوا ثلاثة كتب الله تعالى لكلّ واحد بكلّ ركعة مائتين وخمسين صلاة، وإذا كانوا أربعاً كتب الله تعالى لكلّ واحد بكلّ ركعة ألفاً ومائتي صلاة، وإذا كانوا

خمسة كتب الله تعالى لكلّ واحد بكلّ ركعة ألفاً وثلاثمائة صلاة. وإذا كانوا ستّة كتب الله لكلّ واحد بكلّ ركعة ألفين وأربعمائة صلاة؛ وإذا كانوا سبعة كتب الله تعالى لكل واحد بكل ركعة أربعة آلاف وثمانمائة صلاة، وإذا كانوا ثمانية كتب الله لكلّ واحد بكل ركعة تسعمائة ألف صلاة وستّمائة صلاة وإذا كانوا تسعة كتب الله لكلّ واحد بكلّ ركعة تسعة عشر ألف صلاة، وإذا زادوا على عشرة فلو صارت بحار السمٰوات والأرض كلّها مداداً والأشجار أقلاماً، والثقلان والملائكة كتّاباً لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة؛ يا محمّد تكبيرة يدركها المؤمن مع الإمام خير له من سبعين حجّة وألف عمرة سوى الفريضة.

وعن عبد الله بن مسعود أنّه فاتته تكبيرة الافتتاح يوماً، فأعتق رقبة وجاء إلى النبيّ ﷺ وقال يا رسول الله قد فاتتني تكبيرة الافتتاح يوماً فأعتقت رقبة هل كنت مدركاً فضلها؟ فقال لا قال ابن مسعود ثمَّ أعتقت أُخرى فقلت هل كنت مدركاً فضلها؟ فقال لا يابن مسعود لو أنفقت ما في الأرض جميعاً لم تكن مدركاً فضلها؛ وقال ﷺ صلاة الرجل في جماعة خير من صلاته في بيته أربعين سنة، قيل يا رسول الله صلاة يومه؟ قال صلاة واحدة وإذا كان العبد خلف الإمام كتب الله له مائة ألف وعشرين درجة.

وقال رسول الله ﷺ من كان جار بيت الله ولم يحضر الجماعة ثلاثة أيّام متواليات فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ فإن تزوّج فلا تزوّجوه، وإن مرض فلا تعودوه، ألا فلا صلاة له ألا فلا صوم له؛ ألا فلا زكاة له، ألا فلا حجّ له، ألا فلا جهاد له.

وقال رسول الله ﷺ أتاني جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مع كلّ واحد ألف ملك، فقال يا محمّد الجبّار يقرئك السلام؛ ويقول قل لأُمّتك إنّه من بات مفارقاً الجماعة لا يشمّ رائحة الجنّة وإن كان عمله أكبر من أهل الأرض لا أقبل منه صرفاً ولا عدلاً، يا محمّد تارك الجماعة عندي ملعون؛ وعند الملائكة ملعون وقد لعنته في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وتارك الجماعة يصبح ويمسي في لعنه الله تعالى، يا محمّد تارك الجماعة لا أستجيب له دعوة ولا أُنزل عليه رحمة، وهم يهود أُمّتك إن ماتوا فلا تشهد جنائزهم؛ ولا يمشي على وجه الأرض أبغض عليّ من تارك الجماعة؛ يا محمّد تارك الجماعة قد أمرت كلّ ذي نفس وروح أن يلعنوه، وتاركها أشرّ من شارب الخمر والمحتكر ومن سفّاك الدماء وآكل الربا، وتارك

الجماعة ليس له في الجنّة نصيب وشرّ من النبّاش والمخنّث والقتات[1] وشاهد الزور وأُدخله النار.

وأمّا فضيلة من أمّ الجماعة وثوابه فقد روي الصدوق في الفقيه في نواهي النبي ﷺ عن جعفر بن محمّد عن آبائه عن عليّ عليه السلام فقال من أمّ قوماً بإذنهم وهم به راضون فاقتصد بهم في حضوره وأحسن صلاته بقيامه وقراءته وركوعه وسجوده وقعوده فله مثل أجر القوم ولا ينقص من أجورهم شيء.

الثالثة من فوائد تقديم الصلاة أوّل وقتها ما روي أنّ الصلاة أوّل الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله، وأين الرضوان من العفو فإنّ العفو إنّما يكون عن ذنب؛ ومن هنا ذهب شيخ الطائفة قدّس الله روحه إلى أنّه لا يجوز تأخير الصلاة عن وقت فضيلتها إلّا لذوي الأعذار؛ وينبغي أن تتأهّب عند حضور وقت الصلاة كما تتأهّب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا، وتلقاه بالوقار والسكينة والخوف والرجاء فإنّ الرحمة عميمة والطرد عند التقصير متوجّه وكم بين ذلك قواماً، ولا بدّ أن تمثّل في نفسك لو أنّ ملكاً من ملوك الأرض وعدك بأن يكتبك في وقت معيّن من خواصّه وأن يخاطبك في ذلك الوقت وتخاطبه على طريق الانبساط والأُنس في مخاطباتك وتطلب إليه ما تحتاج إليه من مهمّاتك ويجعلك عنده من مقرّبي العباد ويخلع عليك خلعة سنيّة بين الأشهاد أما كنت تنتظر ذلك الوقت قبل إبانه، (إيابه خ) وتهتمّ له قبل أوانه وتفرح بقربه فضلاً عن دخوله أفلا تجعل عناية الله جلّ جلاله بك وإعدادك لمخاطبتك ومخاطبته لك، وكتبته إيّاك في ديوان المقرّبين بالصلاة التي هي أفضل الأعمال مثل وعد ملك من ملوك الدنيا مع عجزه عن نفعك بدون توفيق الله سبحانه.

ومن هنا كان النبيّ ﷺ ينتظر وقت الصلاة ويشتدّ شوقه ويترقّب دخوله ويقول لبلال مؤذّنه أرحنا بلال أشار بذلك إلى أنّه في تعب شديد من عدم اشتغاله بهذه التكليفات، وقيامه بوظائف الصلاة وأن سرّه لا يخلو من ضروب الإباحات إلّا أنّ قرّة عينه في الصلاة؛ واستحضر ذلك الوقت عظمة الله تعالى وجلاله ونقصان قدرك وكماله.

وقد روي عن بعض أزواج النبيّ ﷺ أنّها قالت كان رسول الله ﷺ يحدّثنا ونحدّثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كلّ شيء.

---

(١) القت نم الحديث تقول فلان يقت الأحاديث أي ينمّها وفي الحديث لا يدخل الجنة قتات.

وكان عليّ عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل فيقال له ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السمٰوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا حضر للوضوء اصفر لونه، فيقال له ما هذا الذي يعتادك وقت الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من أقوم.

وإذا سمعت المؤذّن فأخطر في قلبك هول يوم القيامة وتشمّر بباطنك وظاهرك للمسارعة والإجابة؛ فإنّ المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض على قلبك هذا النداء فإن وجدته مملوءً بالفرح والاستبشار ومستعدّاً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنّه يأتيك النداء بالبشرى.

وأمّا وظيفة التوجّه إلى بيت الله تعالى فأن تخطر ببالك أنّك أُمرت بصرف وجهك عن كلّ الجهات إلّا عن جهة بيته فكذا يجب صرف القلب عن كلّ ما سواه وقصره عليه؛ بل الحقيقة كما قيل أنّ المطلوب هو صرف وجه القلب، وإنّما الظواهر محرّكات للبواطن ووسائل إليها ومعارج يترقّى منها إليها وإنّما أمر بضبط الجوارح وتسكينها على جهة واحدة لئلا تبغي على القلب، فإنّها إذا بغت وعلت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت (استعتبت خ) القلب وأخذته معها، وانقلبت به عن وجه الله تعالى وحينئذ فليكن وجه قلبك موافقاً لوجه بدنك، ومن هنا جاء قول النبيّ صلى الله عليه وآله أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار، فإنّ ذلك نهي عن الالتفات عن الله؛ وملاحظة عظمته في حال الصلاة فإنّ الملتفت يميناً وشمالاً ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه، ومن كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفلة عليه فيتحوّل وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة إدراكه للأمور العلويّة؛ وعدم إكرامه بشيء من العلوم والمعارف.

وبالجملة فكما لا يتوجّه الوجه إلى جهة البيت إلّا بالصرف عن غيرها فكذا لا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلّا بالتفرّغ عمّا سواه، قال النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه وقلبه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمّه؛ وقال الصادق عليه السلام إذا استقبلت القبلة فآيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك عن كلّ شاغل يشغلك عن الله؛ وعاين بسرّك عظمة الله تعالى؛ واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كلّ نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحقّ.

وأمّا وظيفة القيام فإن تذكر أنّك قائم بين يديه تعالى وهو مطّلع على سريرتك وهو أقرب إليك من حبل الوريد فاعبده حتّى كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛

وانصب قلبك بين يديه كما نصبت شخصك وطأطئ برأسك الذي هو أشرف أعضائك مطرقاً مستكيناً، وقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان؛ إن كنت تعجز عن كنه معرفة جلاله فإنّك تجد وجداناً ضرورياً أنّك تتقهّر عن مكالمة الملك ومحاورته وتلزم معه السكون والخضوع، وربّما يتبع ذلك رعدة البدن وتلعثم اللسان، ومنشأ ذلك كلّه الخوف الحادث عن تصوّر عظمته، فكيف تتصوَّر جبّار الجبابرة وملك ملوك الدنيا والآخرة؛ وكذلك يحصل الرجاء عند تصوّر عظمته واستشعار أنّ الكلّ منه، فإنّ ذلك باعث على رجائه؛ وكذلك يستلزم الحياء منه لأنّ المتصوّر عظمة الأمر لا يزال مستشعراً تقصيراً ومتوهّماً ذنباً، وقدّر في دوام قيامك في صلاتك أنّك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك وممّن ترغب أن يعرفك بالصلاح، فإنّه تسكن عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك، فقل لنفسك كيف تستحين من عبد مثلك مقدّرَ الوجود والإطّلاع عليك ولا تستحين من هذا الملك القهّار الذي أنت بين يديه.

وروي أنّه سئل ﷺ كيف الحياء من الله؟ قال كما تستحي من رجل من قومك. وكما يجب حراسة العين والوجه عن الالتفات فكذا يجب حفظ القلب وحراسته عن الشواغل عن الإقبال؛ ومهما خشع الباطن خشع الظاهر؛ قال ﷺ وقد رأى مصلّياً يعبث بلحيته: أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه، فإنّ الرعية بحكم الراعي؛ ولهذا ورد في الدعاء اللهمّ أصلح الراعي والرعيّة يعني القلب والجوارح، ومن هذا التحقيق يظهر لك السرّ فيما ورد من النهي عن التمطي والتثؤّب والعبث في الصلاة، فإنّ النهي عنها معناه الأمر بضدّها وهو الإقبال عليه تعالى واستشعار عظمته والوقوف بين يديه فإنّه إذا فعل هذا زال عنه التمطي والتثؤّب وغيرها من المنهيّات.

وأمّا الأذان والإقامة ففيهما من الفضل ما لا يحصى، وفي الرواية من صلّى بأذان وإقامة صلّى خلفه صفّان فيما بين المشرق والمغرب؛ وإن صلّى بالإقامة وحدها صلّى خلفه صفّ واحد، وهما في صلاة الصبح والمغرب واجبان وفي غيرهما مستحبّان[1].

---

(١) هذا على رأي المصنف رحمه الله وأما المشهور فهو استحباب الأذان والإقامة مطلقاً ولفقهائنا رضوان الله عليهم أقوال متعددة في المقام منها أنهما واجبان على الرجال في الجماعة ومنها إطلاق وجوبهما في الجماعة من دون تقييد بكونه على الرجال ومنها ما عن الشيخ الطوسي رحمه الله ما هذا نصه: متى صليت جماعة بغير أذان ولا إقامة لم تحصل فضيلة الجماعة =

وروي أنّه سئل النبيّ ﷺ ما الحكمة في أنّه جعل للصلاة الأذان ولم يجعل لسائر العبادات أذان ولا دعاء؟ قال لأنّ الصلاة شبيه بأحوال يوم القيامة لأنّ الأذان شبيه بالنفخة الأولى بموت الخلائق، والإقامة شبيه بالنفخة الثانية كما قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١]، والقيام إلى الصلاة شبيه بقيام الخلائق كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]؛ ورفع الأيدي إلى التكبيرة الأولى شبيه برفع اليد لأخذ الكتاب يوم القيامة، والقراءة في الصلاة شبيهة بقراءة الكتب بين يدي ربّ العالمين كما قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، والركوع شبيه بركوع الخلائق لربّ العالمين كما قال الله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، والسجود شبيه بالسجود لربّ العالمين كما قال عزّ ذكره: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢] والتشهّد شبيه بالجثوّ بين يدي ربّ العالمين كما قال عزّ ذكره ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وتفسير الله أكبر أنّه أكبر من كل شيء، أو من أن يدرك بالحواسّ وفي الروايات معناه أكبر من أن يوصف، فليكن قلبك موافقاً للسانك ولا تجعل أحداً شريكاً له في العبادة بأن يكون ملحوظك في الصلاة معه كما في حالات الرياء.

قال الصادق عليه السلام إذا كبّرت فاستصغر ما بين العلا والثرى دون كبريائه فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب أتخدعني؟ وعزتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري، ولأحجبنّك عن قربي والمسارّة بمناجاتي، فاعتبر قلبك حين صلاتك فإن كنت تجد حلاوتها، وفي نفسك

= والصلاة ماضية ومنها وجوب الإقامة في الصلوات مطلقاً أما الأذان فيختص وجوبه بالصبح والمغرب وقيل يختص ذلك أيضاً على الرجال خاصة. والرواية التي نقلها المصنف رحمه الله أن من صلى بأذان وإقامة صلى خلفه إلخ، تشهد للقول المشهور فإنها ظاهرة في كون فوات الأذان لا يوجب إلا فوات بعض مراتب كمال الصلاة نعم في المقام نصوص كثيرة مختلفة عول عليها من قال بواحد من تلك الأقوال وتفصيل الكلام يطلب من الكتب الفقهية الاستدلالية وأحسنها من حيث ذكر لب الأدلة في المسألة وحذف الزوائد عنها وتحقيق الحق هو كتاب مستمسك العروة الوثقى لأستاذنا المجتهد الأكبر المرجع الأعلى للشيعة الإمامية في الأقطار الإسلامية سيدنا الطباطبائي الحكيم دام ظله الوارف فإنه من جلائل الكتب ونفائس الآثار المصنفة في الفقه الاستدلالي في هذا العصر وقد وفقنا الله تعالى لسماعه في مجلس درسه الشريف خارجاً في مدينة العلم النجف الأشرف والحمد لله على نعمه التي لا تحصى.

سرورها وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ملتذّاً بمخاطباته فاعلم أنّه قد صدّقك في تكبيرك وإلاّ فاعرف منه سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة؛ فهذا دليل على تكذيب الله تعالى لك وطردك عن بابه نعوذ بالله من ذلك.

وأمّا دعاء التوجّه فأوّل كلماته وجّهت وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفاً قال شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه ليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنّك إنّما وجّهته إلى جهة القبلة والله سبحانه تقدّس عن أن تحدّه الجهات حتّى تقبل ببدنك عليه، وإنّما وجه القلب هو الذي يتوجّه إلى الله فاطر السموات والأرض، فانظر إلى وجه قلبك أمتوجّه هو إلى أمانيّه وهممه في البيت والسوق وغيرهما متّبع للشهوات؛ أم مقبل على فاطر السمٰوات، وإيّاك أن تكون مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق فيصرف وجه رحمته عنك ولن ينصرف الوجه إلى الله إلّا بالانصراف عمّن سواه فإنّ القلب بمنزلة مرآة وجهها صقيل وظَهرها كمد لا يقبل انطباع الصور، فإذا توجّهت إلى شيء انطبع فيها واستدبرت غيره لا يمكن انطباعه ولهذا كانت الدنيا والآخرة ضرّتين كلّما قربت من إحديهما بعدت عن الأُخرى، فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام ليكن قولك في الحال صادقاً عسى أن يسامحك في الغفلة بعد ذلك.

وإذا قلت حنيفاً مسلماً فينبغي أن تحضر في بالك أنّ المسلم هو الذي سلم المسلمون من يده ولسانه، فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال.

وإذا قلت وما أنا من المشركين فأخطر ببالك الشرك الخفي وإنّ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] جعل من يقصد بعبادة ربّه وجه الله وحمد الناس مشركاً، فاستشعر الخجلة في قلبك أن وصفت نفسك في أنّك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك؛ فإنّ اسم الشرك يقع على القليل وعلى الكثير منه.

وأمّا قوله محياي ومماتي فقد قال بعض المحقّقين المراد بالمحيا الأمور الصادرة من الإنسان في حياته والمراد بالممات الأمور المتعلّقة على موته كالوصايا ونحوها ولكنّ التحقيق أنّ قوله محياي ومماتي مصدران ومعناه أنّ حياتي وموتي منسوبان إليك لا اختيار لي في شيء منهما؛ أو المعنى أنّ حياتي وموتي لك لا أحبّ منهما إلّا ما أحببته لي منهما، كما روي أنّ سلمان قال الموت أحبّ إليّ من الحياة فقال

علي عليه السلام لكنّي أنا أحبّ ما أحبّه الله لي الموت والحياة. والحنيف المائل من الاعوجاج إلى الاستقامة والمسلم المنقاد لأوامر الله تعالى ونواهيه فهذه درجة الإسلام فوق الإيمان الكامل وبه وصف الخليل عليه السلام نفسه حيث قال حنيفاً مسلماً، وهو المراد في دعاء الميّت من قوله عليه السلام اللهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات؛ وليس المراد به معناه العام لدخول فرق الإسلام كلّها مع أنّهم ليسوا من أهل هذا الدعاء وأيضاً فإنّ وقوعه بعد المؤمنين والمؤمنات شاهد على إرادة ذلك المعنى الخاصّ كما لا يخفى.

وأمّا النيّة ووظيفتها فاعلم أنّ النيّة ليست عبارة عن الألفاظ ولا عن معانيها الدالّة عليها، وإنّما هي عبارة عن الداعي والحامل على ذلك الفعل والدواعي في العبادات خصوصاً الصلاة وإن كانت متكثّرة إلّا أنّها ربّما حصرت في ثمانية، أوّلها الرياء، ثانيها قصد الثواب والخلاص من العقاب. ثالثها فعلها شكراً له تعالى على نعمه واستجلاباً للمزيد؛ رابعها فعلها حياءً منه تعالى؛ خامسها فعلها حبّاً له تعالى، سادسها تعظيماً لله ومهابة وانقياداً وإجابة؛ سابعها فعلها موافقة لإرادته وطاعة لأمره؛ ثامنها فعلها لكونه تعالى أهلاً لها كما قال سيّد الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.

ولا خلاف في بطلان الصلاة بالقصد الأوّل كما لا خلاف في صحّتها بالقصد الأخير نعم ذهب سيدنا المرتضى قدّس الله روحه إلى أن الصلاة مجزية غير مقبولة يعني أنّها لا تحتاج إلى القضاء ولكن لا يترتّب عليها ثواب، والمشهور هو بطلانها واحتياجها إلى القضاء، وأمّا قصد الغايات الأُخر فالمشهور بين أصحابنا على ما حكاه عنهم شيخنا الشهيد طاب ثراه هو بطلان الصلاة بقصد غاية من تلك الغايات خصوصاً قصد الغاية الثانية، فإنّهم قالوا أنّ قاصدها إنّما قصد جلب النفع إلى نفسه ودفع الضرر عنها وسمّوه قاصد الرشوة والبرطيل؛ وبالغ في بطلان العبادة عند قصدها التقي ابن طاووس، والذي يفهم من الأخبار وإليه ذهب جماعة من المتأخّرين هو صحّة الصلاة عند قصد هذه الغايات كلّها سوى الرياء وذلك أنّ الكتاب والسنّة قد اشتملا على المرهبات من الحدود والتعزيرات والذمّ والإيعاد بالعقوبات؛ وعلى المرغبات من المدح والثناء في العاجل؛ والجنّة ونعيمها في الآجل، وقد فصل نعيم الجنّة إلى الشراب وحور العين والولدان والثمار إلى غير

ذلك، لعلمه سبحانه باختلاف طبائع العباد ورغباتهم، فرغّب في طاعاته كلّ جماعة بنوع من الأنواع.

وأمّا الحياء فغرض مقصود وقد جاء في الخبر عن النبي ﷺ استحيوا من الله سبحانه حقّ الحياء. اعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك. فإنّه إذا تخيّل الرؤية انبعث على الحياء والتعظيم والمهابة؛ وعن أمير المؤمنين عليه السلام وقد قال له ذعلب اليماني بالذال المعجمة المكسورة والعين المهملة الساكنة واللام المكسورة: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام لا أعبد من لا أرى؛ فقال وكيف تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان.

فلو لم تكن هذه المرهبات والمرغبات دواعي صحيحة وبواعث صريحة لما ذكرت في مقام طلب الطاعات؛ وأيضاً فإنّ إرادة الثواب والخلاص من العقاب لا ينافيان الغاية الأخيرة، بل هما في التحقيق راجعان إليها في حقّنا مع أنّ مشايخنا قدّس الله أرواحهم رووا في الحسن عن الصادق عليه السلام أنّه قال العبّاد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً من العقاب فتلك عبادة العبيد؛ وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة، فإنّ أفعل التفضيل يقتضي المشاركة في أصل الفعل مع أنّ قول أمير المؤمنين عليه السلام ما عبدتك خوفاً من نارك الحديث، ممّا قد تمدّح به عليه السلام وامتاز به عن الناس فكيف وأنّى لغيره هذه الدرجة الرفيعة والحالة المنيعة.

والقول باللسان لا يغني من جوع وإنّما الأصل أن يكون ذلك القصد من الأحوال الذاتيّة للإنسان حال الإقبال على العبادة؛ وأيضاً فقد روي في الحديث المشهور عنه ﷺ من بلغه شيء من الثواب على عمل فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب أُوتيه وإن لم يكن الحديث كما بلغه، فإنّه يعطي بظاهره أنّ ذلك العمل المثاب عليه إنّما بقصد الثواب، وبالجملة فكلّ ما جعله الشارع غاية للفعل كان قصده غير منافٍ للإخلاص والقربة، وحينئذ فما ورد من أنّ بعض الصلوات لجلب الأرزاق وبعضها لقضاء الدين وبعضها للأولاد إلى غير ذلك من الغايات الدنيويّة يجوز فعلها بقصد هذه الغايات.

وأمّا ما ذكره بعض فقهائنا رضوان الله عليهم من وجوب مقارنة النيّة للتكبيرة فهو بمعزل عن التحقيق؛ وذلك لما عرفت من أنّ النيّة ليست عبارة عن قوله أُصلي صلاة الظهر لوجوبه قربة إلى الله ولا عن معنى هذه الألفاظ الذي يتصوّره بقلبه فإنّ هذا

القصد ممّا يجامع صلاة الرياء أيضاً؛ بأن يكون الحامل على فعل الصلاة هو الرياء ويكون قد قصد معاني هذه الألفاظ وقارن بها التكبير، والنيّة بذلك المعنى الذي قلناه لازم لفعل الفاعل إذا لم يكن غافلاً ولا ساهياً، ومن ثمّ قال المحقّق ابن طاووس رحمه الله لو كلّفنا بعبادة خالية عن النيّة لكان من باب التكليف بما لا يطاق، فأين هذا المعنى من المقارنة وعدمها؛ ولهذا لم يرد من الشارع مثل هذه الخصوصيّات.

نعم الذي ورد إنّما هو الحثّ على أمر النيّة وإيقاعها على وجه الإخلاص، وأنّ مدار الأعمال إنّما هو عليها، كما قال صلى الله عليه وآله إنّما الأعمال بالنيّات وإنّما لكلّ امرئ ما نوى حتّى ذكر أهل الدراية أنّ هذا الحديث من المتواترات لفظاً؛ وكذا قوله صلى الله عليه وآله من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار، ونفي تواتر غيرهما، ومثل قوله صلى الله عليه وآله نيّة المؤمن خير من عمله ونيّة الكافر شرّ من عمله، ومثل قوله نيّاتكم مطاياكم ونحو ذلك.

فإن قلت ما تقول في السؤالين الواردين على ظاهر قوله صلى الله عليه وآله نيّة المؤمن خير من عمله ونيّة الكافر شرّ من عمله، أحدهما أنّه روي أنّ أفضل العبادة أحمزها، ولا ريب أنّ العمل أحمز من النيّة فيكون مفضولاً، وروي أيضاً أنّ المؤمن إذا همّ بحسنة كتبت له عشراً، وهذا صريح في أنّ العمل أفضل من النيّة وخير، السؤال الثاني أنّه روي أنّ النيّة المجرّدة لا عقاب فيها فكيف تكون شراً من العمل.

قلت قد أجيب عنهما بأجوبة كثيرة الأوّل ما حكاه سيّدنا المرتضى طاب ثراه من أنّ نيّة المؤمن بغير عمل خير من عمله بغير نيّة، وأجاب رحمه الله عنه بأنّ أفعل التفضيل يقتضي المشاركة، والعمل بغير نيّة لا خير فيه فكيف يكون داخلاً في باب التفضيل؛ ولهذا لا يقال العسل أحلى من الخلّ.

الثاني أنّه عامّ مخصوص أو مطلق مقيّد أي نيّة بعض الأعمال الكبائر كالجهاد خير من بعض الأعمال الخفيفة كتحميدة واحدة مثلاً؛ لما في تلك النيّة من التعرّض للهمّ والغمّ الذي لا يوازيه تلك الأفعال.

الثالث أنّ النيّة يمكن فيه الدوام بخلاف العمل فإنّه يتعطّل عنه المكلّف أحياناً، فإذا نسبت هذه النيّة الدائمة إلى العمل المنقطع كانت خيراً منه، وكذا القول في نيّة الكافر، الرابع أنّ النيّة لا يكاد يدخلها الرياء ولا العجب لأنّا نتكلم على تقدير النيّة المعتبرة شرعاً بخلاف العمل فإنّه معرضة لذينك، ويرد عليه أنّ العمل وإن كان

معرضاً لهما إلّا أنّ المراد به العمل الخالي عنهما وإلاّ لم يقع التفضيل، الخامس أن يراد بالمؤمن المغمور بمعاشرة أهل الخلاف فإنّ غالب أفعاله جارية على التقيّة ومداراة أهل الباطل ولكن نيّته مع الله تعالى على العمل الصحيح في الواقع وهذه الأجوبة الثلاثة لشيخنا الشهيد قدس سرّه.

السادس أنّ لفظة خير ليست بمعنى أفعل التفضيل بل هي الموضوعة لما فيه منفعة ويكون معنى الكلام أنّ نيّة المؤمن من جملة الخير من أعماله حتّى لا يقدر مقدّر أنّ النيّة لا يدخلها الخير والشرّ كما يدخل ذلك في الأعمال وحكي عن بعض الوزراء (الفضلاء خ) استحسانه لأنّه لا يرد عليه شيء من الاعتراضات.

السابع أنّ لفظة أفعل التفضيل قد تكون مجرّدة عن الترجيح كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]، الثامن أنّ المؤمن ينوي الأشياء من أبواب الخير نحو الصدقة والصوم والحجّ ولعلّه يعجز عنها أو عن بعضها فيؤجر على ذلك لأنّه معقود النيّة عليه، وهذا الجواب منسوب إلى ابن دريد ورواه الكليني في الأصول في باب النيّة عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام؛ التاسع ما أجاب به الغزالي وهو أنّ النيّة سرّ لا يطّلع عليه إلّا الله سبحانه والعمل السرّ أفضل من العمل الظاهر، العاشر أنّ النيّة تدوم إلى آخر العمل حقيقة أو حكماً وأجزاء العمل لا يتصوّر فيها الدوام لأنّها تتصرّم شيئاً فشيئاً.

الحادي عشر قول الصادق عليه السلام إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يعصوا الله أبداً وإنما خلّد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً فبالنيّات خلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] قال على نيّته وهذا جواب واضح الصحّة، الثاني عشر أنّ مراده كون طبيعة النية خيراً من طبيعة العمل، وذلك أنّه لا يترتّب عليها عقاب أصلاً بل إن كانت خيراً أُثيب عليها، وإن كانت شرّاً كان وجودها كعدمها بخلاف العمل.

الثالث عشر أنّ النيّة من أعمال القلب وهو أفضل الجوارح فعمله أفضل من عملها، ألا ترى أنّ قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤]، جعل سبحانه إيّاها وسيلة إلى الذكر والمقصود أشرف من الوسيلة.

الرابع عشر أنّ المراد بالنيّة تأثّر القلب عند العمل وإنقياده إلى الطاعة وإقباله على الآخرة وانصرافه عن الدنيا، وذلك يشتدّ بشغل الجوارح في الطاعات وكفّها عن

المعاصي فإنّ بين الجوارح والقلب علاقة شديدة يتأثّر كلّ منهما بالآخر؛ والمقصود من أعمال الجوارح حصول ثمرة القلب فلا تظن أنّ في وضع الجبهة على الأرض غرضاً من حيث أنّه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث أنّه بحكم العادة يؤكّد صفة التواضع في القلب فكانت النيّة روح العمل وثمرته والمقصود الأصلي من التكليف إنّما هو التكليف به فكانت أفضل وهذا قريب ممّا تقدّم.

الخامس عشر أنّ النيّة ليست مجرّد قولك عند الصلاة والصوم أو التدريس أصلّي أو أصوم أو أدرّس قربة إلى الله تعالى؛ وإنّما النيّة المعتبرة انبعاث النفس وميلها وتوجّهها إلى ما فيه غرضها ومطلبها، وهذا الانبعاث والميل إذا لم يكن حاصلاً لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرّد النطق بتلك الألفاظ وتصوّر تلك المعاني وما ذلك إلّا كقول الشبعان أشتهي الطعام، وذلك الميل والانبعاث لا يحصلان إلّا بتخلّي النفس عن الأوصاف الذميمة والتوجّه إلى الجادّة المستقيمة فالنيّة الخالصة خير من العمل وأشقّ منه على ما هو موجود في الوجدان، السادس عشر أنّ العمل يوجد بالنيّة لا النيّة بالعمل؛ السابع عشر أنّ النيّة لا تدفع إلى الخصماء كسائر الأعمال.

الثامن عشر أنّ الحديث ورد في سبب خاصّ وهو أنّ رجلاً من الأنصار نوى أن يعمل جسراً كان على باب المدينة قد انهدم، فسبقه إلى عمله يهوديّ؛ فاغتمّ الأنصاري لذلك، فقال النبيّ ﷺ نيّة المؤمن خير من عمله يعني من عمل الكافر اليهودي. التاسع عشر ما رواه الصدوق في كتاب العلل عن الشحّام قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّي سمعتك تقول نيّة المؤمن خير من عمله فكيف تكون النيّة خيراً من العمل؟ قال لأنّ العمل ربّما كان رياءً للمخلوقين والنيّة خالصة لربّ العالمين؛ فيعطي عزّ وجلّ على النيّة ما لا يعطي على العمل، وهذا يقوّي الوجه الرابع ويحقّقه.

العشرون ما قاله بعض المعاصرين من أنّ خيراً وشراً منصوبان على المفعوليّة للنيّة لأنّه مصدر، والرفع فيهما إنّما وقع تحريفاً؛ فالمعنى أنّ المؤمن إذا نوى خيراً تكون تلك النيّة من جملة أعماله، وكذا الكافر، ويرد عليه ضبطهما بالرفع ودلالة الحديث الأوّل على الرفع كما هو ظاهر، وإلى الآن لم تجتمع هذه الأجوبة كلّها محرّرة في كتاب قبل هذا.

فإن قلت قد ذكرت في تضاعيف هذه الوجوه أنّ النيّة المجرّدة لا يترتّب عليها عقاب، وقد روي أيضاً مثله في الأخبار، فما تقول في ظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا

مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٤]؟ وفي بعض الأخبار أيضاً أنّ الله تعالى يحاسب على خطرات القلب ولحظات العيون، قلت خواطر القلب قسمان منها ما يخطر بالقلب ويكون متعلّقه الجوارح كنيّة الزنا والسرقة واللواطة ونحوها، ومنها ما يكون متعلّقه القلب وهو من أعماله كالنفاق والرياء والحسد والعجب ونحو ذلك، فهذا ممّا يعاقب عليه صاحبه لأنّه من أعمال القلب وهو رئيس الجوارح.

وأمّا القراءة فوظائفها لا تكاد تحصى لأنّها حكاية كلام الله جلّ شأنه المشتمل على الحكم العجيبة والأساليب الغريبة وليس المقصود منها مجرّد حركة اللسان، بل المقصود معانيها ليستفيد منها حكمة ودقائق وحقائق وأسراراً وترغيباً ووعداً ووعيداً، فإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنّه عدوّك مترصّد لصرف قلبك حسداً لك على المناجاة، وعلى سجودك له مع أنّه لعن على سجدة واحدة وأنّ استعاذتك بالله منه إنّما تكون بترك ما يحبّه وتبديله بما يحبّ الله تعالى لا بمجرّد قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإنّ من قصده عدوّ أو سبع ليفترسه فقال أعوذ منك بذلك الحصن وهو ثابت في مكانه أنّ ذلك لا ينفعه بل لا يفيده إلّا تبديل المكان، فكذلك من يتّبع الشهوات التي هي محلّ الشياطين ومكاره الرحمٰن فلا يعينه مجرّد القول، فليقرن قوله بالعزم على التعوّذ بحصن الله تعالى عن شرّ الشيطان، وحصنه لا إلٰه إلّا الله إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبيّنا لا إلٰه إلّا الله حصني، والمتحصّن به من لا يعبد إلٰهاً سوى الله تعالى؛ فأمّا من اتّخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله تعالى.

ومن دقائق مكائده أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة؛ وتدبّر فعل الخيرات ليمنعك عن فهم معاني ما تقرأ فاعلم أنّ كلّ ما شغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإنّ حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها كما مرّ والناس في القراءة ثلاثة أقسام فمنهم من يحرّك لسانه ولا يتدبّر قلبه لها وهذا من الخاسرين الداخلين في توبيخ الله تعالى وتهديده بقوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ودعاء نبيّه ﷺ بقوله ويل لمن لاكها بين لحييه ثمّ لا يتدبّرها، ومنهم من يحرّك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيستمع ويفهم منه كأنّه يسمعه من غيره وهذه درجة أصحاب اليمين؛ ومنهم من يسبق قلبه إلى المعاني أوّلاً ثمّ يخدم اللسان قلبه فيترجمه وهذه درجة المقرّبين، وفرق جليّ بين أن يكون (اللسان خ)

الإنسان ترجمان القلب كما في هذه الدرجة وبين أن يكون معلّمه كما في الدرجة الثانية، فالمقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

ومن وظائف القراءة قول الصادق عليه السلام من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرقّ قلبه ولم ينشر حزناً ووجلاً في سرّه فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراناً مبيناً؛ وتفصيل ترجمة المعاني اختصاراً أنّك إذا قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فانوِ به التبرك لابتداء القراءة بكلام الله تعالى وافهم أنّ معناه الأمور كلّها بالله، وأنّ المراد ههنا بالاسم هو المسمّى؛ فإذا كانت الأمور كلّها بالله فلا جرم كان الحمد لله، فإذا قلت: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فأحضر في قلبك أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فيبعث به رجاؤك، ثمَّ استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أمّا العظمة فلأنّه لا مالك (ملك خ) إلّا له، وأمّا الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه؛ ثمَّ جدّد الإخلاص بقولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وتحقّق أنّه ما تيسرت طاعتك إلّا بإعانته وأنّ المنّة له إذ وفّقك لطاعته وجعلك أهلاً لمناجاته؛ ثمَّ قل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] الذي يشوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك وزده شرحاً واستشهد بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيّين والصدّيقين دون الذين غضب عليهم من الكفّار واليهود والنصارى.

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه أن تكون ممّن قال الله تعالى فيهم قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين؛ فيقول الله حمدني عبدي وأثنى عليّ وهو قوله سمع الله لمن حمده الحديث؛ فلو لم يكن من صلاتك سوى ذكر الله في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله.

وروى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى مولانا العسكري عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي؛ ولعبدي ما سأل. إذا قال العبد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله جلّ جلاله بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أُتمّم أموره وأُبارك له في أحواله، فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] قال الله جلّ جلاله حمدني عبدي وعلم أنّ النعمة التي له من عندي وأنّ البلايا التي دفعت عنه فبتطوّلي؛ أشهدكم أنّي أُضيف إلى نعم الدنيا نعم الآخرة؛ وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا. فإذا قال: ﴿الرَّحْمَٰنِ

﴿الرَّحِيمِ﴾ قال الله جلّ جلاله شهد لي بأنّي الرحمٰن الرحيم أُشهدكم لأوفرنّ من رحمتي حظّه ولأجزلنّ من عطائي نصيبه، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال الله جلّ جلاله أشهدكم كما اعترف لي أنّي مالك يوم الدين لأسهلنّ يوم الحساب حسابه ولأتجاوزنّ عن سيّئاته، فإذا قال: العبد ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ قال الله تعالى صدق عبدي إيّاي يعبد، أُشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قال الله جلّ جلاله بي استعان وإليّ التجأ أُشهدكم لأُعيننّه على أمره ولأُعيننّه في شدائده ولآخذنّ بيده يوم القيامة؛ فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة قال الله تبارك وتعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، قد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمل وآمنته ممّا وجل.

أقول: ومن هذا يظهر معنى ما روي أنّ الصادق عليه‌السلام قد صلّى فلمّا بلغ في القراءة إلى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ كرّرها كثيراً، فلمّا فرغ سئل عن سبب تكريره لها فقال عليه‌السلام ما زلت أكرّرها حتّى سمعتها من قائلها؛ وذلك أنّ أقوال الله سبحانه في الحديث المتقدّم مسموعة للأولياء والصالحين بأسماع اللبّ، ولهم عليهم‌السلام بالسمعين لا كما قاله بعض الأعلام أنّ هذا من باب قول بعض الصوفيّة بالفارسيّة:

روا باشد أنا الله از درختى چرا نبود روا از نيك بختى

يعني إذا جاز أن يخرج الكلام من شجرة موسى بأنا الله فلم لا يجوز خروج مثل هذا الكلام من الإنسان الذي هو أشرف من الشجرة وغيرها، وهذا إشارة إلى ما نقلنا عن بعضهم من قوله ليس في جبّتي سوى الله، وقوله أنا الحقّ؛ وقد عرفت أنّ هذا هو الإلحاد المحض والكفر الصريح؛ هذا وقد بقي من وظائف القراءة أمران:

الأوّل ما قاله فقهاؤنا رضوان الله عليهم من وجوب القراءة بواحدة من القراءات السبع المتواترة، وفي تواتر تمام العشرة بإضافة أبي جعفر ويعقوب وخلف خلاف، ذهب الشهيدان قدّس الله روحيهما إلى ثبوت تواتره وإلى جواز القراءة به، قال الشهيد الثاني رحمه‌الله في شرح الرسالة: وأمّا اتّباع قراءة الواحد من العشرة في جميع السورة فغير واجب قطعاً بل ولا مستحبّ؛ فإنّ الكلّ من عند الله نزل به الروح الأمين على قلب سيّد المرسلين تخفيفاً على الأمّة، وتهويناً على أهل هذه الملّة انتهى، وهو مصرّح بأنّ القراءات السبع بل العشر متواترة النقل من الوحي الإلهي؛ وكذلك كلام أكثر الأصحاب، وقد تكلّمنا معهم في شرحنا على تهذيب الحديث؛

ولنذكر ههنا نبذة منه فنقول: إنّ في هذه الدعاوى السابقة نظراً من وجوه:

الأوّل القدح في تواترها عن القرّاء وذلك أنّ أهل القراءة نقلوا أنّه قد كان لكلّ قارئ راويان يرويان عنه القراءة؛ وربّما اختلفوا في الرواية عنه كثيراً؛ نعم قد اشتهرت رواية الرأيين في الأعصار المستقبلة وبلغت حدّ التواتر مع أنّ من شروطه استواء الطبقات كلّها في وجود التواتر.

الثاني سلّمنا تواترها عن أربابها لكنّه لا يجدي نفعاً، وذلك أنّهم آحاد من مخالفينا قد استبدوا بهذه القراءة، وتصرّفوا فيها وجعلوها فنّاً لهم؛ كما جعل سيبويه والخليل النحو فنّاً لهما وتصرفوا فيه على مقتضى عقولهم، وفرقوا في مسائل المذاهب ومن هذا ترى القراء لم يسندوا قراءتهم إلى أهل البيت عليهم السلام، وربّما أسندوها في بعض الأوقات إليهم لكن يكون من باب ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: ٦] الآية.

الثالث أنّ تسليم تواترها عن الوحي الإلٰهي وكون الكلّ قد نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالّة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادّة: وإعراباً مع أنّ أصحابنا رضوان الله عليهم قد أطبقوا على صحّتها والتصديق بها[1] نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي

---

(١) هذا الكلام من السيد المصنف رحمه الله عجيب ومبني على مسلك أصحاب الحديث وجرى على طريقة الأخباريين التي لا يعبأ بها والعجب من قوله: إن أصحابنا رضي الله عنهم قد أطبقوا على صحة تلك الروايات والتصديق بها إلخ ليت شعري متى أطبق أصحابنا على صحة تلك الروايات وأين صدقوها ولا أدري من هم المراد من قوله: (أصحابنا) هل المراد منهم جمع من أهل الجمود من الأخباريين؟ أو المراد منهم أصحابنا أهل النظر والتحقيق وكبراء الدين من الفقهاء والمجتهدين؟ وحاشاهم أن يقولوا بمقالة المصنف رحمه الله. وما ذكره المحقق القمي رحمه الله في القوانين من نسبة القول بالزيادة في القرآن إلى أكثر الأخباريين ذهول وغفلة من ذلك الرجل العظيم فإن القول بالزيادة في القرآن مجمع على بطلانه ولا نزاع في عدم الزيادة أصلاً كما صرح به المحقق الأصولي السيد محمد الشهشهاني رحمه الله في كتابه (الغاية القصوى) في الجزء الثاني - مخطوط موجود في مكتبتنا وقال ما هذا لفظه: والظاهر أن الأول - أي الاختلال بالزيادة - مما لا نزاع في عدمه وأنه لم يقل بثبوته أحد كما يرشد به أدلة المثبتين فما في القوانين من رميه إلى أكثر الأخباريين فهو غفلة اهـ.
قال عمدة الأخباريين المحدث المتبحر شيخنا الحر العاملي صاحب الوسائل رحمه الله في رسالة كتبها في رد بعض معاصريه ما هذا لفظه الشريف بالفارسية: (هر كسى كه تتبع أخبار وتفحص=

وحكموا بأنّ ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن المنزل لا غير؛ ولم يقع فيه

= تواريخ وآثار نموده بعلم يقيني ميداند كه قرآن در غايت وأعلى درجه تواتر بوده وآلاف صحابه حفظ ونقل ميكردند آن را ودر عهد رسول خدا ﷺ مجموع ومؤلف بود إلخ.

وهذا رئيس المحدثين الشيخ الصدوق المعروف بين الإمامية بالاعتناء بما يروى يقول في كتاب اعتقادات الإمامية: اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك ومن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب اهـ وحمل الروايات الواردة في النقصان على وجوه أُخر وهذا رئيس المذهب السيد المرتضى علم الهدى يصرح بعدم النقيصة وأن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها وهذا شيخ الطائفة على الإطلاق (الطوسي) في أول التبيان يصرح بعدم الزيادة والنقصان انظر ج ١ ص ٣ ط النجف واقتفى أثره إمام المفسرين الشيخ الطبرسي في مجمع البيان انظر ج ١ ص ١٥ ط صيدا وقال شيخ الإسلام والمسلمين الإمام المحقق البهائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه والصحيح أن القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أو نقصاناً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢] وما اشتهر بين الناس من إسقاط اسم أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منه في بعض المواضع مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٦٧] في عليّ وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء اهـ.

وهذا الإمام الأعرجي البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صرح في شرح الوافية بعدم وقوع التحريف فراجع وهذا إمام الفقهاء العظام رئيس الإسلام الشيخ جعفر كاشف الغطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في المبحث السابع من مباحث كتاب كشف الغطاء: لا زيادة في القرآن من سورة ولا آية من بسملة وغيرها ولا كلمة ولا حرف وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله بالضرورة من المذهب بل الدين وإجماع المسلمين وأخبار النبي ﷺ والأئمة الطاهرين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وقال في المبحث الثامن: لا ريب في أن القرآن محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح الفرقان وإجماع العلماء في جميع الأزمان ولا عبرة بالنادر وما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها إلى آخر كلامه الشريف.

وقال في كتابه الحق المبين: وصدرت منهم يعني من الأخباريين أحكام غريبة وأقوال منكرة عجيبة منها قولهم بنقص القرآن مستندين إلى روايات تقضي البديهة بتأويلها وطرحها وفي بعضها نقص ثلث القرآن أو ربعه ونقص أربعين اسماً في سورة تبت منها أسماء جماعة من المنافقين وفي ذلك منافاة لبديهة العقل لأنه لو كان ذلك مما أبرزه النبي ﷺ وقرأه على المسلمين وكتبوه لافتضح المنافقون ولم يكن النبي ﷺ مأموراً إلا بالستر عليهم ولقامت الحرب على ساق وكان في ابتداء الإسلام من الفتن ما كان في الختام ثم لو كان حقاً لتواتر نقله وعرفه جميع الخلق لأنهم كانوا يضبطون آياته وحروفه وكلماته تمام الضبط فكيف يغفلون عن مثل ذلك ولعرف بين الكفار وعدوه من أعظم معايب الإسلام والمسلمين ولكان القارىء=

تحريف ولا تبديل ومن هنا ضبط شيخنا الطبرسي رحمه الله آيات القرآن وأجزاءه؛ فروى

= لسورة من السور الناقصة مبعضاً في الحقيقة ولكان القرآن غير محفوظ وقد أخبر الله بحفظه ولعرف بين الشيعة وعدوه من أعظم الأدلة على خروج الأولين من الدين لأن النقص على تقدير ثبوته إنما هو منهم ثم العجب كل العجب من قوم يزعمون أن الأخبار محفوظة على الألسن والكتب في مدة ألف ومائتي سنة وأنها لو حدث فيها نقص لظهر ويحكمون بنقص القرآن وخفائه في جميع الأزمان فلا بد من تنزيل تلك الأخبار إما على النقص من الكلمات المخلوقة قبل النزول إلى سماء الدنيا أو بعد النزول إليها قبل النزول إلى الأرض أو على نقص المعنى في تفسيره والذي يقوى في نظر القاصر التنزيل على أن النقص بعد النزول إلى الأرض فيكون القرآن قسمين قسم قرأة النبي صلى الله عليه وآله على الناس وكتبوه وظهر بينهم وقام به الإعجاز وقسم أخفاه ولم يظهر عليه أحد سوى أمير المؤمنين عليه السلام ثم منه إلى باقي الأئمة الطاهرين عليهم السلام وهو الآن محفوظ عند صاحب الزمان جعلت فداه اهـ.

وهذه كلمات قيمة صادرة عن شخصية عظيمة بارزة في العالم الإسلامي وتنبىء عن علم متدفق وعقل كامل ورأي رزين ولذا كان صاحبها رئيساً للإسلام ومن أكبر أساطين الدين كما يعبر عنه الشيخ الأعظم الأنصاري قدس سرّه في تصانيفه كما في الرسائل والمكاسب (بعض الأساطين) وهكذا يكون المرجع الديني الأكبر إذا اجتمع فيه العقل والعلم والعمل ويظهر من آخر كلامه أن ما نزل من القرآن بطريق الإعجاز وما هو المعجز الباقي إلى آخر الدهر هو ما قرأه النبي صلى الله عليه وآله على الناس وهو ما بين الدفتين ولم ينقص منه شيء. فلو أردنا ايراد كلمات علمائنا الإمامية ونقل أقوالهم في هذا المقام لطال الكلام بل يحتاج ذلك إلى تأليف مستقل ولا احتياج لنا إلى نقل الأقوال بأكثر من ذلك فإنه غير خفي على القارىء الخبير أن علماء الإمامية قديماً وحديثاً ذهبوا إلى القول بعدم النقصان في القرآن الكريم إلا شرذمة قليلة من الأخباريين ومن اغتر بكلامهم من غيرهم وصرح بما ذكرناه جمع من مشايخنا وأساتذتنا الأكابر كشيخنا الإمام كاشف الغطاء رحمه الله في كتابه أصل الشيعة وأصولها وسيدنا الإمام المجتهد الأكبر الحجة الكوهكمري رحمه الله حيث تعرض بالتماسنا في مجلس درسه الشريف لهذه المسألة ونقل كل ما ورد من الأخبار التي زعموا دلالتها على النقيصة في القرآن وحققها وبين المراد منها تفصيلاً.

وسيدنا الإمام السيد شرف الدين العاملي رحمه الله في كتابه الفصول المهمة وقد عقد فصلاً بهذا الموضوع انظر ص ١٦٠ ط النجف وإلى أجوبة مسائل جار الله ص ٣٤ ط ٢ صيدا وانظر إلى مقدمة تفسير البيان للمجتهد الكبير آية الله الخوئي دام ظله ص ١٣٦ - ١٨١ وقد حقق الموضوع بأتم وجه على نحو التفصيل وقال في آخر كلامه ما هذا لفظه الشريف: وقد تبين للقارىء مما ذكرناه أن حديث تحريف القرآن حديث خيالي لا يقول به إلا من ضعف عقله أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل أو من ألجأه إليه حب القول به والحب يعمي ويصمّ وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه (اهـ).

عن النبيّ ﷺ أنّ جميع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وجميع آيات القرآن ستّة

والقارىء الكريم بعد الاطلاع على مذهب الإمامية من القول بعدم التحريف كما ذكرناه تعرف أنه لا يعبأ بكلام بعض أهل السنة في نسبة القول بالتحريف إليهم كسائر الافتراءات والأكاذيب التي ألصقوها بهم نعم الباحثون من أهل السنة والمنصفون منهم يعلمون أن الإمامية لم يقولوا بالتحريف ولا عبرة بأهل الجمود وبعض الحشوية وجمع من الأخباريين كما أنصف في هذا الموضوع من علماء أهل السنة الإمام الباحث الكبير الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) وقال بعد نقل كلام جمع من أكابر الإمامية بعين ألفاظهم ما هذا لفظه: فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الإمامية الاثني عشرية أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك وأنه كان مجموعاً مؤلفاً في عهد رسول الله ﷺ إلخ انظر ص ٨٩ ط اسلامبول وص ٧٧ ط مصر سنة ١٣٠٩هـ.

ونقل كلماته سيدنا الإمام السيد شرف الدين رحمه الله في الفصول المهمة وقال بعد نقلها: ومن أراد النقل عن الطوائف والأمم فليقتفِ أثر هذا الإمام في الاستناد إلى الكتب المعتبرة عند تلك الأُمة أو الطائفة ولا يعول في النقل عنها على المرجفين من خصمائها والألداء من أعدائها (اهـ).

وممن حقق الموضوع على نحو التحليل العلمي الصحيح هو العلامة المحقق الأصولي السيد محمد الشهشهاني رحمه الله صاحب كتاب أنوار الرياض في ثماني مجلدات في شرح رياض المسائل المعروف بالشرح الكبير في الفقه مخطوط موجود في مكتبتنا وقد حقق ذلك في كتابه الغاية القصوى وأجاب عن الأخبار التي زعموا دلالتها على التحريف ما هذا ملخصه: أنها أخبار لا عبرة بأسانيدها حتى أن المستدلين بها لم يصححوا واحداً منها وأنها مهجورة بين معظم أصحابنا وهو من القوادح القوية حتى عد عدمه من شرائط العمل بها وكلما زادت عدداً كما ادعاه المستدل زادت قدحاً وبمثل هذا يقال في تكاثر الأخبار في الوجوب العيني لصلاة الجمعة وأنها مشتملة على ما لا يقول به المستدلون بها حيث أنهم معترفون بعدم تحقق شيء من ذلك في الآيات الأحكامية وربما يخل بالنظم والسوق وأين هذا من آية اليتامى وأيضاً من جملتها آية الوضوء حيث قال عليه السلام هكذا تنزيلها من المرافق وفي حديث ومن النوم إلى الصلاة في آخر ويتفرع عليهما سيما الأخير أحكام شتّى وإن أرادوا بالأحكام الأعم من الأصولية كما هو الظاهر فآيتا الغدير والأمة من جملتها وقال في الهامش قوله سيما الأخير كإثبات الناقضية للوضوء للنوم وكأصالة قصد الغاية في النية وكأصالة عدم الناقضية إلا ما خرج إلى غير ذلك (اهـ) وقال أن تلك الأخبار معارضة بأقوى منها من الحجج الأربع كتاباً بل وسنة وعقلاً وإجماعاً ومن جملتها القاطع كالإجماع المحقق والعقل (اهـ). هذا حال الأخبار التي جمعها ودوَّنها العلامة المحدث النوري رحمه الله في كتابه فصل الخطاب وقد يقال أن نظره في تأليف ذلك الكتاب إلى جمع تلك الأخبار والشواذ والنوادر ولم يكن غرضه اعتقاد التحريف وكيف كان ما أجاد في تأليفه ولا وافق الصواب في جمعه وليته لم يؤلفه وإن ألفه لم

آلاف آية ومائتا آية وستّ وثلاثون آية؛ وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفاً.

والظاهر أنّ هذا القول إنّما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة، منها سدّ باب الطعن عليها بأنّه إذا جاز هذا في القرآن فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه؛ مع جواز لحوق التحريف لها، وسيأتي الجواب عن هذا كيف وهؤلاء الأعلام رووا في مؤلّفاتهم أخباراً كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن؛ وأنّ الآية هكذا أُنزلت ثمّ غيّرت إلى هذا.

الرابع أنّه قد حكى شيخنا الشهيد طاب ثراه عن جماعة من القراء أنّهم قالوا ليس المراد بتواتر السبع والعشر أنّ كلّ ما ورد من هذه القراءات متواتر بل المراد انحصار المتواتر الآن فيما نقل من هذه القراءة؛ فإنّ بعض ما نقل عن السبعة شاذّ فضلاً عن غيرهم فإذا اعترف القرّاء بمثل هذا فكيف ساغ لنا الحكم على هذه القراءات كلّها بالتواتر كما قاله العلاّمة في كتاب المنتهى؛ وكيف ظهرت لنا القراءة المتواترة حتّى نقرأ بها في الصلاة، وكيف حكمنا بأنّ الكلّ قد نزل به الروح، فإن هذا القول منهم رجوع عن التواتر.

الخامس أنّه قد استفاض في الأخبار أنّ القرآن كما أُنزل لم يؤلّفه أمير المؤمنين عليه السلام بوصيّة من النبيّ صلى الله عليه وآله، فبقي بعد موته ستّة أشهر مشتغلاً بجمعه، فلمّا جمعه كما أُنزل أتى به إلى المتخلّفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقال لهم هذا كتاب الله كما أُنزل فقال له عمر بن الخطّاب لا حاجة بنا إليك ولا إلى قرآنك، عندنا قرآن كتبه عثمان. فقال لهم عليّ عليه السلام لن تروه بعد هذا اليوم ولا يراه أحد حتّى يظهر ولدي المهديّ عليه السلام. وفي ذلك القرآن زيادات كثير وهو خالٍ من التحريف؛ وذلك

ينشره وقد صار ضرره أكثر من نفعه بل لا نفع يتصور في نشره.

فإنه جهز السلاح للعدو وهيأه وأداه إلى أيدي خصماء الإسلام ولذا إذا نظر العلامة الأكبر بطل العلم المتبحر في العلوم الإسلامية آية الله الحاج ميرزه فتح الله الشهير بـ(شيخ الشريعة) الأصفهاني رحمه الله إلى كتاب فصل الخطاب قال ما هذا لفظه الشريف: (كاش قلم مؤلفش مى شكست واين كتاب را تأليف نميكرد) كما نقل لنا ذلك جمع من مشايخنا وأساتذتنا الثقات من تلامذته قدس سره ويقال أن بعض أعداء الدين وخصماء المذهب حرضه على تأليف ذلك الكتاب وهو رحمه الله لم يشعر بذلك الغرض الفاسد وليس هذا الحدس أو النقل ببعيد والله العاصم.

إنّ عثمان قد كان من كتّاب الوحي لمصلحة رآها ﷺ وهي أن لا يكذبوه في أمر القرآن بأن يقولوا إنّه مفترى أو إنّه لم ينزل به الروح الأمين، كما قاله أسلافهم، بل قالوه هم أيضاً، وكذلك جعل معاوية من الكتّاب[١] قبل موته بستّة أشهر لمثل هذه المصلحة أيضاً، وعثمان وأضرابه ما كانوا يحضرون إلّا في المسجد مع جماعة الناس؛ فما يكتبون إلّا ما نزل به جبرائيل عليه السلام بين الملأ.

أمّا الذي كان يأتي به داخل بيته ﷺ فلم يكن يكتبه إلّا أمير المؤمنين عليه السلام لأنّ له المحرميّة دخولاً وخروجاً فكان يتفرّد بكتابة مثل هذا وهذا القرآن الموجود الآن في أيدي الناس هو خطّ عثمان؛ وسمّوه الإمام وأحرقوا ما سواه أو أخفوه؛ وبعثوا به زمن تخلّفه إلى الأقطار والأمصار. ومن ثمَّ ترى قواعد خطّه تخالف قواعد العربيّة مثل كتابة الألف بعد واو المفرد وعدمها بعد واو الجمع وغير ذلك؛ وسمّوه رسم الخطّ القرآني ولم يعلموا أنّه من عدم اطّلاع عثمان على قواعد العربيّة والخطّ.

وقد أرسل عمر بن الخطّاب زمن تخلّفه إلى عليّ عليه السلام بأن يبعث له القرآن الأصليّ الذي هو ألّفه وكان عليه السلام يعلم أنّه طلبه لأجل أن يحرقه كقرآن ابن مسعود؛ أو يخفيه عنده حتّى يقول الناس أنّ القرآن هو هذا الكتاب الذي كتبه عثمان لا غير فلم يبعث به إليه وهو الآن موجود عند مولانا المهديّ عليه السلام مع الكتب السماويّة ومواريث الأنبياء، ولمّا جلس أمير المؤمنين عليه السلام على سرير الخلافة لم يتمكّن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه كما لم يقدر على النهي عن صلاة الضحى؛ وكما لم يقدر على إجراء المتعتين متعة الحجّ ومتعة النساء، حتّى قال عليه السلام لولا ما سبقني بنو الخطّاب ما زنى إلّا شفا يعني إلّا جماعة قليلة لإباحة المتعة، وكما لم يقدر على عزل شريح عن القضاء ومعاوية عن الإمارة.

وقد بقي القرآن الذي كتبه عثمان حتّى وقع إلى أيدي القرّاء فتصرّفوا فيه بالمدّ والإدغام، والتقاء الساكنين مثلما تصرّف فيه عثمان وأصحابه، وقد تصرّفوا في بعض الآيات تصرّفاً نفرت الطباع منه وحكم العقل بأنّه ما نزل هكذا، وفي قريب هذه الأعصار ظهر رجل اسمه سجاوندا ونسبته إلى بلدة فكتب هذه الرموز على كلمات القرآن وعلّمه بعلامات أكثرها لا يوافق تفاسير الخاصّة ولا تفاسير العامّة، والظاهر أنّ هذا أيضاً إذا مضت عليه مدّة مديدة يدّعى فيه التواتر، وأنّه جزء القرآن فيجب كتابته واستعماله والحاصل أنّ العادة إذا وقعت اشترك فيها العدوّ والوليّ.

(١) لم يكن معاوية من كتاب الوحي كما هو محقق في محله.

السادس أنّ أهل التفسير وأرباب علم القراءة إذا ذكروا قراءة في آية جعلوا قراءة أهل البيت عليهم السلام قسيمة لقراءة حفص وعاصم ونحوهما؛ فيقولون تارة وقراءة عليّ هكذا؛ ويقولون تارة أُخرى وفي قراءة أهل البيت هكذا، فإذا كان كذلك كيف يكون قراءة عليّ وأهل بيته عليهم السلام وقراءة غيرهم بمرتبة واحدة بالنسبة إلى الوحي الإلهي وأنّ جبرائيل عليه السلام نزل بالجميع، فلو كان هكذا كان ينبغي نسبة القراءة كلّها إليه عليه السلام لأنّه المعلّم الأوّل في جميع الفنون كما تقدّم، والذي حداهم على مثل هذه التصرّفات وتصديق أصحابنا لهم هو ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال نزل القرآن على سبعة أحرف؛ وفسّروها بالقراءات تارة، وباللّغات أُخرى مثل لغة قريش وهذيل وهوازن واليمن مع أنّ الكليني قدّس الله روحه قد روي في الصحيح عن الفضيل بن يسار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّ الناس يقولون إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف؛ فقال كذبوا أعداء الله ولكنّه أُنزل على حرف واحد، من عند الواحد.

فإن قلت كيف جاز القراءة في هذا مع ما لحقه من التغيير، قلت قد روي في الأخبار أنّهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها، والعمل بأحكامه حتّى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء ويخرج القرآن الذي ألّفه أمير المؤمنين عليه السلام فيقرأ ويعمل بأحكامه؛ روي الكليني بإسناده إلى سالم بن سلمة قال قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأها الناس فقال أبو عبد الله عليه السلام مه كفّ عن هذه القراءة واقرأ كما يقرأ الناس حتّى يقوم القائم، فإذا قام قرأ كتاب الله على حدّه وأخرج المصحف الذي كتبه عليّ عليه السلام؛ وفي هذا الحديث أنّ علياً عليه السلام لمّا فرغ من ذلك القرآن قال له هذا كتاب الله تعالى كما أنزل الله على محمّد صلى الله عليه وآله وقد جمعته بين اللوحين؛ فقالوا هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً؛ إنّما كان عليّ أن أُخبركم حين جمعته لتقرأوه، والأخبار الواردة بهذا المضمون كثيرة جدّاً؛ وعليك بسلوك جادّة الإنصاف وخلع ربقة العناد والاعتساف.

الأمر الثاني من وظائف القراءة: ترتيل القرآن بالصوت الحسن الحزين الذي لا يبلغ الغناء الذي يقال له غناء في العرف أو لا يشتمل على مدّ الصوت مع الترجيع الذي هو حقيقته اللغويّة.

روي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرأوا القرآن بألحان العرب

وأصواتها؛ وإيّاكم ولحون أهل الفسق والكبائر، فإنّه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانيّة، ولا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم.

وعن النوفلي قال ذكرت الصوت عند أبي الحسن عليه السلام فقال إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقرأ فربّما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته، وإنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه؛ قلت ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمّل الناس من خلفه ما يطيقون.

أقول: يظهر من هذا الخبر وما في معناه سرّ غريب وهو الجواب عمّا روي من أنّ الرضا عليه السلام كان أسمر اللون؛ وكذا الكاظم عليه السلام مع ما روي من أنّه يجب في الإمام أن يفضل الناس خَلقاً وخُلقاً؛ والنبيّ عليه السلام لمّا كان يذكر الصدّيق وحسنه كان يقول وأنا أملح منه مع أنّه لم ينقل لهم شيء من هذه المراتب إلّا قليلاً.

وتحقيقه أنّ النبيّ وأهل بيته عليهم السلام إنّما كانوا يعاشرون الناس على قدر ما تحتمله عقولهم بالنسبة إلى كلّ شيء، ومن جملته حسن الأصوات والصور فالكاظم والرضا عليهما السلام قد رأيا الصلاح في أن يظهرا لشيعتهم بتلك الصور الخاصّة، وكانا يظهران لخواصّ شيعتهم على أحسن الصور وأكملها؛ وكذا باقي الأئمّة عليهم السلام.

روي أنّ امرأة المأمون بعثت إلى الجواد عليه السلام إنّي أحبّ أن أراك جالساً مع ابنتي، فهيّأوا لها ضيافة فأتت من الغد، قال راوي الحديث فدخل عليه السلام فلمّا رأته زوجته أمّ الفضل خرّت مغشيّاً (مغشيّة خ) عليها؛ وأتاها الحيض ذلك الوقت، فرجع عليه السلام وهو يقول: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ [يوسف: ٣١] الآية، فلمّا أفاقت قالت يا أمّاه لم زوجتني هذا الرجل؟ قالت وكيف ذلك؟ قالت إنّه يتصوّر لي كلّ يوم بصور متعدّدة، والآن لمّا دخل علينا رأيت من وجهه أنواراً علت البيت وما فيه؛ فما قدرت على النظر إليه حتّى غشي عليّ. وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أتاه جبرائيل عليه السلام بالوحي وضع ثوباً على رأسه لئلا ينظر الناس إليه ذلك الوقت، لأنهم لا يستطيعون النظر إليه من شدّة أنواره، ومن هذا كان عليه السلام يقول لي مع ربّي وقت لا يحتمله أحد.

فإن قلت قد صحّ من هذه الأحاديث أنّ الغناء لا يجوز بتلاوة القرآن؛ فكيف تقول فيما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن.

قلت هذا حديث مجمل وقد تصدّى الأعلام لتوضيح معناه على وجوه: الأوّل ما

نقله المرتضى طاب ثراه عن أبي عبيدة من أنّ المعنى أنّ من لم يستغن بالقرآن فليس منّا واحتجّ بوروده في اللّغة، وبخبر رفعه عن عبد الله بن نهيك أنّه دخل على سعد ببيته فإذا مثال رثّ ومتاع رثّ، فقال قال رسول الله ﷺ من لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا؛ قال أبو عبيدة فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدلّ على أنّ التغنّي بالقرآن الاستغناء عن الكثير من المال والمثال، وهو الفراش، قال أبو عبيدة ولو كان التغنّي معناه الترجيع لطمّت المحنة علينا بذلك إذا كان من لم يرجع بالقرآن ليس منه عليه السلام وذكر عن أبي عبيدة جواباً آخر وهو أنّه عليه السلام أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرجع فيه، واستدلّ عليه بما روي من قوله ﷺ: إنّ هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا، وقوله ﷺ لا يأذن الله لشيء من الأرض إلّا لصوت المؤذّنين وللصوت الحسن بالقرآن.

وقد ذكر أبو بكر محمّد بن القسم الأنباري وجهاً ثالثاً في الخبر قال أراد عليه السلام من لم يتلذّذ بالقرآن ويستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به وسمّي ذلك تغنّياً للتأثير؛ وجواب أبي عبيدة أحسن الأجوبة، وجواب أبي بكر أبعدها لأن التلذّذ لا يكون إلّا في المشتهيات وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهّم معانيه من الأفعال الشاقّة؛ فكيف يكون ملذّاً مشتهىً ويمكن أنّ في الخبر وجه رابع ظهر لنا وهو أن يكون قوله يتغنّى من غني الرجل بالمكان إذا طال مقامه به؛ ومنه قيل المغنى قال الله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ﴾ [الأعراف: ٩٢] أي لم يقيموا بها؛ فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن ويتجاوزه إلى غيره ويتعدّاه إلى سواه ولم يتخذه مغنىً ومنزلاً ومقاماً ليس منّا، هذا محصّل كلام المرتضى والشيخ في الأمالي، ولا يخفى عليك ما يرد على بعض كلماته.

وقد ذكر بعض السلاطين ممّن عاصرناه وجهاً آخر لكنّه في التحقيق راجع إلى ما ذكره أبو عبيدة؛ وحاصله أنّ المراد بالتغنّي ما يشبه الغناء كالتباكي الذي ليس هو بكاء حقيقة، وإنّما المراد به ما يشبه البكاء لأنّه لو أراد الغناء لقال ليس منّا من لم يغنّ والغناء حرام فأتى بلفظ التغنّي الذي يسلم به القارئ من حرمة الغناء ويأتي بنوع له امتياز عن الحاكي والقصّاص؛ ويكون فيه نوع حسن شبيه بالغناء.

وأمّا وظيفة الركعتين الأخيرتين فأن تعلم أنّ النبيّ ﷺ هو الذي أوجبهما بتفويض الله سبحانه إليه شكراً على بعض النعم، وأمّا الأوليان من كلّ صلاة فهما

اللّتان أوجبهما سبحانه على الأمّة ليلة المعراج ومن هنا دخل الشكّ والسهو فيما أوجبه ﷺ دون ما أوجبه الله؛ والأولى له أن يقول فيهما التسبيح ولا يقرأ الحمد وإن أجمع أصحابنا رضوان الله عليهم على التخيير وذلك لوجوه:

الأوّل أنّ الأخبار الدالة على قراءة الحمد موافقة لمذاهب الجمهور، فيمكن حملها على التقيّة مع أنّ الخير فيما بعد عنهم، الثاني أن قارىء الحمد مردّد بين محذورين إمّا الجهر بالبسملة أو الإخفات بها، وفي وجوب الجهر قال قائل وفي الحرمة قال آخر بخلاف التسبيحات، الثالث طلب ما ورد فيها من الثواب.

روى الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنّة؛ ومن قال لا إله إلّا الله غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنّة، فقال رجل من قريش هو أبو بكر إنّ شجرنا في الجنّة لكثير، قال نعم ولكن إيّاكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها؛ وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣].

وينبغي أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر وأستغفر الله - ثلاثاً، لينطبق على جميع الأقوال والأخبار.

وأمّا وظيفة الركوع فإذا وصلت إليه فجدّد على قلبك ذكر كبرياء الله تعالى وعظمته، وخساسة كلّ ما سواه وتلاشيه؛ فارفع يديك وقل الله أكبر مستجيراً في رفعك بعفو الله من عقابه، ومتّبعاً سنّة نبيّه ﷺ ثمّ تستأنف له ذلّاً وخضوعاً وتواضعاً بركوعك واجتهد في ترقيق قلبك، ومدّ عنقك في ركوعك قاصداً ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل عن مدّ عنقه في الركوع، فقال معناه آمنت بك ولو ضربت عنقي، فيكون مدّ العنق إشارة إلى أنّ الأسير الذليل إذا أريد ضرب عنقه يؤمر أوّلاً بمدّ عنقه حتّى يتمكّن السيف من رقبته ويأخذ مأخذه منه.

وقال الصادق عليه السلام لا يركع عبد ركوعاً على الحقيقة إلّا زيّنه الله تعالى بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه والركوع أوّل والسجود ثانٍ فمن أتى بمعنى الأوّل صلح للثاني وفي الركوع أدب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه؛ متذلّل وجل تحت سلطانه حافظ له بجوارحه حفظ خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين. وحكي أنّ ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركعة واحدة، فإذا أصبح تزفّر وقال آه سبق

المخلصون وقطع بنا؛ وإذا رفعت رأسك من الركوع فكبّر، وإذا هويت إلى السجود فكبّر، والتكبير الأوّل لم يتعرّض له أكثر الفقهاء ولكن قال به ابنا بابويه وصاحب الفاخر، وصحيحتا ابن عمّار وابن مسكان دالتان عليه والعمل بهما لا يخلو من وجه.

وأمّا وظيفة السجود فاعلم أنّه أعظم مراتب الخضوع، ومن هنا أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أتدري لم اصطفيتك بكلامي واخترتك لرسالتي؟ فقال موسى لا يا ربّ فقال الله سبحانه يا موسى إنّي قلبت عبادي ظهراً لبطن وبطناً لظهر فلم أر أحداً أذلّ لي منك إذا سجدت عفّرت خدّيك بالتراب؛ وخصوصاً إذا كان تراب الحسين عليه السلام فقد روي أنّ السجود عليه يخرق الحجب السبعة يعني لا يمنع الصلاة عن الصعود أحد من الملائكة الموكّلين بأبواب السمٰوات كما تقدّم في الحديث الطويل.

وليكن بخاطرك ما روي عن عليّ عليه السلام حين سئل عن معنى السجدة الأولى والرفع منها؛ والسجدة الثانية والرفع منها فقال معناه ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، فالسجدة الأولى إشارة إلى أنّ مادّة خلقنا من هذا التراب، والرفع إشارة إلى خروجنا منها، ورفع رؤوسنا قليلاً لا يصل إلى حدّ القيام إشارة إلى قصر هذا الوقت وأنّ مدّة هذا العمر أقلّ قليل وإلى انتقالنا من هوان إلى هوان؛ والسجدة الثانية إشارة إلى رجوعنا إلى هذا التراب عند الموت؛ والرفع الثاني إلى الحشر والنشر والبعث منها للحسنات.

وقد منعت الشريعة الغرّاء من السجود على ما يأكله الآدميّون ويلبسونه لأنّ الناس عبيد ما يأكلون وما يدّخرون؛ فلو سجدوا عليه لكانوا كأنّهم سجدوا له كما جاء في الرواية؛ وقال الصادق عليه السلام ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى: لا أطّلع على قلب عبد وأعلم فيه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلّا تولّيت تقويمه وسياسته، ومتى اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين.

وأمّا وظيفة التشهد والتسليم فبأن تشهد له بالوحدانيّة ولرسوله بالرسالة مجدّداً عهد الله بإعادة كلمتي الشهادة متعرّضاً بهما لتأسيس مراتب السعادة، وأمّا التسليم المخرج من الصلاة فهو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأمّا حقيقة التسليم فهي أنّ التسليم (الصلاة خ) غيبة عن الناس وحضور مع الله عزّ وجلّ فالانصراف منها رجوع

من الله إلى الخلق كالمأمومين وملائكة الأعمال وغيرهم، فلهذا شرع التسليم عند الانصراف منها لأنّ التسليم تحيّة من غاب ثمّ حضر وآب فمن لم يغب في صلاته عن نفسه وعن الناس بل يكون معهم في حديث نفسه فهو لم يزل حاضراً معهم، فتسليمه خال عن معناه وأمّا سجدة الشكر فاستحبابها ثابت عند تجدّد النعم ودفع النقم بل وعند ذكر النعم السابقة.

قال الصادق عليه السلام إذا ذكرت نعمة الله عليك وكنت في موضع لا يراك أحد فالصق خدّك بالأرض، وإذا كنت في ملأ من الناس فضع يدك على أسفل بطنك وآخر ظهرك وليكن تواضعاً لله؛ فإنّ ذلك أحبّ إليّ، وتُري أنّ ذلك غمز وجدته في أسفل بطنك. وآكد أوقاتها بعد الصلاة شكراً على نعمة التوفيق لأدائها، قال الصادق عليه السلام سجدة الشكر واجبة على كلّ مسلم تتمّ بها صلاتك وترضى بها ربّك وتعجّب الملائكة منك. وإنّ العبد إذا صلّى ثمَّ سجد سجدة الشكر فتح الربّ تبارك وتعالى الحجاب بين العبد والملائكة فيقول يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أدّى فرضي وأتمّ عهدي ثم سجد لي شكراً على ما أنعمت به عليه، ملائكتي ماذا له؟ فتقول الملائكة يا ربّنا رحمتك، فيقول الربّ تبارك وتعالى ثمَّ ماذا؟ فلا يبقى شيء من الخير إلّا قالته الملائكة فيقول الله تعالى ثمَّ ماذا؟ فتقول الملائكة يا ربّنا لا علم لنا، فيقول تعالى أشكر له كما شكر لي وأقبل عليه بفضلي كما أقبل عليّ وأُريه وجهي.

وروى العامّة والخاصّة أنّ أوّل من سجد سجدة الشكر في الإسلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين أراد الكفّار أن يغدروا برسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقال له يا عليّ إنّ الله يأمرك أن تنام بمكاني وأنا أخرج إلى الغار ولم يعلمه بالسلامة؛ فقال يا رسول الله إذا بتّ أنا في منامك تنجو أنت؟ فقال نعم يا عليّ، فعند ذلك قال الحمد لله الذي جعل نفسي وقاءً لنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسجد عند ذلك سجدة الشكر. قال جمهور مخالفينا إنّ سجدة الشكر فيها ثواب جزيل لكن لمّا كانت شعار الروافض لزم على المسلم تركها لئلا يتشبّه بهم ونحن نقول الحمد لله الذي لم يشابه بيننا وبينكم لا في هذه ولا في غيره.

وأمّا كيفيّتها فروي أنّ أدنى ما يجزئ فيها أن يقول شكراً لله- ثلاثاً، وقال الصادق عليه السلام إذا سجد العبد فقال يا ربّ حتّى ينقطع نفسه قال له الربّ عزّ وجلّ لبّيك ما حاجتك. وبالجملة فالأهم هو الاهتمام بحال الصلاة والإقبال عليها خصوصاً من حضور القلب الذي هو روحها، روي عن مولانا زين العابدين عليه السلام أنّه كان يصلّي

فوقعت النار في البيت الذي كان يصلّي فيه فلمّا علت صاح به الناس النار النار يابن رسول الله وهو مشغول لا يلتفت، فلمّا انطفت النار وفرغ من الصلاة تعالوا عليه وأخبروه بوقوع الحريق؛ فقال أنا كنت أدفع نار جهنّم عن نفسي وما شعرت بحرارة هذه النار.

روي عن الباقر عليه السلام أنّه كان يصلّي إلى جنب بئر في المنزل فأتى ولده يحبو إليه فوقع في البئر وهو يصلّي فما التفت إليه؛ فصاحت أمّ الولد: ابنك وقع في البئر فلمّا فرغ من صلاته قالت له زوجته ما أقسى قلبك يابن رسول الله! فأتى إلى البئر ووجد الصبيّ جالساً فوق الماء؛ فارتفع الماء والصبيّ فوقه حتّى مدّ عليه السلام يده وأخرج الغلام فقال لامرأته لمّا كنت في خدمة مولاي كان هو في حراسة ولدي.

وأمّا حال عليّ عليه السلام في الصلاة فهو أشهر من أن يذكر وكانوا يأخذون النصال من بدنه في الصلاة وما كان يشعر بها، وأمّا شعوره بالسائل وقت الخاتم مع كونه سكران في العشق فهو من باب الإفاقة التي تعتري أهل الوله، وما أحسن قول ابن الجوزي:

يسقى ويشرب لا تلهيه سكرته	عن النديم ولا يلهو عن الكأس
أطاعه سكره حتّى تمكّن من	فعل الصحاة فهذا أعظم الناس

نور يكشف عن الرياء وأقسامه والداعي إليه وعلاجه

اعلم أنّ الكتاب والسنّة قد أكثرا من الوعيد عليه قال الله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٤-٦]، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ النار وأهلها يعجّون من أهل الرياء، فقيل يا رسول الله وكيف تعجّ النار؟ قال من حرّ النار التي يعذّبون بها. وقال صلى الله عليه وآله المرائي يوم القيامة ينادى بأربعة أسماء: يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضلّ سعيك وبطل أجرك ولا خلاق لك التمس الأجر ممّن كنت تعمل له يا مخادع. وعنه صلى الله عليه وآله إنّ الله تعالى يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل عملاً فأشرك فيه غيري فنصيبي[1] له فأنا لا أقبل إلّا ما كان خالصاً لي.

وعنه صلى الله عليه وآله إنّ أوّل ما يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، ورجل قاتل في سبيل

الله ورجل كثير المال؛ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ للقارئ ألم أُعلّمك ما أنزلت على رسولي فيقول بلى يا ربّ، فيقول ما عملت به فيما علّمت؟ فيقول يا ربّ قمت به في آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله تعالى كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول الله تعالى إنّما أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى ألم أُوسّع عليك حتّى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ فيقول بلى يا ربّ؛ فيقول فما عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله كذبت، وتقول الملائكة كذبت؛ ويقول الله سبحانه بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى ما فعلت؟ فيقول أُمرت بالجهاد في سبيل الله فقاتلت حتّى قتلت، فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت أن يقال فلان جريء شجاع فقد قيل ذلك، ثمَّ قال رسول الله ﷺ أولئك خلق الله تسعّر بهم نار جهنّم؛ والأخبار في ذلك كثيرة جدّاً.

وأمّا تعريفه فهو التقرّب إلى المخلوقين بإظهار الطاعة وطلب المنزلة في قلوبهم والميل إلى إعظامهم له وتوقيرهم إيّاه، واستجلاب تسخيرهم بقضاء حوائجه والقيام بمهمّاته وهو الشرك الخفي، قال رسول الله ﷺ من صلّى صلاة يرائي بها فقد أشرك ثم قرأ هذه الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وأمّا أقسامه فاثنان رياء محض ورياء مختلط، أمّا المحض فبأن يريد بعمله نفع الدنيا فهذا ساقط عن درجة الاعتبار فلا يحتاج إلى البحث عنه؛ وأمّا المختلط فبأن يقصد به ذلك مع التقرّب إلى الله تعالى، وهذا هو الشرك الخفي الذي وقع في هذه الأمّة وهذا الرياء يقع على وجوه بعضها جليّ وبعضها خفيّ.

الأوّل من هذه الأقسام أن يفتتح الصلاة مثلاً على الإخلاص المحض والإقبال على الله تعالى فيدخل عليه في أثناء الصلاة داخل، أو ينظر إليه ناظر فيقول له الشيطان زد صلاتك حسناً حتّى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح؛ فتخشع جوارحه ويحسن صلاته؛ وهذا هو الرياء الطارئ، وقد حدّثني أوثق مشايخي أنّ رجلاً كان لا يقدر على الإخلاص في العمل وترك الرياء فاحتال وقال إنّ في طرف البلد مسجداً مهجوراً لا يدخله أحد فأمضي إليه ليلاً وأعبد الله فيه، فمضى إليه في ليلة مظلمة وكانت ذات رعد وبرق ومطر فشرع في العبادة فبينما هو في الصلاة إذ دخل عليه داخل فأحسّ به؛ فدخل السرور برؤية ذلك الداخل له وهو على حالة

العبادة في الليلة الظلماء، فأخذ في الجدّ والاجتهاد في عبادته إلى أن جاء النهار، فنظر إلى ذلك الداخل فإذا هو كلب أسود قد دخل المسجد ممّا أصابه من المطر، فتندّم ذلك الرجل على ما دخله حال دخوله، وقال يا نفس إنّي فررت من أن أُشرك بعبادة ربّي أحداً من الناس فوقعت في أن أشركت معه في العبادة كلباً أسود يا ويلي على هذا.

الثاني أن يكون قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره ولكن يأتيه الشيطان من معرض الخير فيقول له أنت متبوع ومقتدى بك فاعمل هذا العمل على وجه يقتدي بك الناس حتّى إذا أحسنت حصل لك مثل ثواب أعمالهم، وإن أسأت كان عليك الوزر؛ وذلك للحديث المشهور إنّ من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة وهذه المكيدة أعظم من الأولى وينخدع بها من لا ينخدع بتلك، وهو عين الرياء فإنّه إذا رأى هذه الحالة خيراً لا يرتضي لغيره تركها فلم تركها هو في الخلوة؛ وذلك أنّه لا يكون أحد أعزّ على الإنسان من نفسه.

الثالث أن يتنبه العاقل لهاتين ويستحي من المخالفة بين صلاته في الخلوة والملأ فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ويصلّي أيضاً في الملأ كذلك للعلّة المذكورة، وهذا أيضاً من الرياء الغامض لأنّه أحسن صلاته في الخلوة ليحسن في الملأ فيكون لم يفرّق بين الخلوة والملأ للناس، والإخلاص أن يكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة وإلى هذا الإشارة في الحديث النبويّ لا يكمل إيمان العبد حتّى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر.

الرابع هو أدق وأخفى وهو أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لأجلهم لأنّه عرف أنّه لا يصغي إليه بل يقول له تفكّر في عظمة الله وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستح أن ينظر الله إلى قلبك وأنت غافل عنه؛ فيحضر بذلك قلبه وتجتمع جوارحه ويظنّ أنّ ذلك عين الإخلاص وهو عين الرياء؛ فإنّ خشوعه لو كان لنظره إلى عظمة الله سبحانه لكان حاله في الخلوة هكذا، ولكان لا يختصّ خطور هذه الخطرة بحضور غيره، وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر ممّا يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ولا يكون حضور الغير هو السبب فيه كما لا يكون حضور البهيمة سبباً، فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة الناس والبهائم فهو بعد لم يخلص لربّه، وهذا الشرك الذي قال فيه رسول الله ﷺ

إنّه أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة في سواد الليلة الظلماء على الصخرة الصمّاء، ويعتري ذاكرين الله كثيراً بل قيل أنّه يحملهم على المهالك في كلّ حركة من الحركات حتّى في كحل العين وقصّ الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب، فإنّها سنن في أوقات مخصوصة لكن للنفس فيها حظّ خفيّ لارتباط نظر الخلق بها، فيدخل الشيطان فيها عليه المداخل؛ ومن هذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل؛ فأراد به العالم المبصر بدقائق العبادة حتّى يخلص عنها لا مطلق العالم، فإنّ مداخل الشيطان عليه أعظم من مداخله على الجهّال وأوسع.

الخامس أن يكمل العبادة على الإخلاص المحض والنيّة الصالحة لكن عرض له بعد الفراغ منها حبّ إظهارها ليحصل له بعض الأغراض المحقّقة للرياء، خديعة من الشيطان له أنّه قد كمل العبادة الخالصة له وقد كتبها الله سبحانه في ديوان المخلصين ولا يقدح فيها ما يتجدّد؛ وإنّما ينضم إلى ما حصّله بها من الخير الآجل خير عاجل فيحدّث به ويظهره لذلك أيضاً، فهذا أيضاً مفسد للعمل وإن سبق كما يفسده العجب المتأخر ويدخل في زمرة الذين قال الله عنهم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

وقال الصادق عليه السلام من عمل حسنة سرّاً كتبت له سرّاً، فإذا أقرّ بها محيت وكتبت جهراً؛ فإذا أقرّ بها ثانية محيت وكتبت رياء، وفضل عمل السرّ على عمل الجهر سبعون ضعفاً، أما لو تعلّق بإذاعته غرض صحيح كما لو أراد ترغيب السامع في فعل الخير فلا بأس إذا لم يمكن ترغيبه بدونه، وإلاّ كان هو الأولى؛ وقد روي محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال لا بأس أن تحدّث أخاك إذا رجوت أن ينفعه ويحثّه؛ وإذا سألك هل قمت الليلة أو صمت فحدّثه بذلك إن كنت فعلته، فقل قد رزق الله ذلك ولا تقل لا فإنّ ذلك كذب.

السادس أن يأمره بترك العمل خوفاً من أن يكون مرائياً به؛ وهذا من جملة خدائعه وذلك أنّ غرضه الأقصى ترك العمل وإنّما يعدل بك إلى قصد الرياء وغيره عند تثبيطك عن العمل، فإذا حصل غرضه فقد استراح من خدعك، ومثالك في ذلك من سلّم إليه مولاه حنطة فيها تراب وقال خلّصها من التراب ونقّها منه تنقية بالغة كاملة فيترك العمل من أصله وهذا تمام الغرض لإبليس اللعين وغاية القصد، فقد حصّلت أمنيّته وأرحته من التعب بك في إفساد العمل؛ وإنّما سبيلك أن تجتهد في تخليص عملك بالأدوية النافعة حتّى يحصل مراد مولاك.

السابع أن يأمره اللعين بترك العمل أيضاً لا لذلك بل خوفاً على الناس أن يقولوا أنّه مراءٍ فيعصون الله به، وهذا أيضاً مع ما قبله رياء خفيّ من مكائد الشيطان لأنّ تركه العمل خوفاً من قولهم أنّه مراءٍ عين الرياء ولولا حبّه لمحمدتهم وخوفه من ذمّهم فما له ولقولهم قالوا أنّه مراء أو قالوا أنّه مخلص؛ وأيّ فرق بين أن تترك العمل خوفاً من أن يقال أنّه مراء وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال أنّه غافل مقصّر؛ وفيه مع ذلك الظنّ بالمسلمين وما كان من حقّه أن يظن بهم ذلك ثمَّ كيف يطمع أن يتخلص من الشيطان بترك العمل وقد أطاعه فيه فإنّه لا يخليه أيضاً بل يقول له الآن تقول الناس أنّك تركت العمل ليقال أنّك مخلص لا تشتهي الشهرة إلى غير ذلك من فنون اللعب به.

الثامن أن يقول له اترك العمل لئلاّ يظنّ الناس بك خيراً أو تشتهر به وأحبّ العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا شهدوا لم يعرفوا، فإذا عرفت بين الناس بالعبادة لم يكن لك حظّ من هذا الوصف؛ وهذه أيضاً من مكائده وما عليك إذا أخلصت العمل لله أن تعرف به أو تجهل وإنّما عليك مراعاة قلبك وإصلاح سرّك؛ وكيف يخفى على الناس إذا كنت صالحاً وهو تعالى يقول: «عليك إخفاؤه وعليَّ إظهاره»؛ ويقول من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، وفي الحديث إنّ العبد إذا فعل الخير في جوف بيته أرسل الله ملكاً إلى الأرض بصورة رجل يخبر الناس عن حاله ويقول أنّ فلاناً يعمل كذا وكذا من الخير، وإذا عمل ذنباً في جوف بيته ستره الله ثلاثاً فإذا عاد إلى ذلك الفعل أرسل الله ملكاً إلى الأرض بصورة رجل فيخبر الناس بما يصنع ذلك الرجل في جوف بيته.

وروى شيخنا الكليني رحمه الله بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ما من عبد إلّا وعليه أربعون جُنّة حتّى يعمل أربعين كبيرة؛ فإذا عمل أربعين كبيرة انكشف عنه الجنن، فيوحي الله إليهم أن استروا عبدي بأجنحتكم، فتستره الملائكة بأجنحتها قال فما يدع شيئاً من القبيح إلّا قارفه حتّى يتمدّح إلى الناس بفعله القبيح؛ فتقول الملائكة يا ربّ هذا عبدك ما يدع شيئاً إلّا ركبه وإنّا لنستحي ممّا يصنع فيوحي الله تعالى إليهم أن ارفعوا أجنحتكم عنه فإذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت فعند ذلك ينهتك ستره في السماء وستره في الأرض[1] فتقول

---

(١) من هذا الحديث أخذ الشاعر قوله:

لطف حق باتو مداراها كند   چونكه از حد بكذرى رسواكند.

الملائكة يا ربّ هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر، فيوحي الله تعالى إليهم لو كانت لله فيه حاجة لما أمركم أن ترفعوا أجنحتكم عنه.

التاسع أن يأتيك اللعين ويقول إذا كنت لا تترك العمل لذلك، فاخفِ العمل فإنّ الله سيظهره عليك، وأمّا إذا أظهرته فيمكن أن تقع في الرياء، وهذا التلبيس عين الرياء لأنّ إخفاءك له كي يظهر بين الناس هو بعينه العمل لأجل الناس، وما عليك إذا كان مرضياً لله تعالى أن يظهر أو يخفى لولا نظرك إلى رضاء الناس فإنّك قد عرفت إظهاره سبحانه لعمل العبد.

روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال إنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّ من أنبيائه: إذا أصبحت فأوّل شيء يستقبلك فكله، والثاني فاكتمه، والثالث فاقبله، والرابع فلا تؤيسه، والخامس فاهرب منه، فلمّا أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم، فوقف وقال أمرني ربّي أن آكل هذا وبقي متحيّراً ثمَّ رجع إلى نفسه وقال إنّ ربّي جلّ جلاله لا يأمرني إلّا بما أُطيق؛ فمشى إليه ليأكله فكلّما دنا منه صغر حتّى انتهى إليه فوجده لقمة، فأكلها فوجدها أطيب شيء أكله؛ ثمَّ مضى فوجد طستاً من ذهب فقال أمرني ربّي أن أكتم هذا؛ فحفر له وجعله فيه وألقى عليه التراب، ثمَّ مضى فإذا هو بطير وخلفه بازيّ، فطاف الطير حوله فقال أمرني ربّي أن أقبل هذا؛ ففتح كمّه فدخل الطير فيه فقال له البازي أخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيّام فقال إنّ ربّي عزّ وجلّ أمرني أن لا أُؤيس هذا؛ فقطع من فخذه قطعة ألقاها إليه، ثمَّ مضى فإذا بلحم ميتة منتن مدوّد فقال أمرني ربّي أن أهرب من هذا فهرب منه.

ورجع فرأى في المنام كأنّه قد قيل له إنّك قد فعلت ما أُمرت به فهل تدري ماذا كان؟ قال لا، قيل له أمّا الجبل فهو الغضب، إنّ العبد إذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب، فإذا حفظ فيه وعرف قدره وسكن غضبه كانت عاقبته كاللقمة الطيّبة التي أكلتها؛ وأمّا الطست فهو العمل الصالح إذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله عزّ وجلّ إلّا أن يظهره ليزيّنه به مع ما يدّخر له من ثواب الآخرة؛ وأمّا الطير فهو الرجل الذي جاءك بالنصيحة فاقبله واقبل نصيحته، وأمّا البازي فهو الرجل الذي يأتيك في حاجة فلا تؤيسه وأمّا اللحم المنتن فهو الغيبة فاهرب منها.

وأمّا الدواء النافع في دفع الرياء فبأن تتفكر في مضرّة الرياء وما يفوت بسببه من صلاح القلب؛ وما يحرم عنده في الحال من التوفيق، وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى يتعرّض من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر؛ حيث ينادى

على رؤوس الأشهاد والعباد يا فاجر يا غادر يا مرائي، أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله تعالى عرض الدنيا؛ راقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله تعالى وتحبّبت إلى العباد بالتبغّض إلى الله تعالى وتزيّنت لهم بالشين عند الله تعالى؛ وتقرّبت إليهم بالبعد من الله، وتحمّدت إليهم بالتذمّم عند الله تعالى، وطلبت رضاهم بالتعرّض لسخط الله، أما كان أحد أهون عليك من الله، فمهما تفكّر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزيّن لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أنّ العمل الواحد ربّما كان يترجّح به ميزان حسناته لو خلص، فإذا فسد بالرياء حوّل إلى كفّة السيّئات فيترجح به بعد أن كان مرجوحاً ويهوي به إلى النار.

فلو لم يكن في الرياء إلّا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره؛ وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة؛ فقد كان ينال بهذه الحسنة علوّ المرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيّين والصدّيقين وقد حطّ عنهم بسبب الرياء ورد إلى صفّ النعال من مراتب الأولياء إن لم يستوجب النار والخزي والطرد عن الملك الجبّار، هذا مع ما يتعرّض له في الدنيا من تشتّت الهمّ بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإنّ رضاء الناس غاية لا تدرك، فكلّ ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضاء بعضهم في سخط بعضهم.

وأمّا الطمع لما في أيديهم فبأن تعلم أنّ الله مسخّر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأنّ الخلق مضطرّون فيه؛ ولا رازق إلّا الله سبحانه وتعالى ومن طمع في الخلق لم يخل من الذلّ والخيبة والمقت والإهانة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنّة والمهانة، ومن اعتمد على الله كفاه الله همّه من الدنيا والآخرة، فكيف يترك ما عند الله لرجاء كاذب ووهم فاسد وقد يصيب وقد يخطىء، وإذا أصاب فلا تفي لذته بألم منّته ومذلّته مع أنّ المرائي يظهر الله تعالى الخلق على باطنه وخبث نفسه وفساد نيّته فيمقتونه.

روي أنّ رجلاً من بني إسرائيل قال والله لأعبدنّ الله عبادة أُذكر بها، فكان أوّل داخل إلى المسجد وآخر خارج منه، صائماً لا يفطر ويجلس إلى حلق الذكر؛ فمكث بذلك مدّة طويلة؛ فكان لا يمرّ بقوم إلّا قالوا فعل الله بهذا المرائي وصنع، فأقبل على نفسه وقال أراني في غير شيء لأجعلنّ عملي كلّه لله، فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك إلّا أنّه تغيّرت نيّته إلى الخير؛ وكان ذلك الرجل يمرّ بعده بالناس فيقولون رحم الله فلاناً الآن أقبل على الخير.

ثمَّ هب أنّهم أحبّوك وأكرموك وخفي عليهم حالك مع أنّ الله تعالى مطّلع على فساد نيّتك وخبث سريرتك فأيّ خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم؛ وأيّ شرّ لك من ذمّ الناس وأنت عند الله ممدوح من أهل الجنّة، ومن أحضر في قلبه الجنّة ونعيمها المؤبّد والمنازل الرفيعة عند الله تعالى استحقر ما يتعلّق بالخلق أيّام الحياة، مع ما فيه من الكدورات فإن لم يكتف بهذا كلّه فليتأمّل في ثلاثة أشياء:

أحدها أنّه لو قيل لك أنّ هنا رجلاً معه جوهر نفيس ليساوي مائة ألف دينار وهو محتاج إلى ثمنه بل إلى بيعه عاجلاً وإلى أضعافه ثمناً؛ فحضر من يشتري منه متاعه بأضعاف ثمنه مع حاجته إلى الأضعاف أيضاً، فأبى بيعه بذلك وباعه بفلس واحد أليس ذلك يكون خسراناً عظيماً وعيباً فظيعاً، ودليلاً بيّناً على دناءة الهمّة وقصور العلم والفهم، وضعف الرأي ورقّة العقل بل على السفه المحض وهذا بعينه حال المرائي؛ فإنّ ما يناله العبد بعمله من مدحه وحطام الدنيا بالإضافة إلى رضاء ربّ العالمين وشكره وثواب الآخرة أقلّ من فلس في جنب ألف ألف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها وأكثر، وهذا هو الخسران المبين فإن كان ولا بدّ لك من هذه الهمّة الخسيسة فاقصد أنت الآخرة وهو سبحانه يعطيك الدارين قال النبيّ ﷺ إنّ الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا.

وثانيها أنّ المخلوق الذي يعمل لأجله وطلب رضاه لو علم أنّك تعمل لأجله لأبغضك ولاستهان بك؛ مضافاً إلى مقت الله وبغضه؛ وما تعمله لله خالصاً يوجب رضاء الفريقين؛ فكيف يعمل العامل لأجل من لو علم بأنّه يطلب رضاه لسخط عليه وأهانه.

وثالثها أنّ من حصل له سعي يكتسب به رضاء أعظم ملك في الدنيا، فطلب به رضاء كنّاس خسيس فطلب سخط ذلك الملك ورضاء الكنّاس فيكون هذا دليلاً على رداءة الرأي وسوء المنظر، ويقال له ما حاجتك إلى هذا الكنّاس مع إمكانك رضاء الملك، وهذا هو الدواء العلمي؛ وأمّا الدواء العملي فهو أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتّى يقنع قلبه اطّلاع الله سبحانه على عبادته ولا تنازعه نفسه إلى طلب غير علم الله، وهو أمر يشقّ في ابتداء المجاهدة لكن إذا صبر عليه مدّة بالتكلّف سقط عنه ثقله، وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله تعالى وبما يمدّ به عباده من حسن التوفيق فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم؛ فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الآية [العنكبوت: ٦٩].

وروي أنّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول للحواريّين إذا كان يصوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته وليمسح شفتيه بالزيت لئلاّ يرى الناس أنّه صائم وإذا أعطى بيمينه فليخفِ عن شماله، وإذا صلّى فليرخ ستراً عليه فإنّ الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق. وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إنّ في ظلّ العرش ثلاثة يظلّهم الله في ظلّه (بظلّه خ) يوم لا ظلّ إلا ظلّه: رجلان تحابّا في الله وافترقا عليه؛ ورجل تصدّق بيمينه صدقة فأخفاها عن شماله؛ ورجل دعته امرأة ذات جمال فقال إنّي أخاف الله ربّ العالمين، هذا مختصر ما يتعلّق بالرياء.

خاتمة هذا النور في العجب وسرور المرء بعمله

أمّا تعريفه فهو استعظام العمل الصالح واستكثاره والابتهاج به، وهو من المهلكات قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثلاث مهلكات: شحّ مطاع وهوى متّبع وإعجاب المرء بنفسه. وهو محبط للعمل قال عَلَيْهِ السَّلَامُ لولا أنّ الذنب بالمؤمن خير من العجب ما خلّى الله عَزَّ وَجَلَّ بين عبده المؤمن وبين ذنب أبداً؛ وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ سيّئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك، أي تورثك عجباً؛ وعن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أوحى الله إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يا داود بشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين، قال تعالى: «**بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب وأنذر الصديقين أن يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد يتعجب بالحسنات إلا هلك**»، وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال قال الله تعالى أنا أعلم بما يصلح به أمر عبادي وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادته فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيجتهد ويتعب نفسه لعبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً منّي له واتقاءً عليه، فينام حتّى يصبح فيقوم ماقتاً لنفسه زارياً عليها ولو خلّي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله من ذلك العجب بأعماله فيأتيه ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتّى يظنّ أنّه قد فاق العابدين، وجاز في عبادته حدّ التقصير فيتباعد منّي عند ذلك وهو يظنّ أنّه تقرّب إليّ.

وروى شيخنا الكليني قدّس الله روحه بإسناده إلى الصادق والباقر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق، وذلك أنّه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته فيدلّ بها فيكون فكرته في ذلك ويكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله تعالى ممّا صنع من الذنوب؛ وروي أنّ الشيطان أقبل إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعليه برنس فيه ألوان، قال موسى ما هذا؟ قال أختطف به قلوب بني آدم؛ قال فما الذي إذا صنعه الإنسان

استحوذت عليه؟ قال إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه، فأُحذّرك ثلاثة: لا تخلُ بامرأة فإنّه ما خلا رجل بامرأة لا تحلّ له إلّا كنت صاحبه حتّى أفتنه بها؛ ولا تعاهد الله عهداً فإنّي أمنعك عن الوفاء به؛ ولا تخرجنّ صدقة إلّا أمضيتها فإنّه ما أخرج رجل صدقة ولم يمضها إلّا كنت صاحبها دون أصحابه حتى أحول بينه وبين الوفاء بها، ثمَّ تولّى ويقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذّر به بني آدم[1].

وأمّا علاج العجب فبأن ينظر في الآلات والأسباب التي قوي بها على العبادة التي أورثته العجب من القدرة والعلم والأعضاء والرزق؛ فإنّه كلّه من الله سبحانه ولولاه لم يقدر على طاعته سبحانه، ثمَّ ينظر إلى نعمه عليه في إرسال الرسل وخلق العقل الذي اهتدى به ثمَّ ينظر في قيمة العمل الذي عمله فلا يجده مقابلاً لنعمة من هذه النعم؛ وإنّما صار لعمله قيمة لما وقع من الله موقع الرضا، وإلاّ فترى الأجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدرهم؛ وكذلك أصحاب الصناعات والحرف وإذا صرفت الفعل إلى الله تعالى فصمت لله يوماً قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وفي الخبر أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم قد صارت له هذه القيمة بتأخير غداء إلى عشاء ولو قمت ليلة لله تعالى فقد قال في شأنك ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، فهذا الذي قيمته درهم صارت له هذه القيمة؛ فحقّ إذن للعاقل أن يرى حقارة عمله وقلّة مقداره من حيث هو، وأن لا يرى إلّا منّة الله عليه.

وحدّثني أوثق مشايخي عن الصادق عليه السلام أنّ عابداً كان في الأعصار السابقة يعبد الله سبحانه في كهف جبل صائماً نهاره قائماً ليله، وكان قد أنبت الله سبحانه له على باب ذلك الكهف شجرة رمّان فكان يأكل منها كلّ ليلة واحدة ويدّخر منها لشتائه فبقي يعبد الله تعالى خمسمائة عام تقريباً، فإذا كان يوم القيامة أمر الله سبحانه بإحضار ذلك العابد فيقول لملائكة الرحمة إنّي قد عفوت عنه فأدخلوه الجنّة بفضلي؛ فيقول العابد يا ربّ إنّي عبدتك كثيراً وأريد أن أدخل الجنّة بعبادتي؛ فيقول سبحانه أراد منّا العدل يا ملائكتي زنوا عبادته مع ما أنعمت عليه في الدنيا، فتوضع أعماله كلّها في كفّة من الميزان ويوضع في الكفّة الأُخرى رمّانة واحدة من ذلك الرمّان

---

(١) تنبيه الخواطر لورام ج ١ ص ١٠٣

فترجح الرمّانة الواحدة على كلّ ذلك العمل، فيبقى العابد متحيّراً، فيقول يا ربّ ألتمس منك الفضل فيدخله الجنّة، فهذا قيمة عبادته خمسمائة سنة لمّا عامله بالعدل، هذا مع أنّ التوفيق للقيام بوظائف العبوديّة ليس إلّا منه تعالى كما أشير إليه في خبر داود عليه السلام حين أوحى الله إليه أن اشكرني حقّ شكري فقال يا ربّ كيف أشكرك حقّ شكرك والشكر نعمتك تستحقّ عليه شكراً؟ فقال يا داود إذا عرفت أنّ ذلك منّي فقد شكرتني.

وروي أنّ بعض الوعّاظ دخل يوماً على هارون الرشيد فقال عظني؛ فقال له يا أمير المؤمنين أتراك لو منعت شربة من ماء عند عطشك بم كنت تشتريها؟ قال بنصف ملكي قال يا أمير المؤمنين أتراها لو حبست عنك عند خروجها بم كنت تشتريها؟ قال بالنصف الباقي؛ قال فلا يغرّنّك ملك قيمته شربة ماء. فانظر أيّها العاقل كم تتناول في يومك وليلتك ممّا يساوي ملك الرشيد ويزيد عليه أضعافاً، فما قيمة عبادتك وما توقّعه منك في يومك وليلتك؛ فلو جعلت لله تعالى نفساً تقول فيه لا إله إلّا الله؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

وروي أنّ عابداً عبد الله تعالى سبعين عاماً صائماً نهاره قائماً ليله، فطلب إلى الله حاجة فلم تقض، فأقبل على نفسه وقال من قِبلك أتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك فأنزل الله إليه ملكاً فقال يابن آدم ساعتك التي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت؛ ثمّ تأمل بعد ذلك ثلاثة أمور: أحدها أنّ الملك من ملوك الدنيا إذا قرّر لواحد من أتباعه طعاماً أو كسوة أو دراهم فإنّه يستخدمه لأجلها بضروب الخدمة في الليل والنهار بل ربّما قام على رأسه ووقف أمامه؛ وربّما ركب لأجله لجج البحار وربّما بذل مهجته في مقاتلة أعدائه ولا ينفعه في الآخرة، فهو يتحمّل كلّ تلك المشاقّ لأجل تلك المنفعة الخسيسة الفانية، ويعترف له بالنعمة والفضل مع أنّ تلك النعمة والفضل كلّه من الله، فكيف تستكثر أنت عملك الحقير المشوب بالآفات والنقائص لربّك الذي خلقك ولم تك شيئاً مذكوراً، ثمّ ربّاك وأنعم عليك فقال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وثانيها أن تتفكّر في أنّ الملك الذي من شأنه أنّ الملوك تخدمه إذا أذن في إدخال الهدايا عليه ووعد عليها بالعطاء العظيم، وأمر أن لا يستحي أحد بهديّته ولو كانت طاقة بقل، فدخلت عليه الأمراء والأكابر بأنواع الهدايا ثمّ جاء بقّال إليه بباقة

بقل تساوي درهماً فدخل بها إلى حضرته وزاحم أولئك الأكابر بهداياهم الجليلة، فقبل الملك من الوضيع هديّته ونظر إليها نظر القبول وأمر له بأنفس حلّة قيمتها مائة ألف دينار كان منه غاية في الكرم والتفضّل، ثمّ لو فرض أنّ هذا الفقير نظر بخاطره إلى هديّته واستعظم أمرها وتعجّب بها ونسي ذكر منّة الملك قيل إنّه مجنون فاسد العقل والرأي.

وثالثها أنّ الملك الذي من شأنه أن تخدمه الملوك والأمراء وتقوم على رأسه السادات والعظماء ويتولّى خدمته الحكماء إذا أذن لسوقيّ أو قرويّ في الدخول عليه والقرب منه حتّى زاحم أولئك الأكابر والسادات والأفاضل في خدمته، وجعل له مقاماً في حضرته أليس يقال لقد كثرت على هذا الفقير المنّة من الملك وعظمت عليه النعمة، فإن أخذ هذا الفقير الحقير يمنّ على الملك بتلك الخدمة الحقيرة ويستعظم ذلك مع هذه النعمة الواصلة إليه ويعجب بعمله أليس ينسب إلى محض السفه والجنون وكيف وإلّهنا الذي وقف بخدمته الأنبياء والمرسلون والملائكة المقرّبون، ولا يخفى حال نبيّنا ﷺ في جدّه واجتهاده في عبادة ربّه وكذلك من بعده من الأئمة الطاهرين عليهم السلام؛ ومع هذا كلّه قال ﷺ سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك، فكيف تستعظم وتستكثر أنت صلاة ركعتين محشوّتين من العيوب والنقائص.

وأمّا سرور المرء بعمله فقد علمت أنّ حقيقة الإخلاص ما قاله عليه السلام: ما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتّى لا يحبّ أن يحمد على شيء من عمل الله؛ وإنّ الإنسان يعمل لله مخلصاً لكن إذا عرفه الناس وأثنوا عليه بذلك سرّه ذلك المدح ولا ينفكّ عن هذا، وكذلك إذا عمل الحسنة سرّ بعمله لها فهل يكون مثل هذا منافياً للإخلاص أم لا؟ واعلم أنّ رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فيما رواه المفسّرون عن سعيد بن جبير قال جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال إنّي أتصدّق وأصل الرحم، ولا أصنع ذلك إلّا لله فيذكر منّي وأُحمد عليه؛ فيسرّني ذلك وأُعجب به فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]؛ قال بعض المحقّقين من الناسكين المتّقين: التحقيق أنّ السرور باطّلاع الناس ينقسم إلى قسمين محمود ومذموم فالمحمود ثلاثة:

كما في الدعاء: يا من أظهر الجميل وستر القبيح، فيستدلّ بذلك على حسن صنع الله به فيكون فرحه بجميل صنع الله لا بحمد الناس وحصول المنزلة في قلوبهم؛ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨].

الثاني أن يستدلّ بإظهار الجميل وستر القبيح في الدنيا أنّه يفعل به كذلك في الآخرة كما قال رسول الله ﷺ ما ستر الله على عبد في الدنيا إلّا ستر عليه في الآخرة. الثالث أن تحمده المطّلعون عليه فتسرّه طاعتهم لله في ذلك ومحبّته طاعة الله، فإنّ من الناس من يرى أهل الطاعة فيمقتهم ويحسدهم ويهزأ بهم وينسبهم إلى التصنّع فهذا النوع من الفرح حسن ليس بمذموم، وعلامة الإخلاص في هذا النوع بأن لا يزيده اطّلاعهم هذا بالعمل بل يستوي حالتاه في اطلاعهم وعدمه وإن وجد في نفسه هزّة وزيادة في النشاط فليعلم أنّه مراءٍ فليجتهد في إزالته برادع العقل والدين وإلاّ فهو من الهالكين.

وأمّا المذموم فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته عندهم ليمدحوه ويعظّموه ويقوموا بقضاء حاجاته، ويقابلوه بالإكرام والتوقير فهذا رياء حقيقيّ ومحبط للعمل، وأمّا حديث النفس وما يخطره الشيطان بوسواسه ومن إرادة إطلاع الناس على العمل مع كونه ماقتاً لنفسه وزارياً عليها على هذا الخاطر الذي قد عنّ لها فالظاهر أنّه لا شيء عليه فيه، لأنّه لا ينفك عن الإنسان، ومن هنا قال ﷺ: عفا الله لأمّتي عمّا حدثت به أنفسها ما لم تنطق به أو تعمل به، لأنّ حركة اللسان والجوارح مقدوران بخلاف خطرات الأوهام ووساوس القلوب، نعم يجب مقابلة هذه الخطرات بأضدادها ومقابلة شهواتها بكراهتها.

وأمّا سرور الإنسان بحسناته فقد تحقّقت أنّه من علامات الإيمان؛ كما قال عليه السلام من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن؛ وحيث أنّك قد تحقّقت من خبر معاذ السابق أنّ الصلاة تردّ من أوّل باب من أبواب السماء لأجل الغيبة فلا بأس بعقد نور يكشف عن أحواله.

نجز الجزء الثاني من الكتاب على حسب تجزئتنا في الطبع؛ ويليه الجزء الثالث وأوّله: (نور يكشف عن أحوال الغيبة) ونسأل الله التوفيق لإتمامه؛ والحمد لله أوّلاً وآخراً؛ وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

الفهرس